

السلسلة الجديدة من مطبوعات دائرة المعارف العثمانية ٥/١٣/٩



كتاب الامام

الإعلام فيما جرت به الأحكام و الأمور المقضية في وقعة الإسكندرية

لمحمد بن قاسم بن محمد النويري الإسكندراني

(المتوفى بعد سنة ٥٧٧٥ / ١٣٧٢ م)

الجزء الخامس

تحقيق

الدكتور عزيز سوريال عطية

من مخطوطة القاهرة

طبع

بإعانة وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية

تحت إدارة

بروفسور السيد عبد الوهاب البخاري مدير دائرة المعارف العثمانية

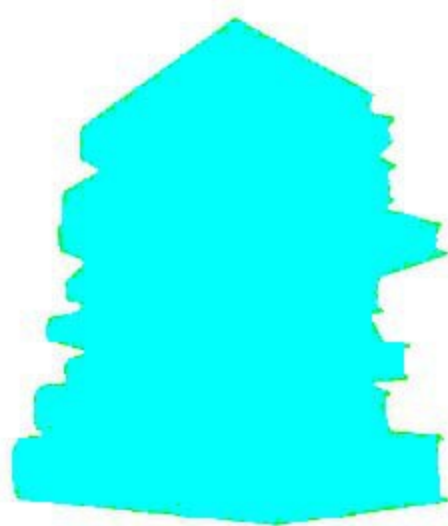
الطبعة الأولى

مطبوعات دائرة المعارف العثمانية، باكستان الإسلامية، باكستان الإسلامية، باكستان الإسلامية

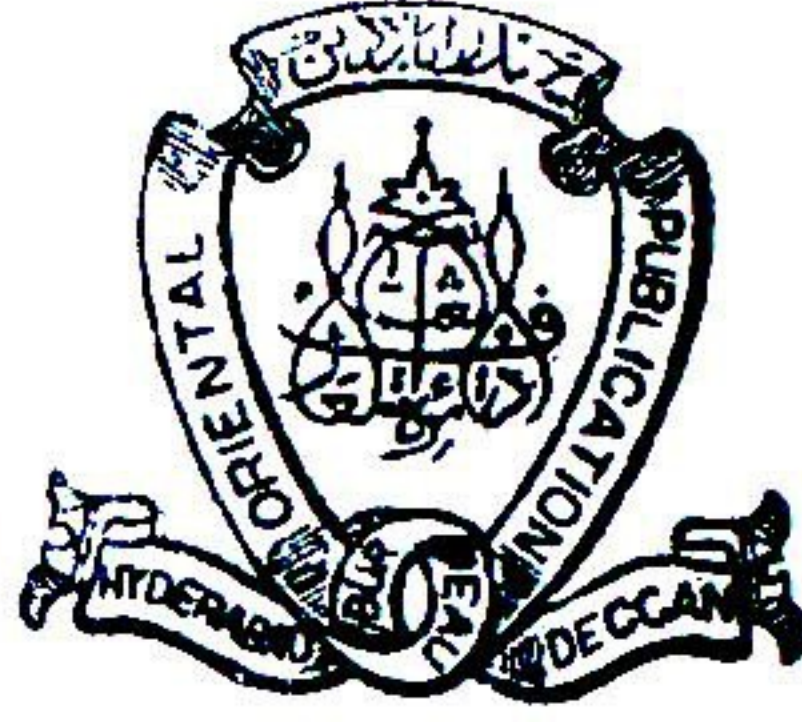
١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م

**Collection of Prof. Muhammad Iqbal Mujaddidi
Preserved in Punjab University Library.**

پروفیسر محمد اقبال مجددی کا مجموعہ
پنجاب یونیورسٹی لائبریری میں محفوظ شدہ



السلسلة الجديدة من مطبوعات دائرة المعارف العثمانية ٥/١٣/٩



كتاب الامام

بالإعلام فيما جرت به الأحكام و الأمور المقضية في وقعة الإسكندرية

لمحمد بن قاسم بن محمد النويري الإسكندري

(المتوفى بعد سنة ٥٧٧٥ / ١٣٧٢ م)

الجزء الخامس

تحقيق

الدكتور عزيز سوريال عطية

من مخطوطة القاهرة

طبع

باعانة وزارة المعارف للحكومة الهندية

تحت إدارة

بروفسور السيد عبد الوهاب البخاري مدير دائرة المعارف العثمانية

الطبعة الأولى

بِطَبْعَةِ مَجْلِسِ تَرْغِيْلِ كَلِمَاتِ الْعِلْمِ بِمَدِينَةِ بَيْرُوتِ الشَّامِ

Nizami Book Agency

BURSA 243601 (P.P.) ٥ / ١٣٩٣

132307

جميع الحقوق محفوظة
لدائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد

All copyrights reserved.

٤

الاهداء

إلى روح الزميل العظيم الخالد المغفور له

الدكتور

محمد عبد المعيد خان

مدير دائرة المعارف العثمانية وعميدها السابق

ورئيس القسم العربي السابق

بالجامعة العثمانية بحيدرآباد

والأستاذ الزائر سابقا بجامعة كامبردج بانجلترا

وجامعة يوتا بالولايات المتحدة الأمريكية

محتويات (الجزء الخامس)

| الصفحة | الموضوع |
|---------|---|
| الف - و | مقدمة الجزءين الخامس و السادس |
| ١ | ذكر آداب الحرب و الحزم فيه و الصبر عند اللقاء ، و خبر أرسطاطاليس الفيلسوف ، و خبر دارا مع الإسكندر ، و خبر سكندس الفيلسوف مع والدته ، و قتل الحجاج لعبد الله بن الزبير ، و ذكر الشجعان و ما وصفوا به ، و غير ذلك |
| ٤ | ذكر ما قيل في الحزم |
| ١٠ | ذكر ما قيل في الصبر |
| ٢٠ | ذكر كيفية قتل الحجاج ابن الزبير |
| ٢٩ | ذكر بلال بن أبي بردة |
| ٣٠ | حكاية عن الحجاج |
| ٣٤ | ذكر بداية أمر أرسطاطاليس معلم الإسكندر ، و خبر الكاهن و الراهب ، و محاربة الإسكندر لدارا ملك الفرس ، و خبر سكندس مع أمه |
| ٣٦ | ذكر الكاهن و الراهب |
| ٤١ | خبر الإسكندر في بداية أمره |

| | |
|-----|--|
| ٤٣ | إرسال دارا و طلب المال و جواب الإسكندر |
| ٥٢ | أخبار الإسكندر |
| ٥٨ | قصة سكندس مع والدته |
| ٦١ | ذكر وقود النار في الليل على الأسوار وقت الحصار |
| ٦٤ | ذكر ما قيل في أربعة خرجوا لأربعة أشياء فوجدوا أربعة أشياء |
| ٦٨ | ذكر الطعام الذي لا بد للحصوريين منه |
| ٧٠ | صفة خزن القمح |
| ٧١ | ادخار اللحم |
| ٧٢ | ادخار الحطب و التبن |
| ٧٤ | ذكر ما جاء عند لقاء العدو و غير ذلك ء |
| ٧٦ | ذكر نصرة المسلمين على صاحب قبرس اللعين بطرابلس الشام و بلد أياس |
| ٧٩ | ذكر خبر أسطول القيصع مع أهل قوصرة |
| ٨٤ | مطلب في فعل القبرسي |
| ٩٢ | ذكر ما جاء في فضل الشهادة و ما أعده الله تعالى لأولياته في الجنة |
| ١٠٠ | ذكر ما قيل في إرم ذات العماد |
| ١٠٤ | عود إلى وقعة طرابلس |
| ١٠٨ | حكاية المرأة الإسرائيلية |
| ١٢٣ | عود إلى قصة القبرسي و حملة طرابلس |
| عود | ٢ |

| الصفحة | الموضوع |
|--------|---|
| ١٢٥ | من قصص موسى و فرعون |
| ١٤٥ | عود إلى حكاية المأمون |
| ١٥٣ | عود لموضوع القبرسي و طرابلس |
| ١٥٥ | قصة إبراهيم بن آدم |
| ١٦١ | عود إلى حملة القبرسي |
| ١٦٣ | صفة السلاسل و المين |
| ١٦٥ | عود إلى حملة القبرسي |
| ١٩٠ | أخبار البنادقة و الجنويين بالإسكندرية |
| ١٩٣ | ذكر العناية بالإسكندرية و تولية ملك أمرائها يصير مقبا كدمشق و حلب |
| ١٩٧ | روايات فقهية |
| ٢٠٧ | أخبار الأولياء و الصالحين |
| ٢٢٨ | مطلب في فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه و سلم على سائر العبادات |
| ٢٣١ | ذكر دخول الفرنج العراق |
| ٢٣٥ | وقعة قازان و الناصر محمد |
| ٢٤٠ | موسى على جبل الطور |
| ٢٤١ | خبر الأعمى |
| ٢٤٢ | خبر العجوز |

| الصفحة | الموضوع |
|--------|--|
| ٢٤٣ | ذكر الحيات |
| ٢٤٤ | في السياسة |
| ٢٤٥ | عود إلى ذكر الحيات |
| ٢٤٧ | وفيات الملوك الثلاثة : قازان و أبو سعيد و خدا بنده |
| ٢٥٠ | خبر الأعرابي مع أمير المؤمنين المهدي |
| | ذكر تاريخ قدوم سيف السلطان الملك الأشرف شعبان من القاهرة |
| | إلى الإسكندرية و نصب كرسى الملك بها و غير ذلك من |
| ٢٥٤ | الواردات المستطردات |
| ٢٥٦ | في آداب المائدة و موضوعات أخرى |
| ٢٦٤ | في الكرسى |
| ٢٧٧ | خبر إبراهيم التازى و الفرنج |
| ٢٩٨ | في التشفى من أعداء الملوك |
| ٣١٣ | خبر المنصور مع بنى أمية |
| ٣١٧ | خبر ابن الأحمر و القند بالاندلس |
| ٣٢٢ | حصون المؤمنين |
| ٣٤٠ | أخبار المغاربة و أسارى الفرنج |
| ٣٤٥ | ذكر مناقب عمر |
| ٣٤٨ | خلافة بنى أمية |
| ٣٤٩ | خلافة العباسيين |

| الصفحة | الموضوع |
|--------|--|
| ٣٥٧ | ذكر ما جاء في فتح القسطنطينية |
| ٣٦٦ | ولاية طيدمر البالى الإسكندرية |
| ٣٨٠ | تاريخ دخول السلطان الأشرف شعبان الإسكندرية |
| ٣٨١ | مطلب في حكم البهائم و الوحوش |
| ٣٨٦ | كلاب الصيد و الجوارح المعلقة |
| ٣٨٨ | حباله صيد الوحش |
| ٣٨٩ | الضباع |
| ٣٩١ | الضب |
| ٣٩٣ | عود للضواري و الجوارح |
| ٣٩٥ | مطلب في العنقاء |
| ٣٩٧ | مطلب في فن الأدب |
| ٤٠٧ | الفيل و الأسد و غير ذلك |
| ٤١٨ | خاتمة الطبع |

* * * * *

مقدمة

الجزئين: الخامس و السادس

أسلفنا في الأربعة الأجزاء السابقة من « كتاب الإمام » نشر مخطوطة برلين المرموز لها بالأحرف « بر » مع مقارنة نصها مقارنة دقيقة مع مخطوطة بانكي پور التي رمزنا لها بالأحرف « بن » . و ذكرنا جميع المفارقات اللفظية و الزيادات الكلامية في الهوامش حتى يتيسر بذلك للقارئ الجمع بين النصين دون عناء . و قد جعلنا نص برلين الأساس الثابت لنشرتنا نظرا لأنها منقولة عن نسخة المؤلف ، بالإضافة إلى قدمها و دقة كاتبها و أمانته الواضحة من السياق .

و مخطوطة القاهرة التي رمزنا لها بحرف « القاف » تعتبر استمرارا طبيعيا لمخطوطة برلين ، و هي فريدة لم نعثر على نسخ أخرى منها في الفهارس المعروفة لدور المخطوطات ، فكان لزاما علينا أن ننشرها كما هي في الجزئين الحاليين ، و الاجتهاد في تحقيق ما قد يكون فيها من التحريف اللفظي دون الرجوع إلى نسخ أخرى حسبما فعلنا في الأجزاء السابقة و إن كنا قد اتبعنا في نشرها نفس القواعد التي التزمنا بها في تلك الأجزاء . ذلك إذا تجاوزنا عن الإضافات التي استكملناها في النص من « بن » لسقوطها من « بر » ، و ورودها لحسن الحظ في الأخرى .

و إذا سلمنا بأن المخطوطتين « بر » و « ق » من قلم و أصل واحد ، فيكون تاريخهما - كما جاء بآخر « ق » - في يوم الأحد ١٧ ربيع الأول

الف

سنة ١٠٦٤ هـ الموافق ٦ فبراير سنة ١٦٥٤ م . و الناسخ أحمد درويش
الوقادى شخص غير معروف لم يرد ذكره فى تاريخ أدب ذلك العصر .
و المخطوطة بالقلم النسخ الواضح ، ليس فيها سقوط عبارات كثيرة كما
حدث فى « بر » . و ظاهر أن الناسخ كان أميناً فيما نسخه حتى أنك
لتجد أخطاء الأسلوب فى لغة النويرى موجودة فى كلا الأصلين ،
و أغلبها صادر عن اللغة الدارجة على أفواه العامة من سكان
الإسكندرية و مصر .

و يلاحظ أن مادة « ق » تتميز بنفس الصفات التى فى الأجزاء
السابقة بما فيها تلك « الواردات المستطردات » التى خرج فيها المؤلف
عن الحدود التاريخية لذلك العصر . و ربما كانت هذه المبالغة فى ذلك
الشروء أشد فى « ق » منها فى « بر » و « بن » ، على السواء ، كما يتضح
من جدول محتويات الكتاب الذى حاولنا بإدخال عناوينه فى صلب
النص تبويب المادة المرسله فى أسلوب الكاتب تحت موضوعاتها الخاصة ،
فيسهل بذلك على القارئ تناولها و متابعة كل فصل على حدة .

و إذا نظرنا إلى هذه الأجزاء من الزاوية التاريخية البحتة لوجدنا
بين ظهرانيتها بعض دقائق العصر المملوكى ، منها ما يتعلق بالصراع
الصليبي القبرسى الذى بدأ بحملة الإسكندرية سنة ١٣٦٥ م و ما تلاها
من الأحداث التى يصعب استقصاؤها فى غير هذا الكتاب من التواريخ
الأصيلة ، مثال ذلك حملات بطرس لوسنيان و خلفائه من ملوك قبرس
اللاتينية على طرابلس الشام و بلد أياس . ضف لذلك ما شاهده المؤلف

من وقائع تاريخ السلطان الملك الأشرف شعبان ما بين القاهرة والإسكندرية، ثم نواحي التاريخ المحلي لمدينة الإسكندرية و ذكر آثارها ومبانيها التي كان النويري شاهد عيان لها، ومن بينها دار الطراز وقصر السلطنة وحيطان المدينة وحصونها ومبانيها إلى غير ذلك. ناهيك عن وصفه للوكب السلطاني عند دخوله الإسكندرية و سرد أدوات الحرب ولبوسها حتى إذا تجاوزنا عن ذكره لآداب الحرب ومستلزمات الحصار والجيش. وهو إلى جانب ذلك كله يقفز من وراء عصره إلى أجيال سحيقة متناهية. مثال ذلك القصص الذي نسجه حول حياة الحجاج بن يوسف الثقفي، و ذكر فتوح القسطنطينية، و وقعة قازان والناصر محمد، و قصة الوزير نظام الملك، و خبر السفاح و أم سلمة، و حروب ابن الأحمر و القند بالاندلس، و خلافة الأمويين و العباسيين، و غير ذلك من المتنوعات، و كأنه يضرب بجنبط عشواء حسبما يقوده القلم. و مع ذلك فلا تخلو أقاصيصه من النقاط النادرة التي تنفع المؤرخ و الأديب. و الظاهر أن النويري كان يكتب لإتحاف القارئ بما يسره.

ضف لذلك كلامه عن الآثار القديمة و الأهرام و النواميس و الحفريات كما كان يراها إنسان ذلك القرن. ثم إذا به وهو يشرذ إلى غير مصر من البقاع و الموضوعات المترامية، فيتحدث عن الإسكندر و دارا، ثم كسرى و المزادقة، ثم بلاد الهند و غيرها. و لكن علينا أن نتذكر أن القيمة الحقيقية لهذا الكتاب تنحصر قبل كل اعتبار في

أحداث التاريخ المحلي على ما ذكرنا، مع ما يمكن إضافته لذلك من العلاقات الخارجية، مثل ما جاء عن أخبار البنادقة والجنوية، ومغامرات إبراهيم التازي قائد الأسطول السكندري مع الفرنج، وأقاصيص المغاربة وأسارى الفرنج، أثناء ولاية صلاح الدين بن عرام، ثم طيدمر البالى على ثغر الإسكندرية. وهى فى مجموعها تلتقى ضوءاً على صورة ذلك العصر.

وللنويرى استطرادات فى ميادين أخرى كالفقه والحديث وأخبار الأولياء والصالحين، وفنون الأدب على اختلافها من مشور وشعر قديم ومعاصر. فهو يتناول الخنساء والفرزدق والحارث بن عمرو الكندى ومجنون ليلي الذى خصص لشعره مكاناً مرموقاً جاء فيه من القصائد ما لم نعثر عليه فى الدواوين المعروفة. وفى نفس الوقت يردف هذا الأدب الرفيع ببعض قصائد العصر وقصائده التى صاغها فى مناسبات لها قيمتها بالرغم من ركاكتها، وأسلوب النويرى فى جملة مصطنع يعتمد فيه إلى السجع الذى لا يخفى على السمع.

وبالكتاب أبواب عدة متباعدة يطبع فيها المؤلف مثلاً ما بين صناعة الحرب، إلى آداب المائدة، إلى مطلب فى حكم البهائم والوحوش، إلى العود والطيب و صنوف البهار والمحاصيل المستوردة من الهند، مما حاولنا التعريف به وإن كان ميدان التنقيب فى ذلك ما زال خصياً أمام الباحثين.

وللقصص والحكايات فى «الإمام» دور كبير، وهى على ثلاثة

أنواع رئيسية : أولها مشتق من القرآن غير أن التويرى ألبس هذا النوع ثوب « الدراما » . و ثانيها أدبي أو تاريخي ، مثل حكاية المرأة الإسرائيلية ، و خبر الأعرابي مع الخليفة المهدي ، و خبر اليهودي و المئذنة إلى آخره . و ثالثها نوع خيالي يحمل بعض الشبه إلى « ألف ليلة و ليلة » مثل رواية لواء الملك بن سيف التيجان و زواجه بالدعجاء ، ثم قصة أخرى في مدينة الطلاسم . و لا نعلم لهما أصلا . و في مطلع الكتاب ما هو أغرب و هو « قصة سكندس مع والدته » من الأدب الإغريقي القديم ، و هي تذكرنا بقصة « أوديب الملك » مع ما بينهما من مفارقات ، و لا نعلم كيف وصل الكاتب إلى مادتها في الأدب اليوناني القديم .

و من العجيب أن النويرى في كتاباته يتأرجح بين الكلام في الزهد و التصوف ، إلى ما لا يتفق و الذوق السليم من أدب المجون و العلاقات الجنسية مما ترددنا طويلا في نشره بمثل هذا الكتاب ، و في نهاية الأمر اضطررنا بعد مشاورات مع جمهرة العلماء و المفكرين أن نترك النص كما هو سليما غير مقتضب لأسباب عدة ، ربما كان أهمها الأمانة الأدبية في الإنتاج ، أضف لذلك الطابع التاريخي و الأدبي لبعض حكاياته كما جاء في حادثة الفرزدق و النوار زوجته ، و رواية أبي شجاع أحمد بن الحسن الشافعي ، و قصة عمرو بن الجاحظ وزير المقتدر ، و تاريخ أهل الرس و ما آل إليه أمرهم لاستغراقهم في الفحشاء . ثم إن الأبواب التي تكلم فيها النويرى عن شهوات الرجال و النساء على ما فيها من التفصيلات العجيبة التي وددنا حذفها ، إنما هي جزء مقبول في أدب

القرن الرابع عشر الذي لا يمكننا تحمل مسؤوليته في القرن العشرين رغم ما قد ينطوي عليه من فائدة للباحث في «فيزيولوجيا الجنس» . لكل هذا رضينا مكرهين في نشر الكتاب برمته دون حذف أو تحريف .

أما وقد وصلنا إلى خاتمة المطاف في بحث هذا النص الطويل المعقد ، وما احتواه من موضوعات عديدة متباينة ، فيها الزبد وما ينفع الناس ، وفيها الغث و السمين ، فانه لا يسعنا إلا تقديم الشكر لجميع من شاركونا في مراجعته و تصحيح أصوله ، و على رأسهم صديقنا الراحل المغفور له الأستاذ الدكتور محمد عبد المعيد خان المدير السابق لدائرة المعارف العثمانية ، و كذلك صدر المصححين الأستاذ المفضل القدير الشيخ خبيب الله القادري . و لا يفوتنا ما لمدير الدائرة الحالي فضيلة الشيخ الأستاذ السيد عبد الوهاب البخاري من أباد في تيسير طبع هذه الأجزاء بجدارة . و موعدها الآن هو الجزء السابع الذي سيضم غير الفهارس الضافية مقدمة تاريخية و ثبتا بمراجع الكتاب و ما قد يعن إلينا من حواش جديدة أو مادة تكميلية لما جاء في الأجزاء الستة السابقة . و الله ولي التوفيق .

نيو دلهي

عزيز سوريال عطية

في ٢٥ نوفمبر سنة ١٩٧٣

حاشية

عنوان مخطوطة القاهرة الوارد على صفحتها الأولى كما يلي بغير اسم المؤلف :
كتاب الإمام بما جرت به الأحكام المقضية
في وقعة الإسكندرية الواقع بها في سنة
سبع و ستين و سبعمائة
و عودتها إلى حالتها المرضية مع ما أضيف
إلى ذلك من الواردات المستطردات

* * *

ثم تحرر على نفس الصفحة بقلم حديث من موظفي دار النكتب المصرية ما يأتي :
وارد بالشراء من تركة علي باشا مبارك
ومضاف في ٢١ إبريل سنة ١٨٩٥

خصوصية

تاريخ

عمومية

١٤٤٩

٢٨٥٥٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وهو المعين

ذكر آداب الحرب و الحزم فيه و الصبر عند اللقاء

و خبر أرسطاطاليس الفيلسوف ، و خبر دارا مع الإسكندر ،

و خبر سكندس الفيلسوف مع والدته ، و قتل الحجاج لعبد الله

ابن الزبير ، و ذكر الشجعان و ما وصفوا به ، و غير ذلك .

و قد جمع الله آداب الحرب في قوله تعالى ^١ : ” يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ” و اطيعوا الله

و رسوله و لا تنازعوا فتفشلوا و تذهبريحكم ، و اصبروا ان الله

مع الصبرين ^٥ .

١٠

قال الشيخ أبو علي الدقاق : الصابرون لعز ^٢ الدارين نالوا مع الله

معية ^٣ ” ان الله مع الصبرين ” . و قال عتبة بن ربيعة يوم بدر لأصحابه

(١) قرآن كريم سورة ٨ آية ٤٥ و ٤٦ .

(٢) في الأصل : بعز .

(٣) في الأصل : معينة .

المشركين : ألا ترونهم^١ يتلظون تلظ الحيات^١ و سمعت عائشة
الناس يكبرون في يوم وقعة الجمل فقالت : لا تكبروا ، فان
كثرة التكبير عند القتال من الفشل . و كان^٢ بنوضبة في هذه
الوقعة يقولون :

٥ نحن بنوضبة أصحاب الجمل الموت أحلى عندنا من العسل
و لوقعة الجمل خبر عظيم عجيب تركنا ذكره لشهرته .

و إذا وجب الجهاد حرم الفرار لقوله تعالى^٣ : ” يا أيها الذين آمنوا

إذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار ” إلا أنه ما استثنى

المتحرف للقتال و التحيز إلى فئة^٤ ، و هو في الآية حسن جدا لأن

٢ / الف ١٠ الاستثناء / فيما بعد قوله ” لقيتم ” و اللقاء متأخر عن وجوب الجهاد ،

و بالجملة أن استثناء الانحراف و التحيز من القتال و الملاقاة أحسن من

استثنائها من تعيين الجهاد و وجوبه .

قال المفسرون : المتحرف المذكور في الآية هو الذي يرى العدو

من نفسه الانهزام ، و ليس مقصوده الانهزام حتى يتبعه العدو فيكر

١٥ عليه ، و هو إحدى المكائد في الحرب . و أما التحيز إلى فئة هو الرجوع

(١) في الأصل : تروهم . و بهامش المخطوط : يعني أصحاب عهد .

(٢) في الأصل : كانوا .

(٣) قرآن كريم سورة ٨ آية ١٥ .

(٤) قرآن كريم سورة ٨ آية ١٥ و ١٦ . بقية الآية : ” و من يولهم يومئذ

دبره الا متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله و مأواه جهنم

و بثس المصير * ” .

إلى أمير الجيش يكون قريبا منه، و أما إن بعد الأمير و الجماعة فلا يجوز ذلك . قال عمر رضى الله عنه : أنا فئة لكل مسلم .

ذكر بعض المتأخرين عن ابن سخنون في قرية حاصرهم العدو [فيها-^١] و جاعوا و لم يقدرُوا على القتال ، فطمعوا أنهم لا يقتلون إن أسروا فليخرجوا الأسر ، و إلا أجبروا حتى يموتوا جوعا ، و لا يخرجون ٥ فيقتلون جبرا . قال : و اعترض هذا أبو إسحاق بأن القتل جبرا أهون من الصبر للجوع ، فهو كمن فر من موت إلى موت أخف . و أما خير الأصحاب و خير السرايا و خير الجيوش فهو ما روى عن ابن عباس ، قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : خير الأصحاب أربعة ، و خير السرايا أربعمائة ، و خير الجيوش أربعة آلاف ^٢ . فهو ما روى عن ١٠ ابن عباس ، قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : من عجز منكم عن الليل أن يكابده ، و بخل بالمال أن ينفقه ، و جبن عن العدو أن يجاهده ، فليكثر ذكر الله ، و ليكثر من « لا حول و لا قوة إلا بالله و سبحان الله و الحمد لله و الله أكبر » .

أوصى أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان ^٣ أميرا سيره إلى بلاد ١٥ الروم بجيش و قال له : أنت تاجر الله لعباده فكن كالتاجر الكيس ، إن وجد ربحا اتجر و إلا احتفظ برأس المال ، و لا تطلب الغنيمة حتى

(١) الكلمة ساقطة من الأصل ، و تستقيم العبارة بذكرها .

(٢) زيد بهامشه : و لن يغلب اثنا عشر ألفا من ضعف إذا اجتمعت .

(٣) خلافته ٦٥ / ٨٦ = ٧٠٥ / ٦٨٥ م .

تحرز السلامة ، و كن من احتيالك على عدوك أشد حذرا من احتيال
عدوك عليك ، و الحزم دأب العقلاء .

و عبد الملك هو أبو الأملاك من بنى أمية ، فانه ولي الخلافة
أربعة من ولده وهم الوليد^١ و سليمان^٢ و يزيد^٣ و هشام^٤ .
٥ و كان مظفرا على أعدائه ، فانه غلب في أيامه على عدة رجال أكار
كانوا في زمانه يناهضونه في الخلافة ، مثل عبد الله بن الزبير ، و المصعب
أخيه ، و عمر بن سعيد الأشرق ، و عبد الرحمن بن الأشعث ؛ فكل
واحد / منهم ما قامت له معه قائمة ، و كلهم قتل و حكم فيهم سيفه -
٢ / ب انتهى .

ذكر ما قيل في الحزم

نعود إلى ما قيل في الحزم - قيل مذکور في كتب العجم أن بعض
ملوكهم سئل : أي مكائد الحرب أحزم ؟ فقال : إذكاء العيون و استطلاع
الأخبار و إظهار الشرور و إماتة الفرق و الاحتراز من البطالة من غير
إقصاء من يستنصح .

(١) خلافته ٨٦ / ٩٦ = ٧٠٥ / ٧١٥ م .

(٢) خلافته ٩٦ / ٩٩ = ٧١٥ / ٧١٧ م .

(٣) أي يزيد الثاني ، و خلافته ١٠١ / ١٠٥ = ٧٢٠ / ٧٢٤ م .

(٤) خلافته ١٠٥ / ١٢٥ = ٧٢٤ / ٧٤٣ م .

(٥ - ٥) نقلا عن الهامش في الأصل .

وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول عند عقد الألوية : باسم الله
وعلى عون الله ، امضوا بتأييد الله والنصر ، ولزوم الحق والصبر ، فقاتلوا
في سبيل الله من كفر بالله ، ولا تعتدوا ، ان الله لا يحب المعتدين ،
ولا تجبنوا عند اللقاء ، ولا تمثلوا بأحد عند القدرة ، ولا تسرفوا عند الظهور ،
ولا تقتلوا هرما ولا امرأة ولا وليدا ، و توقوا قتلهم [إذا] التقى
الجمعان ، وعند شن الغارات ، ولا تغلوا عند الغنائم ، ونزهوا الجهاد
عن غرض الدنيا ، وأبشروا بالرجح في البيع الذى بايعتم ، وذلك هو
الفوز العظيم .

وينبغى لقائد الجيوش ألا يغضب على من يسىء عليه الأدب ، بل
يتثبت فى أمره ، ولا يؤاخذ أحدا على ذلك ، ففى ترك الغضب حسن ١٠
السياسة والرئاسة ، بل يكون كالوجيه بن المبارك^٢ الأعمى النحوى . وذلك
أنه كان لا يغضب أبدا ، قد علم منه ذلك . فتراهن جماعة مع واحد
إن أغضبه له كذا وكذا درهم . فجاء إليه فسأله عن مسألة فى النحو ،
فأجابه فيها بأحسن جواب . فقال له السائل : أخطأت - والذين راهنوه
مقابله يسمعون خطابه للرجل وخطاب الرجل له . فأعادها الوجيه على ١٥
السائل ثانية . فقال الرجل له : أخطأت أيضا . فأعاد الوجيه **ثالثة** .
فقال الرجل له : كذبت فيما قلت و كأنك نسيت النحو وكنت إماما

(١) فى الهامش : « هاهنا سقط ولعله : الجمعان » ، وقد أدخلنا الكلمة فى النص ،

وزدنا لفظة « إذا » فى العبارة ليستقيم المعنى .

(٢) فى هامشه : قصة الوجيه فى عدم الغضب .

فيه . فقال الوجيه : فلعلك ما تفهم ما أقول لك . فقال : بلى ولكنك تخطئ . فقال له : قل ما عندك لاستفيدة منك ، فذكر السائل في النحو خطأ كله . فقال الوجيه : إن كنت راهنت علي أن أغضب فقد غلبت ، إنما مثلك عندي مثل ناموسة سقطت على القيل ، فلما أرادت الطيران قالت له : استمسك لنفسك فاني أريد [أن -] أطير ؛ فقال لها : ما أحسست^٢ بك حين سقطت^٣ علي / فما أحتاج أن استمسك إذا طرت^٤ - انتهى .

٣ / الف

نعود - قال الواقدي : قدمت منهزمة الروم على هرقل ملك الروم وهو بأنطاكية ، فدعا رجلا من عظمائهم فقال : ويلكم ! أخبروني ما هؤلاء الذين تقاتلونهم - يعني العرب الذين أتوا من الحجاز - بسبب فتح الشام وأخذه من أيدينا . قالوا : بلى ، قال : فأنتم أكثر أم هم ؟ قالوا : نحن أكثر منهم أضعافا في كل موضع . قال : ويلكم ! فما بالكم تهزمون كلما لقيتموهم ؟ فسكتوا فقام شيخ منهم فقال : أنا أخبرك أيها الملك من أين يؤتون . قال : أخبروني . قال : إذا حملنا عليهم صبروا ، وإذا حملوا علينا صدقوا^٥ ،

(١) ساقطة من الأصل و تستقيم بذكرها العبارة .

(٢) في الأصل : حسيت ، وهي الكلمة العامية بمصر .

(٣) في الأصل : سقطتي .

(٤) في الأصل : طربي .

(٥ - ٥) في الأصل : إذا حملوا علينا صبروا . وإذا حملنا عليهم صدقوا .

و الصواب ما أوردهناه كما يتضح من سياق الحديث .

و نحمّل عليهم فنكذب و يحملون^١ علينا فلا نصبر . قال : و يلبسكم !
 ما بالكم كما تصفون و هم كما تزعمون ؟ ثم قال للشيخ : ما كنت أراك
 إلا و قد علمت من أين هذا . قال : من أجل أن القوم يقومون الليل ،
 و يصومون النهار ، و يوفون^٢ بالعهد ، و يأمرون بالمعروف ، و ينهون عن
 المنكر ، و لا يظلمون أحدا ، و يتناصفون بينهم ، و من أجل أنا نشرب^٣
 الخمر و نزنى ، و نرتكب الحرام ، و نقض العهد ، و نغضب و نأمر بما
 يسخط الله ، و ننهى عما يرضى الله ، و نفسد في الأرض . قال هرقل :
 صدقتني ، و الله لا أخرجن من هذه القرية^٤ ! فما لي في صحبتكم خير و أنتم
 هكذا . فاجتهد^٥ المسلمون و فتحوا الشام و مصر و الإسكندرية بملازماتهم
 التقوى و عدم طلب الدنيا ، بل قصدوا رضى الله تعالى و إقامة دينه . ١٠
 فبذلك فتح الله لهم البلاد ، أخذوها من أيدي القبط و الروم^٤ بالاجتهاد
 و الجهاد^٥ . و انتفى^٥ الملك رسطوليس المقوقس من مصر و الإسكندرية ،
 و انتفى^٥ أيضا قبل رسطوليس هرقل صاحب الشام هو و من تبعه من
 الروم إلى القسطنطينية . و ذلك بفضل الله و منته و عونه ، فحصل حينئذ
 بها التوحيد بعد الكفر و الشرك بالله تعالى .

(١) في الأصل : يحملوا .

(٢) في الأصل : يوفوا .

(٣) في الأصل : فاجتهدت .

(٤-٤) وفي الأصل : و الاجتهاد بالجهاد .

(٥) من مادة النفى .

وكان الملك المقوقس صاحب مصر / فاضلا عارفا بأن نبياً من العرب سيظهر و يكون خاتم النبيين ، و ذلك بمطالعة لكتب الأولين ، فلما ظهر النبي صلى الله عليه و سلم ، و كاتب المقوقس بأمره بالإسلام و ترك عبادة الصليبان ، كاتبه المقوقس مكاتبة حسنة ، و أهدى إليه هدية جيدة - تقدم ذكر تلك المكاتبة و صفة الهدية في صدر هذا الكتاب فأغنى عن الإعادة .

و كان المقوقس فوض إليه الملك هرقل ملك الشام أمر مصر و حربها و جباية خراجها ، فكان نائبا لهرقل عليها ، فلما قدم عمرو بن العاص إلى مصر يريد فتحها ، و إقامة دين الإسلام بها بعد فتح الشام و هرب هرقل من المسلمين في البحر . قصد المقوقس مصالحة عمرو بن العاص على مصر . فجمع القبط و قال لهم : اعلموا أن الملك ليس هو بالكثرة و الغلبة ، وإنما هو بالسياسة و حسن التدبير ، فمن ملك عقله ملك أمره . و من ملك أمره أمن حوادث الدهر ، و الله لقد كان الملك هرقل أكثر مني جنداً و أوسع بلاداً ! فما قدر أن يرد القضاء و القدر ، و المصلحة صلح هؤلاء العرب على أموالكم و أولادكم و حرمةكم ، فانكم إذا فعلتم ذلك أنتم - و السلام . فقالوا له : افعل ما بدا لك فرأيتك أعلى . فلما صالح المقوقس المسلمين قتلته ولده رسطوليس بسبب ما فعل من الصلح و هرب إلى الإسكندرية .

(١) في الأصل : ذلك .

(٢) في الأصل : و هروب - و الصواب ما أوردناه في السياق .

(٣) في الأصل : المسلمون .

فأتى المسلمون له فهرب إلى جزر البحر - كما تقدم ذكر ذلك مفصلاً .
فصارت إذ ذاك أرض مصر و الشام دور إسلام - و السلام . فالنصرة
ليست بالكثرة ، إنما بالتأييد و الإعانة من الله تعالى . قال الله تعالى :
” و يوم حنين اذ اعجبتكم كثيرتكم فلم تغن عنكم شيئاً “ .

قيل إن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لبنى عبس : ه
كم كنتم يوم الهابة ؟ قالوا : مائة كالذهب ، لم نكثر فتواكل ، و لم نقل .
فنزّل ، قال : فكيف كنتم تقهرون من ناوأكم و لستم بأكثر منهم عدداً
و لا مالا ؟ قالوا : كنا نصبر / عند البأس هنيئة - انتهى .

٤ / الف

و كان شيوخ الجند في بلاد المغرب يحكون ، قالوا : دارت الحرب
بين المسلمين و النصارى ثم افرقوا فوجدوا في المعترك قطعة من بيضة
الحديد ^٧ قد ^٨ ثلثها بما حوته من الرأس . فيقال إنه لم يُر قط ضربة أقوى

(١) في الأصل : فانت .

(٢) قرآن كريم سورة ٩ آية ٢٥ . و الآية بتامها ” لقد نصركم الله في مواطن
كثيرة و يوم حنين اذ اعجبتكم كثيرتكم فلم تغن عنكم شيئاً و ضاقت عليكم الارض
بما رحبت ثم وليتم مدبرين * “ .

(٣) في الأصل : الهياة .

(٤) في الأصل : قال .

(٥) في الأصل : لم نقتل .

(٦) في الأصل : قالت .

(٧) أى الخوذة التى تلبس لحماية الرأس .

(٨) في الأصل : قدر . و معتمتها كما أوردنا من السياق .

منها ، فحملتها نصارى الفرنج إلى بلادهم وعلقوها في كنيستهم ، و كانوا إذا عُيِّرُوا بالهزيمة يقولون^١ : وجدنا رجالا يضربون هذا الضرب ، و يصبرون على مفضض الحرب ، فبصبرهم غلبونا ، و بثباتهم هزمونا ، فانظر إلى قوة ساعد هذا الضارب كيف كسر بعض بيضة الحديد مع بعض الجمجمة .

٥ و قيل إن رستم الأرمي كان من أهل النجدة و القوة . ذكروا عنه أنه لبس ذات يوم درعى حديد و مغفرا ، و أخذ سلاحه ، و أمر بفرسه فأسرج و قرب له ، فوثب عليه دون أن يمسه أو يضع رجله في ركاب . و رستم هذا هو الذى ووجهه يزدجرد^٢ ملك الفرس إلى حرب المسلمين حين ووجه عمر بن الخطاب سعد بن أبى وقاص أميراً على عسكر المسلمين لقتال الفرس . فزل سعد بالقادسية^٣ و قاتل رستم ، فقهره^٤ المسلمون و جرى له معهم ما تقدم ذكره - انتهى .

ذكر ما قيل فى الصبر

نعود إلى ما قيل فى الصبر - قال ابن الجوزى على لسان حال الماء و الزيت : لما جعل^٥ الزيت فى القنديل ناداه الماء بلسان الحال : كيف

(١) فى الأصل : يقولوا .

(٢) يزدجرد الثالث من الأميرة الساسانية و كان مقتله فى سنة ٦٥١ أو ٦٥٢ م أثناء فراره من العرب الغزاة .

(٣) وقعة القادسية سنة ٦٣٧ م .

(٤) فى الأصل : فقهرته .

(٥-٥) العنوان و ارد بهامش المحفوظ .

(٦) فى الأصل : جفل - كذا .

تعلو على . و لطلما سقيت ثمرتك من معيني السلسال ، و رويت عروقها
 بالماء الزلال ، فبعد إنفاق مالي عليك من رأس مالي ، صرت ترتفع على
 و لا تبالي ؟ فقال لسان حال الزيت : يا من سطا و تكبر ، و عدّ فضائله
 و ما تدبر ، و ادعى الرئاسة و تجبر ، أما سمعت قول من نظم و شعر :
 و معتقد أن الرئاسة في الكبر فأصبح ممقوتا به و هو لا يدري ٥
 يجرّ ذبول العجب طالب رفعة ألا فاعجبوا من طالب الرفع بالجرّ
 اعلم أيها الماء أن عيونك ليس بها خفا ، لأنك إن توليت المصباح انطفأ ،
 و إنما أنا صبرت على طحن الرحي و فراق الأغصان ، / فبصبري علوتك
 في هذا المكان - انتهى .

١٠ و لما صبر المسلمون على مفض الحرب في النصارى بأشد الضرب ،
 قالوا لأصحابهم لما عُخِّرُوا بالهزيمة : رأينا قوما يضربون في الرؤس هذا
 الضرب ، يفلقون البيضة بمجمعتها ، ففزعت القلوب من رؤيتها .
 و اعلم أنه ما نلت فضيلة قط إلا بتعب ، من لم تبك^٢ الدنيا عليه ،
 لم تضحك الآخرة إليه ، كم صبر بشر الخافي على شهوة حتى سمع كلمة
 « كل يا من لم يأكل ، و اشرب يا من لم يشرب » . قال علي بن الموفق : ١٥
 رأيت كأنى قد دخلت الجنة ، فاذا أنا بثلاثة نفر : رجل قاعد على مائدة
 و قد وكل به ملكان : فملك يطعمه و ملك يسقيه ، و رجل واقف في
 وسط الجنة شاخص بصره نحو العرش إلى الله عز و جل لا يطرف عينه ،

(١) في الأصل : صبرت .

(٢) في الأصل : تبكى .

و رجل واقف على باب الجنة يتصفح الوجوه فيأخذ بيد قوم فيدخلهم الجنة ، فقلت لرضوان خازن الجنان : من هؤلاء ؟ فقال : هؤلاء إخوانك ، أما الواقف في وسط الجنة فذاك الفضيل بن عياض عبد الله عز وجل لا شوقا إلى جنته ولا خوفا من ناره ، فهو ينظر إلى مولاه . و أما الرجل الواقف على باب الجنة فذاك أحمد بن حنبل ، قد أمره الجبار أن يتصفح وجوه أهل السنة و الجماعة ، فيأخذ بأيديهم و يدخل بهم الجنة . و أما القاعد على المائدة يأكل و يشرب فذاك بشر الحافي ، خرج من الدنيا جائعا عطشان لم يشبع ، فوكل الله به ملكين يطعمانه و يسقيانه إلى يوم القيامة . و اعلم يا هذا ! إن من تذكر خنق الفسخ ، هان عليه جحر الحية ، ١٠ ما مدّ بجواف " نعم العبد " على قبة " و وهبنا له " حتى جرب في أمانة " انا وجدته صابرا نعم العبد انه اولب " .

كان بعض التجار يبيع الخشب ، وكان عنده قطعة أنوس ملقاة تحت الخشب ، فاشترت منه ، فدخل دارا الملك بعد مدة فاذا بها قد جعلت سريرا للملك و قد زينت بصفائح الذهب و الفضة . فقال : ٥ / الف ١٥ سبحان الله ! لقد كنت لا أعبا بهذه الخشبة فكيف وصلت / إلى هنا ! فهتف به لسان الحال نائبا عنها : لا تنظر في الحال إلى الثمرة و تنسى صبر الأصل ، كم صبرت على ضرب الفؤس و نشر المناشير حتى صرت إلى هذا المكان ! و أنشد بعضهم في الصبر قائلا هذين البيتين :

(١) في الأصل : الفضل - كذا ؛ راجع تهذيب التهذيب ٢٩٧/٨ .

(٢) قرآن كريم سورة ٣٨ آية ٤٣ و ٤٤ .

احذر تضيق بما تلقاه من محن
و اسأل من الله صبيرا تستعين به
أو لبعضهم في عظيم صبر الصابر :

ذرعاً و ارغب لرب العرش في الفرج
على المضيق و قل يا أزمة انفرجى
صابر الصبر فاستغاث به الصبر
و من أحسن ما قيل في الصبر عند الحرب :

أبو عدي أبو عمرو و حولي
رجال من بني أسد ليوث
و لبعضهم :

الحرب إن عابيتها

لا موت إلا بالأجل

و لبعضهم :

و تخال أصوات الرجال كأنها

و الضرب تحسبه نزول صواعق

كم فارس قد طاح من فزع القنا

يا موقفا شاب الشجاع لهوله

و لبعضهم في حروب وقعت :

خرجت هذه الحروب رجالا
فاستطاروا للحرب مثل الأسود

(١) في الأصل : الفرج .

(٢-٢) هذا الجزء من الهامش .

(٣) الكلمة في الأصل بالشطر الأول نقلناها إلى الثاني بحكم وزن الشعر .

(٤) في الأصل : باحل - كذا .

قترام بين الصفوف يحولوا كطيور أبصرن حب الحصيد
كل شـهـم منهم و كل شجاع ليس يخشى من وقع بأس الحديد
و قال كعب بن زهير في قصيدته :
لا يقع الطعن إلا في نحورهم
٥ و قال بعضهم يمدح قومه و يفتخر :
ان أسيافنا القصار الدوامى صيرت ماسكنا طويل الدوام
لم نزل نحن في سداد ثغور واصطلام الأعدا بحد الحسام
و لما احتضر خالد بن الوليد رضى الله عنه قال لمن حضره : والله ما فى جسدى
موضع إلا و فيه ضربة سيف أو طعنة رمح أو شكة نبل ، وها أنا أموت
١٠ حتف أنفى موته الجبناء ، فلا قرت أعين الجبناء - قالها ثلاثا .
عن معاذ بن جبل قال سمعت / رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول :
من قاتل فى سبيل الله من رجل مسلم فواق ناقة وجبت له الجنة ، و من
سأل الله القتل من عند نفسه صادقا ثم مات أو قتل فله أجر شهيد ،
و من جرح جرحا فى سبيل الله أو نكب نكبة فانها تجيء يوم القيامة
١٥ أغزرها كانت ، لونها كالزعفران و ريحها كالمسك ، و من جرح جرحا فى
سبيل الله فعليه طابع الشهداء .
مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه
و سلم قال : القتل فى سبيل الله يكفر كل شيء إلا الدين .
النسائي عن سعد أن رجلا جاء إلى الصلاة و رسول الله صلى الله
٢٠ عليه و سلم يصلى لنا فقال حين انتهى إلى الصف : اللهم ! آتى أفضل

(١ - ١) من ديوان كعب ص ٢٥ ، و فى الأصل : و ما .

(٢) من الديوان ، و فى الأصل : تبديل .

ما توثق عبادك الصالحين . فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاته قال : من المتكلم آنفا؟ قال الرجل : أنا يا رسول [الله] ! قال : إذا يعقر جوادك و تستشهد في سبيل الله .

قيل لما قتل أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان^١ مصعب بن الزبير ابن العوام بالعراق و بلغ أخاه^٢ عبد الله بن الزبير الخبر بمكة و هو يومئذ ٥ سلطانها أضرب عن ذكر مقتله حتى تحدث به العبيد و الإمام في سكك مكة ، ثم صعد المنبر فجلس فسكت هنيهة لم يتكلم ، فغرق جبينه و بدت الكتابة على وجهه ، ثم قال : الحمد لله الذي له الخلق و الأمر و ملك الدنيا و الآخرة ، يوثق الملك من يشاء ، و ينزع الملك ممن يشاء ، و يعز من يشاء ، و يذل من يشاء ، ألا ! و إنه لم يذل الله من كان الحق معه و إن كان فردا ، و لم يعزز الله من كان أولياء الشيطان حزبه و إن كان الأنام طرا معه ؛ أتانا خبر من قبل العراق أهل الغدر و النفاق أحزننا و أفرحنا . أتانا قتل مصعب رحمة الله عليه ؛ فأما الذي أحزننا من ذلك فانه لفراق الحميم لدغة يجدها حميمه عند المصيبة ، ثم يرعوى ذور الرأي إلى جميل الصبر و كريم العزاء ، و أما الذي أفرحنا من ذلك فانا قد علمنا^٣ أن قتله ١٥ شهادة له^٣ و أن الله عز وجل / جاعل لنا و له في ذلك الخيرة ، ألا ! و إن أهل العراق أسلموه إسلام النعم المخطم ، و باعوه بأوكس الثمن و بأقل

(١) خلافه ٦٥ / ٨٦ = ٦٨٥ / ٧٠٥ م .

(٢) في الأصل : أخوه .

(٣-٣) في الأصل : انه قتله له شهادة .

ما يأخذونه، فوالله لئن كان الله عز وجل ابتلاني قبله بقتل إمامي أمير المؤمنين
عثمان بن عفان^١، فإن قتل مصعب فقد قتل أبوه الزبير قبله وعمه وأخوه
وكانوا من خيار الصالحين، وإنا والله ما نموت جيحاً^٢ على فرشنا،
وما نموت إلا قعصاً بالرماح، وموتاً تحت ظل السيوف ليس كما يموتون
٥ بنو مروان؛ والله ما قتل منهم قط في جاهلية ولا إسلام! فنحن كما قال
كعب بن زهير في قصيدته هذا البيت:

لا يقع الطعن إلا في نحورهم^٣ ما إن لهم عن حياض الموت تهليل
يعنى كعب بقوله أي أنهم لا ينهزمون فيقع الطعن في ظهورهم، وإنما
يقدمون إقداماً في الحروب، فيقع الطعن إذا أقدموا^٤ في نحورهم.
١٠ و يقال هلل عن كذا وكذا - إذا نكص عنه وتأخر، يقول هم شجعان
ليس لهم تأخر عن حياض الموت إذا تأخر غيرهم عنها ونكص.
وقول كعب أيضاً:

شم العرائين أبطال لبوسهم من نسج^٥ داود في الهيجا سراويل
قوله: شم، جمع أشم و شماء، وأصل الشمم: الارتفاع، وأنف أشم -
١٥ إذا كان فيه علو؛ والعرائين: الأنوف، واحدها عرين - انتهى.
نعود - ثم قال عبد الله بن الزبير وهو على المنبر: ألا! إنما

(١) خلافته ٤٣ / ٥٣٥ - ٦٤٤ - ٦٥٦ م .

(٢) كذا في الأصل، ولعله: جيحاً .

(٣-٣) في الأصل: وما .

(٤) في الأصل: قدموا .

(٥) في الأصل: نسيج . ووردت الكلمة «نسيج» في ديوان كعب ص ٢٣ .

[الدنيا - ١] عارية من الملك الأعلى الذي لا يزول سلطانه ولا يبيد،
فان تقبل الدنيا على لا آخذها أخذ الأشر البطر، وإن تدبر عنى لا أبكى^٢
عليها بكاء الخرق المغتر .

ثم نزل ، فقال له عبد الله بن جعفر الطيار : يا هذا ! ابذل المال
يتبعك الناس ، فان أدركت ما تأمل ، و أصبت ما تريد ، فمن أغنى منك !
وإن تكن الأخرى فلا تجمع الأموال لبني مروان . قال له عبد الله
ابن الزبير : أنت / رجل مبذر . قال عبد الله بن جعفر : لا ولكن الله
لم يقك شح نفسك .

قال بيدبا الفيلسوف في كتاب الهند : إن الرجل ذا العقل و المروءة
قد يكون خافض الذكر حامل المنزلة لم تأب^٣ نفسه إلا أن يستبين^{١٠}
و يعرف كالشعلة من النار يطأطؤها حاملها و يأنى ضوءها إلا ارتفاعا
و علوا . و الرجل الفاضل ذو المروءة لا ينبغي له أن يرى إلا في مكانين
و لا يليق به غيرهما : إما مع الملوك مكرما ، أو مع العباد متبتلا ، كالفيل
الذى أبهى بهائه إما أن يكون في البرية متوحشا ، وإما للوك مركبا .

(١) ساقطة من الأصل ، و بذكرها يستقيم السياق ، و جائز أن تكون
« الحياة » .

(٢) في الأصل : أبك .

(٣) في الأصل : لم تأبى - كذا .

(٤) في الأصل : لا .

والناس رجلاً: رجل^١ طباعه الشراسة، فهو كالحية التي إن وطئها
الواطي ولم تلدغه لم يكن جديراً أن يفره ذلك فيعود إلى وطئها آخذاً
بذنبها فتعود عليه فتلدغه، ورجل طباعه السهولة فهو كالصندل البارد
الذي إذا أفرط في حكه عاد حاراً يؤذي - انتهى .

٥. نعود - ثم إن عبد الله بن الزبير أطاعه أهل العراق وبايعوه بعد
قتل أخيه مصعب وحملوا له الأموال الجزيلة، وصار نوابه على العراق
يعملون له . فحسده عبد الملك بن مروان^٢ وهو أمير^٣ على الشام، فأرسل
عبد الملك عامله الحجاج بن يوسف الثقفي إلى عبد الله بن الزبير يحاربه
بمكة، فخاربه الحجاج فظفر به وقتله وصلبه وأخذ أمواله التي جمعها
١٠ من العراق وغيرها، وكانت أمواله جزيلة، فلو أنفق المال في الرجال
كما قال له عبد الله بن جعفر الطيار لم يدرك الحجاج له غباراً^٤ كما
قال الشاعر:

عليك بسور من رجال^٥ فأننى رأيت حصونا من حديد^٦ تهدمت

(١) في الأصل: اصل .

(٢) خلافته ٦٥ / ٨٦ = ٦٨٥ - ٧٠٥ - انظر حاشية سابقة .

(٣) في الأصل: اميرا .

(٤) في الأصل: غبار .

(٥) في الأصل: الرجال، ولا يستقيم الوزن بأداة التعريف .

(٦) في الأصل: الحديد .

و كما قال الآخر:

و كنت أظن الدار تحمي سياجها و ليس سياج الدار إلا رجالها

و سأذكر ما قيل في قتله و صلبه إن شاء الله . قال المدائني:

لما قتل الحجاج عبد الله بن الزبير ارتجت مكة بالبكاء و العويل ، فنادى

الحجاج في الناس فاجتمعوا ، و صعد المنبر فقال : إنه بلغني يا أهل مكة

٧/الف أنه أبى لكم / قتل ابن الزبير ، ألا ! و إن ابن الزبير كان من خيار هذه

الامة حتى رغب في الخلافة ، و نازع الأئمة فخلع طاعة الله ! و لو كان

شيء مانع من العصاة لمنعت حرمة الجنة آدم عليه السلام ، لأن الله

تعالى خلقه بيده ، و أسجد له ملائكته ، و نفخ فيه من روحه ، و أباحه

جنته ، فلما أخطأ أخرجه عنها بخطيئته ، و آدم أكرم على الله تعالى من

ابن الزبير ، و الجنة أعظم حرمة من مكة ، اذكروا الله يذكركم .

قال المدائني : و كان الحجاج يقول : و الله اطاعني أوجب من

طاعة الله ، لأن الله تعالى يقول ^٢ : فاتقوا الله ما استطعتم ، فجعل فيها

مشوية ، و أنا إن قلت لرجل : اخرج من هذا الباب ، فلم يخرج منه

لحل لي دمه لقول الله تعالى ^٣ : " و اطيعوا الرسول و اولى الامر منكم " . ١٥

(١) في الأصل : الديار - و لا يستقيم بها ميزان البيت .

(٢) قرآن كريم سورة ٦٤ آية ١٦ و الآية بتامها : " فاتقوا الله ما استطعتم و اسمعوا و اطيعوا و اتقوا خيرا لانفسكم و من يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون " .

(٣) قرآن كريم سورة ٤ آية ٥٩ . و الآية بتامها : " يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله و اطيعوا الرسول و اولى الامر منكم فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله و الرسول ان كنتم تؤمنون بالله و اليوم الآخر ذلك خير و احسن ناهيلا " .

[ذكر كيفية قتل الحجاج ابن الزبير - ١]

و سأذكر ما وقعت عليه من كيفية قتل الحجاج لعبد الله بن الزبير
 و صلبه و حزن أمه أسماء بنت أبي بكر رضی الله عنها عليه ، و كيفية
 قتل الحجاج لعبد الله بن عمر بن الخطاب رضی الله عنهما إن شاء الله تعالى .
 ٥ و ذلك أن الحجاج لما أتى برأس مصعب بن الزبير لأمير المؤمنين
 عبد الملك بن مروان خر ساجدا ، و كان عبد الملك إذ ذاك بالكوفة ،
 فقال له الحجاج : يا أمير المؤمنين ! إني رأيت في المنام كأنى أسلخ
 رأس أخيه عبد الله بن الزبير إلى قدمه . قال له عبد الملك : أنت صاحبه .
 فأخرج معه الجيوش ، فسار بها حتى نزل على مكة ، و نصب المجانيق
 ١٠ على جبل أبي قبيس^٢ و على قعيقعان^٣ ، و ما زال يحاصره و يضيق عليه ،
 فلما كان في الليلة التي قتل في هبيحتها ، جمع القرشيين فقال لهم :
 ما ترون ؟ فقال له رجل من بني مخزوم : و الله لقد قاتلنا معك حتى
 ما نجد مقتلا ، و الله لئن صبرنا معك ما نزيد على أن نموت ، وإنما
 هي إحدى خصلتين : إما أن تأذن لنا فنأخذ الأمان لأنفسنا و لك ،
 ١٥ و إما أن تأذن لنا فنخرج . و قال له رجل : اكتب إلى عبد الملك بن
 مروان / فقال : أكتب لعبد الله : عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين !
 ب / ٧ من عبد الله بن الزبير ، و الله لأن تقع الخضراء على الغبراء أهون على من

(١) العنوان المحجوز مشتق من النص .

(٢) جبل مطل على مدينة مكة .

(٣) من ضواحي مكة .

ذلك ! فقال له أخوه عروة بن الزبير وهو جالس معه على السرير :
يا أمير المؤمنين ! قد جعل الله لك أسوة . قال : و من هو ؟ قال : الحسن
ابن علي بن أبي طالب ، خلع نفسه و بايع معاوية . فرفع عبد الله رجله
و ركضه في صدره ركضة رماه عن السرير و قال له : يا عروة ! قلبي
إذا بمثل قلبك ، و الله لو قلتها ما عشت إلا قليلا و قد أخذتني الدنيا ! ٥
و أن أضرب بسيف في عز خير من أن أطم في ذل .

فلما أصبح دخل على امرأته أم هاشم . قال لها : اصنعي لي طعاما .
فلما صنعت له ذلك ، تناول منه لقمة فلاكها ثم لفظها و قال : اسقوني
لبناً . فسقوه ثم اغتسل و تحنط و تطيب و أتى أمه أسماء رضي الله عنها
فقال : ماترين يا أمه فقد خذلتني الناس ؟ فقالت : لا يلعب بك صبيان ١٠
بنى أمية ، عش كريما و مت كريما . فقال لها : أخشى أن يمثل بي بعد الموت .
فقلت له : إن الشاة لا تألم بالسلسلـخ بعد الذبح . فقبل بين عينيها
و ودعها و خرج و أسند ظهره إلى الكعبة ، و جعل يقاتل أهل الشام
أصحاب الحجاج . فبينما هو يقاتل جاءه حجر من حجارة المنجنيق ،
فضربه ضربة فصرعه ، فاقتحم عليه أهل الشام فحزوا رأسه ، و ذهبوا به ١٥
إلى الحجاج .

و قد قيل إنه قاتل حتى أثنى بالجراح ، فلما لم يستطع النهوض ،
دخل عليه الحجاج ، فدعا بالنطع و حز رأسه بيده و بعث به إلى عبد الملك
ابن مروان ، و علب جثته على خشبة منكسا . و قيل لما تحصن

ابن الزبير من الحجاج بالمسجد الحرام ، فأول ما رمى به الحجاج الكعبة
بكلب ، فجعل الكلب يضغو حتى ضرب به وجه الكعبة ، فطلعت سحابة
فرعدت فرمت بصاعقة أحرقت المنجنيق و قتلت من أصحابه اثني عشر ،
فارتاع من مع الحجاج من أهل الشام . فقال الحجاج : لا يهولنكم هذا
٥ فان تهامة كثيرة الصواعق ، والصاعقة تصيب البر والفاجر ، ونصب
منجنيقا آخر ، ووضع فيه حجرا عظيما ، وقال :

خطارة مثل الفنيق المزبد نرمى به أعواد هذا المسجد
يقال إن الفنيق هو فحل الجماموس . ثم رمى بذلك الحجر الكعبة ،
فهدم منها ركنا ، ووضع حجرا آخر في المنجنيق ورمى الكعبة
١٠ وهو يقول :

كيف ترى صنع امرئ متزود يهدم ما بين الصفا والمروة
فهدم ثلثة من الكعبة و علا الغبار فقال :

كيف تراها ساطعا غبارها والله فيما يزعمون جارها

ثم إن الحجاج لما قتل ابن الزبير صعد المنبر فقال : يا أهل مكة ما أتم
١٥ إلا همج و ذباب ، ولو لا أني لا أرى ما يوافق أمير المؤمنين عبد الملك
لضربت أعناقكم ، فلا تظنوا أن أحجاركم - يعنى الكعبة - هذه تنفعم
من سوء ما أريده بكم . وكانت أسماء أم عبد الله حين قيل لها إن الحجاج
قتل ابنك و صلبه منكوسا ، أقبلت تصرخ إلى أن أتت الخشبة ، فوجدت

(١) بكسر التاء بلاد شرقى الحجاز .

ابنها عبد الله مصلوبا منكوسا وهو معلق برجليه ، أسرعت و عانقت
الخشبته ، و جعلت تبكى و تقول : وا غوثاه ! ما أعظم ما نزل بنا بعدك !
يا محمد ! يا رسول الله ! لو تدرى ما نزل بعدك بأرحامك و أصهارك و أبناء
المهاجرين و الأنصار لرأيت عظيما ، اللهم ! فبلغ عنا نبينا ما حل بنا .
فأخبروا بمقالتها الشيخ الصالح العابد الزاهد عبد الله بن عمر بن الخطاب ، ٥
فبكى حتى كادت نفسه أن تخرج . ثم قال لابنه سالم : قدنى إليها . و كان
قد كبر سنه و هو يرعش من الكبر ، فقاده سالم إليها ، فلما أشرف على
الخشبته قيل له : هذا عبد الله بن الزبير مصلوبا منكوسا . فقال ابن عمر :
يا عبد الله ! قد كنت نهيتك عن هذا فلم تنته مع أنى سمعت رسول الله
صلى الله عليه و سلم يقول : لا ينبغي للؤمن أن يذل نفسه ، أى لا يعرض ١٠
نفسه لما لا يقوى عليه ، فذلك ذل نفسه ؛ و سمعت رسول الله صلى الله
عليه و سلم يقول : ليقتلنى / أمير جائر أجب الى [من] أن أموت
مجاهدا فى سبيل الله ، فبلغ قوله ذلك الحجاج فبلغ منه كل مبلغ ،
ثم قال : اثتوني بفرسى ، فركب إلى خشبته ابن الزبير ، فأصاب أمه أسماء
عندها و ابن عمر و سالما ابنه . فقال الحجاج لأسماء : يا أسماء ! ابنك هذا ١٥
كان من خيار العرب و خيرا من أخيارها و أنه سابقى إلى هذه
الخشبته فسبقنى إليها فوضعتة عليها ، و لو قال الذى قلت لكنت
أنا مكانه . فهذا أجل من البكاء ، و أما ما بلغنى من ذكرك ما حل
بال محمد و أصهاره ، فنعوذ بالله تعالى من ذلك إلا من سما إلى ما سما
إليه ابنك من منازعة أهل الحق على حقهم ، فلا بد لنا أن نتازعه ، ٢٠

فاما لنا واما علينا، فلا تأسنى على أمر فعله الله تعالى فانه يحكم في خلقه كما يشاء . فقال لها عبد الله بن عمر بن الخطاب : قومي فاقبلي منه . فقامت فلم تكلمه شيئا ، و انصرف عبد الله بن عمر إلى منزله ، و قيل إنه لما قتل الحجاج عبد الله بن الزبير أتى أمه ليعزيها فيه ، فقالت له : يا حجاج ! أقتلت ولدى عبد الله ؟ قال لها : يا ابنة أبي بكر ! إني قاتل الملحدين . قالت له : بل أنت قاتل الموحدين . قال لها : كيف رأيتى صنعت بابنك ؟ قالت : رأيتك أفسدت عليه دنياه و أفسد عليك آخرتك ، و لا ضير ، إن الله أكرمه على يدك ، و قد أهدى رأس يحيى بن زكريا إلى بغى من بغايا بنى إسرائيل . ثم إن الحجاج تركها و انصرف و حضر من عند المسجد ، فخطب الحجاج خطبة و قال في آخرها : إن عبد الله بن الزبير بدل كتاب الله و غير سنة نبيه . فقال له عبد الله بن عمر : كذبت . فكان الحجاج يقول : ما ذكرت قول ابن عمر لى^١ : كذبت ، إلا ندمت [على أن -^٢] لا أكون قدمته فضربت عنقه . قال : و دعا الحجاج رجاله / فقال لهم : إن ابن عمر قال عند خشبة ابن الزبير : ليقتلنى أمير جأر على طاعة الله تعالى أحب لى [من -^٣] أن أموت بالسيف مجاهداً في سبيل الله ، و قد كشف لنا ما هو عليه ، و هو ابن خليفة و صاحب رسول الله ، و أخاف إن خرجنا عنه من مكة أن يستحل ما استحل ابن الزبير ،

٩ / الف

(١) فى الأصل : بذر - بانزال المنقوطة .

(٢) فى الأصل : له .

(٣) ما بين الحازرين ساقط من الأصل و يستقيم بذكره الكلام .

و علماء العراق عند الحجاج جلوس عند قوله ذلك ، قالوا له : فما ترى أيها الأمير ؟ قال : أقتله قبل أن يدعى ما ادعاه ابن الزبير من الخلافة و تبايعه أهل مكة و غيرهم . قالوا : أيها الأمير ! اجعل لمقتله سبياً أو علة تحتج على الناس . قال : اتوني به . فأتوا به معه ابنه سالم ، فسلم فقال الحجاج له : اجلس يا شيخ ! فجلس ثم قال الحجاج : هاتوا رجلاً من السجن . فأتوا به ثم قال : هاتوا السيف فأتوا به ، فقال لسالم بن عبد الله ابن عمر : يا سالم ! هاك السيف فاضرب عنق هذا الرجل . و إنما أراد الحجاج أن يقول عبد الله بن عمر لابنه سالم : لا تفعل ، فيقول الحجاج : أنا إمام أمر بأمر تنهى عنه . ثم يقول : خذوه ، فيكون ذلك سبياً لقتل الحجاج له . فعرف عبد الله بن عمر ما أراد الحجاج ، فسكت و لم يتكلم ، فأخذ سالم السيف فهزه ثم تقدم للرجل الأسير فقال له : مد عنقك . فمد الرجل عنقه . فقال له : أزييت بعد إحصان ؟ فقال الرجل : لا ، قال له سالم : فقتلت نفساً بغير نفس ؟ قال : لا . فقال له سالم : أرجعت عن الإسلام ؟ قال : لا . قال : يا حجاج سمعت أبي يقول و هو يسمع ما أقول إن رسول الله صلى الله عليه و سلم كان يقول : لا يحل قتل ١٥ مسلم و لا امرئ مؤمن إلا عن ثلاث خصال : يزني بعد إحصان ، أو يرتد عن الإسلام ، أو يقتل نفساً بغير نفس ؛ و ليس في هذا الرجل شيء من هذا ، فلم تقتله ؟ فقال الحجاج : اضرب عنقه كما أقول لك . قال

(١) في الأصل : شيئاً .

سالم للرجل : أصليت الغداة ؟ قال : نعم ، صليت الصبح . قال سالم :
يا حجاج سمعت أبي يقول / وهو يسمع ما أقول إنه سمع رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول : من صلى ركعتي الفجر كان في ذمة الله و ذمة
رسوله حتى تتوارى بالحجاب . يا حجاج ! كيف تقتل رجلا في ذمة الله
و ذمة رسوله ؟ فقال الحجاج : ضع السيف من يدك و اسجبه . فوضع
سالم السيف من يده فجرحه برجله و هو يقول : يا أخى ! سببك أهون
على و الله من قتلك ، و إنا شاهدان غدا أنا و أبى فى القيامة أنك
مظلوم . فقام عبد الله بن عمر و هو يحمد الله تعالى حتى خرج فنادى :
يا معشر المسلمين ! اتوني بسالم ابى . فأتوه به ، فقال له : عبد الله : يا بنى !
١٠ ادن منى حتى أقبلك فانى إنما سميتك سالما لتسلم فاسلم فى الدنيا لغنم !
ثم قال له : قدنى . فقاده إلى داره و قبيل للحجاج : اقتله - يعنون
عبد الله بن عمر . فقال الحجاج : هذا صاحب محمد صلى الله عليه وسلم ،
و من استبشر بالخلافة ، و من حج أربعين حجة ، و من تسميه قريش
حمامة البيت ، و قدره فى العرب كبير ، و حب الأوس
١٥ و الخزرج بالمدينة لأبيه . فقيل له : أيها الأمير ! اقتله قتلة تبرئ بها
نفسك عنه عند المعاتبه لئلا تنتشر عليك الفتنة . و كان ابن عمر من عادته
أن يهجر إلى الجمعة فى وقت الضحى ، فأمر الحجاج غلاما له أن يركب
فرسا حاميا فيصدمه فيقتله . فركب الغلام و نظر إلى ابن عمر و هو سائر
(١) الأوس و الخزرج قبيلتان من الأنصار بالمدينة المنورة فى وقت
ظهور الإسلام .

إلى الجمعة ، فحمل عليه الفرس فصدمه فأقلبه ورضه رصنا شديدا ، فبادرت
الناس إليه و قالوا : يا غلام ! أهلكك المسلمين في عالمهم . فقال : جمع بي
الفرس ولم أقدر أن أحبسَه لقوته . فحمله الناس و دروه إلى منزله .
و أقام الحجاج منتظرا موته ، فلما أبطأ ذلك عليه عمد إلى زُجّ^١ فسَمّه
سما ناقعا و جعله في عكاز و دفعه إلى بعض رجاله و قال له : امض إلى
ابن عمر فأقرئه^٢ مني السلام و قل له يقول لك الأمير : ما حالك من
علتك ، و احذر أن تمس بهذا الزجّ شيئا ، فاذا سلمت عليه / و أبلغت
كلامي فقم عند رجله و ضع الزجّ على ظهر قدمه و اتكئ^٣ عليه حتى
يدخل ، فان قال : أهلكتنى ، فقل له : ما علمت أن رجلك هاهنا . فدخل
عليه رسول الحجاج و فعل ما أمره به فخرجه جرحا قبيحا . فقال ١٠
ابن عمر : يا رجل ! ما تخاف الله تعالى فقد أهلكتنى . قال : ما علمت
أصلحك الله أن رجلك هاهنا . ثم خرج عنه ، فاشتعل جسد ابن عمر
سما ، فأقام ثلاثة أيام و مات - رضى الله عنه .

و لما ظفر الحجاج بعبد الرحمن بن الأشعث ، أتى بأيوب بن القرية
أسيرا في جملة من أسر ، فقال له الحجاج : إيه يا ابن القرية ! أنت ١٥
المصدر لابن الأشعث الكتب ؟ قال : أصلح الله الأمير ! كيف مقالة

(١) جمعه أزجاج و زجاج و زججة ، أى نصل السهم أو الحديد التي في
أسفل الرمح .

(٢) في الأصل : فاقره .

(٣) في الأصل : أنك .

الأسير المقتهر! قال له الحجاج: أأست المصدر الكتاب تخلفني فيه؟
 قال: أصلح [الله] الأمير! إنه شيطان^١ في جلد إنسان جائز في ذهله
 مغلوب على قهره، قهرني سلطانه و تهددني بتجبره و ملكني بمن عنده
 من الغوغاء و الطغام، فكتب اللسان بغير ما في القلب، و الطاعة لك
 ثابتة، و النصيحة لك دائمة. قال الحجاج: كذبت يا ابن اللخناء ذات
 الغدة النوكاء! بل كان قلبك منافقا و لسانك منافقا، و أردت
 إخفاء ما كان الله مظهره من سريرتك، تكلم يا ابن القرية فيما أحببت
 قبل فراق الدنيا. قال: أصلح الله الأمير! لكل جواد كبوة، و لكل
 حلیم هفوة، و لكل شجاع نبوة. قال له الحجاج: ليس هذا أوان
 ١٠ المزاح، الآن أروى منك السلاح. و قد أخذ ابن القرية أربعة نفرين
 يدي الحجاج بضبعيه، فأخذ الحجاج الحربة فوضعتها بين ثنودتيه ثم اتكأ
 عليها حتى دخلت في جوفه ففضفضها ساعة ثم أخرجها و تبعها دم أسود
 فسأل على بطنه، فقال الحجاج عند ذلك: يا ابن القرية! هكذا تشخب
 أوداج الغمر. فأمال ابن القرية رأسه و شق بصره و انثنى فأرسله القوم
 ١٥ من أيديهم فوق يضرب يديه و رجله حتى / فاضت نفسه. ثم أمر به
 فاحتمل في نطع فرمى به، فقال الحجاج: ويلك يا ابن القرية لقد
 [كنت صاحب - ٢] كلام كثير و منطوق بليغ، تركت للناس فضل منطوقك
 لله درك و در أيك!

(١) في الأصل: شيطانا.

(٢) لا وجود للعبارة في الأصل، و يستقيم بذكرها المعنى و السياق.

ثم إن الحجاج أمر بضرب أعناق أسارى ابن الأشعث ، فصارت أعناقهم تضرب بين يديه . فقام رجل منهم لتضرب عنقه فقال : يا حجاج ! والله إن كنا أسانا في الذنب لما أحسنت في العقوبة . فقال الحجاج : أف لهذه الجيف ! أما كان فيهم من يحسن أن يقول مثل هذا . خلّوا عن الباقي . قوله : أف ، كلمة تستعمل في الاحتقار و الاستقذار ٥ و الإنكار ، و أصل أف و سح الأظفار ، قال بعضهم : أف لقلب لا يستدل بالصنعة على الصانع ، و لقلب لا يستدل بالدنيا على الآخرة - انتهى .

ذكر بلال بن أبي بردة

و سأذكر الآن خبر بلال بن أبي بردة في شرائه لنفسه الموت بماله . و ذلك أن بلال بن أبي بردة الأشعري أقام في سجن الحجاج مدة ١٠ طويلة إلى أن عيل صبره و ضاق صدره . و كان سجن الحجاج لا يخلو قط من عشرين ألفا إذا زاد ، و إن نقص كان ثمانية عشر ألفا . فقال بلال للسجان : هذه عشرة آلاف درهم ، خذها و ارفع اسمي في جريدة الأموات للحجاج . و كان السجان يرفع له في كل يوم جريدة بأسماء من مات ، فيأمره بدفنهم ، فإذا أمر بدقي خرجت سائحا في الأرض ١٥ حتى أموت أو يموت الحجاج ، و لك على عشرة آلاف درهم أخرى ، ففعل السجان ذلك ، فقال الحجاج : أحضره إلىّ حتى أشاهده ميتا . فعاد السجان مسرعا فناداه : يا بلال ! فجاءه و قد فرح ، فقال : أوص ، فقال : ما الخبر ؟ قال ، إنى دفعت اسمك في ديوان الموتى ، و قد طلبك

(١) هذا العنوان و ارد في الأصل بالهامش .

الحجاج إيراك ميتا، و إن لم أحضرك ميتا قتلتني . فخنقه السجنان حتى مات ، و قدمه للحجاج ميتا ، فاشترى بلال بن أبي بردة الموت لنفسه بعشرة آلاف درهم .

حكاية عن الحجاج

١١/الف ٥ / و ذكروا أن الحجاج خرج من العراق يريد الحج إلى بيت الله الحرام . قال : فيئنا هو سائر إذ سمع صوت أعرابي بدوي و هو يلى و يقول : لبيك ! اللهم لبيك ! لبيك لا شريك لك لبيك ! ان الحمد و النعمة لك و الملك ، لا شريك لك . هذه التلبية المشهورة و معنى 'لبيك' إجابة . ثم إن الأعرابي زاد على التلبية المشهورة : اللهم لك من ١٠ قال مخلوق هلك ، و في الجحيم سلك ، و الليل إذا حلك ، و الجاريات في الفلك ، قد صدقنا رسلك ، و اتبعنا كتبك ، اللهم منك و لك ، ما خاب عبد أملك . قال فقال الحجاج : تلبية ملحد و رب الكعبة ! اتنوني بالأعرابي . قال : فأتوه به فأوقفوه بين يديه . فقال : ممن الرجل ؟ فقال : من بنى نزار . قال : من أى بلد ؟ قال : من ناحية البصرة . قال : حياك ١٥ الله يا أبا نزار ! من أين و إلى أين ؟ قال الأعرابي : من الفج العميق إلى البيت العتيق . قال : و أيها الفج العميق يا أعرابي ؟ قال : المراق . قال : فما حال أميركم الحجاج ؟ قال : أطوعهم لمخلوق و أعصاهم لمخالق . قال ذلك و هو لا يعلم أنه الحجاج . قال : أراحل هو عنكم يا أعرابي

(١ - ١) العنوان وارد بهامش المخطوط .

(٢) في الأصل : و أيهم - كذا .

أم مقيم؟ قال له الأعرابي: رجل يريد بيت الله الحرام، فلا قبل الله له حجاً ولا زكياً له عملاً، قال: ولم يا أعرابي؟ قال: لأنه قتل أربعين بدرياً شهدوا وقعة بدر مع النبي صلى الله عليه وسلم. قال: فهل استخلف عليكم أحدا؟ قال: نعم: استخلف علينا أخاه محمد بن يوسف. قال: فكيف حاله فيكم؟ قال: رجل ظلوم غشوم. قال له: تواجهني بهذه المقالة وأنا الحجاج وذاك أخي! أما علمت عزتي بالله؟ ثم قال له: بأي شيء عرفت ربك يا أعرابي؟ قال: عرفته بأنه لا إله إلا هو وحده لا شريك له، ليس كمثل شيء، واحد أحد فرد صمد، عجزت العقول عن صفته وعن وحدانيته، وانبعثت في فردانيته، لا إله إلا هو، / جل عن صفات المخلوقين، و تعزز ببقائه وسلطانه، واستغنى عن خلقه بملكه. ١٠ لا إله سواه ولا نعبد إلا إياه.

قال: فما تقول في هذا المبعوث - يعني محمداً صلى الله عليه وسلم؟ قال: نبيا بعثه الله على فترة من الرسل، وطموس من العلوم والامم، جاهلية جهلاء، وضلالة عمياء، والناس لا يدينون لله ديناً، ولا يعرفون كتاباً مبيناً، يعبدون الأصنام، ويستقسمون بالأزلام، ويقتلون أولادهم ١٥ خشية إملاق، ويدفنون بناتهم أحياء في التراب، فأخرجه الله من جبال تهامة، ماله مبدول، وسيفه مسلول، وقوله حكم، إن قال صدق، وإن تكلم فبالحق نطق، خير خلق الله محمد بن عبد الله. قال الحجاج: فما تقول في صاحبه؟ قال: ومن هو صاحبه؟ قال: أبو بكر. قال: وما عسى أن أقول في أبي بكر، هو صديق في السماء، وصديق في ٢٠

الأرض ، صدقه حين كذبوه و زوجته عائشة ابنته ، و مات النبي صلى الله عليه وسلم و هو عنه راض غير غضبان ، فرحم الله أبا بكر ! أنفق على رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعين ألف دينار من ماله سرا و أربعين ألف دينار علانية . قال : فما تقول في صاحبه عمر ؟ قال : و ما عسى أن أقول في أبي حفص و هو فاروق في السماء و فاروق في الأرض ، يفرق بين الحق و الباطل ، و من سل سيفه و قال : و الله لا أعبد الله سرا بعد هذا اليوم ! فعمر حصن حصين ، ثقة أمين . قال : فما تقول في عثمان ؟ قال : رحم الله أبا سعيد ! و ما عسى أن أقول فيه ، صاحب الهجرة الأولى^٢ ، و حافر بئر رومة^٣ ، و مجهز جيش العسرة ، و مشترى النخلة ، و من سبح الحصى^٤ في كفه ، و من أعتق يوم الدار خمسمائة مملوك ، و قال : من أغمد سيفه منكم فهو حر لوجه الله . قال : فما تقول في صاحبه علي ابن أبي طالب ؟ قال : رحم الله أبا الحسن ! و ما عسى أن أقول فيه و له من رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة عظيمة ، و درجة رفيعة ، لقرابته القديمة ، زوج فاطمة الزهراء / سيدة النسوان ، و أبو الحسن و الحسين

١٥ سبغى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أولئك أصحاب العقول الراجحة و الوجوه النضرة ، ما في قلوبهم كدر ، و لا في زندهم قصر ، و لدتهما

١٢/الف

(١) في الأصل : اما .

(٢) في الأصل : الأولة . و ربما كان غرضه من ذلك هو السجع .

(٣) أغلب الظن أنه أحد آبار المدينة المنورة .

(٤) في الأصل : الحصا .

البتول فاطمة بنت الرسول، وسماهما الرسول، وكناهما الجليل، وناغاهما جبريل، فليس لهما من عديل . قال : فما تقول في معاوية بن أبي سفيان ؟ قال : وما عسى أن أقول في معاوية كاتب وحى رب العالمين، وخال المؤمنين، كانت أخته [أم] حبيبة بنت أبي سفيان تحت سيد المرسلين، وهي وزوجاته أمهات المؤمنين، فكان معاوية خاتمهم - ٥
رضى الله عنه، ودعا له النبي صلى الله عليه وسلم، قال له : ملاء الله قلبك حلما وعلما . قال : فما تقول في أهل صفين ؟ قال : في نفسى شغل عن ذكركم . قال : فما تقول في أصحاب الجمل ؟ قال : " تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون " .
قال : فما تقول في أميرك عبد الملك بن مروان ؟ قال : أخطأ خطيئة ١٠
ملأت ما بين الخافقين ؛ قال : وما هي ؟ قال : بتوليتك على المسلمين .
قال : فما تقول في ؟ قال : أنت أعلم . قال : تكلم . قال : أسوءك ولا أسرك . قال : تقول لى هذه المقالة لا تقطن يديك ورجليك ولاقتلك أشر قتلة، فارفع رأسك وانظر إلى . قال الأعرابي : أخاف إن أنظر اليك لا ينظر الله إلى غدا في عرصة القيامة . قال الحجاج : ١٥
يا غلام ! على بالنطع والسيف . قال له الأعرابي ! على رسلك حتى أصلى ركعتين، و قال له : اصنع ما بدا لك . قال : فركع الأعرابي ركعتين و قال :
يا مسبب الأسباب، ويا مفتح الأبواب، ويا هازم الأحزاب، ويا من لا يغلق له باب، اكفى أمر الحجاج ان شئت وكيف شئت، إنك على
(٥) قرآن كريم سورة ٢ آية ١٣٤ .

كل شيء قدير . قال : فلم يتمالك السيف أن خر مغشيا عليه و وقع
السيف من يده ، و سقط الحجاج مغشيا على وجهه ، ثم أفاق فقال :
/ ما حملك على هذا الدعاء يا أعرابي ؟ قال : لثلاث ألقى الله و أنا زنديق
مثلك . قال : فأطلق الحجاج له السبيل بعد أن عرض عليه مالا ،
فلم يأخذه منه ، ثم مضى الأعرابي إلى مكة و طاف بالبيت و سعى ، و دعا
على الحجاج عند الكعبة و المسعى . فهلك الحجاج في تلك السنة -

١٢ / ب

و سيأتي فيما يرد من هذا الكتاب لمع من أخبار الحجاج إن شاء الله .
ذكر بداية أمر أرسطاطاليس معلم الإسكندر

و خير الكاهن و الراهب و محاربة الإسكندر

لدارا ملك الفرس و خير سكيندس^٢ مع أمه

١٠

فلنذكر الآن بداية أمر أرسطاطاليس معلم الإسكندر و خير الكاهن
و الراهب و محاربة الإسكندر لدارا ملك الفرس و خير سكيندروس مع
أمه إن شاء الله تعالى . قال المؤرخون : كان في ملوك اليونانيين ملك
يقال له نيقوماخس^٤ ، ولد له ولد من زوجته روقيا سماه أرسطاطاليس ،

(١) في الأصل : لمعا .

(٢) هذا العنوان بهامش المخطوط .

(٣) في الأصل : سكيندروس ، وورد « سكيندس » بأول الفصل و ربما كان

ذلك هو الأصح .

(٤) نيقوماخس Nicomachus والد أرسطاطاليس (٣٨٤ - ٣٢٢ ق م . ٠)

كان طبيبا للملك امنتاس الثاني Amyntas II وهو والد الملك فيليب وجد الإسكندر

الأكبر المقدوني . و من الواضح أن بعبارة النويري خلطا في صفة نيقوماخس .

فلما نشأ أرسطاطاليس أحضر له والده معلما حكيمًا يعلمه الحكمة، فأقام يتعلم منه تسع سنين، فعليه علم المنطق واللغات، ثم قال في نفسه إن هذه العلوم كلها ما تقبل لأن الحكمة أشرف العلوم الأخلاقية والسياسية والطبيعية، فانقطع أرسطاطاليس إلى أفلاطون^١، وصار تلميذا له و متعلما منه، وله يومئذ^٢ سبع عشرة^٣ سنة في مدينة أثينا^٤ مدينة الحكماء، وأقام يتعلم من أفلاطون عشرين سنة، وكان أفلاطون إذا جلس ليستدعي منه الكلام فيقول: حتى يحضر أرسطاطاليس! فإذا جاء أرسطاطاليس، قال تكلموا فقد حضر الناس، وربما قال: حتى يحضر العقل، فإذا حضر أرسطاطاليس فإذا تكلموا فقد حضر العقل. فمضى أفلاطون إلى صقلية وغاب زماما، واستخلف أرسطاطاليس على دار العلم. فلما مات أفلاطون^٥ خرج أرسطاطاليس من مدينة أثينا^٦، وكان قد أرسل إليه فيلبس^٧ الملك، فسار إليه إلى مدينة مقدونيا وهي مصر^٨. فأقام فيها يعلم ولده الإسكندر وغيره من أولاد الملوك، وكان أرسطاطاليس ذات يوم جالسا وأبناء الملوك المتعلمون منه قياما بين يديه، فقال لفتى منهم:

(١) ولد حوالي ٤٢٧ و مات سنة ٣٤٧ ق . م .

(٢-٣) في الأصل : سبعة عشر .

(٣) في الأصل : اثني عشر . وهي عاصمة اليونان Athens .

(٤) فيلبس الثاني (٣٨٢ - ٣٣٦ ق . م) ملك مقدونيا ووالد الإسكندر الأكبر

الثالث (٣٥٦ - ٣٢٣ ق . م) .

(٥) وربما كان المقصود بالكلمة « المكان » أو « الدواة » .

إن صار الملك إليك ما ذا تصنع بي؟ قال: أشركك في ملكي، فقال
 لآخر منهم: و أنت أيضا إن صار الملك لك ماذا تصنع بي؟ قال: أفوض
 إليك أمري. فقال للاسكندر: و أنت ما تصنع بي إن أفضى الملك
 إليك؟ قال: أيها المعلم لا ترهنني اليوم لغد، و لا تسألني إلا عما أنا عليه،
 ه فإن صار لي ما ذكرت أنا أفعل بك الذي أرى في ذلك الوقت أنه يصلح
 و ينبغي أن يفعله مثلي إلى مثلك في ذلك الحال. فقال أرسطاطاليس
 حقا إنك فيلسوف، و إنك ستصير ملكا عظيما، و بذلك يدل طبعك
 و الفراسة في أمرك.

ذكر الكاهن و الراهب^١

١٠ فلنذكر الآن خبر الكاهن و الراهب و نعود إلى ذكر الإسكندر
 ان شاء الله تعالى - قيل إنه كان فيما مضى من الزمان ملك جبار صاحب
 سحر و نجوم و كهانة، و كان له شيخ ساحر كاهن يصدر الملك عن رأيه.
 فقال الشيخ: أيها الملك! قد كبر سني و دق عظمي، فأرى أن تنظر لي
 غلاما أدبيا أعلمه العلم، فيكون خلفا مني، فأرسل الملك غلاما كان عنده،
 ١٥ فصار يختلف إلى الكاهن، فر الغلام ذات يوم فسمع بكاهن
 تحت الأرض، فنظر فإذا هو بسرب تحت الأرض فدخله، و إذا هو برجل
 راهب عليه ثوبان من الشعر، فقال: من أدخلك علي؟ فأخبره رغبته في
 الخير، فأقام معه يومه إلى الليل، فقال الراهب: أعطني موثقا لا تدل
 علي أحدا و إن قتلت أو حرقت بالنار. فأعطاه موثقه ثم انصرف إلى الملك

(١) هذا العنوان بهامش المخطوط.

فسأله عن حاله و غيبته ، فكره أن يفشى سر الراهب ، و كره أن يكذب ،
 فضرب و وجه إلى الكاهن ، فدخل على الراهب و أخبره بخبره ، فسأه
 ما لقي ، فقال له : إذا صرت إلى الملك و سألك : أين كنت ؟ / فقل :
 كنت عند أهلي ، و إذا صرت إلى الكاهن و سألك : أين كنت ؟ فقل :
 كنت عند الملك . فمكث كذلك زمانا حتى استفاد علم الراهب كله ٥
 و فاق فيه ، فمر يوما ببعض وزراء الملك و كان قد عمى ، فقال له الصبي :
 إذا رد الله عليك بصرك أتؤمن^١ به . قال : نعم ، فمر يده على عينيه
 فعدتا كما كانتا^٢ أولا ، فأمن بالله تعالى . ثم دخل على الملك فقال : من
 أبرأك ؟ قال : مولاي و مولاك . قال : و من مولاي ؟ و من مولاك ؟
 قال : الله تعالى . فاغتاظ ذلك الجبار لذلك ، و عرض عليه أن يرجع لدينه ١٠
 فأبى . فقال : من ذلك على هذا ؟ قال : الشاب . فأمر به فقال عند
 ما رآه : ويحك ! ما يقول هذا الوزير ؟ قال : يقول الحق ، الله تعالى هو الذى
 أبرأه و هو على كل شيء قدير . فأمر بصلب الشاب و طعنه بالرمح
 فلم تعدو عليه ، فأمر أن يحرق بخشبتة التى صلب عليها فلم تحترق ، فأمر
 الرماة أن يرموه بالسهم فلم تصل إليه ، فمكث كذلك سبعة أيام ، ١٥
 ثم قال : أيها الملك ! إنك لا تقتلنى حتى تأخذ سهما من كنانتك ثم تقول :
 اللهم رب هذا الغلام ! اقله . فأخذ الملك سهما و الناس ينظرون إليه ،
 ثم قال : اللهم رب هذا الغلام ! اقله - و ضرب نحوه ، فسال دمه و مات .

(١) فى الأصل : لتؤمن .

(٢ - ٢) فى الأصل : فعادت كما كانت .

فقال الناس : آمنة برب الغلام ، نخذ في الارض أخذودا و أضرم النار ، ثم دعا بالناس ، فكل من آمن بالله أحرقه ، و من رجع إلى دينه تركه . فهذا الملك و قومه أصحاب الأخدود المذكورون في سورة البروج . قال الله تعالى : " والسما ذات البروج " يعنى السماء ذات القصور و هى منازل الشمس و القمر تجرى فيها^٢ النجوم السيارة اثنا عشر برجاً ، " و اليوم الموعود " و هو يوم القيامة يجتمعون فيه يتغنون الثواب ، و يحذرون العقاب ، " و شاهد " و هو يوم الجمعة " و مشهود " و هو يوم عرفة ، فأقسم الله تعالى / بهم أن أصحاب الأخدود ملعونون محروقون بالنار - انتهى .

١٤ / الف

و نعود إلى ذكر خبر أرسطاطاليس - و ذلك أنه انزل عن الاتصال بأمور الملوك ، فهياً موضعاً للتعليم و أقبل على العناية بمصالح الناس و رفق الضعفاء و تزوج الأيتام و مساعدة الطالبين للعلم . و كان جليل القدر فى الناس ، و كانت له كرامات ثابتة من الملوك و منزلة رفيعة ، فلما مات جعلوا جسده فى تابوت من نحاس و دفنوه فى الموضع المعروف بالأرسطاطاليس ، و صبروه مجعاً يجتمعون عنده للشاورة فى ١٥ جلائل الأمور ، و يستريحون إلى قبره ، و كان كل من يقصد مسألة أو حكمة فىأتى إلى ذلك الموضع الذى فيه أرسطاطاليس تنجلي عقولهم و تلطف أذهانهم ، و أيضاً تعظيماً له بعد موته ، و أسفا على فراقه لما فقدوه من ينابيع حكمته . و كان أرسطاطاليس أيضاً حسن القامة صغير

(١) قرآن كريم سورة ٨٥ آية ١ .

(٢) فى الأصل : فيه .

العينين صغير الفم عريض الصدر، يسرع في مشيه ' إذا خلا ' بنفسه،
ويطئ إذا كان مع أصحابه . و كان إذا سئل تأنى في الجواب .
و كان يحب الاجتماع بأهل الرياضات و سماع الأحسان، منصف من
نفسه إذا خوصم ، معترف بموضع الإصابة و الخطأ ، معتزل الملابس
و المآكل و المشارب ، لم يزل بيده آلة النجوم و الساعات ، و مات ٥
و له ثمان و ستون سنة .

و من كلامه : إذا أردت الغنى فاطلبه بالقناعة ، فان [من] لم يكن له
قناعة ليس المال يغنيه و إن كثر . و قال : العدل ميزان جعله الله تعالى
في أرضه ، و به يؤخذ حق الضعيف من القوى ، و يظهر الحق من
الباطل ، فمن أزال ميزان الله عما وضعه لعباده فقد جهل أعظم الجهالة . ١٠
و قوله : العالم يعرف الجاهل لأنه كان جاهلا ، و الجاهل لا يعرف
العالم و لا يعلمه لأنه لم يكن عالما .

كان^٢ بعض العلماء له ولد جاهل ، فكان الولد كلما دخل / على
أبيه رآه مشغولا بتصنيف العلوم ، فعاتبه على ذلك ، فأنشد والده
يخاطبه و يقول :

١٥

لو كنت تعلم ما أقول عذرتني أو كنت تعلم ما تقول عذلتك
لكن جهلت مقالتي فعذلتني و عرفت أنك جاهل فعذرتك

(١-١) في الأصل : داخلا - كذا .

(٢) في هامش الصفحة بالخطوط : مطلب .

و اعلم أن الأولاد متعبة للآباء، قال الشاعر :

أرى ولد الفتى كآلا عليه فطوبى للذى أضحى عقبا

فأما أن يربيه عدوا وإما أن يخلفه تبيا

وإما أن تداركه المنايا فيؤلم قلبه ألما عظيما

٥ قال بعض الحكماء لولده: يا بني ا علم الله ما أنا لك فأوصاك بي،

و علم ما أنت لي فحذرنى منك بقوله: "ان من ازواجكم و اولادكم

عدوا لكم فاحذروهم^٢" - انتهى .

نعود^٣ إلى حكم أرسطاطاليس وقوله: لا خير فيما يزول،

و لا غنى فيما لا يثبت . وقال: كل شيء يتهياً للراء فيه تدير و حيلة إلا

١٠ القضاء . و قال: من عرف الحكمة لاحظته العيون بالوقار . و قال:

خذوا اللؤلؤ من صدف البحر، وخذ الذهب من التراب، و الحكمة ممن

قالها . و قال: لا تلقوا اللؤلؤ إلى الخنازير، فانها لا تصنع به شيئا،

و لا تعطوا الحكمة لمن لا يريدھا، فان الحكمة أفضل من اللؤلؤ، و من

لا يريدھا شر الخنازير . و قال: إذا كانت الشهوة فوق المقدرة، كان

١٥ هلاك الجسم دون بلوغ الشهوة، و لله در القائل حيث يقول:

وإذا كانت النفوس كبارا تعبت في مرادها الأجسام

(١-١) في الأصل: انما اموالكم - راجع القرآن الكريم سورة ٦٤ آية ١٤ .

(٢) و تمامها: " و ان تعفوا و تصفحوا و تغفروا فان الله غفور رحيم * انما

اموالكم و اولادكم فتنة و الله عنده اجر عظيم " .

(٣) في هامش المخطوط: حكم أرسطاطاليس .

وقال أرسطاطاليس : أسوأ الناس حالا من بعدت همته ، وضاقت مقدرته ، و كثر أمنيته . وقال : عاشروا الناس معاشرة إن متم بكوا عليكم ، وإن غبتم بالخير ذكروكم . و تفسير أرسطاطاليس ، بلغة اليونانيين : المكمل الفاضل - انتهى .

٥ خبر الإسكندر في بداية أمره

١٥/ الف نعود إلى خبر الإسكندر في بداية أمره - وذلك أن والده / الملك فيلبس لما حضرته الوفاة أحضر ابنه الإسكندر قدام أهل الرتب و الوزراء ، فوضع إكليل الملك على رأسه ، و أجلسه مجلس الملك ، فدخل عليه القواد و الجيوش ، فسلموا عليه سلام الملوك ، و وقفوا في خدمته .

١٠

تم استدعى فيلبس الملك أرسطاطاليس الحكيم معلم ولده الإسكندر ، و عاهده عهدا بحضرة الجميع أن يكون داعيا له و معزيا فيه لولده بعد فراقه للدنيا ، فأجاب الحكيم إلى ذلك ، و كتب فيلبس لولده الإسكندر العهد ، و بعد ذلك اشتدت علته ، ثم قضى نحبه ، فقام الإسكندر قدام جميع الناس الحاضرين و قال : أيها الناس ! إن ملككم فيلبس قد مات ، و لست أنا ملكا عليكم ، و لا لي عليكم أمر و لا ولاية ، فأبما رجل منكم رضيتم به أن تصيروه ملكا عليكم فصيروه ، و أنا داخل

(١) العنوان مذکور بهامش المخطوط .

(٢) في الأصل : عليه .

(٣) في الأصل : و ايس .

تحت طاعته، وأنا واحد منكم، ولا أخالفكم في شيء من أموركم،
 فاسمعوا قولي و مشورتي، و أنزلوني بمنزلة الناصح لكم، الشفيق عليكم،
 المكلف بأموركم، و قد عرقتم ذلك مني في حياة والدي، و إني أمركم
 بتقوى الله و التمسك بطاعته، فلكوا عليكم إنسانا طائعا لربه، رقيقا
 ٥ شفيقا^١ على الرعية، يعتنى بأموركم، و يرحم مساكينكم، عادلا^٢ يحكم
 للقوى و المسكين بالعدل و الإنصاف، و من يبذل نفسه في إصلاحكم
 و لا تشغله الشهوات عنكم، و تأمنون على أنفسكم من شره، و ترجون
 خيره، يياشر قتال^٣ عدوكم، لتطمئنوا بمساكنكم.

فلما [أتم] قوله، تعجبوا منه و من رأيه و مشورته، و هو أمر
 ١٠ لم تفعله قبله الملوك و لا نظرت فيه، و كان عمر الإسكندر إذ ذاك
 تسع سنين . فقالوا بأجمعهم : قد سمعنا مشورتك، و قبلناها و فهمنا نصحك
 لعامتنا، و قلدناك أمورنا، فأنت الملك علينا، تعيش إلى الأبد سلطانا
 علينا، فانه ليس أحد من أهل الدنيا أحق بالملك منك . ثم قاموا
 إليه و بايعوه و وضعوا التاج على رأسه و الإكليل / على مفرقه، و دعوا
 ١٥ له بالبركة و النصر على أعدائه . و قد تقدم ذكر صفة الإكليل، فأغنى
 عن إعادته .

١٥/ب

(١-١) في الأصل : رفوق شفوق .

(٢) في الأصل : عادل .

(٣) في الأصل : قتل .

(٤) في الأصل : لأحد .

ثم إن الإسكندر لما سمع من خاصته وعامته ذلك ، قال لهم :
 قد سمعت دعاءكم ، وفهمت محبتكم ، وأنكم قد ملكتموني عليكم ، وأنا
 أسأل الله عز وجل الذي وهب لي منكم المحبة ، وأثبت في قلوبكم
 طاعتي ، أن يلهمني إلى العمل بطاعته و العدل باصلاح شأنكم .

٥ 'إرسال دارا و طلبه المال و جواب الإسكندر'

فلما ملك الإسكندر و قوى و استقرت له الأمور ، بعث إليه
 دارا^١ ابن دارا ملك فارس يطالبه بالمال الذي جرت عادة والده أن
 يعطيه له . و كان ذلك بيضا^٢ من ذهب ، عددا معروفا و وزنا معروفا^٣ .
 فكتب إليه الإسكندر يقول : إن الدجاجة التي كانت تبيض ذلك
 البيض ذبحتها و أكلتها . و كان اليونانيون في ذلك الزمان طوائف كثيرة
 لا يجمعهم ملك واحد بل ملوك متفرقة ، لكل طائفة ملك ، فجعل
 الإسكندر [يجمع - °] ملوك قومه حتى جمعهم كلهم و ملك عليهم .
 و هو أول الملوك الذي ملك على جميع اليونانيين ، و صاروا مملكة واحدة
 لملك واحد ، ثم خطر بباله أن يغزو ملوك المغرب ، فمضى إليهم و غزاهم
 فظفر بهم ، و ملك المغرب بأسره ، ثم مضى [إلى مصر] و ملكها ١٥

(١-١) هذا العنوان و ارد بهامش المخطوط .

(٢) دارا الثالث حكم من ٣٣٦ إلى ٣٣٠ ق . م .

(٣) في الأصل : بيض .

(٤-٤) في الأصل : عدد معروف و وزن معروف .

(٥) الكلمة ساقطة من الأصل ، و ازومها واضح من السياق .

و بنى مدينة الإسكندرية فى السنة السابعة من ملكه ^١ ، بناها على البحر الأخضر ^٢ ، سماها باسمه . ثم سار إلى الشام فملكه ، و سار منه إلى أرمينية ^٣ بلاد الفرس .

فبلغ دارا ذلك ، فكتب كتابا إلى أهل مدينة طيرس ^٤ قائلا :
 ٥ أما بعد ، فقد بلغنى خروج هذا اللص - يعنى به الإسكندر - فاذا وصل إليكم ، فخذوا أصحابه ، فاخذوا بهم فى البحر بخيلهم و سلاحهم ، و أمسكوا لى اللص رئيسهم و أنفذوه إلى و إلا نهبت أموالكم ، و سلخت ^٥ جلودكم ، و أخرجت ^٦ كبودكم من بطونكم . و لا تستهيبوه فانه صبي صغير حقير .
 فما عذرکم عندى إن خالفتم أمرى .

١٦ / الف ١٠ ثم إن / الإسكندر نزل بنهر اسطوخوس ^٧ : فبلغ ذلك دارا ، فكتب إليه : من دارا ملك ملوك أهل الدنيا إلى الإسكندر - أما بعد ،

(١) أى فى سنة ٣٣١ ق . م .

(٢) أى البحر الأبيض المتوسط .

(٣) كانت أرمينية و تبتدأ تمتد بين حدود فارس و اليونان فى الأناضول فوقت فريسة لكلا الامبراطوريتين و كانت فارس قد اجتاحتها فى ذلك الوقت .

(٤) لعل المقصود مدينة صور المعروفة فى التاريخ القديم باسم Tyrus .

(٥) فى الأصل : و أساخ .

(٦) فى الأصل : و أخرج .

(٧) لم نستطع تحقيق هذا الاسم من المراجع المعروفة ، و لكن مكانه واضح حول منطقة نهر الفرات أو فروعها العليا .

فقد عرفت أنت وعليت أن ملك السماء جعلني ملك الأرض، وأعطاني
الرفعة والعز والشرف والقوة، وقد بلغني أنك جمعت لصوصا،
و جزت بهم نهر اسطوخوس لتفسد في أرضنا، فإذا نظرت كتابي
فارجع من حيث أتيت، ولا تسلك بلادى، لأنك عبد حقير، فأشفق
على نفسك وارجع، ولا تكن مشؤما على نفسك ولا على كل من
معك، وقد بعثت لك تابوتا مملوءا ذهباً لتعلم كيف كثرة المال عندنا
وقوتنا به، وأكرة لتعلم أن مثلها مساو ما في يدي، وعدل سمسم
لتعلم أن عندي عددا كبيرا من الرجال الأبطال، و درة من الجلود
أصفعك بها، لأنك صبي.

و وجه بالكتاب مع رسله، فلما وقف عليه الإسكندر، أمر
بالرسل فكتفوا، ودعا بالسيف كأنه يريد قتلهم، فقالوا: أيها الملك!
من رأيت من الملوك قتل الرسل حتى تقتلنا. فقال لهم: إن صاحبكم
قد زعم أني لص، وأنا أفعل بكم فعل اللصوص، فلا تلوموني ولوموا
صاحبكم الذي عرضكم للقتل وأرسلكم إلى إص. فقالوا له: أيها الملك!
إن صاحبنا لم يعرفك، ونحن قد رأيناك، ونظرنا ما أنت عليه من
الملك في فضلك وكرم نفسك، فاردد علينا أنفسنا، وتفضل علينا،
فانا نخبر دارا بما رأينا من عظيم ملكك، و شدة قوتك، و نكون شهودا
لك، فقال لهم: من أجل أنكم خضعتم و اتضعتم و سألتم فقد عفوت
عنكم و أحييتكم لتعلموا رحمتي و تعاطفي، و إني قريب الرجوع عند
الخضوع. فعند ذلك أمر بحل أكتافهم، و تسكين روعهم.

و كتب : من الإسكندر ذى القرنين الملك ابن الملك إلى دارا
الذى زعم أنه ملك الملوك ، و يظن أن عنده المال و الرجال ، و ها أنا
سائر إليك لقتالك ، / و أرجو النصر من الله تعالى أن يظهرني عليك
لأنى أعبده و أوحده ، و أنت تشرك به . و قد أعلتني في كتابك من
٥ كثرة ما أوتيت من الذهب و الكنوز ، و ما بنا إليه حاجة . و سيرت
لى بكرة و أكرة ^١ و تابوت مملوء ^٢ ذهباً ، فأما الدرّة فانها سوط عذابي ،
يعينى الله به عليكم لأذيقكم بأسه ، و أكون عليكم مؤدباً بها . و أما
الأكرة فاني آمل أن يجمع الله لى ملك الأرض باجتماع الأكرة
بيدى ، و أما التابوت فإنه طائر ^٣ عجيب فى نصر الله إياي عليك ، لأن
١٠ التابوت خزانه من خزائلك مملوءة ذهباً ، فهذه علامة تحول خزائلك
إلى . و أما عدل ^٤ السمسم فعدده كثير . و لكنه لين المجسة ما كول
للشعر بغير كلفة ، و قد وجهت إليك [بعدل - ^٥] من خردل فذق
طعمه ، و اعلم أنك عولت فى نفسك و سطوتك بقوة سلطانك ،
و ظننت أنك أرهبتنا بما ذكرت من عددك ، و أنا أرجو أن الله يضعفك ،
١٥ و يضعك ^٥ بقدر ما رفعت به نفسك ، حتى تتسامع بك أهل الأرض
بأنى قد قهرتك ، و استظهرت عليك بقوة إلهي ، فثقتى به و توكلت
عليه - و السلام .

(١-١) فى الأصل : تابوتا مملوءا .

(٢) بمعنى الطيرة .

(٣) فى الأصل : العدل .

(٤) الكلمة ساقطة من الأصل ، و مكانها واضح من السياق .

(٥) فى الأصل : يوضعك .

و طوى الكتاب و دفعه إلى الرسل، و وهب لهم التابوت من الذهب الذى بعثه دارا إليه . فتقدم الإسكندر و تجهز لقتال دارا . فقيل له إن فى عسكر دارا ثلاثمائة ألف مقاتل . فقال : إن الأسد الحاذق لا يهوله كثرة الغنم، و إن الحطب الكثير تحرقه الشرارة . و تقدم الإسكندر ، و واقع نائب دارا بمدينة طيرس فهزمه ، فقدم على دارا منهزما و قد قتل أكثر رجاله . ثم ارتحل الإسكندر يطلب دارا ، فالتقت العساكر بعضهم ببعض ، فكان لهم وقعة عظيمة سالت فيها الدماء مثل سيل الأودية من أساورة الفرس / و اشتغل أهل دارا بالغانم . و ثبت عسكر الإسكندر . فنظر دارا إلى جماعته و رؤساء أصحابه و خيار أعوانه و قد بادوا و هلكوا، و الأحياء منهم مشخون^١ بالجراحات ، تحقق فى ١٠ نفسه أنه مغلوب^٢ ، فولى هاربا ، و احتوى الإسكندر على خزائن دارا و ما تركه ، و أسر من الفرس كثيرا ، و من جملة المأسورين أم الملك دارا و ابنته و زوجته ، و مضى دارا هاربا إلى أن وصل إلى نهر كبير و قد صار أعلاه جليدا من الثلج ، فعبر على الجليد الذى ركد على الماء و تبعه أصحابه ، فانخسف بهم الجليد من كثرة تتابع الخيل فغرق أكثرهم ، و سلم ١٥ دارا فمضى حتى دخل بيت أصنامه يستغيث بهم ، و عاذ من الإسكندر و قال : قد والله ذبح الإسكندر الدجاجة التى كانت تبيض لى بيض الذهب الذى كان يرسله لى والده ، و أكلها و أكلنى معها . ثم دبر أمره

(١) فى الأصل : مشخنين - كذا .

(٢) فى الأصل : مغلوبا .

و قال: أقوم أمضى إلى الإسكندر لأنه قد صار ملكا عظيما بعد احتقارى له ،
ثم أقر له العهد .

فكتب له كتابا يستعطفه فيه ، و يتضرع له و يسأله أن يرحمه ،
و أن ينفذ إليه والدته و زوجته و ابنته ، و يعطيه عوضهن ما عنده من
٥ كنوز ملوك فارس و خزائن آبائه . فلما قرأ الإسكندر كتابه علم أنه
في الحياة ، فنهض بأصحابه نحوه ، و بلغ دارا إقبال الإسكندر ، فخرج
هاربا مع بعض من بقى معه إلى فور^١ ملك الهند ، فلحقه الإسكندر ،
فلما نظر الفريقان إلى بعضهم بعض ، علم من مع دارا أنهم ليس لهم
قدرة بعسكر الإسكندر ، فوثب إلى دارا و زيران له ليقتلاه ليحصل لها
١٠ بذلك حظوة عند الإسكندر ، فعاتبها دارا و ذكرهما جميله و إحسانه

إليهما ألا يسفكا دمه لخيرهما / فان للإسكندر ملك و إن تقربنا إليه بقتلى
لم تسلبا منه ، فان الملوك تأخذ بثأر الملوك ، فلم يسمعا كلامه و ضرباه
بسيفها حتى وقع عن فرسه ، فأدركه الإسكندر قبل أن يموت ، فزل
عن فرسه و أخذه إليه ، و جعل رأسه في حجره ، و نقض التراب عن
١٥ وجهه ، ثم قال له و عيناه تدمعان : يا دارا قم من مصرعك ، و كن

(١) « فور ملك الهند » و لعله « بور » أو « بوروس » Porus من ملوك شمال
غرب الهند غالبا على حدود إمبراطورية فارس و حدود أفغانستان : و ظاهر أن
هزيمته النهائية جاءت على يد الإسكندر فيما بعد سنة ٣٢٧ ق . م . وجاء في « نهاية
الأرب » للنويرى (ج ١٤ ص ٣٢١) « فور وهو الذى قتله الإسكندر بن فيلبس
اليونانى مبارزة ، و كان ملكه إلى أن قتل أربعين و مائة سنة » .

ملكاً على أرضك ، وأقسم لك بالله السماوات والأرض لأملكنك
وأرد عليك ما أخذت منك ، وأكون عوناً لك على عدوك ، فقم فاني
غير مؤاخذك بما سلف منك ، ولا تجزع ولا تخف عند حلول البلاء
بك ، فان الملوك أولى بالصبر على البلايا من غيرهم ، وأعلمني من فعل
بك هذا لأنتقم لك منه .

فقال دارا وعيناه تدمعان ووضع يد الإسكندر على وجهه وجعل
يقبلها ويقول : يا ذا القرنين ! لا تتكبر ولا تتجبر ولا ترفع رأسك فوق
قدرك ، ولا تركز إلى الدنيا ، فان الدنيا ليست بدار مقام ، ولا تدوم
بحال ، فقد رأيت ما أصابني ، وهو يكون لك عبرة أنت مكتف بها ،
فاحذر مصرعي ، وانظر ما صيرتني إليه المقادير ، وأنا أوصيك أن
تحتفظ بأمي وتجعلها أمك وزوجتي تكون عندك بمنزلة أختك ، وقد
زوجتك ابنتي روشان ، فخذها لك امرأة ، ثم وضع يده في فيه فمات .
فامر الإسكندر بدارا أن يغسل ويطيب بالمسك والعنبر ، وكفنه
بالبياض المنسوجة بالذهب ، و نادى المنادى في الروم والفرس ، فاجتمعوا
مشمولين السلاح ، فجعلهم صفوفاً ، ثم أمر عشرة آلاف رجل منهم
أن تمشي قدام سريره ، وقد استلوا سيوفهم ، وعشرة آلاف خلفه ،
وعشرة آلاف عن يمينه ، وعشرة آلاف عن يساره . و مشى
الإسكندر قدام سريره ومعه عظماء فارس وساداتها ، وصارت الرجال
على رتبها حتى انتهوا إلى قبره ، وجلسوا وجلس الإسكندر عنده .

(١) وهي روكسان Roxane .

و أمر بدفنه . ثم أمر بالقبض على وزيرى دارا ، فاحضرا إلى قبر دارا
فصلبا ، فلما رأى ذلك رجال فارس ازدادوا للاسكندر حبا ، وأمر
أجناده أجمعين أن يمشوا بين المصلوبين رجلا رجلا ، ففعلوا كما أمرهم ،
ثم بعث إلى روشن بنت دارا فأعلمها بما كان من وصية أبيها له عند
موته ، ومسأله إياه أن يتزوجها ، و عرض عليها ذلك فأجابته ، فأمر لها
بمال جزيل ، فجهزت به ، و حملت إليه .

ثم خلف على فارس أخا دارا ، و صيره مكان أخيه ، و ملك على
فارس سبعين مليكا ، و هم ملوك الطوائف ، و أحرق كتب المجوسية ، و هدم
بيوت النيران التى كانت تعبد بها المجوس . و كان أردشير^٢ أحد ملوك
١٠ الطوائف الذين كانوا بين الفرس الأول و الفرس الآخر . و كان ينزل
مدينة اصطخر^٣ ، و كان بينه و بين الهجرة النبوية أربعمئة سنة . و كانت
ملوك الطوائف قد تغلب كل ملك على جهته ، و أراد الملك لنفسه .
و كان سبب ذلك أن الإسكندر لما غلب على دارا بن دارا ، و فرق ملك

(١) فى الأصل : تعبدها .

(٢) ربما كان المقصود أردشير الأول Artaxerxes أو Ardeshir مؤسس الأسرة
الساسانية من ملوك الطوائف كما ورد فى النص فى سنة ٢٢٦ م . (راجع
Sir Percy Sykes, History of Persia, Vol. I, p. 391 ff .)

(٣) اصطخر من مدن فارس القديمة بالقرب من Persepolis على بعد ثلاثين ميلا
شمال شرقى شيراز انتقل إليها ملوك الأسرة الساسانية فيما بعد عند ما خرب
الإسكندر الأكبر برسابوليس المذكورة فى سنة ٣٣٠ ق . م .

الفرس ، كتب لمعلمه أرسطاطاليس يستشيريه في أمر الفرس فقال له :
 ولّ كل واحد من أكبرهم على جهته ، فانهم يتنافسون الملك ،
 فلا يجتمعون على ملك واحد منهم ، فمتى خالفك واحد منهم ، كانت
 مؤنته عليك قريبة . فلم يزالوا كذلك أربعائة سنة لم يجمعهم ملك
 واحد . فلما قام أردشير بأمرهم بعد أن كابد منهم مشقة كبيرة ، قال ٥
 إن كلمة / فرقتنا أربعائة سنة لكلمة مشؤمة - يعنى كلمة أرسطاطاليس .
 و كان الإسكندر يقبل من معلمه أرسطاطاليس كل ما يقول له لما كان
 يرى في قوله الصواب ، فركن إلى ذلك كما قال الإسكندر وقد سئل :
 أمعلمك أكرم عليك أم أبوك ؟ فقال : بل معلمى ، لأنه سبب حياتى
 الباقية ، ووالدى سبب حياتى الفانية .

١٠

و اعلم أن اقتناء الفضائل و الحكم خير من قبح الجهل و دناءته ، كما
 حكى أن حكيمًا دخل على رجل داره ، فرأى دارا مشيدة ، و فرشًا مبسوطة ،
 و رأى صاحبها خلوا من الفضائل ، فبصق الحكيم في وجهه . فقال : ما هذا
 السفه أيها الحكيم ؟ قال : بل هذا الذى فعلته حكمة . قال : كيف ذلك ؟ قال :
 إن البصاق ليرمى إلى أخس مكان فى الدار ، و لم أر فى دارك أخس منك . ١٥
 فبه بذلك على دناءة الجهل و أن قبحة لايزول بادخار ما يقتنى - انتهى .

(٢) بهامش المخطوط : حكاية . - و الغالب أن الحكاية مأخوذة عن ديوجينيس

. Diogenes

أخبار الإسكندر^١

نعود إلى أخبار الإسكندر - ثم إن الإسكندر غزا فور ملك الهند، فظفر به وقتله، وسار إلى أرض الصين^٢، وجرى له مع ملك الصين ما تقدم ذكره^٣ مفصلاً في هذا الكتاب. ودخل الظلمات في طلب عين الحياة، وظفر بها الخضر^٤ إذ كان على مقدمته، فشرب منها فطالت حياته، وحرم الشرب منها الإسكندر لإخفائها عنه. وجرى للإسكندر أمور يطول شرحها، وقد تقدم ذكر سبب تسميته بذي القرنين، فأغنى عن إعادته. وكان مدة ملكه^٥ سبع عشرة سنة، أقام منها تسع سنين محاربا، وثمان سنين مطمئنا بغير حرب، وغلب اثنتين وعشرين أمة و ثلاث عشرة من عشائره. ويقال إنه في ذهابه إلى المشرق والمغرب طاف الدنيا في سنتين، ولم يلبث بعد غلبه دارا ملك الفرس إلا ست سنين ومات. وكان عدة جيش الإسكندر ثلاثمائة ألف / وعشرين ألفا من المقاتلة سوى الأتباع.

١٩/الف

(١) العنوان وارد بهامش المخطوط.

(٢) أغلب الظن أن المقصود هنا منطقة أفغانستان حيث المعروف أن الإسكندر وصل مكان كابل عاصمتها.

(٣) لم يرد ذلك فيما سلف من نص المخطوط المعروف.

(٤) انظر في « قصة الإسكندر والخضر » عند العرب عن السريان واليهود

دائرة المعارف الإسلامية (طبعة أولى) جزء ٢ ص ٨٦١ - ٨٦٥.

(٥-٥) في الأصل: سبعة عشر.

و كان الإسكندر^١ أشقر أزرق لطيف القامة . و كانت عيناه مختلفتين
إحداهما شديدة الزرقية و الأخرى سوداء و إحداهما تنظر إلى فوق
و الأخرى إلى أسفل . و كانت أسنانه دقاقا حادة . و كان وجهه كوجه
الأسد . و كان شجاعا جريئا على الحروب منذ صباه . و مات وله ست
و ثلاثون سنة . و كان لا يشبه أباه و لا أمه بل خلقته كانت عجيبة ، ٥
و نظر المنجمون في نهاية انقضاء ملك الإسكندر أن علامة ذلك أنه يموت
على أرض من حديد تحت سماء من ذهب . فبينما هو ذات يوم إذ رعى
رعافا كثيرا ، فأجده الضعف حتى مال عن فرسه ، فنزل بعض قواده ،
فزرع درعه الحديد و فرشه له و ظلل على رأسه بترس مذهب - فلما
رأى ذلك الإسكندر قال : هذا أول منيتي و ما كانت المنجمون تذكره ، ١٠
فوصى إذا هو مات أن تكفن جسده و تجعل في تابوت من ذهب حفظا
و إعظاما لها عند الدفن . فلما مات أخرج محمولا على مناكب العظماء
و الأشراف و الملوك حتى وضع وسط مملكته بين الملوك و الحكماء
و الأمراء و الوزراء . ثم قام زعيم القوم فقال : هذا يوم عظمت فيه
العبر ، فمن كان با كيا فليك على ملك جليل ، و من كان متعجبا فليتعجب . ١٥
ثم قال : يا معشر الحكماء ! ليقل كل واحد منكم قولا يكون للخاصة معزيا
و للعامة واعظا . فقام^٢ أحدهم و قال : أيها المنطيق ! ما أخرجك ! أيها
العزير ما أذلك ! إذ وقعت في هذا الموضع شبه الصل في الشوك . و قام

(١) في هامش المخطوط : مطلب ! - صفة صورة الإسكندر و شكله .

(٢) في هامشه : أقوال الحكماء عند قبر الإسكندر .

آخر وقال : كان الإسكندر يخزن الذهب ، فصار الذهب يخزنه . وقال
 آخر : كان الإسكندر يخافه من لا ينظر إليه ، فقد صار لا يخافه من ينظر
 إليه . و تكلم كل واحد من الحكماء / الحاضرين كلاما يعزى به ، ثم حمل
 تابوته إلى الإسكندرية ، فلما قرب منها أمرت أمه روقيا أهل المدينة أن
 يتلقوه بأحسن ملثقى ، ففعلوا ذلك ، فلما أدخلوا التابوت الذهب إليها
 قالت : إن هذا عجب لمن بلغت الأقطار حكمته وملكه وحكمه وهيبته ،
 وطاف أقطار الأرض كيف هو اليوم نائم لا يستيقظ ، وساكت
 لا يتكلم ، وناحت عليه ، وأمرت بدفنه في تابوت من حجارة ، وقالت :
 إن من يأتي بعدنا لا يتركونه في هذا التابوت الذهب ، بل يخرجونه منه
 ١٠ و يأخذونه . فدفن - رحمه الله - وبنى على قبره بالصخور ، و صار ينتظر
 الرحمة من الرب الغفور . وكتب على قبره « هذا قبر الإسكندر الذي بلغ
 مشارق الأرض و مغاربها ، و أطاعه أهلها ، فصار دفينا بطنها ، بعد أن
 ارتجت لمساكره ظهرها ، فسبحان الحى الذى لا يموت . »

قال بعضهم :

١٥ أرى أهل القصور إذا أميتوا بنوا فوق المقابر بالصخور
 أبوا إلا مباحاة و فخرا على الفقراء حتى فى القبور
 لعمر ك لو كشفت التراب عنهم فما تدرى الغنى من الفقير
 ولا الجلد المباشر ثوب صوف من الجلد المباشر للحرير
 إذا أكل الثرى هذا وهذا فما فضل الغنى على الفقير
 جنازته

ولما انطلق الإسكندر يسير في البلاد، مر بشيخ يقلب جماجم الموتى، قال: فوقف عليه فقال له: أخبرني أيها الشيخ! لأي شيء تفعل ذلك؟ قال: لأعرف الشريف من الوضيع، والصالح من الطالح، والمؤمن من الكافر، فما عرفتهم وإني لأقلبهم منذ أربعين سنة.

قال بعضهم:

كأنك قد رحلت عن المباني ووارتك الجنادل والصعيد

وناداك الحبيب فلم تجبه وقربك منه في الدنيا بعيد

وأصبح مالك المجموع نهبا وعطل منه ذا القصر المشيد

وعاد بنوك أيتاما صغارا وعانق بعدك العرس الجديد

/ وأقرب منك أنك لست تدري شقيا أنت وحدك أم سعيد

١٠ ٢٠/الف

عن كعب الأحبار أنه قال: بينا الإسكندر يسير هو وجنوده إذ

مر على شيخ يصلي، فوقف عليه بجنوده حتى انصرف من صلاته،

ثم قال له الإسكندر: أخبرني يا عبد الله! لم يروءك ما حضر من جنودي

وعساكري؟ قال: كنت أناجي من هو أكثر منك جنودا، وأعز سلطانا

وأشد قوة، ولو صرفت بوجهي إليك، لم أدرك حاجتي. قال له ١٥

الإسكندر: يا عبد الله! هل لك أن تنطلق معي حتى أواسيك بنفسى،

و أستعين بك على بعض أموري؟ قال له: نعم، على شرط إن ضمننت لي

أربع خصال، قال: وما هي - يرحمك الله؟ قال: نعيم لا يزول، وصحة لا اسقم

فيها، وشباب لا كبر فيه، و حياة لا موت فيها. فقال له الإسكندر:

و أى مخلوق يقدر على هذه الخصال؟ قال الشيخ: فان معى من يقدر عليها و يملكها. قال: ثم ودعه و انصرف.

شعر

ألا فاسعفانى قبل أغبر مظلم بعيد من الخلان من هو نازله
 ٥ رأيت الفتى إن مات يقسم ماله و تنكح أزواج له و حلائله
 فدعنى أمتع فى الحياة شيبتى و آكل مالى قبل من هو آكله
 كان بعض الصالحين لا يرى الادخار، بل كان قوته كفافا يوما بيوم،
 و يقول: فضيحة على بين الصوفية أن أترك من الدنيا شيئا بعد موئى .
 وكذلك قال الشيخ عبد الرزاق الصوفى شيخ رباط عنتاب^١، و ذلك أنه
 ١٠ قبل وفاته بساعة و له نحو مائة سنة و لم يترك كفنا، فقالت له امرأته:
 إنك ستفتضح اليوم لا يوجد لك كفن. فقال لها: لو تركت كفنا لا فتضحت
 بين الصوفية، أما سمعت ما قيل: غم الأحياء خمسة أشياء: أولها غم الذنوب
 الماضية لأنه قد أذنب ذنوبا و لم يتبين له العفو، و الثانية / أنه قد عمل الحسنات
 و لم يتبين له القبول، و الثالثة أنه قد علم حياته فيما مضى كيف مضى
 ١٥ و لا يدرى كيف يكون فى الباقى. و الرابعة أنه قد علم أن لله دارين
 الجنة و النار و لا يدرى [إلى] أى دار يصير منها، و الخامسة

ب/٢٠

(١) عنتاب أو عين تاب، قال ياقوت «قلعة حصينة و رستاق بين حلب و أنطاكية
 و كانت تعرف بدلوك (معجم البلدان - طبعة و ستنفلد - ج ٣ ص ٧٥٩) .
 (٢) واردة بالتصحيح فى الهامش .

لا يدري أن الله تعالى عنه راض أم ساخط ؛ فمن كان غمه في هذه الخمسة في حياته فإنها تمنعه عن الضحك و طلب الدنيا ، و من لم يكن غمه في هذه الخمسة فإنه يستقبله بعد موته خمسة من الغموم : أولها حسرة ما خلف من التركة التي قد جمعها من الحلال و الحرام و تركها للورثة الأعداء ، الثاني ندامة تسويق الأعمال الصالحة فيرى في كتابه عملا قليلا فيستأذن للرجوع ٥ ليعمل فلا يؤذن له ، و الثالث ندامة الذنوب فيرى في كتابه ذنوبا كثيرة فيستأذن للرجوع ليتوب فلا يؤذن له ، و الرابع يرى لنفسه خصوما كثيرة و لا يتهاى له أن يرضيهم إلا بأعماله ، و الخامس وجد الله عليه غضبان و لا يمكنه أن يرضيه .

و روى أبو ذر الغفاري عن رسول الله صلى الله عليه و سلم أنه ١٠ قال : لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا و لبكيتم كثيرا ، و لو تعلمون ما أعلم لخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى ربكم و تبكون - يعني تتضرعون إلى ربكم - و لو تعلمون ما أعلم ما نشطتم إلى نساءكم و لا تقلبتم على فرشكم ، و لو ددت أن الله خلقني يوم خلقني شجرة تعضد .

وقال النبي صلى الله عليه و سلم : من مات فقيرا من فقراء الله عز و جل ، ١٥ و لم يترك دينارا و لا درهما ، لم يكن في القيامة عبد أغنى منه و لا أشرف ، و من مات و ليس له كفن ، قال الله عز و جل : يا ملائكتي ! كفنوه من ثياب الفردوس ، و صلى عليه جبريل مع سبعين ألف ملك ، و من مات فقيرا راضيا بفقره بعث الله إليه بعدد كل خلق من ولد آدم ملكا يشيعون

جنازته / ولا أحد أكرم على الله عز وجل منه . فلما سمعت امرأة الشيخ عبد الرزاق منه ما ذكره وما خاطبها به سكتت ، و توفى زوجها بعد كلامه ذلك - انتهى .

قصة سكندس مع والدته^١

٥ نعود - و كان الإسكندر بأرا بوالدته لعله بأن برها واجب عليه ، فمات وهي راضية عنه بخلاف والده سكندس الفيلسوف ، فانها ماتت ساخطة عليه ، لحيلته عليها و مكره بها . و ذلك أن بعض الأوائل كان له ولد يسمى سكندس^٢ ، و كان يحبه جدا شديدا . و لما نشأ الغلام أسلمه لمعلم مكتب الحكمة ، فلما بلغ اثني عشرة سنة من عمره أرسله أبوه إلى مدينة اتناس^٣ ، فبذل الصبي مجهوده و حرصه في تعليم الحكمة من الحكماء الفلاسفة ، و دفع نفسه إلى تعب عظيم حتى أنه فاق أهل زمانه بمعرفة الحكمة و الفلسفة ، فأقام بتلك المدينة عشرين سنة يقرأ و يعلم . فبينما هو يطالع في كتب الحكمة و أخبار الفلاسفة ، إذ رأى فيها أن النساء جميعهن ليس فيهن حرة ، بل زواني يشتهن^٤ الرجال ، ما خلا من^٥ تقيم نفسها عابدة لله . فقال في نفسه : ترى والدتي هي أيضا زانية^٦ لأنني أعلم أنها من حرار النساء .

(١) العنوان وارد بهامش المخطوط .

(٢) في الأصل : سكندروس . وورد « سكندس » بثلث و بعد ثذ - انظر

حاشية سابقة .

(٣) أغلب الظن أن المقصود مدينة « اثينا » وقد سبق ورودها « اتيه » و صححناها .

(٤) في الأصل : قابذل .

(٥) في الأصل : يشتهون - كذا .

(٦) في الأصل : بمن .

وقد أطلق هذا الفيلسوف في كتابه القول على جميعهن، ثم قرأ أيضا في تلك الأخبار الفلسفية، فوجد أن الحق يحتاج إلى امتحان و تجربة قبل التصديق . فقال سكندس : لا بد لي إن عشت و وصلت إلى بلدي التي نشأت فيها أن أجرب والدتي و أمتحنها لأعرف صحة ما قالته الفلاسفة ، وإن لي غائبا عنها مدة عشرين سنة ، و كنت قبل مفارقتي لها بغير حلية ٥
والآن فقد التحيت و أخذت حد الرجال ، فهي لا تعرفني إذا سألتها عن هذا الأمر ، فان ظهر الحق لي تيقنت أن الفلاسفة و الحكماء غير مغلوبين في إقامة الحق ، و اذا لم أجد لذلك صحة فأنا أرذل جميع الحكماء . و كان بلغه موت أبيه ، فعزم على السفر إلى مدينته ، فوقف / عند ورود الماء يتميز كل الذين يستسقون ، فجاءت جارية تملأ الماء ، فعرفها و هي لم تعرفه لتغير حليته عليها ١٠
في تلك المدة الطويلة ، فدعاها فاقتربت فقال لها : سيدك اليوم في هذه المدينة ؟ فقالت : بل قد مات . فقال لها : فولده هنا ؟ قالت : لا بل هو غائب عنا منذ عشرين سنة لم نره فيها . فقال لها : فزوجة سيدك عازبة أم متزوجة ؟ قالت : بل عازبة . فقال : إني تاجر غريب عزم على السفر ، و قد احتجت إلى مواقة النساء لقوة ما حصل عندي من الشبق و الشهوة الغالبة ١٥
لطول العزبة في السفر ، و هذه الدنانير تدفعينها لها و هذا الدينار أيضا لك لسفارتك بيننا لتجمعى بيني و بينها لأزيل ضرورتى . فلما رأت الجارية الذهب ، حسن بياها الكلام معها في ذلك ، فتقدمت الجارية فأخذته منه ، و مضت لسيدتها و حدثتها الحديث و حسنته لها و قالت : هو رجل غريب على سفر لا يعرفنا و لا نعرفه ، و قد بذل لك هذه ٢٠

(١) في الأصل : ابذل .

ترتقى بها ، ولم تزل تحسن يبالها ذلك حتى رضيت . ثم إن الجارية
 عادت إليه و قالت له : إني رغبته فرغبت فتكون عندنا الليلة . فلما كان
 الليل أدخلته الجارية الدار ، فوجد والدته قد تزينت و تطيبت و تهيأت له ،
 فأكل معها و شرب ، و تقدم إليها ، فصار يقبل ثديها ثقيلًا كثيرًا لا غير
 ذلك ، فسألته عن سبب فعله ذلك ، إذ ليس معهودًا من الرجال إذا
 اختلوا بالنساء ، بل المعهود منهم طلب التقييل في الفم و الوجه و المواقعة
 و التمتع . فقال لها : أما تعرفيني ؟ قالت : لا و الله ! قال : أنا ولدك
 سكندس ، / و أنا لا أفعل شيئًا غير تقييل هذين الثدين اللذين أَرْضَعَانِي .
 فلما سمعت قوله ذلك خفق قلبها ، و طار عقلها ، و استحال لونها ،
 ١٠ و نشف ريقها في فمها ، و قامت توأرت عنه في بيت آخر ، و ربطت
 حبلًا في خشبة في السقف ، و جعلت في طرفه خيَّة^١ ، و جعلتها في
 عنقها بعد أن صعدت على كرسى ، و دفعته برجليها فوق ، فاختنقت
 بالخيَّة ، و عاجلت ساعة و ماتت - هذا ما كان منها . و أما ما كان من
 ولدها فانه استبطأها ، فقام يطلبها ليزيل كملحتها ، فوجدها مشنوقة
 ١٥ قد فارقت الحياة ، فندم على فعله ذلك و قال معاتبًا لنفسه قائلاً : أيها
 اللسان الرديء ! إني أعاقبك بالسكوت حتى تموت . فأقام ساكتًا لم يتكلم
 بحرف واحد إلى أن مات .

(١) في لغة العامة بمصر يقصد بها عقدة .

' ذكر وقود النار في الليل على الأسوار

وقت الحصار^١

^٢ ذكر وقود النار في الليل على الأسوار وقت الحصار، ورمى على الفرنج الكفار، بالنفط الطيار، وكثرة الطعام للمحصورين من المسلمين وغير ذلك^٣.

إذا حاصرت الفرنج مدينة للمسلمين، فينبغي لأهلها في الليل أن يوقدوا^٤ على أعلى سورها فوانيس من الزجاج ذوات البرانس الزجاج ليضيء السور بالنور لينظروا بذلك النور ما يفعله أهل الشرور، فيحترزوا منهم. وقيل إن حصون الشام والعراق وخراسان يشعلون النيران في الأصطال^٥ النحاس، وتعلق بسلاسل تجاه العدو خارج السور^{١٠} كي ينظر من هو بأعلى السور من الرماة والحرس العدو ولا ينظر العدو إليهم، وذلك أحسن من فوانيس الزجاج التي توقد بين الشراريف في الرمل وسط قصارى^٥ الفخار القصيرة الحافات، / لأن العدو ينظر بها من هو بأعلى السور، فيرمى عليهم في ضوئها، إلا أن يكون السور

(١-١) هذا العنوان من الهامش.

(٢-٢) العبارة بتمامها في النص وهي مكررة في هامش المخطوط.

(٣) في الأصل: يقدوا.

(٤) جمع صطل أو سطل، وهو إناء من نحاس.

(٥) جمع قصرية وهي إناء من الخزف أو الفخار.

مستترا بالأخشاب المانعة للنشاب، و يكون الوقود فيها بحب القطن
و الزيت و خرق الكتان و القطن . ثم يعتدون^١ للعدو بكل حيلة
و مكيدة بالنار وغيرها^٢، و أن يفعل بالعدو كفعل الملك العابد أبي يوسف
المربني بعدوه، و ذلك أن الفنش^٣ صاحب مدينة إشبيلية بجزيرة
الأندلس خرج في جيوش النصرانية قاصدا قتاله، فأنت جواسيس الملك
العابد صاحب غرناطة، أخبرته بأن الفنش وصل بجيشه إلى مكان كذا
على أميال يسيرة . و ذلك بعد أن جهز الملك العابد جيوشه لملاقاته،
فلما كان أول الليل قال لقائد جيوشه : تأمر كل من في العسكر أن
يحملوا كل ما معهم من إبل حطبا، فنودي في العسكر بذلك، فلم يبق
١٠ حمل إلا و حمل حطبا، فكانت ألوف جمال موسوقة به . ثم أمر بالرحيل
فرحل العسكر تقدمه تلك الجمال، فلما صار بين عسكر المسلمين
[و بين العدو] نحو ميل، مثل أمر السلطان بأن تطلق في الأحطاب
التي على الجمال النيران، ففدح بالزند الشرار، و أطلق في الحطب،
و نغزت الجمال بأسنة الرماح، فسارت كالسيل المنحدر من الجبال، فلم تسر
١٥ نحو ساعة و هي تتقد إلا و خيل النصارى النازلين بمعسكرهم قطعت

(١) في الأصل : يعتدو .

(٢) في الأصل : غيره .

(٣) راجع فيما سبق ذكر حروب الفنش و المسلمين في الأندلس ج ٣

ص ١٧٧ - ٢٨٠ .

(٤) في الأصل : لكل .

مقاودها ، و هتجت في أصحابها النصارى تركلهم بأرجلها و تكدمهم بأسنانها
 طالبة نجاه أنفسها ، فما هجت خيلهم إلا و جمال النار داستهم دوسا تعثر
 فيهم ، فوقعت الجمال وسط عسكرهم بأحمالها عليهم من شدة النار التي
 أكلت ظهورهم ، فأكلت تلك النار الجمال و الكفار مع ما أكلت من
 أثاثهم و خيامهم ، و احترق / سرادق الفئس بكل ما فيه ، و طلب كل ٥
 من لم تصبه النار الفرار إلى القفار ، فمن قدر منهم على فرس غار
 ركبه و نجا بنفسه ، و من أدركه^١ المسلمون قتلوه ، فعند ذلك جمع^٢
 المسلمون الخيول الغائرة و الخيول النافرة ، و صار حريق النصارى مكتوبا^٣
 في السير السائرة .

و إذ قد ذكرت الزند و النار ، فسأذكر ما قيل فيها إن شاء الله ١٠
 تعالى . ذكروا أن النار إذا قدحت من الزند و الزندة يقال للأعلى
 الزند و للسفلى الزندة ، و يقال في الشجر النار ، قال الله تعالى : ” الذي
 جعل لكم من الشجر الأخضر نارا “ يعني الأخضر إذا يبس يورى منها
 النار ، فأم هذه النار و أبوها الزند و الزندة من شجرة واحدة . و لذلك
 قال ابن دريد في مقصورته التي مدح بها بني ميكال :

١٥

و منتج أم أبيه أمه لم يتخوف جسمه مس الضوى

(١) في الأصل : أدركته .

(٢) في الأصل : جمعت .

(٣) في الأصل : مكتوب .

(٤) قرآن كريم سورة ٣٦ آية ٨٠ . أ

يعنى الزند و الزندة و لذلك قال: أم أيه أمه . و كما قال كعب بن زهير
في قصيدته التي مدح بها النبي صلى الله عليه وسلم:

حرف أخوها أبوها من مهجنة . وعمها خالها قوداء شميل

هذا جمل قرع ناقة فولدت سقبا أي ذكرا، فلما بلغ قرع هذه الناقه
ه فولدت بكرة هو أبوها و هو أخوها من الفحل الكبير خالها لايها لأنه
أخ لام و أب، و الحرف من النوق تكون هزيلة و سمينة، و قيل:
سميت حرفا لأنها انحرفت من السمن إلى الهزال، و هذا حسن فاعرفه -
انتهى .

أذكر ما قيل في أربعة خرجوا لأربعة أشياء

فوجدوا أربعة أشياء^١

١٠

فلنذكر الآن ما قيل في أربعة خرجوا لأربعة أشياء فوجدوا أربعة
أشياء: يوسف عليه السلام خرج مع إخوته للتنزه فوجد العبودية .
و بلقيس خرجت تنظر ملك سليمان عليه السلام فوجدت معرفة الرحمن،
و طالوت خرج يطلب الحمار فوجد النصر على الكفار، و موسى عليه
ب/٢٣ ١٥ السلام / خرج ليقبس النار فوجد كلام الملك الجبار، خرج للاصطلاء
فوجد الاصطفاء، و كان معه تلك الليلة زوجته بنت نبي الله شعيب
و هو سائر بها من مدين إلى مصر، فانسدت الظلمة و أصاب زوجته

(١) في الأصل: كذلك .

(٢-٢) هذا العنوان مذكور بالهامش مع وروده بالنص .

الطلق و اشتد البرد و طلبت منه النار ، فضرب زناده بلهب فواده فشح
 الزند بناره ليظهر أثر فقر موسى و اضطراره ، فصار ينظر^١ به و قد اشتدت
 عليه الأمور ، فلاح له الإشراق من الطور ، و هو يرى اقتباسها
 غاية المنى ، فما وصل إلا و قد أدركه العنا ، فنودي : يا من قُصد به
 أمرنا^٢ لنا ، إني أنا الله لا إله إلا أنا . فعند ما سمع كلام ربه كثر
 خفقان قلبه ، و لما بدت منه الغيبة ، شغل بذكر العصا من الهيبة ،
 ”وما تلك يمينك“ ، و لم يقل بيدك . قيل كان في يسار موسى خاتم ،
 فلو قال : و ما تلك بيدك ، لأشكلك عليه الجواب . قال وهب بن
 منبه : لما عمد موسى عليه السلام نحو النار التي رأى و انطلق يؤمها ،
 فلما وصل إليها رأى نارا عظيمة تخرج من جذع شجرة خضراء شديدة
 الخضرة يقال لها العُلق لا تزداد النار إلا اضطراما و لا تزداد الشجرة
 مع كثرة الحريق إلا خضرة و تنعما ، فلما رأى ذلك من أمرها تعجب
 و لم يدر ما يضع عليه أمرها ، إلا أنه غلب عليه أن ما يمنعها من
 الاحتراق إلا شدة خضرتها و كثرة مائها ، فوقف يرجو أن يسقط منها
 شيء^٣ يأخذه و يرجع إلى أهله ، فلم يسقط منها شيء ، فلما طال ذلك
 عليه أخذ ضغثا من الحطب الرقيق و أهوى ليقتبس منها ، فالت عليه
 فهرب حتى أبعث ثم عاد إليها ، فالت عليه كأنها تريده ، فما زال يفعل

(١) في الهامش : لعله يتطير به .

(٢) بمعنى : يا من سيره أمرنا نحونا .

(٣) في الأصل : شيئا .

ذلك إلى أن خمدت و استترت في الشجرة حتى كأنها لم تكن قبل ذلك ، فزاد تعجبا و صار يطوف بالشجرة يمينا و شمالا ، و قال : إن لهذا لسانا^١ ، و وضع / أمرها على مأمورة و مصنوعة^٢ إلا أنه لا يدري بما^٣ أمرت و لا من أمرها ، فوقف متحيرا لا يدري أيرجع أم يقيم . ثم نظر فرعها و إذا بها خضرة ساطعة في دياجى الظلم ، ثم لم تزل الخضرة تستنير و تبيض حتى عادت نورا ساطعا ما بين السماء و الأرض ، لها شعاع كشعاع الشمس تكل دونها الأبصار ، كلما نظر إليها تكاد تخطف بصره . فغطى عينه بثوبه و لصق بالأرض ، فاشتد رعبه ، و طار قلبه ، و سمع دويا لم يسمع السامعون مثله ، فلما اشتد عليه الأمر ، و كاد عقله أن يخالط نودى : يا موسى ! فأسرع الإجابة استثناسا بالكلام ، فجعل يقول : لبيك لبيك ! قد سمعت كلامك فأين أنت ؟ قال : أنا فوقك و عن يمينك و عن شمالك و خلفك و أمامك و أقرب إليك من حبل الوريد ، يا موسى ! إنى أنا الله رب العالمين . و قيل : إن إبليس عرض له عند انصرافه و قال : يا موسى ! هذا الذى كلمك هو ربك أم غيره ؟ قال : هو ربى لا إله إلا هو . قال : و من أين تدري ذلك ؟ قال : إن كلام البشر يسمع من جهة واحدة ، و هذا أسمعه عن اليمين و الشمال

٢٤ / الف

(١) في الأصل : لسان .

(٢) بمعنى أنه جعل سبب اشتغالها محصورا في أحد شيئين : إما الأمر و إما الصنعة .

(٣) في الأصل : ما .

و الإمام و الخلف ، و إن كلام البشر ليسمع بصوت له حرف ، و هذا لا ينقطع و لا حرف له ، و إن كلام الخلق لا يوجد له دهشة و لا طرب ، و هذا أدهشني و أطربني .

شعر :

الخيام الخيام وسط الوهاد لاحت النار في ذرى الأطواد ٥
 هذه الدار فالتمس يا خليلي منزلا^١ بين نخيل ذاك الوادي
 و تجسس من ساكني بيت ليلي هل أقاموا على صحيح الوداد
 عند ما أسفرت تبدي ضياء دونه الشمس إذ تلوح بنادي
 و دعيتني لها فصارت عظامي مسمعا^٢ مصغيا يجيب المنادي
 عجب العاذلون من فرط شوقي لحبيب قراره في فؤادي ١٠
 / و أنا كالغريق في لج بحر يكثر الشرب و هو ظمان صادي
 يا أهيل^٣ الحمي^٤ ملكتم فؤادي و سلبتم تصبيري و رقادي
 و تركتم صابتي و ولوعي و نحبي و عبرتي و سهادي
 كل ما تفعلونه فهو سؤلي لا أبالي إذا يكون مرادي
 و سيأتي فيما يرد من هذا الكتاب خبر مسير موسى إلى فرعون ١٥
 هو و هارون أخوه و ما جرى لهما معه إن شاء الله تعالى .

(١) كلمة « منزلا » بالأصل في الشطر الأول نقلناها للثاني بحكم وزن البيت .

(٢) الكلمة بالنص مذكورة في الشطر الأول و نقلناها للثاني لاستقامة الوزن .

(٣) في الأصل : يا أهل . و لا يستقيم الوزن بها .

(٤) في الأصل : الحمي .

ذكر الطعام الذي لا بد للمحصورين منه^١

فانرجع إلى ذكر الطعام الذي لا بد للمحصورين منه في المدن المسورة والحصون المعمرة، ليجد أهلها القوة على قتال العدو كما كانت ملوك مصر تفعله . وذلك أنهم كانوا يخزنون الطعام بقلاعتين من قلاع سور الإسكندرية بموضع منها يقال له الهدف، فيكون بهما ألوف أرباب من القمح في كل سنة بسبب^٢ حصارين وقع^٣ من الإفرنج الواردين إليها في البحر المالح، فاذا انقضت السنة ولم يأت إليها عدو منهم بيعت^٤ و عوض غيرها قمحا جديدا خشية السوس الواقع بها إن تركت سنة على سنة مخزونة، وهما الآن في سنة خمس و سبعين و سبعمائة^٥ يعرفان^٥ بقلاع

١٠ القمح، قد انقطع منها الخزين من قبل ذلك بسنين، وكان يكون في إجرائها على عاداتهما المتقدمة مصلحة كثيرة لملء بطون المجاهدين، الذابين عن حوزة الدين، لأن [المقاتلة] إذا جاءت تخلت عن القتال، فيقوى العدو بسبب جوعهم، فاذا امتلأت بطونهم بالخبز الخمر، واللحم الكثير، والماء النмир، قويت أبدانهم، و نشطت هممهم، و قاتلوا عدوهم . فان قوى

(١-١) العنوان مذکور بهامش المخطوط .

(٢-٢) في الأصل : حصاران وقع .

(٣) في الأصل : ابيعت .

(٤) تبدأ هذه السنة الهجرية في ٢٣ يونيو سنة ١٣٧٣ .

(٥) في الأصل : يعرفان .

الحصار و دام و جاع^١ أهل المدينة لعدم الخزين و قلة الواصل إليهم إذا احتيط بهم من جهة البر و البحر ، تحيلوا بالحيلة لينصرف عنهم العدو كما تحيل أمير مدينة بحيلة ، كانت تلك الحيلة سبب انصراف العدو و رحيله / و ذلك أن الفرنج حاصرت مدينة بالمغرب و طال الحصار بها ، إلى أن جاع^٢ أهلها ، و ضجرت الفرنج من طول إقامتهم عليها ، و قطعهم الميرة عنها ، ليملكوها بجموع أهلها حين عجزوا عنها لخصائتها . فقال أمير المدينة : انظروا هل بقي عندكم و لو خروف واحد ، ففتشوا المدينة فوجدوا خروفا هزيلا و شاة هزيلة . فقال : انظروا مقدار قدحين من الدقيق ، فجمعوهما ، ثم قال لهم : هل تجدون^٣ لنا ؟ فجمعوا له من أجزار النساء لنا^٤ ، فجعل الأمير في ذلك اللبن الإنفحة ، و صنع منه قرص جبن . ثم ١٠ عجن الدقيق و خبز ، و ذبح الخروف و الشاة ، و وضع كل ذلك في غرارة و ربط فاهها ، و ألقيت على العدو بكفة المنجنيق ، فلما وقعت بمعسكرهم فتحوها فرأوا ما فيها [و] تعجبوا^٥ من ذلك و قالوا : لنا مدة طويلة نحاصرهم و إلى الآن عندهم الضأن و المعز و الخبز الحار و الجبن الطرى ، و إلى متى نقسم ، انصرفوا إلى أوطانكم فانا ظننا أن نملك مدينتهم ١٥

(١) في الأصل : جاءت .

(٢) في الأصل : تجدوا .

(٣-٣) الجملة ساقطة من الأصل : و واردة بالهامش و فيه : ابراز .

(٤) في الأصل : فيها .

(٥) في الأصل : تعجبوا - بدون واو العطف و هي لازمة .

بجوعهم 'وإذ هم' شباع' . فضرفوا نفيهم و انصرفوا راحلين خاسرين .
 فعند ذلك أتتهم أهل البلاد بالميرة . و أرسل لهم رب العباد خيره . فانظر
 إلى الحيل ، كيف ينفع معها العمل ، كما قيل في المثل : رب حيلة أنفع
 من قبيلة - انتهى .

صفة خزن القمح

نعود إلى ذكر صفة خزن القمح ، و كيفية ما يخزن في الحصون هو
 و غيره من غير سوس و لا تغير . قيل ينبغي أن يكون القمح المخزون بالحصون
 أسمر اللون صلب الجسم قد أحكم جفافه في سنبله ، و يكون مواضع خزنه
 ناشفة أرضها و حيطانها ، ليس بها نداوة ، و يجب أن يكون طبقاتها و أبوابها
 ١٠ للضوء إلى جهة المشرق ، لأنه مهب ريح الصبا ، و هي أقل الأرياح رطوبة
 و عفنا . و كذلك يفعل في الشعير . و إن خلط في كل مائة إردب من القمح
 أو الشعير إردب من الرماد الأبيض ، فإنه يحفظه من السوس و غيره .
 و في كتب الخواص : / انه متى دفن في القمح عظم ساق ميت حفظ من
 التغير ، و متى خلط في المعجين المرتك بالزرنينخ و أكل الفأر منه هلك ،
 ١٥ و متى نخل الدقيق و خلط معه من الملح المسحوق بقدر حاجته و خزن

٢٥/ب

(١-١) في الأصل : وادابهم .

(٢) في الأصل : شباعا .

(٣-٣) العنوان مذكور بالهامش .

(٤) في الأصل : اردبا .

في خوابي جدد لم يقربها الماء قط يبقى مدة أشهر، و كذلك إذا خزن في الأجرية فانه يبقى مدة لا يتغير، و قد يضره الملح في البلاد القريبة من البحر .

و خزن يوسف عليه السلام في السنين المخصبة القمح في السنبلة فلم يتغير، و انتفعت أهل مصر و غيرهم به في السنين المقحطة . و كانت مدة الخصب سبع سنين و مدة الجذب سبع سنين .

'ادخار اللحم'

و أما اللحم إذا احتيج إلى ادخاره لأجل الأسفار أو الحصار و ما شاكل ذلك، فيجب أن يشرح و ينقى من العروق و العظام، و يجعل عليه ملح قليل، ثم يعبى على بلاطة و يوضع عليه لوح و يثقل بأحجار و يترك ١٠ ست ساعات، ثم يقطع و يغلى في القدر على النار بالشحم المسلى الذى قد نزع سلاه و الزيت و الشيرج حتى ينضج . ثم يرفع فى أوانى مدهونة من غير أن يكون طرح فى الشحم الذى يقلى به ملح، و لا أضرار سوى القرقة فقط، و يحكم تغطيته بعد جمده و برودته لئلا يزنخ إذا غطى سخنا، فان ذلك اللحم يقيم مدة طويلة، و لا يكون الزيت الذى يقلى به اللحم ١٥ الا زيتا حلوا جريبا، فان زيت مدينة جربة بأرض المغرب أحسن زيت يكون، و متى عمل فى اللحم الزيت الإفرنجى الحار أتلفه الشيرج الطرى .

(١ - ١) العنوان كسابقه مذكور بالهامش .

ادخار الحطب و التبن

و أما الحطب و التبن وقت القرط لا غنى للحاصرین عنهما ، فهما مما
يجب الاعتناء بهما و تحصيلهما ؛ سيما إذا كانت الحاشية كثيرة و الخيول
كثيرة ، فان ذلك من الأمور التي يصرف الاهتمام إليها ؛ و لا يغفل
عنها . و قيل إن بعض الحصون حوصر فامتنع لكثرة الأقوات به ،
فعدموا الحطب فأوقدوا سقوف بيوتهم و أبوابهم ، فلما نفذت سلموا
الحصن للاعداء و ألقوا بأيديهم لعدم الحطب . و قيل مكتوب على باب
مدينة قرطاجنة بأرض المغرب « الحطب القمح الحطب ، فجعل الحطب
آكد / من غيره ، فلذلك كرر ذكره مرتين .

٢٦/ الف

١٠ و قد شبه جسد الإنسان بالقصر المشيد و قلبه بالملك ، و أعضاؤه
رعيته ، و خواطره جواسيس ، و حركاته أجناده ، و صدره مدينته ، و قدمه
مطيته ، و يده حارسان يردان ما يرد على القصر من الأذى ، و أذناه رائدان ،
و عيناه طلائع ، و فمه ترجمان ، و لسانه سامر ، و شهواته إفرنج تدور
بالمدينة و تروم ملك السور ، فاذا كان السامر و هو اللسان ذا كرا لله تعالى
١٥ حرس السور ، و حفظت المدينة ، و عاشت الرعية ، و بقي الملك ،

(١ - ١) العنوان مأخوذ من هامش المخطوط .

(٢) في الأصل : فهي .

(٣) في الأصل : بها .

(٤) في الأصل : تحصيلها .

(٥) في الهامش : مطاب .

و خفر الأجناد ، و سافرت الجواسيس ، و جاءت الأخبار ، و أخبر الترجمان ،
و أبدى الحارس ، و صحت المطية ، و بعدت^١ الفرنج عن المدينة . و إذا غفل
الترجمان ، و سكت اللسان عن ذكر الله أدركته الغفلة ، و أصابه النوم ،
فتمكنت فرنج الشهوة من السور ، و هلك الملك ، و تفرقت الأجناد ،
و ضاعت الرعية . قال الشاعر :

لسانك سامر و الجسم سور و روم هواك ويك به تدور
فان ضيعته و غفلت عنه فانك دون ما شك أسير^٢
و إن بالذكر كنت له حريسا تأمنت الرعية و الأمير
إذا علل الذنوب بنا أحاطت فذكر الله درياق كبير

و اعلم أن ذكر الله تعالى يقي من الأهوال ، و هو مبارك في كل
حال . ألا ترى أن يعقوب عليه السلام حين وجه يوسف مع إخوته
لم يزد على أن قال^٣ : ” انى ليحزنى ان تذهبوا به و اخاف ان ياكله الذئب
و انتم عنه غافلون .“ فعوقب على ذلك بطول البين ، و البعد من قررة
العين ، و لما سأله أولاده توجيه أخيهم بنيامين إلى مصر ، سألهم الملك

(١) في الأصل : بعدت . بسقوط الواو و هي لازمة .

(٢ - ٢) الشطر الثاني من البيت في الأصل : فان دونه ما شك أسير . و هو
مكسور و لا يستقيم فيه المعنى و الوزن إلا بالتعديل اللفظي الذي أدخلناه عليه
في النص .

(٣) قرآن كريم سورة ١٢ آية ١٣ .

إتيانهم بأخي بنيامين ليصره ، ولم تعلم الإخوة أن ذلك الملك يوسف
لتبرقه دائما ببرقع لؤلؤ يراهم منه من حيث لا يرونه . قال يعقوب حين
أرسله معهم : الله خير حافظا و هو أرحم الراحمين . فلما قدم ذكر مولاه
أنعم عليه برجوع الاثني و هما يوسف و بنيامين ، فآله تعالى كريم و نعمه
٢٦ / ب ٥ سابغة / على العباد ، و يرزق من يشاء بغير حساب .

قال إبراهيم اليماني : خرجنا نسير على ساحل البحر مع إبراهيم بن
أدهم و نحن نذكر الله تعالى و نسبحه و نقدسه و نمجده و نوحده ، فاتتهينا
إلى غيضة فيها حطب كثير يابس ، و بالقرب من الغيضة حصن ، فقلنا
لإبراهيم بن أدهم : يا أبا إسحاق ! لو أقمنا هذه الليلة هاهنا ، و أوقدنا من
١٠ هذا الحطب ! فقال : افعلوا . قال : فطلبنا النار من الحصن فأوقدنا و كان
معنا خبز فأخرجنا نأكل . فقال أجدنا : ما أحسن هذا الجمر لو كان
عليه لحم نشويه ! فقال إبراهيم بن أدهم : إن الله قادر على أن يطعمكموه ،
قال : فبينما نحن كذلك إذ جاء أسد يطرد بعيرا ، فلما قرب البعير منا
وقع فاندقت عنقه . قال : فأمرهم إبراهيم بن أدهم بذبحه فقال : اذبحوه
١٥ فقد أطعمكم الله اللحم . قال : فذبحناه وشويناها و أكلنا من لحمه ، و الأسد
رابض ينظر إلينا .

ذكر ما جاء عند لقاء العدو و غير ذلك

روى أن النبي صلى الله عليه و سلم في بعض أيامه التي لقي فيها العدو
انتظر حتى مالت الشمس ، ثم قام في الناس فقال : لا تمنوا لقاء العدو

(١ - ١) هذا العنوان وارد بهامش المخطوط (٢) في الأصل : يطعمكموها .

واسألوا

و اسألوا الله العافية ، فاذا لقيتموهم فاصبروا ، إن الجنة تحت ظلال
السيوف . و قال : اللهم ! منزل الكتاب ، و مجرى السحاب ، و هازم
الأحزاب ! اهزمهم و انصرنا عليهم . قال أبو النصر : و بلغنا أنه دعا
في مثل ذلك : اللهم ! أنت ربنا و ربهم ، و هم عبيدك و نحن عبيدك ،
نواصينا بيدك ، فاهزمهم و انصرنا عليهم .

٥
و عن يحيى بن كثير قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم :
لا تمنوا لقاء العدو ، فمسي أن تبتلوا بهم . و لكن قولوا : اللهم اكفنا
و كف عنا بأسهم ، و إذا جاؤكم يعسفون و يرجفون و يصيحون ،
فعليناكم الأرض جلوسا ! ثم قولوا : اللهم ! أنت ربنا و ربهم ، و نواصينا
و نواصيهم بيدك ، و إذا غشواكم فثوروا في وجوههم .

١٠
و كان رسول الله صلى الله عليه و سلم إذا اشتدت حلقة البلاء قال :
تضيقي تنفجى ، اشتدى أزمه تنفجى ، ثم يرفسع يديه فيقول :
بسم الله الرحمن الرحيم ، لا حول و لا قوة / إلا بالله العلي العظيم ، اللهم !
اياك نعبد و اياك نستعين ، اللهم ! كف بأس الذين كفروا ،
إنك أشد بأسا و أشد تنكيلا . فما يخفض يديه المباركتين حتى ١٥
ينزل الله النصر .

و روى عن بعض الصحابة أنه كان يقول : يارب الأرباب !
و يا خالق الخلق ! انصر عبادك أهل طاعتك . أعنا على حزب الشيطان ،
و ثبت أقدامنا ، و اجعل دائرة السوء على عدوك ، و اشف صدورنا
يا أرحم الراحمين .

ولما سارت الروم مع الدمستق^١ لحصار مدينة آمد^٢، وعلها غلام
أبي الهيجاء بن حمدون، فكتب إلى أبي ثعلب يستصرخه، فبعث إليه
أبا القاسم هبة الله بن ناصر الدولة بن حمدان، فاجتمعا لقتاله، فاقتلوا
مع الروم قتالا شديدا، فعزمت الروم على الفرار فلم تقدر لضيق المكان
و لإثارة المسلمين في وجوههم، فقتلهم المسلمون، وأخذ الدمستق أسيرا،
فسجن فلم يزل مسجوناً إلى أن هلك.

ذكر نصرة المسلمين على صاحب قبرس اللعين بطرابلس الشام و بلد أياس^٣

وما قيل في ذلك من اختلاف الأقوال في أمر الرجس الخناس
١٠ ربير بطرس^٤ صاحب قبرس إلى غير ذلك من الواردات المستطردات.

(١) لقب قائد الجيوش البيزنطية، أي Domestic من Domns أي المقر الملكي،
والكلمة وردت في الأجزاء السابقة - انظر الفهارس.

(٢) ذكر ياقوت تفصيلاً في معجم البلدان ج ١ ص ٦٦ - ٦٨ وقال: إنها أعظم
مدن ديار بكر وأجلها قدراً وأشهرها ذكراً.

(٣-٣) ما بين الرقمن من العبارة بتمامها واردة بالهامش والنص على حد سواء
وأياس من مدن أرمينية واقعة على الشاطئ الغربي من خليج إسكندرونه،
وكان لها دور في الحروب الصليبية.

(٤) « ربير » تعريب Rey Pierre، والمقصود هنا بطرس الأول لوسنيان ملك
قبرس (١٣٥٩ - ١٣٦٩). ورد ذكره في الأجزاء السابقة - انظر الفهارس.

تقدم في هذا الكتاب ذكر ظفر صاحب قبرس الملعون بالإسكندرية، وابتهاجه بما غنم وأسر منها، وذلك في العشر الأخير من محرم سنة سبع وستين وسبع مائة^٢، فأعقبه ابتهاجه وفرحه بما غنمه منها الحزن الشديد، والنكد المديد، الذي ليس عليه مزيد، وذلك بكسرتة بطرابلس الشام وبلد أياس، فانه رجع إلى جزيرته من غزوته بالخبية والإياس. وسأذكر ما قيل فيهما من الأقوال المختلفة، والكلمات المؤتلفة إن شاء الله تعالى، وذلك أن القبرسي لعنه الله وغضب عليه وجعل دائرة السوء محيطة به وواصله إليه لما عوق رسل السلطان الملك الأشرف شعبان^٣ عنده كما تقدم ذكره، وهم ناصر الدين محمد بن قراجا الشريفي / رفيقه سيف الدين الجوباني^٤ وحاشيتهما، فورد الخبر إلى^٦ ١٠ / ٢٧ ب الإسكندرية في أوائل سنة ثمان وستين وسبع مائة^٥ بأن القبرسي جمع الجنود، وحشد الحشود، من كلاب النصرانية، وأوباش الرومانية، وقصد طرابلس الشام. وكان قبل ذلك يورى بالإسكندرية، فأرسل الله

(١) انظر فيما سبق الجزءين الأول والثاني من هذا الكتاب بمراجعة الفهارس.

(٢) في الأصل: المحرم.

(٣) أي أوائل اكتوبر سنة ١٣٦٥ م.

(٤) الأشرف ناصر الدين شعبان من سلاطين المماليك البحرية و حكمه ٧٦٤ -

٥٧٧٨ / ١٣٦٣ - ١٣٧٦ م.

(٥) في الأصل: الجوبان.

(٦) في الأصل: ان.

(٧) أي في سبتمبر سنة ١٣٦٦ م.

تعالى على أسطوله المخذول عند توجهه إليها الريح العاصف، الشديد القاصف،
الذى فرقه، و لبعضه شتته و مزقه و غرقه، فرجع بعض الأسطول إلى
جزيرة قبرس مخذولا^١، فأقيمت بالجزيرة الجنائز على من غرق من رجالهن
و يتم [من] أولادهن، و طلبوا هلاك ربير بطرس صاحب قبرس من الله
٥ تعالى بالدعاء عليه. و قالوا: ما كفاه قتل الرجال الذين استصحبهم معه إلى
الإسكندرية و سرية العلايا^٢، التى جعل لهم من المسلمين البلايا،
حتى تسبب فى غرق الباقين، و أرمل النسوان و أيتم الأطفال المساكين،
و ذلك بعد إفساده لحالنا، بأخذه لماننا. فلم يعبأ بكلامهم، و لا فكر^٣
فى غرق رجالهم، حتى تجهز ثانيا و قال: لا بد لى من غزو سواحل
١٠ الشام، و لو سقيت كأس الحمام. فاجتمع له أيضا من النصارى الأخدشية^٤،
أصحاب الخيول الأكديشية^٥، بعد أن أنفق^٦ فيهم النفقات الكثيرة،

(١) فى الأصل: مخذول.

(٢) فى الأصل: الذى.

(٣) يقال لها الآن «علايه» بتركيا على شاطئ البحر الأبيض المتوسط على
بعد ٧٥ ميلا من أنطاليا و هى عاصمة سنجق أضاليا بالأناضول.

(٤) فى الأصل: افكر.

(٥) المقصود هنا النصارى الذين هم من أصول مختلطة و أجناس متباينة و منعطة.

(٦) مشتقة من أكديش و الجمع أكاديش أى الخيول غير الأصيلة من دواب
حمل الأثقال فحسب دون العمل فى المواقع الحربية.

(٧) فى الأصل: نفق.

فدجز عن النفقة لكثرتهم فاستلف أموال الكنائس و الديارات ، و قال
 للقسيسين : سأردها من غنيمتى لأموال المسلمين . فلما أنفقاها فى بقية جيشه ،
 حى رأسه بطيشه ، و قصد مدينة طرابلس فى أوائل سنة تسع و ستين
 و سبعمائة فى مائة و خمسين قلاعا ، فيها من الطرائد و الشوائى تسعون^١ ،
 و البقية زوارق الصيادين ، لتتخلع برويتها قلوب المسلمين ، كما انخلعت
 قلوب أهل بلدة قوصرة^٢ / بالفزع و الجزع ، مز أسطول القصع .

٢٨/الف

ذكر خبر أسطول القصع مع أهل قوصرة؛

فان قيل كيف يكون أسطول^٣ من القصع ، هذا أبدا فى الجهاد
 ليس يقع ا قيل قد وقعت تلك الحيلة المصورة لأهل قوصرة ، فاستخبر
 عن ذلك فيما مضى . فقيل جرى ذلك و انقضى ، و صارت أهلها تتلظى ،
 لما جرى عليهم منه بيران الغضا ، فتشرقت الأسماع لتلك المجروية ،
 و قالوا : ما الذى اتفق بقصع حتى ابتلوا أهل قوصرة منها بيلية . فقيل صح

(١) فى الأصل : و تسعين .

(٢) قوصرة جزيرة بركانية صغيرة فى بحر الروم بين المهدية و جزيرة صقلية
 و وردت بالألف « قوصرا » فتحها المسلمون فى أيام معاوية (٤١ - ٦٠ هـ /
 ٦٦١ - ٦٨٠ م) و بقيت فى أيديهم إلى أيام عبد الملك بن مروان (٦٥ - ٨٦ هـ /
 ٦٨٥ / ٧٠٥ م) ثم خرجت من حكم المسلمين ، و اسمها الحديث Pantelleria و ردت
 كذلك فى امارى Amari, Bibliotheca Arabo-Sicula .

(٣) فى الأصل : اصطول .

(٤) و رد العنوان بهامش المخطوط .

(٥) فى الأصل : اسطولا .

ذلك الخبر، وكتب في كتب السير . فقالوا : أوردوا ذلك الخبر إلينا و قصوه علينا ، فذكروه لهم فأزعجهم و أقلقهم . و هو ما ذكر أن جماعة من كراسلة^١ الإفرنج الأغرأب ، لم يملكوا من الشوانى غير غراب . فقال عالج منهم : لو كبسنا بلد قوصرة^٢ ، صارت لنا أموال متيسرة ! فقال أصحابه : كيف يتجه لنا أن نعانء أهل بلد بفرأب واحد و نأخذ منه الأموال ، هذا والله عين المحال^١ و المحال هو الذى لا يقع أبدا ، ولا يتصور على طول المدى . فقال : سأبين لكم ما ذكرته لكم . قالوا : فقل ، لعله أن يبلغ ذلك و منه نأكل . فقال : إن معنا فى هذا الغراب مائة قصعة كبيرة ، و معنا أيضا الفوانيس الكثيرة ، ذوات البرانس الزجاج ، نملا^٣ كل ١٠ قصعة منها رملا و نضع عليه فانوسا موقدا^٤ ، و نجر تلك القصع فى الليل خلف الغراب بالحبال ، فنأخذ أموالها منها سريعا من غير حرب و لا قتال ، و ذلك أنهم إذا نظروا إلى مائة فانوس تتقد^٥ متفرقة ظنوا أن مائة غراب أتتهم و هم يعلمون . أن يحمل كل غراب مائتا نفر ، فيتركون^٦ بلدهم لعدم قدرتهم على قتالهم لمثل هذا الأسطول القادم

(١) أى لصوص البحار و هو كلمة محرفة من الفرنجيه (Corsair) .

(٢) فى الأصل : فقالت .

(٣) فى الأصل : موقودا .

(٤) فى الأصل : لقد - كذا .

(٥) فى الأصل : يعلموا .

(٦) فى الأصل : فيتركوا .

عليهم و الواصل إليهم، قبل إتيانهم النجدة من ورائهم، / فلا يقيمون^١ بالبلد، بل كل واحد منهم يترك داره، و يصعد خوفا على نفسه، و لا يلحق في تلك الساعة أن يخفى أثاثه، فما تضى ساعة إلا و قد ملأتم غرابكم من أموالهم و أثاثهم و عدتم راجعين غانمين .

قالوا: هذه حيلة هينة، و مكيدة بينة، إن صحت لكم استغنيتم، و للأبكار الحسان تزوجتم، و استرحتم من مقاساة الغربة، و قشف العزبة، و ملؤكم للقاء لتشربوه^٢ في الغراب بالقربة، فقالوا له: أحسنت يا دلنج^٣! يا من هو كلون الخلنج، في هذه الحيلة التي استخرجتها، و المكيدة التي استنبطتها!

ثم إنهم عمدوا إلى تلك القصع الكبار، ثقلوها بالرمل و الحجار، و وضعوا في كل قصعة فانوسا من الزجاج معمرا بالزيت و وقوده و غطوه ببرنسه^٤ الزجاج أيضا من الهواء، و أوثقوا حافات القصع بتسمير القنطاريات في حافاتهما، لتباعد كل قصعة عن أختها، و لا يحصل لها تصادم بل تصير كل قصعة عائمة بمفردها، ليظهر لأهل البلد أن

(١) في الأصل: يقيموا .

(٢) في الأصل: لتشربونه .

(٣) كذا في الأصل، و هي لفظ غريبة لم نعثر عليها في المعاجم المعروفة، و ربما كانت اصطلاحا محليا من ذلك العصر، و واضح أنها صفة تحقير .

(٤) في الأصل: بتريسة .

(٥) في الأصل: لا تحصل .

كل غراب سائر إليهم في ناحية الواحد خلف الآخر . ثم جذفوا
بغرابهم بعد أن ربطوا طرف جبل القصع بمؤخره . و قصدوا البلد
قبل نصف الليل ، و قد نام الناس ، فرأى الحرس مراكب^١ مشتعلة
بالفوانيس . فقالوا : قد أتت و الله الكفرة الفجرة ، يملكون بلد قوصرة .
٥ فبوق الحرس بالبوق ، فانتبه^٢ أهل البلد و قد انتفضت منهم المفاصل
و العروق ، فرأوا البحر بالنار قد اتقد ، و الأسطول إليهم قد قصد .
فنادى مناديتهم : أيها المسلمون ! الآن تخرجون قبل أن تؤسرون ، فأقل
ما في هذه المراكب عشرون ألف راكب بالرماح و القواضب . فأخذ
كل منهم حريمه و أولاده و سعد الجبل ، و دمه لضياح ماله على خده
٢٩ / الف ١٠ انهمل . هذا و أسطول / القصع قد وصل إلى الساحل ، فنزلوا من
الغراب ، أشعلوا مشاعلهم داخل البلد ، لئلا ينظر من هو بالجبل
لتملك القصع ، فنزلوا^٣ لهم بأسرونهم ، فحملوا من الدور ما أوسقوا
به الغراب في ساعة ، و دخلوا البحر راجعين^٤ . فعجب الذين بالجبل ،
و قالوا : كيف دخل هذا الأسطول الساحل و لم يملكوا البلد و رجعوا
١٥ سرعة عنه و لم يقيموا به^١ و من هو الذي كان يقاومهم و يناوشهم
القتال ، و الحرب و النزال^١ و تعجبوا من رجوع الأسطول بسرعة

(١) في الأصل : مراكبا .

(٢) في الأصل : فانتبهت .

(٣) في الأصل : فينزلون .

(٤) في الأصل : راجعون .

وقالوا: كيف دخل هذا البلد وخرج منه سريعا! ومتى أوسقوا هذه المراكب الكثيرة!

فلما بعد عنهم الأسطول، في ذلك الظلام المسدول، برؤيتهم الفوانيس الموقدة، رجعوا بلدهم فوجدوا بعض البيوت لم تنهب، فعجبوا من ذلك وقالوا: كيف تركوا بعض المتاع لم يأخذوه وقد عددنا بتلك الفوانيس الموقدة^١ مائة غراب! إن هذا هو العجب العجيب. وإذا بالخبر قد أتى إليهم بعد حين مع المسافرين أن الأسطول الذي أتاكم كان قصعا موقدة^٢ بالفوانيس، ولم يكن فيها إلا غراب واحد فيه الكفرة المناحيس. فقالوا: ما هذا إلا مكيدة خفية، وحيلة منكبة^٣، لو علمنا ذلك أسرناهم أجمع، وملكنا غرابهم و القصع، و عذبناهم أشد العذاب، و قتلناهم قتل الكلاب! فانظر يا هذا إلى مكاييد الإفرنج الكافرين، و احتيالهم على أذى المسلمين. قال بعضهم لغزاة في غراب: وما ميت في الأرض مدفون بعضه^٤ يدب دبيب الماء في الزرجون إذا ما مشى يمشى بعشرة أرجل و عشرة آذان و ست عيون / يعني بدفنه عروق الشجرة في الأرض التي اتخذ منها خشب الغراب، ١٥ ٢٩/ب و بالعشرة أرجل المجاذيف، و بالعشرة آذان عرى المجاذيف، و الست

(١) في الأصل: الموقودة.

(٢) في الأصل: موقودة.

(٣) في الأصل: متكيه.

(٤) في الأصل: اغز.

عيون هي الأكر الناتئة التي بجوئو الغراب التي بمقدمه - انتهى .

مطلب في فعل القبرسي

نعود إلى فعل القبرسي اللعين - وذلك أنه لما قصد غزو طرابلس الشام ، أتى إليهم من الجزيرة ، في مراكب كثيرة ، و غالبها قوارب الصيادين ، ليخيف برؤيتها المسلمين ، فأوهم بها أهل البلد فهربوا منه ، فدخل البلد ، و بها عربد . و قد^٢ اختلفت الأقوال في دخوله طرابلس ، و سأذكر تلك الأقوال التي نقلتها السنة الرجال إن شاء الله تعالى .
فمنهم من قال : لما أتى القبرسي اللعين إلى مينة طرابلس لقتال من بها من المسلمين ، نزلت فرسانه و رجاله من الأسطول إلى الساحل ، زحفوا إلى البلد ، دخلوه ، فصار أهل البلد يرمونهم بالحجار ، من أعلى الديار ، فرأوا في أنفسهم العبر من كثرة رمي الحجار ، و قاطع عليهم جيش المسلمين من جهة الساحل ، ما بين فارس و راجل ، فسمعت الفرنج بقطع المسلمين عليهم الطريق ، فنشفت في فم كل واحد منهم الريق ، و ضربهم المسلمون بالسيوف ، صاروا صرعى على الأنوف - هذا
١٥ ما بين الساحل و البلد ، و أما من كان منهم داخل البلد فقاتلوا من قاتلهم من المسلمين إلى أن قتلت النصارى أجمعين ، و لم يقتل من

(١) في الأصل : الناس . و بهامشه : لعله : الناتئة . و هو الأصح .

(٢-٢) العنوان و ارد بهامش المخطوط .

(٣) بهامش المخطوط : مطلب في اختلاف الأقوال في دخول طرابلس .

(٤) في الأصل : و ضربتهم .

المسلمين سوى أحد^١ وعشرين، و منهم من قال: لم يقتل من المسلمين بطرابلس سوى أربعة أنفس، وهم مغربيان و تركاني و رجل من أهلها، و قتل خارج البلد من الإفرنج نحو ثمانمائة علب، فصارت أكاديشهم^٢ على البر، غائرة بالكر و الفر، قائلة بلسان حالها: صرنا مراكب^٣ للمسلمين، و استرحنا من حملنا للفرنج الكافرين .

و منهم من قال: قتل من الفرنج أربعائة علب . و منهم من قال

هدم^٤ المسلمون / قنطرة طرابلس و البحر، كان^٥ المسلمون يبرون^٦ عليها و يروحون^٧، فلما هدمها^٨ المسلمون، تخلف^٩ الفرنج عن الممر لهدمها، فقتلهم^{١٠} المسلمون عن آخرهم .

و منهم من قال: تحصنت جماعة من الفرنج بدار بطرابلس معهم ١٠

(١) في الأصل: احدى . (٢) انظر حاشية سابقة (ص ٧٨ رقم ٦)، جمع أكديش أي الحصان المختلط الأصل - راجع الفهارس .

(٣) في الأصل: مراكبا .

(٤) في الأصل: هدمت .

(٥) في الأصل: كانت .

(٦) في الأصل: تمر .

(٧) في الأصل: تروح .

(٨) في الأصل: هدمتها .

(٩) في الأصل: تخلفت .

(١٠) في الأصل: فقتلهم .

أسلحتهم ، لما تيقنوا نصره المسلمين عليهم ، فما جسر أحد من المسلمين العبور إليهم ، فرمى^١ المسلمون النار بالدار ، فاحترقت الدار و الكفار .
 و منهم من قال : إن أهل طرابلس طافوا حول الدار بالنار ، و رمى^٢ الفرنج عليهم من أعلاها الحجارة ، فصار الدخان صاعدا إليهم ،
 ٥ فلما أضر بهم الدخان سلموا أنفسهم ،^٣ فقبض المسلمون^٤ عليهم ،
 و أتوا بهم إلى نائب السلطان ، فقال : يكونون^٥ عندنا أسارى . فصرخ^٥
 المسلمون و قالوا : لا والله لا نريد إلا قتلهم ! فقال : اتركوا لي منهم
 اثنين ، و دونكم البقية فاقتلوهم . فقتلوهم و تركوا له اثنين ، ليستخبرهما
 عن حال القبرسي ، فقال لأحدهما : أخبرني كم أتى معكم من جيش .
 ١٠ فقال العليج الغير مسؤل للذي هو مسؤل : اسكت و لا تخبر بشيء ،
 [ما] هو إلا الموت . فقال المسؤل : بل أخبره و أسلم بعد إخباري له .
 فقال له صاحبه : أترضى لنفسك بلعن أهل ملكك ؟ مت على دين آباءك
 و أجدادك . فقال له^٦ : مت أنت على دينهم ، و أنا قد طابت نفسي
 للإسلام . ثم أشار إلى نائب السلطان و قال : أشهد أن لا إله إلا الله ،
 ١٥ و أشهد أن محمدا رسول الله . ثم قال : أخبرك أيها الأمير الكبير أن

(١) في الأصل : فرمت .

(٢) في الأصل : و رمت .

(٣-٣) في الأصل : فقبضت المسلمين .

(٤) في الأصل : يكونوا .

(٥) في الأصل : فصرمت .

(٦) في الأصل : لو .

طوائف الفرنج الذين^١ أتوا مع القبرسي جنوبية و بندقية و خرايطة^٢ و روادسة و فرنسيسية و هنكر^٣ و أغراب ، و جملتهم ستة عشر ألف عالج ، منهم ألف فارس و البقية [غير -^٤] فرسان ، فأتت البنادقة في ثلاثين غرابا ، و الجنوبية في عشرين ، و الروادسة في عشرة ، و الأغرَاب في خمسة عشر ، و البقية من قبرس . فحينئذ أحسن إليه نائب السلطان . بسبب إسلامه و إخباره بما أخبر ، و جعله من جملة أجناده . و أما العالج الآخر فعرض عليه الإسلام فأباه فأمر بقتله فقتل . ثم إن طرابلس أنتنت / من قتلى الإفرنج ، فأحرقوا بالنار لزيال رأتحتهم .

و منهم من قال : كان وصول الإفرنج إلى طرابلس يوم الأحد في خمسة و خمسين غرابا و طريدة واحدة و عشر قراقر . فلما عاينهم ١ . المسلمون ، حبسوا ستة من الإفرنج كانوا تجارا بطرابلس ، أحدهم شاب جميل الصورة محتشم ، قيل إنه كان ابن صاحب جنوه ، و قيل إنه كان ابن أخت القبرسي ، و إن أحد نصارى الذميين دس له سيفاً ، فقتل به ستة من المسلمين المسجونين ، فلما علم المسلمون ما فعل ذلك العالج بالمسلمين المسجونين هجموا عليه ، ذبحوه و ذبحوا من كان معه من ٥١ العلوج . فلما دخل جند القبرسي البلد ، تسارعوا إلى السجن ليخلصوه .

(١) في الأصل : الذي .

(٢) أي سكان جزيرة كريت (Crete) .

(٣) كذا في الأصل و اعلمها « المجر » (Hungarians) .

(٤) ساقطة من الأصل ، و وجودها لازم من السياق .

(٥) في الأصل : علمت .

فوجدوه مذبوحة هو و رفقة الأعلج ، فصرخوا صرخة واحدة .
و قيل إن المسلمين قتلوا الذي دس للعلاج السيف حتى قتل به المسلمين
المسجونين .

و منهم من قال : إن القبرسى لما قدم إلى طرابلس ، أتى في أحد^١
٥ و سبعين و مائة مركب ، فأنزل منها يوم الأحد سبعة^٢ صفوف بالآتراس
و السيوف ، و خلفهم الرماة بالقسي ، فزحفوا إلى أن دخلوا البلد ، و ذلك
بعد هرب أهلها منها إلى قنّة الجبل ، فنهب^٣ الفرنج منها تسع حارات ،
أخذوا منها ما قدروا عليه من المال و الأثاث . فأتى القاضي شمس الدين
قاضي بلدة غزنة^٤ راكبا على فرس أصيل ، قد تبعه نحو سبعين فارسا
١٠ من التركان . فقال لهم القاضي : معشر الإخوان ! من أراد سكنى الجنة
و النقلة من دار المحنة و الفتنة ، فليطلق^٥ على الكفار الأعنة . و يقوّم نحوهم
أطراف الأسنة . فقالوا بأجمعهم : كلنا نريد سكنها ، و نختار مأواها ،
و نروم مأواها ، لنستريح من التعب في الدنيا ، بسكنى جنة المأوى . فقال :
إذا سمعتم تكبيرى ، فاحملوا أيها الإخوان ! لنبيت الليلة في فردوس الجنان ،
١٥ و نصير غدا من جملة الشهداء القاطنين في الجنة ، كذا جاء في السنة ،

(١) في الأصل : احدى .

(٢) في الأصل : سبع .

(٣) في الأصل : فنهبت .

(٤) وردت في « معجم البلدان » لياقوت (ج ٣ ص ٧٩٨) و وصفها بأنها

« مدينة عظيمة و ولاية واسعة في طرف خراسان و هي الحد بين خراسان و الهند » .

و قد أيد الله أهل السنة ، بحجج أمضى من الأسننة . فقالوا : أنت دليلنا عليها ، فسر بنا إليها ، / فكبر حينئذ القاضي وكبرت القوم ، في ذلك اليوم ، و حملوا على الفرنج بالسيوف ، أذاقوهم الختوف ، فانهزم بقيتهم طالبين البحر ، و أوداج القتلى تشخب من النحر ، فكان عدة من قتل منهم القاضي و أصحابه مائتين و ثلاثين علبجا ، فكومتهم ^١ المسلمون كيما ، و ألقوا ^٥ عليهم خشبا و عيدانا ، و أحرقوهم شيوخا و كهولا و شبانا ، فصعد د خانهم إلى الجو ألوانا ، و كل من بالمراب من الكفار ينظرون لإحراقهم بالنار ، فرجعوا من حيث أتوا خاسرين ، و على أصحابهم المقتولين المحروقين نادمين ، و صار ^٢ المسلمون يفتشون على من بقى منهم بالساحل و احل ^٣ ، فبينما هم كذلك و إذا بجماعة منهم في ساقية قصب ، هلكى من الخوف ^{١٠} و العطب ، و لم يجدوا منهم حيا غير علبج واحد ، فجعل حين رأى المسلمين ^٤ قصده يقرأ آية الكرسي ، فأتوا به إلى الأمير صارم الدين ابن الهدباني ، قالوا له : إنا وجدنا هذا العلبج بساقية القصب و هو يتلو آية الكرسي . و صار يتلوها و هو واقف بين يديه . فقال : لو كانت الختمة على رأسك لقتلتك ^٥ ، فانك لو كنت مسلما ما أتيت مع الكافرين ^{١٥}

(١) في الإصل : فكومتهم و تكويم التراب : جمعه و جعله كوما .

(٢) في الأصل : وصارت .

(٣) كذا في الأصل ، و واحل اسم فاعل من الوحل : الطين المتراكم عند الشاطئ .

(٤) في الأصل : المسلمون .

(٥) في الأصل : قتلتك .

تقاتل المسلمين . و ضربه بطبر كان بيده ، قتله وقال : هذا زنديق يُسِرُّ الكفر و يظهر الإيمان ، فالنار أولى به الآن . ثم راجعت الناس من الجبال فقتلوا^١ من الفرنج المسجونين نحو العشرين ، فيهم ابن أخت صاحب قبرس . و قتلت امرأة من على سطح دارها علجين برميها الحجارة عليهما .
 ٥ و قاتل الأمير جرجي^٢ و ولده قتالا شديدا في تلك الواقعة . و حصل للقاضي شمس الدين قاضي غزنة^٣ و أصحابه التركمان^٤ الأجر و بياض الوجه بما أنكوه في الفرنج . قال بعض أسارى الفرنج : لما أتى القاضي و أصحابه التركمان لقتالنا ، رأينا الأرض كلها امتلأت خلقا^٥ معهم أسلحتهم^٥ تقتل فينا^٦ . و قيل إن القاضي جعل قاضي قضاة طرابلس لإبائه عن شجاعته و حمايته ، فكان فعله ذلك كفعل الشيخ الصالح و جيه الدين عبد / الرحمن النويري الشهير بالناطق قاضي باب النويرة بالصعيد الأدنى من مصر لما تجهز لقتال الفرنج حين أتوا في سنة ست عشرة و ستمائة^٧

٣١ / ب

(١) في الأصل : فقتلت .

(٢) ورد هذا الاسم بين أمراء العصر المملوكي - انظر كتاب السلوك للقريني

(نشر زياده) ص ٨٦٢ ، ٨٦٣ ، ٨٧٨ .

(٣) في الأصل : عرقه .

(٤) في الأصل : التركماني .

(٥-٥) في الأصل : معها أسلحتنا .

(٦) في الأصل : فتيا .

(٧) تبدأ في ١٩ مارس سنة ١٢١٩ م .

إلى أرض مصر كما تقدم ذكر الواقعة المذكورة و كفيئتها في هذا الكتاب .
 فقال القاضي عبد الرحمن المذكور حين التوجه إلى الجهاد :
 بنو عمنا شدوا الجنائب و اركبوا على كل فحل أسود اللون عابس
 إذا ما قضينا نوبا^١ من عدونا رجعنا إلى بغلاتنا و الطيالس
 و قاتل الشيخ القاضي عبد الرحمن المذكور^٢ في تلك الواقعة إلى أن استشهد
 فرآه بعض أكابر الفرنج قتيلا عليه آثار الفقهاء ، فوكزه بسيفه و قال :
 يا قسيس المسلمين ! أنتم تزعمون أنكم^٣ أحياء عند ربكم ترزقون . قال :
 نعم ، نعم ، فتحير النصراني من نطقه بعد موته ، و حمله معه في تابوت إلى
 عكا بعد أن صبره^٤ ، فدفنه في قبر بسرداب بداره و أسلم سرا و سماه
 الناطق ، فسافر من بلد النويرة بعض أهلها بكتان يدعونه بعكا ، فاشتراه
 النصراني منهم بعد أن قال لهم : من أى بلد أنتم ؟ قالوا : من بلدة
 النويرة . فأدخلهم داره و أوقفهم على قبره ، و حدثهم حديثه ، و أراهم
 ختمته التي كان متقلدا بها ، مكتوب على ظهرها : هذه ختمة الفقير إلى
 الله تعالى عبد الرحمن النويري . فعرف النصراني اسمه و اسم بلده بتلك
 الكتابة ، فلذلك أدخلهم داره لما ذكروا له بلدهم ، و أوقفهم^٥ على
 قبره ، ثم إنه دفع لهم ختمته يعودون بها إلى ذريته : فأتوا إلى بلد النويرة ،
 أخبروا أهلها بذلك ، فسمى الشيخ عبد الرحمن الناطق إلى الآن . و جاء

(١) من مخطوطة مكتبة بانكي فور ، و في الأصل : نونا .

(٢) في الهامش : مطلب - القاضي عبد الرحمن النويري .

(٣) زيد في الأصل : اموات - كذا .

(٤) صبر الميت : جعل الصبر في جوفه لثلا تسرع النفاثة إليه .

(٥) في الأصل : واقفهم .

من نسله العلماء و الصالحون ، و لهم مدرسة بشرقي بلد النويرة ، لها أرض تزرع في كل سنة وقف عليها ، و من تصدى لهم بأذية قوبل بفعله و لو بعد حين ، فهم محفوظون بحفظ الله . و للشيخ عبد الرحمن المذكور مناقب عديدة ذكرها الشيخ زكي الدين عبد العظيم المنذرى في كتاب طبقات الأولياء - انتهى .

ذكر ما جاء في فضل الشهادة و ما أعده

الله تعالى لأوليائه في الجنة

فلنذكر الآن ما جاء في فضل الشهادة و الشهداء إن شاء الله تعالى .

كانت / الصحابة رضی الله عنهم يقاتلون الكفار على الخيل و النجب ،

١٠ فمن استشهد منهم استقرت روحه بالجنة كما جاء في الخبر : إن الشهداء يزورون ربهم عز و جل على نجات من نور ، رؤسها من ذهب ، عيونها من ياقوت ، خدودها كخدود النساء ، ألواحها زمرد أخضر ، أعناقها كالقباب ، ذوائبها كذوائب الحور ، نواصيها كالأشجار المثمرة ، أعرافها كأجنحة النسور ، قوائمها من فضة ، و أجسادها من لؤلؤ ، و آذانها

١٥ كأذان البقر ، جلالها من السندس الأخضر ، يركب عليها أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم ، و أولياء الله عز و جل و الملائكة معهم إلى

(١) في الأصل : محفوظين .

(٢) العنوان وارد بهامش الورقة .

(٣) في الأصل : جلالها - كذا .

أن يأتوا إلى الرب تبارك و تعالی ، فيسلمون عليه ليتحفهم بالتحف
الجزيلة ، و يكرمهم بالكرامات الجليلة ، و يرجعون إلى منازلهم ، و كل
واحد منهم قد أكرمه الله بسبعين صيفة ، لكل صيفة سبعون ذؤابة
و سبعون إكليلاً ، و سبعون حلة ، و في كفها إبريق من الجواهر عليه
منديل من السندس الأخضر ، و قد جلس على سرير من الذهب الأحمر ،
قوامه من الجواهر ، تحته فراش السندس و الإستبرق ، نوره ساطع ، لو أن
الرجل منهم أطلع على الدنيا أضواء من نوره المشرق و المغرب ، و لو بصق
في البحر المالح لصار عذبا ، و لو أن الرجل منهم نشر ذوائبه لحجب بها
ضوء الشمس و القمر ، لكل واحد منهم سبعون حورية ، و أن كل
واحدة منهن إذا قامت بازاء القمر لانكسف من حسنها و نور وجهها . ١٠
فأولياء الله تعالی هم أهل الجنة ، على وجوههم نضرة النعيم ، يسقون من
رحيق محتوم ختامه مسك ، جالسین على منابر من الياقوت الأحمر في
خيام من اللؤلؤ الرطب الأبيض ، فيها بسط من العبقري الأخضر ،
متكئين على الأرائك منصوبة على أطراف أنهار مطردة بالخر و العسل
و الماء و اللبن ، محفوفة بالغلمان و الولدان ، مزينة بالحور العين من ١٥
الخيرات الحسان ، / كأنهن الياقوت و المرجان ، لم يطمثن إنس قبلهم
ولا جان ، يمشين في درجات الجنان ، إذا اختالت إحداهن في مشيتها ،
حمل أعطافها سبعون من الولدان ، عليها من طرائف الحرير الأبيض

(١) في الأصل : ياتون .

(٢) في الأصل : اكليل .

ما يتحير فيه البصر ، مكالات بالتيجان المرصعة باللؤلؤ والمرجان ، شكالات
غنجيات عطرات آمنات من الهرم والبؤس والضر ، مقصورات في
قصور من الياقوت ، تنبت وسط روضات الجنان ، قاصرات الطرف
عين ، ثم يطاف عليهم و عليهن بأكواب و أباريق و كأس من معين ،
و يطوف عليهم خدام و غلمان و ولدان كأمثال اللؤلؤ المكنون ، جزاء
بما كانوا يعملون ، و مقام أمين في جنات و عيون و نهر ، في مقعد
صدق عند ملك مقتدر ، ينظرون فيها إلى وجهه الكريم ، و قد أشرقت
وجوههم نضرة النعيم ، لا يرهقهم قطر و لا ذلة في جنات مكرمون ،
و بأنواع التحف من ربهم يتعاهدون ، فهم^٢ فيما اشتت أنفهم خالدون ،
١٠ لا يخافون فيها و لا يحزنون ، و هم من ريب المنون آمنون^٢ ، فهم فيها
يتنعمون و يأكلون من أطعمتها و يشربون من أنهارها لبنا و خمرا و عسلا ،
أرض أنهارها فضة و حصابؤها مرجان ، و على أرض ترابها مسك أذفر
و نباتها زعفران ، و يمطرون من سحاب فيها من النسرين على كئبان
الكافور و يؤتون بأكواب مرصعة بالدر و الياقوت و المرجان ، كوب
١٥ فيه من الرحيق المختوم الممزوج بماء السلسبيل العذب يشربون ، نوره
من صفو جوهره يبدو الشراب من ورائه برقته و حمرة لم يصبغه آدمي ،
في كف خادم يحكي ضياء وجهه الشمس في إشراقه ، و لكن أين
(١-١) ما بين الرقين كان بيضا بالأصل ، و الاقتباس من القرآن الكريم

سورة ٧٠ آية ٣٥ .

(٢-٢) الجملة ساقطة من الأصل و واردة بالهامش بخط مختلف .

للشمس مثل حلاوة صورته ، و حسن أصداعه ، و ملاحظة وجه أحداقه ١
 فيا عجباً لمن يؤمن بدار هذه صفتها ، و يوقن بأنه لا يموت أهلها ، و لا تحل
 الفجائع بمن نزل / بفضائها ، كيف يركن للدنيا التي قد أذن الله في خرابها ،
 و ينتهي العيش دونها . و الله لو لم يكن فيها إلا سلامة الأبدان مع الأمن من
 الموت و الجوع و العطش و سائر أصناف الحدثان ، لكان جديراً بهجر ٥
 الدنيا بسببها ، و أن لا يؤثر عليها ما التصرم و التغيص من مرودتها ، كيف
 و أهل الجنة ملوك آمنون ، و في أنواع السرور متنعمون ، لهم فيها كل ما
 يشتهون ، و في كل يوم بقاء العرش يحضرون ، و الى وجه الله الكريم
 ينظرون ، و ينالون^٢ من لذة النظر^٢ ما لا ينظرون معه إلى سائر نعيم الجنان
 و لا يلتفتون ، و هم على الدوام بين أصناف هذا النعيم يترددون ، و من ١٠
 زوال هذا النعيم آمنون .

قال أبوهريرة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ينادى مناد : إن
 لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبداً ، و إن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبداً ،
 و إن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبداً ، و إن لكم أن تنموا فلا تياسوا
 أبداً . فذلك قوله تعالى^٣ ” و نودوا ان تلکم الجنة اورثتموها بما كنتم ١٥
 تعملون “ .

و سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى : ” و مسكن
 طيبة في جنت عدن “ قال : قصر من لؤلؤة ، في ذلك القصر سبعون

(١) في الأصل : مرودتها . (٢-٢) في الأصل : النظر من اللذة .

(٣) قرآن كريم سورة ٧ آية ٤٣ .

(٤) قرآن كريم سورة ٩ آية ٧٢ .

دارا من ياقوتة حمراء، في كل دار سبعون بيتا من زمرد أخضر،
في كل بيت سبعون سريرا، على كل سرير سبعون فراشا من كل لون،
على كل فراش زوجة من الحور العين، في كل بيت سبعون مائدة، على
كل مائدة سبعون لونا من الطعام، في كل بيت سبعون وصيفة، و يعطى
المؤمن في كل غداة من القوة ما يأتي على ذلك أجمع.

وقال أبو هريرة: قال النبي صلى الله عليه وسلم: إن حائط الجنة
لبنة من ذهب ولبنة من فضة، ترايبها زعفران / و طيبها مسك .
وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تربة الجنة، فقال: درمكة
بيضاء مسك خالص .

١٠. وقال أبو هريرة: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من سره
أن يسقيه الله الخمر في الآخرة فليتركه في الدنيا. وأنهار الجنة تفجر
من تحت تلال - أو من تحت جبال - المسك، ولو كان أدنى أهل الجنة
حلية. لعدلت حلية أهل الدنيا جميعا .

وسأل أعرابي رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: يا رسول الله!
١٥ قد ذكر الله في القرآن شجرة مؤذية، وما كنت أرى في الجنة شجرة
تؤذى صاحبها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما هي؟ قال:
السدر فان لها شوكا . فقال قال الله عز وجل: " وسدر مخضود " .
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: خضد الله شوكتها، فيجعل الله
مكان كل شوكة ثمرة، ثم تشق الثمرة عنها اثنين و سبعين لونا من

(١) قرآن كريم - سورة - ٥٦ آية ٢٨ .

طعام ما منها لون يشبه الآخر ، وإن النخل و الشجر أصولها اللؤلؤ
و الذهب و أعلاها الثمر .

و روى أبو هريرة أن النبي صلى الله عليه و سلم قال : من يدخل
الجنة ينعم لا يبأس^١ ، لا تبلى ثيابه ، و لا يفنى شبابه ، و إن في الجنة
ما لا عين رأت و لا أذن سمعت و لا خطر على قلب بشر .

و قال رجل : يا رسول الله ! أخبرنا عن ثياب أهل الجنة ، أخلق
تخلق ، أم نسيج تنسج ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : بل تنشق
عنها ثمر الجنة ، صورتهم على صورة القمر ليلة البدر ، لا يبصقون
فيها ، و لا يمتخطون ، و لا يتغوطون فيها ، آنتهم و أمشاطهم من الذهب
و الفضة ، و رشحهم المسك ، و لكل منهم زوجتان ، يرى منخ ساقها ١٠
من وراء اللحم من الحسن ، لا اختلاف بينهم و لا تباغض ، قلوبهم
على قلب واحد ، يسبحون الله بكرة و عشيا .

و قال صلى الله عليه و سلم : ما من مؤمن و لا مؤمنة إلا و له
و كيل في الجنة ، فاذا قرأ القرآن بنى له الدور و القصور ، / و إذا سبح
غرس له الأشجار .

١٥

و قال رسول الله صلى الله عليه و سلم في قوله^٢ تعالى " يحلون
فيها من أساور من ذهب " قال : إن عليهم التيجان ، إن أدنى لؤلؤة
فيها يغنى عنها المشرق و المغرب ، و لهم فيها خيام ، كل خيمة من درة

(١) من البؤس ، و في الأصل : لا يبأس .

(٢) قرآن كريم سورة ٢٢ آية ٢٣ .

مجوفة، طولها في السماء سبعون ميلا، في كل زاوية منها للؤمن أهل لا يراه الآخرون . وقال ابن عباس: الخيمة درة مجوفة، فرسخ في فرسخ، لها أربعة آلاف مصراع من ذهب .

وقال أبو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 ٥ قوله " و فرش مرفوعة " قال: ما بين الفراشين مثل ما بين السماء
 و الأرض . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن ساكن الجنة
 لينظر إلى الطير فيها فيشتهيه فيخر بين يديه مشويا^١ .

وقال عبد الله بن عمر في قوله تعالى^٢ " و يطاف عليهم بصحاف
 من ذهب " كل صحيفة فيها لون ليس في الأخرى .

١٠ وقال عبد الله بن مسعود "ومزاجه من تسنيم^٣" قال: يمزج
 لأصحاب اليمين و يشربها المقربون صرفا .

وقال أبو سعيد الخدري: قال رسول الله صلى الله عليه في قوله
 تعالى " كأنهن الياقوت و المرجان " قال: ينظر إلى وجهها في خدرها
 أصفى من المرآة، و إن أدنى لؤلؤة عليها لتضىء ما بين المشرق و المغرب
 ١٥ و أن يكون عليها سبعون حلة ينفذها بصره حتى يرى مخ ساقها من
 وراء ذلك .

/ و قال أنس رضى الله عنه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

ب/٣٤

(١) وقع في الأصل: مستويا .

(٢) قرآن كريم سورة ٤٣ آية ٧١ .

(٣) قرآن كريم سورة ٨٣ آية ٢٧ .

(٤) قرآن كريم ٥٥ : ٥٨ .

لما أسرى بي دخلت الجنة فرأيت موضعاً يسمى السرح عليه خيام اللؤلؤ
و الزبرجد الأخضر و الياقوت الأحمر ، فقلن : السلام عليك يا رسول الله !
فقلت يا جبريل ! ما هذا النداء ؟ قال : هؤلاء المقصورات في الخيام
يستأذنن ربهن في السلام عليك فأذن لهن ، فطفقن يقلن : نحن الراضيات
فلا نسخط أبداً ، و نحن الخالدات فلا نطفن أبداً . و قرأ رسول الله
صلى الله عليه و سلم ” حور مقصورات في الخيام ” .

و قول مجاهد في قوله تعالى^٢ ” أزواج مطهرة ” قال : من الحيض
و الغائط و البول و البصاق و النخامة و المنى و الولد .

و قال الأوزاعي في قوله تعالى^٣ ” ان اصحب الجنة اليوم في شغل
فكهنون ” أى شغلهم اقتضاص الأبقار .

و قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : إن الرجل من أهل الجنة
ليزوج خمسمائة حوراء و أربعة آلاف بكر و ثمانية آلاف ثيب ، يعانق
كل واحد منهم مقدار عمره في الدنيا .

و قال أنس : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : إن الحور
العين يتغنين يقلن :

نحن الجوارى الحسان
خبئنا لأزواج كرام
و روى أسامة بن زيد أن رسول الله صلى الله عليه قال لأصحابه :
ألا مشمر للجنة ! إن الجنة لا خطر لها ، هى و رب الكعبة نور يتلأأ ،

(١) قرآن كريم سورة ٥٥ آية ٧٢ .

(٢) قرآن كريم سورة ٣ آية ١٥ و الآية بتامها ” و أزواج مطهرة و رضوان
من الله و الله بصير بالعباد ” .

(٣) قرآن كريم سورة ٣٦ آية ٥٥ .

و ربحانة تهتز ، و قصر مشيد ، و نهر مطرد ، و فاكهة كثيرة نضيجة ،
و زوجة حسناء جميلة ، في خير و نعمة ، في مقام أبدا و نضرة ، في دار
عالية بهية سليمة . قالوا : نحن المشمرون لها يا رسول الله ! قال : قولوا :
إن شاء الله تعالى . و اعلم أن الجنة يعجز البشر عن وصف ما أعد الله
فيها .

ذكر ما قيل في إرم ذات العباد^١

فلنذكر الآن ما قيل في إرم ذات العباد ، الذي بناها شداد بن عمليق^٢
ابن عويج بن عاد . و ذلك أنه لما وصف له الجنة / و ما أعد الله فيها من
قصور الذهب و الفضة و الدر و الياقوت ، و المساكن التي تجري من
١. تحتها الأنهار ، قال لعطاء قومه : إني متخذ في الأرض مدينة على هذه
الصفة . فوكل مائة رجل من قهارمته^٣ ، تحت يد كل قهرمان ألف رجل
من الأعوان ، و أمرهم أن يطلبوا أفضل فلاة من أرض اليمن و أطيبها
تربة ، يبنون فيها مدينة من ذهب و فضة مفصلة بالدر و الجواهر و الياقوت ،
معمدة بأساطين من الجواهر . ثم مثل لهم كل ما يعملون ، فأمروا أن

١٣٥ الف

(١ - ١) العنوان مأخوذ عن الوارد بهامش المخطوط . و إرم ذات العباد على
حد قول ياقوت (معجم البلدان ج ١ ص ٣١٣ - ٣١٦) " لم يخلق مثلها في
البلاد " باليمن بين حضر موت و صنعاء .

(٢) في الأصل : عايق .

(٣) جمع قهرمان أي أمين الدخل و الخرج في مرتبة الوزارة .

(٤) في الأصل : يبنوا .

يجمعوا جميع ما في بلدانهم من الذهب و الفضة و الدر و الياقوت و المسك و العنبر و الزعفران و يوجهوها إليها ، و وجهوا الغواصين^١ إلى البحار فاستخرجوا من الدر ما لا يحصى ، و وجهوا الحفارين^٢ إلى معادن الجواهر و استخرجوا منها ما لا يحصى ، و حمل ذلك إليه ، فأمر بالذهب و الفضة فضرب كاللبن العظيم القالب ، و بنى تلك المدينة ، و أمر بالدر و الياقوت و الزبرجد و الجزع و الفيروزج أن ترصع فيها بالذهب المذاب ، و جعلها غرفا من فوقها غرف معمدة بأساطين الجواهر ، و أجرى في وسط المدينة نهرا ساقه إليها من تحت الأرض أربعين فرسخا كهيئة القناة العظيمة حتى أخرجها في وسطها كهيئة الوادي العظيم ، و أمر فأجرى من ذلك الوادي سواقي في تلك السكك و الأزقة تجري بالماء الزلال ، و أمر بجانب ذلك ١٠ الوادي و تلك الأنهار فلبط بالذهب كهيئة الصهروج^٣ ، و جعل حصباءها الياقوت الأبيض و الأحمر و الأصفر و الأخضر ، و نصب على الحافات شجرا من ذهب مشرا بالجواهر ، و جعل طول المدينة اثني عشر فرسخا في عرض مثلها ، و جعل سورها عاليا ، و جعل فيها ثلاثمائة قصر مفصل باطنها و ظاهرها بأصناف / الجواهر ، و بنى لنفسه في وسط المدينة على ١٥ / ٣٥ ب

(١) في الأصل : الغواصون .

(٢) في الأصل : الحفارون .

(٣) مشتقة من «صهريج الحوض طلاه بالصاروج ، يقال حوض مصهريج وبركة مصهرجة» (انظر البستاني ج ١ ص ١٣٦٩) و الصهريج كلمة دخيلة من الفارسية بمعنى مصنعة يجتمع فيها الماء و هي غير الصاروج .

شاطبي ، ذلك الوادي قصرا منيفا عاليا على تلك القصور ، و جعل بابه
 مما يلي ذلك الوادي بمكان رحيب واسع ، و نصب عليه مصراعين من
 ذهب مفصصا بأنواع الجواهر تتلألا و تتقد كالنيران ، و إذا أنهار في
 تلك الشوارع و السكك تطرد بالماء الزلال ، و على حافاتهما أشجار من
 ذهب مشمرة بصنوف الباقوت و الجواهر .

قال عبد الله بن قلابه^١ : فبينما أنا سائر على راحتي^٢ أطلب إبلا
 ضلت لي^٣ ، إذ وقعت بتلك المدينة ، فعقلت راحتي على بابها ، و دخلتها
 و تمشيت فيها ، إلى أن وصلت إلى نهر الشارع ، فضيت على النهر في
 ذلك الشارع هونا من النهار حتى انتهيت إلى واد يطفح بالماء الزلال
 ١٠ بأحد تلك الأنهار و السواقى مباط بالذهب و حصابؤه سائر الجواهر .
 و إذا على ذلك [النهر] قصر منيف عال على تلك القصور كلها من
 لبن الذهب مفصص^٤ حيطانه كما تدور بفصوص أنواع الجواهر كأن
 السرج تتقد فيه ، ففرغت منه و كاد يختلط على عقلي ، إذ لم أر فيها
 آدميا ، نخفضت أضل في تلك الشوارع و الأزقة و السكك ، فلا أهدى

(١) في الأصل « فلان » و صحته في جملة بهامش الورقة هذا نصها : « قواه عبد الله
 ابن فلان غاط ، بل هو عبد الله بن قلابه صاحب القصة بلغة مجد (كذا) صلى الله
 عليه و سلم » .

(٢-٣) الجملة ساقطة من الأصل و وردت بهامش الصفحة .

(٣) في الأصل : مفضض .

للرجوع إلى الباب الذي دخلت منه ، فانصرفت راجعا لذلك الشارع الذي أقبلت منه ، و رمت قلع شيء من ذلك الدر و الياقوت و الجواهر المركبة في تلك الحيطان و تلك الأبواب ، فلم أقدر لأنه محكم التركيب ، وثيق الصنعة ، فتناولت شيئا من تلك البنادق من المسك و الزعفران ، ثم خرجت إلى راحتي ، فركبتها و قلت في نفسي : لا شيء هو أجدى علي من ٥ المسير إلى أمير المؤمنين معاوية ، فأدله على هذه المدينة ، فانه سيجعل لي فيها أوفر الحظ ، فتركت ما كنت فيه من طلب الإبل التي ضلت لي ، و سرت نحو الشام حتى وافيت مدينة / دمشق ، و دخلت على معاوية فقلت : يا أمير المؤمنين إني قد أتيتك بما لم تره العيون و لم يخطر على قلب بشر . قال : و ما ذلك ؟ قلت : مدينة من ذهب و فضة و در و ياقوت و زبرجد ١٠ و مرجان ، ثم قصصت عليه القصة ، و وصفت له ما عاينت في تلك المدينة ، و أريته تلك البنادق ، فلم يجد لها رائحة المسك و الزعفران . فأرسل إلى كعب الأحبار ، فحضر فقال : يا كعب ! هل بلغك أن في الأرض مدينة من ذهب و فضة و در و ياقوت و زبرجد و مرجان ؟ فقال كعب : نعم يا أمير المؤمنين ! هي إرم ذات العباد ، التي لم يخلق مثلها في البلاد ١٥ التي ذكرها الله في كتابه على لسان نبيه محمد صلى الله عليه و سلم ، فقال : من بناها ؟ فقال : بناها شداد بن عمليق بن عويج بن عاد بن إرم بن سام بن نوح ، ثم بدأ بحديث شداد فقال معاوية : فهل إليها من سبيل ؟ فقال : أي سبيل إلى مدينة محجوبة عن الخلق إلا رجلا واحدا من العرب

(١) في الأصل : المركب .

صفته كذا و كذا ، ثم وصف صفتي ، و التفت فنظر إلى فقال : هوذا
 فسيدخلها أو قد دخلها ، و الذي بعث محمدا بالحق نبيا ! ما خلق الله
 تعالى شيئا في الأرض إلا و قد فسرهُ في التوراة لنبية موسى عليه السلام .
 ثم قال لي معاوية : يا أخا اليمن ! لقد أتيتنا ناصحا ، و قد حمدناك على ذلك ،
 و ليس إلى تلك المدينة من سبيل ، غير أنا لا ندع صلتك . ثم أمر له
 بألف دينار ، فقبضها و انصرف - انتهى .

[عود إلى وقعة طرابلس^٢]

نعود إلى ما قيل من الأقوال في وقعة طرابلس الشام كما تقدم
 ذكر ذلك^٣ . و منهم من قال : إن القبر سي لما أتى بمراكبه إلى مدينة
 ١٠ طرابلس الشام يريد غزو المسلمين بها ، فلما أرسى بأفروطة^٤ و رأى جيوش
 المسلمين قد أقبلت / بعد أن أنزل منها بعض رجاله دخلوها و غنموا منها
 بعض الغنائم ، فظفرو^٥ بهم المسلمون فقتلوهم ، فأرسل الملعون يقول : إنما
 أنزلت من مراكبي بعض رجالى لأجسكم^٦ ، ولو أتيتكم بنفسى و جميع

ب / ٢

(١) في الأصل : فقد .

(٢) هذا العنوان غير وارد في النص أو الهامش .

(٣) أنظر ما تقدم الصفحة رقم ٨٧ و ما يتلوها .

(٤) عن الأفروطة أنظر فيما سبق الحاشية رقم ٤ ص ١١٢ الجزء الأول من هذا

الكتاب أيضا راجع الفهارس .

(٥) في الأصل : نظفرت .

(٦) في الأصل : لاجسكم .

رجالى لصارت طرابلس فى ساعة واحدة كوما من الكيمان . فجاوبه بعض مقدمى جيوش المسلمين فقال : أنزل الآن بجيشك وقاتل وخذ البلاد لأنك تزعم أنك سلطان ونحن ممالك و السلطان بالضرورة يغلب الممالك . فلم يجد الملعون له جوابا يجيبهم به . فلو أتى بجيشه لصار هو وجيشه على الصعيد كالحصيد . ثم إن المسلمين سبوه^١ سبا قبيحا وقالوا له : إن أهل جزيرتك قزازون^٢ وأنت معلم القزازين الأردلين ، ولو كنت سلطانا لنزلت من مراكبك وقاتلت المسلمين ، ولكنك حين ظفرت بالإسكندرية^٣ ما أقمت بها وهربت^٤ ، فلو أقمت فيها يا كلب النصارى لرأيت العجب من سوء المنقلب ، ولكن ما فى وسعك إلا الهرب ، كاللصوص إذا سرقوا هربوا قبل أن يعثر عليهم ، فيقطعوا و يصلبوا . ١٠ فلم يجد له جوابا يذكره ، فرجع إلى جزيرته بحسرتة .

ومنهم من قال : لم ينزل من مراكب الفرنج إلى الساحل سوى ألف وخمسة رجل بين فارس وراجل ، فهربت جماعة من أجناد البلد إلى الجبل ، فحينئذ صادفت الفرنج ثلاثة من المسلمين بالساحل ، فقبضوهم واستخبروهم عن البلد ومن فيه من الجند ، فقالوا : إنهم ١٥ خرجوا للقاء الأمير منجك ، لكن الآن تحضر النجدة ، فقال بعضهم :

(١) فى الأصل : سبته .

(٢) فى الأصل : قزازين .

(٣-٣) فى الأصل : أقمت بها ولا هربت . - وخطاها واضح من السياق ومجرى الحوادث .

اذبحوهم لأنهم لم يخبروا بالصدق . فقالوا : ليس في ذبحكم لنا فائدة لكم ، فانا والله صادقون^١ في مقالنا لكم . فتركوهم ورحفوا دخلوا البلد ، وإذا بابن مالك مقدم التريكان ظهرت غيرة خيله ، قد أتى / في جماعة التريكان . ثم ظهرت أيضا غيرة اخيل ابن صخر و قد أتى في العشيرة فلما رأتهم العلوج الكلاب من المراكب ، رجعوا بها إلى داخل البحر ، و ضرب النفير بالمراكب ، فسمعت الفرنج التي بالبلد حسن النفير ، فرمى كل واحد ما نهبه و طلب النجاة لنفسه ، فقتلهم^٢ المسلمون عن آخرهم . و وجد^٣ المسلمون بطرابلس العتيقة الخراب نحو مائة من الفرنج محتفين بها ، فذبحوهم عن آخرهم . و تابعت جيوش المسلمين من كل ناحية ١٠ و مكان ، أتت تطلب الجهاد ، لتغازي أهل الكفر و العناد . فلما رأى القبرسي الجيوش قد أقبلت إليه من كل جهة و مكان ، ارتحل الملعون بأسطوله إلى جزيرة رواد^٤ المقابلة لطرابلس ، فيها الناس كذلك وإذا بثلاثة مراكب قدمت إلى ساحل السويدية^٥ من أرض الشام

(١) في الأصل : صادقين .

(٢) في الأصل : فقتلتهم .

(٣) في الأصل : و وجدت .

(٤) أو أرواد و اسمها القديم Aradus كما يتضح من النص قريبة من الساحل

السوري تبعد ٣ ميلا شمال طرابلس قبالة انطربوس بمقاطعة اللاذقية من سوريا .

(٥) ذكرها ياقوت في معجم البلدان « السويداء » (ج ٣ ص ١٩٠) قال عنها

« بلدة مشهورة بديار مضر - بالضاد المعجمه - قرب حران بينها و بين بلاد =

بريح العدة لم يظهر بها أحد من الفرنج ، فمضى^١ المسلمون إليها في القوارب ، فوجدوا بها الأسلحة و الزاد و القتلى و الجرحى من الفرنج ، فسألوا الجرحى عن أمرهم فقالوا : إن الجنوية قاتلت القبرسي بسبب ابن صاحب جنوه الذي قتله^٢ المسلمون بسجن طرابلس . كما تقدم ذكر قتلهم له ، و بسبب قتل المسلمين أيضا لجماعة الجنوية الذين^٣ أنزلهم القبرسي من أسطوله حتى هـ قتلوا بسيوف المسلمين ، فقتل الجنوية من كان في هذه المراكب من أصحاب القبرسي ، و هؤلاء القتلى و نحن الجرحى ، فصارت المراكب خالية من رأسها ، فقطعت سرديات^٤ مراسيها حتى رمى بها الريح إليكم ، فعند ذلك غنمها^٥ المسلمون .

= الروم فيها خيرات كثيرة و أهلها نصارى أزمن في الغالب . و السويدياء أيضا قرية ببحوران من نواحي دمشق .

- (١) في الأصل : تمضت .
- (٢) في الأصل : قتله .
- (٣) في الأصل : الذي .
- (٤) جمع سرديات و هي الحبل الغليظ ، وردت في « السلوك » للقريري (ص ٤٥١)
- و « النجوم الزاهرة » لابن تغري بردي (ج ٩ ، ص ١٢٨) .
- (٥) في الأصل : غنمتها .
- (٦) انظر فيما بعد (الصفحة رقم ١٢٣) لمواصلة الحديث عن حملة طرابلس الشام .

'حكاية المرأة' [الإسرائيلية - ٢]

فلنذكر الآن خبر المرأة الإسرائيلية التي سارت بالمركب من غير رأس يرأسها حتى أرسدت / بها إلى بعض الجزائر بعد أن جرى عليها من المحن التي تلقت^٢ بها المرائر .

عن وهب بن منبه قال : قرأت في الكتب السالفة أنه كان في بني إسرائيل رجل موسوم^٣ بالعفاف ، مشهور^٤ بالغنى ، وكانت له امرأة جميلة فائقة في الحسن و الجمال و البهاء و الكمال ، فتحدث الناس بأمرها في الآفاق و الرفاق حتى كانت تسمى حسناء بني إسرائيل ، فأصابها العين ، فابتليت بمحتتين و فتنين ، كما قال في مثلها الشاعر :

١٠ وللحسان عيون الناس صائبة^٥ و العين أسرع ما تأتي إلى الحسن و كانت قدرزقت جمالا و عفافا و صيانة و ديانة ، و فضلت على أهل زمانها بذلك ، و كان اسمها أروانية و يقال لها حسناء بني إسرائيل .
قال : و كان لزوجها أخ حدث السن ، فبدا لزوجها السفر في وجه

(١ - ١) العنوان كذا بالهامش .

(٢) زدنا الكلمة من النص .

(٣) في الأصل : تلقت .

(٤) في الأصل : رجلا موسوما .

(٥) في الأصل : مشهورا .

من الوجوه، فلما أن أراد السفر و أزف منه الخروج أوصى إلى أخيه
 بزوجه، وقال له: يا أخي! تكون لها كالأخ الشقيق. قال: ثم توجه في
 وجهه الذي قصده، وقام أخوه بأمر المرأة يتعاهدها في كل يوم، يخدمها
 حق الخدمة، ويقضى حوائجها، وهي تكلمه من وراء حجاب. فأقبل عليها
 يوما فقال: أيتها المرأة! اسمعي قولي و اعقلي ما أقول لك. فقالت: ما هو؟
 فقال: إني مشغوف بحبك منذ عشر سنين وأكثر منها، و كنت أكنتم
 ذلك استحياء من أخي، و الساعة فقد خرج أخي و صار في سفره، و قد
 عيل صبري، و أخاف على نفسي التلف، فسيلك أن تنظري في أمري،
 و تتابعيني على هواي، و توافقيني على ذلك، فان أخي قد غاب، و أمرك
 اليوم بيدي، و ليس أحد اليوم أولى بك مني و لا أقرب إليك مني. ٥
 فقالت له: يا هذا إن كان زوجي غائبا فان ربي ليس بغائب، و إن كان
 زوجي لا يراني / فان الله يراني، و إن بصره قد هتك الحجب، فلا يحتجب
 منه محتجب في خير و شر، فاتق الله و احذر المقت من الله، فاني لا أتابعك
 على هواك، و يحك! أما ترعى حق أخيك، و لا تحدث نفسك بالخيانة
 في أمره! فاني و الله لا أخونه أبدا، و لا أعصى ربي، فان سرور هذه ١٥
 المعصية قليل و شرها كثير، و هو إثم عظيم. فان أنا تابعتك فقد أعنتك
 على هلاكك و هلاك نفسي.

قال: فلما سمع الفتى ذلك من قولها، خرج من عندها كالآيس. قال:

فاستقبله عدو الله إبليس - لعنه الله تعالى، فقال: ارجع و يحك! هل رأيت

مثلا حسنا و جمالا و عقلا و كالا! هل سمعت نعمة أحلى من نعمتها! ٢٠

وما كانت أقرب منك ، وإذا عاودتها رضيت لأنها في أول مرة خجلت
وسترضى ، فارجع إليها ، أما سمعت قول الشاعر في نظيرتها ؟ قال له :
وما الذي قال الشاعر ؟ قال : قال - شعر :

يا قوته منظومة في درر وزهرة بارزة للنظر
ومسكة في حقة مذهبة قد طرحت فوق فتيت العنبر
وخوخة في غصن ناعمة مزهرة بلونها المعصفر
وبهجة التفاح في أغصانه يرضى العيون أبيض وأحمر
والنحل في أحباجه^١ يبنى به أقراص شهد أبيض كالسكر
يوما بأحلى من جمال غادة كالزهرة البيضاء يليها المشتري
فوجهها كالشمس حسنا وبها^٢ وقدما يحكى قوام السمهرى
وكحل عينيها و لون خدها^٣ كقملة الظبي و ورد أحمر
رخيمة الصوت بحسن نعمة كنعمة العود و حسن الوتر
تورد لفظا فائقا منمقا شابه حسنا كصحاح الجواهر
من نكهة مسكية عاطرة كنشر كافور و نفع العنبر
سمعت ذاك اللفظ منها فجرى دمعى على خدى شبيه المطر
وهام قلبى بجمال وجهها فأطربت سمعى و قر بصرى

(١) في الأصل : احباجه - بجيمين ، وأغلب الظن أنها من الحبج بفتح الحاء وكسرها

وهو مجتمع الحى عند العرب فاستعارها الشاعر للتعبير عن خلايا النحل .

(٢) في الأصل : وبهى .

1 / فما نظرت في حياتي مثلها وما سمعت نعمة في عمري

مثل كلام رائق تخرجه من غنة كقطع ماء الكوثر

ثم قال لسان حال إبليس بوسوسته له : ارجع إليها وراودها عن نفسها

فهي ترغب فيك . فقال لسان حاله : لقد هيمنتني وشوقتني إليها بما وسوست

لي بهذا الشعر المنظوم ، الذي هو كالرقم المرقوم .

قال : فرجع إليها الفتى وقال لها : أيتها المرأة ! إنك إن امتنعت مني

ولم تقض حاجتي ، ألقيتك في شر لا تخرجين منه ، ومنعتك كل خير ،

وضيقت عليك المؤنة ، ومنعتك مال زوجك أشد المنع ، فاني عاشق

فيك ومحب لك ، وعدم وصلك يحملني على أذاك . قالت : وما

تصنع بي إذا لم أطاوعك على المعصية ؟ قال : أقيم عليك من شيوخ بني ١٠

إسرائيل أربعة يشهدون عليك بالزنى فترجمين^٢ إلى أن تموتى ، وأستريح

منك ، ويرجع إلى عقلي . قالت : كيف يشهدون بالزور و يبارزون الله

عز وجل بالحرب ؟ قال : يحملهم على ذلك الدنانير المضروبة بدار الضرب .

قالت : وما عسى أن يكون هذا في حق الله ، ثم في حق زوجي ، إذا

أنا تعففت عن المعاصي ، فافعل ما شئت ، فاني لا أتابعك على المعاصي ١٥

أبدا ، ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

قال : فلما كلمته بهذا الكلام ، أيس منها ، ومضى إلى المشايخ السوء ،

دفع لهم الدنانير ، فصاروا بقبضهم لها كالحنازير ، ومضوا إلى القاضي

(١) في الأصل : لا تخرجي .

(٢) في الأصل : فترجمي ،

شهدوا عليها بالزنى ورؤية الفرج في الفرج كالمرود في المكحلة في وقت واحد مجتمعين غير مفترقين . فلما سمع القاضي شهادتهم قبلها وحكم برجمها .

قال وهب بن منبه : فأخرجت المرأة حينئذ إلى المقبرة ، وصيرت في حفرة إلى نصفها ، وقيل للشهود : ابتدئوها بالرجم لأنكم شهدتم عليها / بذلك . فتبادروا ورجمها الأربعة ، كل واحد منهم رماها بالحجر . ثم تبادرت الناس بعدهم بالرمل عليها حتى نظروا إلى الدماء سائلة من رأسها على وجهها ، فلم يشكوا في موتها ، فتركوها و مضوا إلى حال سبيلهم . وكانت السنة في بني إسرائيل أنه لا تدفن المرجومة ، و تترك على حالها لينال منها الطير و الكلب ، و تصير موعظة للنساء ليتقين^٢ الزنى .

قال : فلم تزل مطروحة في المقبرة حتى الغداة ، فر بها أعرابي بدوى يرى إبلا له ، فسمع أنينا في المقبرة ، فذهب ينظر ما هو ، فإذا بها امرأة وضيئة الوجه كأنها الشمس حسنا و جمالا مضمخة بالدماء . قال : فأشارت المرأة إلى فمها تشكو العطش . قال : فسقاها الأعرابي من أدواته ، و حملها على بعير من أبعرته ، و مضى بها إلى منزله عند زوجته ، و داواها حتى برئت . و صارت من الحسن و الجمال إلى أكثر مما كانت . قال : فأحبها الأعرابي و زادها برا و لطفًا ، و راودها عن نفسها ، فقالت : يا أعرابي ! اتق الله و احذر الشيطان و مكايده ، فانك قد عملت معي خيرا كثيرا ، أحييت نفسي . فوجب لك الأجر على المثل الوفي ، فلا تفسده بالمعصية ،

(١) في الأصل : رجموها . (٢) في الأصل : ليتقوا .

فان لي زوجا ، ولو لم يكن لي زوج لزوجتك نفسي لعظيم منتك علي
وإحسانك إلي ، ولكني لا أخون زوجي ، قرب مني أم بعد ، ولا أعصي
ربي أبدا . قال : فأدرك الأعرابي الندامة ، وخاف من الله تعالى ،
وقبل موعظتها .

قال : و كان للأعرابي عبد^١ قبيح الوجه ، وحش الحلقة ، ذو^٢
قوة و بطش . قال : فلم يصبر حتى راودها عن نفسها ، فقالت له : اخسأ^٣
يا كلب ، عليك لعنة الله . قال : / فلما أيس العبد منها ، انصرف مفكرا
في فضيحتها و هلاكها . قال : و كان الأعرابي^٤ ابن صغير^٥ في المهدي ،
و لم يكن له ولد غيره ، فعمد إليه العبد فذبحه ، و عمد بالسكين ملطخة
بالدماء فجعلها تحت رأسها . فلما انقبت زوجة الأعرابي ، أتت لترضع
ولدها ، فوجدت المهدي مملوءا دما و الصبي مذبوح ، فصاحت و دعت
بالويل و الشور . فقال لها زوجها : ما الذي نزل بك ؟ فقالت : ذبح
ولدي . قال : فنظر فوجد أثر الدم عند رأس المرأة ، و السكين تحت
رأسها . قال فقال لها الأعرابي : أيتها المرأة ! ما كان هذا مكافأتي منك ،

(١) في الأصل : عبدا .

(٢) في الأصل : ذا .

(٣) في الأصل : اخس .

(٤-٥) في الأصل : ابنا صغيرا .

ويك ا قتلت ولدي و ثمرة كبدى ، و أنا نجيحك من الموت ، سقيتك
 و داويتك و أحسنت إليك . فقالت : يا أعرابي ا تبين وانظر فى هذا
 الأمر ، و إنه لم يكن جزاؤك منى أن أقتل ولدك ، و أنت قد راودتني
 عن نفسى ، و دعوتني إلى ذنب هو أصغر من القتل ، فلم أوافقك عليه ،
 ٥ و لم أجبك إليه ، فكيف أفعل هذا الذنب الذى هو أكبر الذنوب ا
 فأطرق الأعرابي لما سمع كلامها و قال : اخرجنى عنى حيث لا أراك
 و لا أسمع بك ، لآنى أخشى أن يوسوس لى الشيطان فى قتلك .
 ثم إنه أعطاها أربعمئة درهم و قال لها : أنفقيها فى طريقك ، و امضى إلى
 حال سبيلك .

١٠ قال : فخرجت من منزل الأعرابي لا تدرى أين توجه ، فسارت
 إلى أن مرت بقرية من قرى بنى إسرائيل ، فأبصرت رجلا مصلوبا ،
 و هو حى يستغيث و يبكى . فقالت : ما قصة هذا الرجل ؟ و كيف صار
 مصلوبا ؟ و لم صلبتموه بالحياة ؟ قالوا : إن سنة بلادنا أن من كان عليه
 خراج فلم يؤده يصلب بالحياة ، و لم يزل مصلوبا حتى يؤديه أو يؤدى
 ١٥ عنه . فقالت : و كم عليه ؟ قالوا : أربعمئة درهم . قال : فدفعت الدراهم

لهم و أنزلوه . قال : فجزاها المصلوب خيرا / و قال لأمه : افعلى معها الخير
 كما فعلته معنا . فأخذتها أمه و أسكنتها فى بيت بدارها . فجعلت المرأة

(١) فى الأصل : بسكنتها - بسقوط الألف .

تعبد ربها، و أقامت أمه تخدمها، فلما كان في بعض الأيام راودها
الفتى عن نفسها، فقالت: لا، ويحك! لا تفعل و احذر سخط الله و لا
تعصه، ويحك! هذا جزاؤى منك، أوفيت عنك خراجك، و أنجيتك
من هم الصلب، و أنت تريد أن توردى جهنم، ما أنصفتى. ثم خرجت
هاربة على وجهها مخافة أن يعاودها بذكر المعصية حتى أتت إلى ساحل
البحر، فلم تدر إلا و هو معها قد تبع أثرها، فجعل يراودها عن
نفسها و يدعوها إلى المعصية و هى تأبى. قال: فلما آيس منها صعد إلى
نشر من الأرض، فأبصر سفينة تجرى فى البحر، فما زال يرقبها حتى
أرست، و خرج من كان فيها إلى البر لقضاء الحاجة. فقال لهم: إن
معى جارية جميلة تشترونها منى و هى تكره بيعى لها؟ قال: فأقبل
إليها رجل من كبارهم، فنظر منها إلى جمال و حسن بديع، فاشتراها
منه بألف دينار، و هى لا تعلم بذلك. قال: فأخذ الفتى ثمنها و رجع
إلى قريته.

قال: فأخذها الذى اشتراها، و حملها فى السفينة كرها منها،
و جرت السفينة و صارت بوسط البحر. قال: فقام التاجر الذى اشتراها
يريد أن يمسه، فامتعت، قال: لم تمنعنى نفسك و قد اشتريتك من
سيدك بألف دينار قبضها منى و مضى؟ قالت: ليس لى سيد إلا الله
تعالى، و إنى امرأة حرة ذات زوج غاب عنى فى سفر. فاستكذبها
و قال: بل أنت جاريتى، و هم بها، فرفعت طرفها إلى السماء و دعت

وقالت : يا رب العالمين ! فلم تفرغ من دعائها
إلا و السماء قد أظلمت عليهم ، و عصفت الرياح و جاء الموج من كل
مكان ، و أشرفوا على الغرق ، فدعوا ربهم و تضرعوا إليه و بكوا .
فقلت : الحمد لله الذي / لم يخيب دعائي و رجائي ، اعلموا يا قوم أنكم قد
اشترىتم حرة ذات زوج لم يكن في شراها لله رضى ، فان خلصتموني
بما أنا فيه فان الله يفرج عنكم هذا الهول ، و ما أصابكم هذا إلا بذنب
هذا التاجر ، أراد أن ينال منى حراما . قال : فلما سمعوا بقية التجار
قولها ، جمعوا من بينهم ألف دينار أدوها إلى التاجر الذي اشتراها
و أعتقوها مكانهم . قال : فأنجلت عنهم الظلمة ، و سكن الريح ، و صاروا
١٠ آمنين . قال : فلما كان بعد ذلك ، يوم أو يومين تشاوروا في أمرها
و حسنها و جمالها ، و قالوا : لا بد لكل واحد منا أن يطأها و يتمتع بها ،
فانا ما لنا صبر عنها لحسنها البديع و جمالها الفائق . و هموا بها ، قال :
فدعت عليهم ، فعصف عليهم ريح صرصر كالنار الموقدة ذات الشرر ،
فأخذت بأنفاسهم ، فهلكوا عن آخرهم ، و سلمت هي ، فصارت ترمى
١٥ واحدا بعد واحد [في] البحر حتى لم يبق في المركب غيرها و البضائع
التي بها . قال : و أقامت السفينة تجرى بها من غير رأس برأسها حتى
قربت من الشط ، قال : فلبست ثياب التجار ، و تزينت بزينة الرجال ،
و استقرت السفينة في البر ، فأحاطت بها رجال الملك ، و أحضروها

٤٠/ب

بين يديه، فظن الملك و من حوله أنها غلام أمرد، فتقدمت إلى الملك
و قالت: أيها الملك! إني أتيت في سفينة كانت فيها جماعة من التجار،
فخرجت علينا ريح صرصر، فهلك بها جميع من في المركب،
و لم يسلم من الهلاك غيري، فصرت أنظر إليهم هالكين مطروحين، فلحقني
الخوف و الجزع من ذلك، فصرت أجز برجل الواحد منهم و أرميه
[في] البحر حتى رميتهم بأجمعهم لأنى خفت أن يحيفوا فتهلكنى
رائحة جيفهم، و استعددت^٢ للموت أنتظره ساعة بعد ساعة إلى أن
أرست بي المركب إلى ساحلكم، و أنا غلام كما ترى. و أموالهم صارت
بيدي، و قد خفت على هذه الأموال الضياع، فهي وديعة عندك في
خزانتك، و تكتب إلى ورثة أربابها أن يقبلوا إليك يأخذون^٣ حقوقهم
/ و إن لم يكن له ورثة^٤ تكون في بيت مالك، تفرق ثمنها على الجيوش
المجاهدين. قال: فعجب من كلامها و أمانتها و حسنها و جمالها. و لم يشك
إلا أنها غلام أمرد ابن أحد التجار الهالكين في السفينة.

قال: فقبض الملك تلك الأموال، فوضعها في خزائنه. قال:

ثم إنها عمدت إلى موضع في آخر البلد، فبنت لها كوخاً^٥، و جعلت
تعبد الله عز و جل فيه، و كانت مستجابة الدعوة، و كانت الزمنى

(١) في الأصل: فتهلكوه.

(٢) في الأصل: و استعديت.

(٣) في الأصل: يأخذوا.

(٤) في الأصل: كوخ.

والمريض يستشفون بدعائها . قال : فلم تزل على ذلك حتى حضرت الملك الوفاة . فقال ^١ أهل مملكته : استخلف علينا أيها الملك من يكون علينا مليكا بعدك . قال : لا أجد من أستخلف إلا الغلام الذي جاءني بتلك الأموال ، وأدى الأمانة فيها . قال : فاستخلفها الملك عليهم ،
 ٥ و مات . قال : فجاء أهل المدينة ، فلكوها عليهم وهم لا يشكون إلا أنها رجل . قال : فلما استمكنت من الملك ، واستوثقت لها الأمور ، واجتمع في مجلسها أشرافهم وكبرائهم ، قالت لهم : يا قوم ! اسمعوا ما أقول لكم ، ليذهب كل رجل منكم فيهيئ ابنته وأخته في أحسن زي وأجمله حتى اختار لنفسى منهن واحدة . قال : فجعل كل رجل منهم يذهب إلى بيته فزين ابنته وأخته رغبة في الملك ليكون صهره .
 قال : فلما دخلن عليها متزينات بأنواع الزينة ، قامت فدخلت بيتها وأرخت ذوائبها ، ثم خرجت إليهن ، فنظرن إلى امرأة لم ينظرن إلى مثلها قط حسنا وجمالا وبهاء وكالا وعقلا وافرا . فقالت : اسمعن ^٢ ما أقول لكن ، قلن لآبائكن : إني لست أرضى أن تكون ملكتكن
 ١٥ امرأة ، لأنه جاء في بعض الأخبار : « لن يفلح قوم ولوا عليهم امرأة ، والمرأة لا يجوز لها أن تخطب على منبر ، ولا تصلى بالرجال إماما . فذكرت البنات لآبائهن ذلك ، فلما بلغ الرجال أمرها قالوا : نحن نرغب

(١) في الأصل : فقالوا .

(٢) في الأصل : اسمعوا .

فيها أكثر مما نرغب في غيرها لحسنها وجمالها وأمانتها . فأرسلت
الأكابر تخطبها بعد أن ملكوا عليهم مليكا رضوه لأنفسهم . فقالت :
إني امرأة متزوجة بزواج ، ولا يحل لي أن أتزوج بأحد / حتى تثبت
لي وفاته أو طلاقه ، ورجعت إلى كوخها ، وأقبلت على عبادة ربها
حتى شاع خبرها في الناس أنها مستجابة الدعوة في المرضى و الزمنى ٥
وغيرهم .

قال وهب بن منبه : وبلغني أن زوجها لما قدم من سفره بعد
مدة طويلة ، سأل أخاه عنها . قال : و كان أخوه ١ قد ابتلاه الله تعالى
عقوبة بما صنع بزوجة أخيه ، و كان قد شلت يده ، و عمى بصره .
قال : يا أخى ! إن زوجتك زنت فرجمت و ماتت ، فبكي زوجها حزنا ١٠
عليها ، و تعجب من عقلها و دينها ، كيف أقدمت ٢ على الزنى حتى
رجمت . ثم إنه لما بلغه خبر المرأة المستجابة الدعاء ، فقال : يا أخى !
بلغني أن في جزيرة من جزائر البحر امرأة مستجابة الدعوة ، فهل لك
أن أحملك إليها ، ففعل الله تعالى أن يمن علينا بعافيتك و برئك بدعاتها ؟
قال : افعل يا أخى ! قال : فحمل أخاه و سار فنزل منزل الأعرابي ، ١٥
فأخبره بخبر المرأة و أنه ماض بأخيه إليها لتدعوه . فقال الأعرابي :
ولى عبد قد ابتلى ، و قصدى حملة ٣ معكم . فساروا إليها ، فنزلوا منزل

(١) في الأصل : أخاه .

(٢) في الأصل : قدمت .

(٣) في الأصل : حملة .

أبي المصلوب، ذكروا له أنهم سائرون^١ إلى امرأة مستجابة الدعوة تدعو
 لمرضاهم لعلهم أن يتعافوا. فقال أبو المصلوب: و إني سائر معكم بولدي
 المبتلى تدعو له. فساروا حتى نزلوا بموضع كوخ المرأة. قال: فنظرت
 من كوخها، وإذا هي بزوجه وأخيه^٢، فخنقتها العبرة، فتقدم إلى
 الكوخ وقال: أيتها المرأة الصالحة! إن أخى قد ابتلى وأريد الدعاء
 له. فقالت وهي وراء حجاب: إن أخاك هذا قد ارتكب معصية
 عظيمة، وقد ابتلاه الله بسوء عمله، فليقر بما كان منه، فإن الله تعالى
 سيعافيه إن أقر واعترف بذنبه. فقال زوجها لأخيه: أقر^٣ يا أخى
 بما فعلت حتى يعافيك الله تعالى. فقال: اعلم يا أخى أن معصيتي التي
 تذكر هذه المرأة أن زوجتك أروانية من خيار النساء عقلا وجمالا
 وعفة، وإني راودتها عن نفسها فحابت علي، فظلمتها وأقمت عليها
 / شهود زور شهدوا عليها بالزنى فرجمت وماتت. فقال: يا أخى! بش
 والله ما صنعت، ما رعبت حتى، ولا حفظت وصيتي، ولا راقبت
 الله فيما صنعت، وأنت أخى لأبي وأمي، ولكن عفا الله عما سلف!
 ١٥ ثم قال: أيتها المرأة المباركة! ادعى له. قال: فدعت له فأبصر من
 العمى، وصح من الشلل. ثم قام الأعرابي سيد العبد فقال: أيتها

٤/الف

(١) في الأصل: سائرين.

(٢) في الأصل: وأخاه.

(٣) في الأصل: قر.

(٤) في الأصل: اما.

المرأة الصالحة! انظري في أمر عبدى هذا فانه عمى . فقالت : يا أعرابى!
 إن عبدك هذا قد ابتلاه الله بذنبه ، فان أقر بذنبه ، رجوت له من الله
 العافية . فقال له الأعرابى : ويحك ! [أيها] العبد! اصدق لعلك تبرأ ،
 فقال : يا مولاي ! إني راودت تلك المرأة التي كانت في منزلنا ، وطلبت
 أن أنال منها الفاحشة ، فأبت على ، فعمدت إلى ابنك فذبته ، و جعلت ه
 السكين تحت رأسها ملطخة بالدماء ، و قلت : لعلك إن تقتلها بولدك
 فأستريح^٢ منها ، فقال : يا عبد السوء ! و أنت الذي قتلت ولدى ، فالحمد لله
 الذي عفوت عن تلك المرأة البريئة ، و إلا كنت قتلتها ظلما ! فقال :
 يا سيدى ! اعف عنى يرحمك الله ! فقال الأعرابى : ادعى له أيتها المرأة
 الصالحة ! فقد عفوت عنه ، فقالت : اللهم ! رد عليه بصره كما أقر بذنبه ، ١٠
 فارتد بصيرا ، ثم أقبل أبو المصلوب على المرأة و قال : أيتها المرأة ! هذا
 ابنى قد أصابه العمى ، فارحميه و أعينه بدعوة ، فقالت : نعم ، إن ابنك
 هذا قد جنى جناية منكورة ، و غدر غدرا فاحشا ، فان صدق الله و أقر
 بجنايته و غدره رجوت له العافية . فقال الابن : يا أبت ! إنها و الله
 صادقة فيما قالت ، و خيائتى و غدري أن المرأة التي أدت عنى أربعمائة ١٥
 درهم و أنزلتنى من الصلب و أنقذتنى من الهلاك بوزنها الخراج عنى ،
 عشقتها ، راودتها بكل مجهودى ، فأبت على ، و غاظنى ذلك من فعلها ،
 فبعثتها من أهل السفينة ، فلما ساروا بها عميت و صارت / الدنانير التي

٤٢ / ب

(١) في الأصل : لعل .

(٢) في الأصل : استريح .

قبضتها منهم في ثمنها حجارة ، فهذه خياتي و غدرى . فقالت : اللهم !
 كما صدق و أظهر ذنبه فهب له بصره ، قال : فقام بصيرا . و كان ذلك
 بمحضر من ملك تلك الجزيرة التي ولوه أهلها عليهم بعد أن نزلت
 هي عن الملك بمحضر أرباب دولته . فتعجبوا من فعلها ، و أقرروا
 ٥ بفضلها و قبول دعائها .

ثم إنها دعت بزوجه ، و كشفت وجهها ، حتى رآها الحاضرون
 كلهم ، و قالت لزوجه : هل ترى مني شيئا لامراتك ، تلك المظلومة
 المرجومة التي كان اسمها أروانية ؟ فقال الزوج : كأن و الله أنفك كأنفها
 و حاجبيك كحاجبيها ، و نعمتك كنعمتها ، و لو لا أنها رجمت و ماتت
 ١٠ لأخذت بيدك ، و قلت : أنت هي زوجتي . فقالت : و أنا و الله زوجتك
 أروانية ! ادن مني فانك بعلى و أنا زوجتك التي ظلموني و رجموني ،
 و قالوا : إني مت ، و تكوني و في رمق ، و هذا الأعرابي الذي أخرجني
 من الحفرة ، و ذهب بي إلى منزله و داواني و آواني ، و قالت : قد سمعت
 براءتي ممن ظلمني ، و إني من حين سافرت لم أنسك . و لم أخنك ، و الله
 ١٥ تعالى شاهد على ذلك فله الحمد و المنة ، و انقضى زمن المحنة . و أخبرته

(١) في الأصل : ادعت .

(٢-٢) في الأصل : راوها الحاضرين .

(٣) في الأصل : شبه .

(٤) في الأصل : زوجتك .

(٥) في الأصل : لم انساك .

الخبر جميعه بمحضر الملك و أرباب دولته ، فعظموا أمرها ، و طلبوا منها الدعاء ، و أمر لها الملك بمال جزيل فقبضته ، و انصرف بها زوجها من ساعته إلى قريته ، و عاشا في نعمة الله و فضله إلى أن ماتا رحمة الله عليهما ، آمين .

٥ [عود إلى قصة القبرسي و حملة طرابلس - ١]

فلنرجع إلى ذكر ما قيل في قدوم القبرسي لعنه الله بمراكبه إلى مينه طرابلس الشام بسبب الجهاد لأهلها و الغزاة فيهم ، فكثرت الأقوال فيما قيل في أمرهم ، كما تقدم ذكر بعض تلك الأقوال ، و سنذكر بقيتها إن شاء الله تعالى .

- ١٠ و منهم من قال : إن الأمير جرجي^٢ وقف على ساحل طرابلس و معه الجيوش الإسلامية ، فأرسل القبرسي من مراكبه و هي بالمينه مرسية قارباً ، فغرز^٣ من فيه / رحا في البحر فيه ورقة و رجع إلى المراكب ، فخرج قارب المسلمين من الساحل أخذها و أتى بها إلى الأمير جرجي ، و إذا فيها : أما بعد ، فإن مراسيمنا الشريفة برزت بعدم إحراق طرابلس ، و لو اقتضت مراسيمنا الشريفة ذلك فعلناه ، و لكن البلاد ١٥ بلادنا و القدس قدسنا ، فان مكتمونا من بلادنا فنحن و إياكم على العهد

(١) العنوان غير وارد بالنص أو الهامش .

(٢) انظر فيما سبق ص ١٠٤ و ما يتلوها .

(٣) انظر حاشية بشأن هذا الاسم فيما سبق (راجع الفهارس) .

(٤) كذا في الأصل ، و الكلمة بلغة العامة في مصر و يقابلها « غرس » بمعنى أنه أتى الريح في الماء .

و الصلح ، و إن لم تمكنونا فبيننا و بينكم السيف ، و مع ذلك يعطى الله النصر لمن يشاء من عباده .

فكتب له الأمير جرجى يقول فى الجواب : أما قولك : برزت

مراسيمنا الشريفة ، فهذا الكلام لا يصدر إلا عن سلطان ذى رأى ، و أما

أنت فلص من لصوص النصارى و لست بسلطان ، فلو كنت سلطانا أقت

بالإسكندرية ، و ناضلت عنها حين ظفرت بها ، بل هربت بسرعة ، و الهروب

من شأن اللصوص ، بل حوصلت و طرت . و أما قولك البلاد بلادنا ،

فالأمر غير ذلك ، لأن البلاد بلاد الله يورثها من يشاء من عباده ،

و العاقبة للمتقين . و أما قولك القدس قدسنا ، فحاشا لله أن يكون القدس

لك لأنك رجس نجس ، و القدس طاهر مطهر ، و ما ينبغى للرجس

النجس الكافر المشرك أن يكون مجاورا للطاهر المطهر . و أما قولك :

السيف بيننا و بينكم ، فتفقد عسكريك كم خرج منه من قتيل و جريح و رهين ،

و لم يكن بطرا بلس الآن مقاتل^٢ لك غيرى ، و أنا أقل بمالك السلطان ،

فانزل و قاتلنى بما معك و معى .

١٥ و طوى الكتاب ، و رد فى القارب إلى الرمح فربط فيه و رجع .

فأتى قارب القبرسى أخذه ، فلما وقف الملعون على هذا الجواب المسكت ،

حصل له الفرق ، و غص بريقه و انحنق ، و لم يجد لما سمعه جوابا ،

و لا اتجه له عنه خطابا ، فالاجوبة المسكتة مبهتة يعجز عن رد جوابها

(١) فى الأصل : ذو .

(٢) فى الأصل : مقاتلا .

المنطوق ، لعجزه عما لا يطيق . قال الله تعالى^١ : ” فبهت الذي كفر “ .

[من قصص موسى و فرعون -^٢]

و سأذكر لمعا منها إن شاء الله تعالى . قال أمير المؤمنين المأمون^٣ :

/ ما أعياني إلا جواب ثلاثة أنفس : صرت إلى أم الرياشين^٤ أعزيبها عن ابنها ،

٣٤ / ب

فقلت : لا تأسى عليه ، ولا تحزنى لفقدته ، فإن الله عز وجل

قد أخلف لك ولدا يقوم مقامه فما كنت تبسطين إليه فلا تنقبضى عنى به .

فبكت و قالت : يا أمير المؤمنين ! وكيف لا أحزن على ولد أكسبني

ولدا مثلك ؟ ثم قال : و أتيت^٥ برجل تنبأ فقلت له : من أنت من

الأنبياء ؟ قال : موسى بن عمران . فقلت : موسى ! ويحك ! كانت له

آيات و دلالات بان بها أمره ، منها أنه ألقى العصا فابتلعت كيد السحرة ،

و منها إخراج^٦ يده من جيبه و هى بيضاء - و جعلت أعداد عليه

ما أتى به موسى من دلائل النبوة ، و قلت له : إن أتيتنى بشيء من

علاماته أو آية من آياته ، كنت أول من آمن بك ، و إلا قتلتك ،

فقال : صدقت يا أمير المؤمنين إلا أنى أتيت بهذه العلامات فرعون

(١) قرآن كريم سورة ٢ آية ٢٥٨ .

(٢) عنوان القصة المحجوز غير وارد بالنص أو الهامش .

(٣) المأمون خلفته ٢١٨/١٩٨ = ٨٣٣/٨١٣ م .

(٤) أغلب الظن أن المقصود بأم الرياشين زبيدة زوجة الرشيد وهى أم الأمين .

(٥) فى الأصل : و أتيت .

(٦) الكلمة ساقطة من النص و واردة بالهامش .

لما قال : أنا ربكم الأعلى ، فان قلت أنت مقالته أتيتك من العلامات
و الآيات مثل ما أتيت به . قال المأمون : فقلت : هذا نبى يصلح للنادمة .
و سأذكر الآن ما أتى به موسى من العلامات و الآيات لفرعون ،
و أعود إلى ذكر الجواب الثالث إن شاء الله تعالى قوله تعالى لموسى
٥ و هارون عليهما السلام : ” اذها الى فرعون انه طغى “ .

قال الكسائي : أى فى القول و الفعل ^٢ ، و لا يعجبنا زينته و تكبره ،
فانما ^٣ أزوى الدنيا عن أوليائى كما يزوى الراعى غنمه عن مواضع الهلكة ،
” فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى “ ، فقولا له ” انا رسولا
ربك فارسل معنا بنى اسراييل و لا تعذبهم “ أى بالبيان و نقل الحجارة
١٠ و استخدام البناء و غير ذلك . و كانت هذه المخاطبة لموسى وحده
/ الف / و الرسالة لأخيه ، و لذلك تباطأ فى المخاطبة للرسالة ، وإنما أحب أن يشرك
أخاه هارون بقوله ” هو افصح منى لسانا فارسله معى ردا يصدقنى انى
اخاف ان يكذبون ^٤ “ فأعطى الله موسى جميع ما طلب ، و كان سبب طلب
موسى اشتراك هارون معه فى الرسالة أن موسى لما وضعت أمه خافت عليه من
١٥ الذباحين الذين أمرهم فرعون بذبح الأبناء ، فخافت عليه الذبح ،
و ما علمت أن العناية تحوطه من خلفه و من بين يديه ، فألقى فى قلبها

(١) قرآن كريم سورة ٢٠ آية ٤٣ .

(٢) فى الأصل : العقل .

(٣) فى الأصل : فانه .

(٤) قرآن كريم سورة ٢٨ آية ٣٤ .

رمى في النيل ، فجعلته في تابوت من خشب و ألقته في النيل ، فساقته المياه بأمر الله إلى منظر آسية امرأة فرعون ، و كانت على الماء ، فأمرت برفع التابوت إليها ، فلما فتحته إذا بوجه دونه الهلال ، قد لبس حلة الدلال ، فألقى الله تعالى حبه في قلبها ، و عرضته على المرضعات فلم يقبل لأن فاه قد ختم عليه بقفل ، ” و حرمتنا عليه المرضع من قبل “ إلى أن سلّم إلى سليمة من فراقه ، و قيل هذا وعدنا السالف لك بتلاقه ، يا من يئست من ضمّه و عناقه ، اسمعى خطاب الطرب ، ” فرددته إلى أمه “ ، فلما فطمته أمه من الرضاع ساقته لآسية ، فسرت به و أدخلته إلى فرعون ، فأقبل عليه و أجلسه في حجره ، فأغفله موسى و أدخل يده في غصن من أغصان حية فرعون و جبد فخرج الغصن في يده و سال الدم على حجره ، فقال عليّ بالذباحين ! فهذا هو الذي خوّفت منه . فجعلت آسية تتطرح عليه و تقول : ” قرت عين لي و لك لا تقتلوه عسى ان ينفعنا او نتخذة ولدا “ . ثم قالت له : هو رضيع لا عقل له ، و إن شئت أريتك البرهان ، اجعل بين يديه ثمرة و جمرة ، فان أخذ الثمرة و ترك الجمرة / فاذبحه فهو عاقل ، و إن أخذ الجمرة و ترك الثمرة فاعذره . و كان ١٥ / ٤٤ ب فرعون لا يأخذ أحدا إلا يبرهان ، فلما جعل الثمرة و الجمرة في الأرض ، فبادر موسى للثمرة ، فضجّت الملائكة إلى الله تعالى ، فأرسل الله تعالى جبرائيل عليه السلام فحجب الثمرة بجناحه ، فأخذ الجمرة و أهوى بها إلى فيه ، فاحترق لسانه ، فبكي فسكن غيظ فرعون - انتهى .

و سأذكر الآن إشارة ، و هي عجب^١ و أى عجب لجعل النار بردا ٢٠

(١) في الأصل : ألت (٢) في الأصل : عجبا .

و سلاما على إبراهيم الخليل و يحترق بالجمرة لسان موسى الكليم ا قيل إن الخليل أعرض عن الأشياء كلها حتى عن جبرائيل و إسرافيل و ميكائيل ، و نادى ربه بلا واسطة . و الكليم كان صغيرا عند فرعون ، فرما جرى على لسانه مرة ذكر فرعون ، فسلط عليه النار لذكره من سواه .
 ٥ ألا ترى أن يده لم تحترق لأنها كانت في مقام المجاهدة لأنه أخذ بها لحية فرعون ، و ضرب وجهه فحُمّ من تلك الضربة ثلاثة أيام ، و جرى قصة الثمرة و الجمرة . و قيل يا موسى ! إزالة الفطنة تزيل عنك المحنة ، قد عصمت يدك من النار لأنها جاهدت العدو ” و الذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا “ و جوزى اللسان باحراقه لأنه ذكر من جرى القدر بانحرافه
 ١٠ لم لم تحترق^٢ شفتاه ؟ لأن ملك الكلام هو اللسان ، و كانت العقوبة له لا للشفتين^٣ بمنزلة البوابين ليس عليها عقاب - شعر :

و في العقوبة تهذيب تطهره من كل وجه دني جل أو صفرا
 و المنديل الرطب لو لا النار تحرقه ما استنشق الناس عرفا منه مستترا

فكان طلب موسى اشتراك هارون في الرسالة بسبب إحراق لسانه بالجمرة

٤٥ / الف ١٥ بقوله ” هو أفصح مني لسانا “ / ثم إن موسى سار بزوجه بنت نبي الله شبيب إلى أخيه هارون بمصر ، فالتقاها و تعانقا و تباشرا في الشركة في

(١) قرآن كريم سورة ٢٩ آية ٦٩ .

(٢) في الأصل : لم تحرق .

(٣) في الأصل : الشفتين .

(٤) الكلمة ساقطة من الأصل و واردة بالهامش .

الرسالة . تم أقبالا يريدان أمهما ، فذكر لها موسى كيف خرج من مدين مع زوجته بنت بنى الله شعيب ، و كيف صيره الله رسولا ، و كيف سأل ربه أن يشرك بينه و بين أخيه هارون فى النبوة و الرسالة ، فخرت أمهما ساجدة . ثم خرج موسى يطلب دار فرعون ، فلما صار إلى بابه و الحجاب و الجنود كلهم وقوف ، فتقدم موسى فقرع باب فرعون و بعصاته ، فانفتح و دخل موسى إلى القصر ، و كان له تسعة أبواب . و لم يزل كذلك حتى أتى قبة فرعون و لها أربعة أبواب مصفحة بصفايح الذهب فقرع موسى الباب فانفتح ، و كان موسى يقرع الباب بعصاته و يقول : باسم الله الفتح ! فينفتح الباب . فلما فتح موسى القبة رأى فرعون نائما على كرسية ، و كان جبريل حمل هارون إلى عند فرعون قبل إتيان موسى . فلما رأى هارون موسى قام إليه و قال : يا أخى ! قد عجلت فانصرف الآن حتى ندير كيف نلتقى به فى غير هذا الوقت . فانصرف موسى ، و انغلت الأبواب . فلما كان من الغد سار موسى إلى باب فرعون و القوم ينظرون إليه ، فمنهم من عرفه ، و منهم من أنكره لأنه غاب فى مدين عشر^١ سنين يرعى غنم شعيب ، فدخل وزير من وزراء فرعون فقال : أيها الملك ! رأيت على بابك رجلا فأنكرته فسألت عنه ، فقيل هذا موسى بن عمران . فلما سمع فرعون به تغير لونه و ارتعدت فرائصه ، ثم قال : و ما صفته ؟ فقال : هو رجل طويل حسن الوجه حديد النظر / كبير اللحية عليه جبة من الصوف و فى يده عصا حمراء طويلة

(١) فى الأصل : عشرة .

و في رجله نعلان مخصوصتان . فأقبل فرعون إلى هامان و قال له : اخرج
 و انظر إليه و اسأله عن اسمه . فخرج هامان فنظر إليه فعرفه فقال : خذوا
 هذا الرجل حتى يأتي أمر الملك . ثم أمر بحبسه ، و أقبل إلى فرعون
 و قال له : هو موسى و قد حبسته . فالتفت فرعون إلى هارون و كان
 ٥ يجالسه و قال له : كيف قدم أخوك و لم تعلمني به ؟ قال : أيها الملك !
 خشيتك^١ ، و الآن فيها هو بين يديك . فسأله لآي حال قدم من
 أرض مدين . قال : قدم إلى وطنه . قال : فأمر فرعون باظهار زينته ،
 و جلس على سريره ، و وقف الوزراء عن يمينه و شماله ، و وقف هارون
 عن يمينه و في يده عمود من ذهب أحمر . ثم أرسل إلى موسى
 ١٠ فأحضر بين يديه . و قد شاع خبره بمصر ، و فرع^٢ إليه^٣ بنو إسرائيل ،
 فلما سار موسى إلى قبة فرعون قال : اللهم ! إني أعوذ بك من شره ،
 و أستعين بك عليه ، فاكفني^٤ أمره ، إنك على كل شيء قدير .
 ثم وقف بين يديه ، فلما نظر إليه فرعون عرفه و قال له : من أنت ؟
 فقال : أنا عبد الله و رسوله . قال فرعون : أنت عبدى و ابن عبدى
 ١٥ و ابن أمتى . قال موسى : إن الله أعز من أن يكون له ند . قال فرعون :
 أنت رسول إلى من ربك ؟ قال موسى : نعم ، إليك و إلى جميع أهل
 مصر . قال فرعون : فيما ذا أرسلك ؟ قال موسى : بقول لا إله إلا الله
 وحده لا شريك له ، و أن موسى عبده و رسوله . قال فرعون : فما ينتك ؟

(١) في الأصل : خشيته .

(٢) في الأصل : و فرعت .

(٣) في الأصل : عليه .

فان لكل مدع بينة، ولا أقبل قولك إلا بينة يشهد لك بها قلبي،
 ويعرفها كما أعرف هامان وزيري . فقال موسى : إن^١ أتيتك بينة
 تؤمن بي ؟ / قال : نعم . قال موسى : يا هارون ! بلغه الرسالة بالشهادة .
 فقال هارون يا فرعون " انا رسولا ربك فارسل معنا بني اسرائيل
 ولا تعذبهم " بالاستخدام ، و " قد جئناك بآية من ربك " . فتحير فرعون .
 لأنه كان عنده أن هارون لا يشهد لأخيه موسى لاختصاصه به
 ومكانه منه . فقال فرعون : و من ربكما يا موسى ؟ " قال ربنا الذي
 اعطى كل شيء خلقه ثم هدى^٢ " - الآية إلى آخرها ، وفي كل ذلك
 يقول هارون : صدقت يا أخي موسى ! فغضب فرعون و قال : يا هامان !
 اخلع لباس هارون حتى يذوق الذل والهوان ، وكان عليه لباس فاخر^٣ ،
 فسلبه هامان جميع ما كان عليه حتى بقي في سراويله . فنزع موسى مدرعته
 فألبسه إياها . ثم أقبل فرعون على موسى و قال له : " ألم نربك فينا
 وليدا و لبثت فينا من عمرك سنين و فعلت فعلتك التي فعلت^٤ " - يعني قتلت
 القبطي ؟ قال : بلى " فعلتها اذا و انا من الضالين " عن التوبة " ففررت

(١) في الأصل : اني .

(٢) قرآن كزيم سورة ٢٠ آية .

(٣) في الأصل : لباسا فاخرًا .

(٤) أغلب هذه المستخرجات من « سورة الشعراء » (انظر القرآن الكريم

سورة ٢٦ آية ١٩ و ما قبلها و ما يليها .

منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكما و جعلني من المرسلين ٥ - يعني إليك يا فرعون . ثم قال موسى : " و تلك نعمة تمنها علي ان عبدت بي اسرايل ٥ " و جعلتهم عبيدا لك تذبح أبناءهم و تستحي نساءهم ، تريد تذكرني إحسانك و تنسى إساءتك إلى بني إسرائيل و هم عبيد رب العالمين .

٥ و كان متكئا فاستوى جالسا و قال : " و ما رب العالمين ٥ " ؟ " قال رب السموات و الارض و ما بينها ان كنتم موقنين ٥ " . قال : فالتفت فرعون إلى من حوله و قال : " الا تستمعون ٥ " - يعني إلى ما يقول موسى . قال موسى : " رب اباؤكم الاولين ٥ " . قال فرعون " ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون ٥ " / فقال موسى : " رب المشرق و المغرب و ما بينها ان كنتم تعقلون ٥ " . قال فرعون : يا موسى " لن اتخذت الها غيرى لاجعلنك من المهجورين ٥ " . قال موسى : " اولو جنتك بشيء مبين ٥ قال فات به ان كنت من الصادقين ٥ " قال : فاضطربت العصا في كفه ، فقال جبريل : ألقها يا موسى ! فألقاها فاذا هي حية تسعى ثعبان عظيم ، و كانت على مثال الجمل ، و قامت على رجليها ، و صارت تبتلع الصخر الذي في دار فرعون بعد هدمها للدار بكلكها ، ثم تنفست في الخزان و البيوت فالتهمت ، ثم عطفت على قبة فرعون ، و فيها ثلاثمائة وستون خوخة فضربتها بذنبها فطحطحتها ، و جعلت لا تمر بشيء إلا ابتلعه ، ثم جعلت تهيج كما بهيج الشارد من الإبل ؛ و لها صوت كهو صوت الرعد القاصف ، و الناس يهربون منها يمينا و شمالا . ثم أقبلت الحية إلى فرعون تريده ،

(١) في الأصل : تسمعون .

فلما رآها تقصده، وثب قائماً على سريره، ورمى بنفسه عن السرير .
وكان فرعون يومئذ أعرج، فجعل يعدو بعرجته، والحية أخذت بذيله .
فقال: يا موسى! بحق الترية، وبحق الرضاة، وبحق آسية بنت مزاحم،
و كانت ربت موسى، إلا ما خلصتني من هذه الحية . فصاح موسى بالحية
يا صافور! فالتفت وأقبلت نحوه كالكلب المستأنس بصاحبه، فأدخل ٥
موسى يده في فيها، وقبض على لسانها: فاذا هي عصا كما كانت أول مرة
بإذن الله تعالى . فلما نظر فرعون إلى ذلك، رجع إلى سريره وقال:
يا موسى! لقد تعلمت في سفرك سحراً عظيماً . فقال موسى: أ سحر هذا!
” ولا يفلح السحر حيث أتى “ . قال فرعون: فهل عندك شيء غير هذا؟
قال موسى: نعم، وأدخل يده في جيبه، ثم أخرجها وعليها شعاع ١٠
كشعاع الشمس لقوله تعالى: ” فاذا هي بيضاء للّٰنظرين “ فأقبل فرعون
على قومه وقال: ” ان هذا لسحر عليم . يريد ان يخرجكم من ارضكم
بسحره، فماذا تامرونه؟ “ . قال له قومه: ” اتذر موسى وقومه ليفسدوا
في الارض و يذكرك و الهتك “ . يعنى انظر في أهل مصر، قال فرعون:
/ فما الذى عندكم؟ أى من الرأى . قالوا: الرأى عندنا أن يرحل^٢ بنو إسرائيل ١٥
عن أرض مصر و تقتل موسى لكيلا يفسد علينا ديننا . فذلك قوله تعالى

(١) قرآن كريم سورة ٧ آية ١٠٨ .

(٢) قرآن كريم سورة ٧ آية ١١٠ وفي العبارة اقتباس مع التصرف
من آى سورة الأعراف .

(٣) في الأصل: ترحل .

(٤) في الأصل: بنى .

” انى اخاف ان يبدل دينكم او ان يظهر فى الارض الفساد“ . فلما عزم فرعون على قتل موسى ، أقبل إليهم حمويل بن حامل ، و كان رجلا مؤمنا من آل فرعون يكتنم أيمانه ، و قال : ” انقتلون رجلا ان يقول ربى الله و قد جاءكم بالبينت من ربكم“ و هى العصا و اليد البيضاء ، ” و ان يك كاذبا فعليه كذبه و ان يك صادقا يصبكم بعض الذى يعدكم“ به من العذاب . ثم أقبل عليهم أيضا فقال : ” يقوم لكم الملك اليوم“ يعنى فى الأرض ، و رؤيتكم آية الله فيجب عليكم أن تشكروه و لا تكفروه . ففرع فرعون من قول المؤمن ، فقال المؤمن : ” ما اريكم الا ما ارى و ما اهدىكم الا سبيل الرشاد“ يعنى الحق . ثم خوفهم بعذاب قوم نوح و عاد و ثمود و الذين من بعدهم ، و أن الله أهلكتهم بأنواع العذاب حين كذبوا رسله . ثم قال : و ” يقوم انى اخاف عليكم يوم التناد“ ، يعنى يوم القيامة ” يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم“^٢ يعنى من مانع . فلما سمع فرعون كلامه غضب عليه و قال له : كأنك يا حمويل ممن يؤمن بهذين و ما هما عليه ا فارجع عن ذلك و إلا عاقبتك بأنواع العذاب . قال حمويل : ١٥ ” ما لي ادعوكم الى النجوة و تدعوننى الى النار و تدعوننى لا كفر بالله و اشرك به ما ليس لى به علم و انا ادعوكم الى العزيز الغفار و لا جرم انما تدعوننى

(١) قرآن كريم سورة . ٤٠ آية ٢٦ .

(٢) قرآن كريم سورة . ٤٠ آية ٣٣ .

إليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة وان مردنا الى الله وان
المسرفين هم اصحاب النار فستذكرون ما اقول لكم و افوض امرى الى الله
ان الله بصير بالعباده " يعنى عند معاينة العذاب تذكرون نصحى . ثم قام
من عند فرعون ، فلحق موسى و هارون و تبعهم ، فأقبل المملأ من قوم
فرعون عليه ، فقالوا : أيها الملك ! إن هذين الرجلين لساحران ، فأرجئهما
و ابعث فى المدائن حاشرين ياتوك بكل ساحر عليم .

٤٧/ب قال : فأمر بذلك كل من فى البلاد ، فاجتمع له سبعون ألف
ساحر ، فاختر منهم سبعين^١ ساحرا لم يكن فى عصرهم مثلهم فى علم
السحر . ثم بعث إلى موسى فدعاه ، قال : اجعل " بيننا و بينك موعدا
لا نخلفه نحن و لا انت مكانا سوى^٢ " فقال موسى : " موعداكم يوم
الزينة " . فلما كان اليوم ، اجتمع الناس من أطراف أرض مصر ،
و أتى السحرة فقالوا لفرعون : " ان لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين^٣
قال نعم و انكم لمن المقربين^٤ " يعنى عندى . و خرج فرعون إلى ذلك
الوادي ، و قد فرش جميعه بالزينة و أنواع الفرش ، و نصبت له الأسرة
و الكراسى ، و أرسل إلى موسى فأحضره ، فأقبل موسى و معه هارون ،
١٥ فرأيا الوادى مملوءا بالرجال و النساء ، و رأيا وسط الوادى قد امتلأ^٥
من الحبال و العصى ، و كانوا قد جعلوا بين كل حبلين أبيضين^٦ عصوين^٧
سوداوين ، و بين كل عصوين^٨ سوداوين حبلين أبيضين . فوقف موسى
و هارون بينهم ، و قال موسى : أيها السحرة ! " لا تفتروا على الله كذبا

(١) فى الأصل : سبعون .

(٢) فى الأصل : عصاوين .

فيسحتكم بعذاب“، معناه يهلككم، ”وقد خاب من اقترى“، يعني خسر من كذب .

و كان في جملة السحرة ساحران عظيمان في السحر، يقال لأحدهما درام و الآخر ربات، فتقدما و هما رأسا السحرة فقال: ”يُموسى اما ان تلقى و اما ان نكون اول من التى قال بل القوا“ . و أحب موسى أن يرى فرعون السحرة في حبس العصا، و كانوا قد أداروا الأحبال، فهم موسى أن يلقي عصاه، فمنعه جبريل و ألقى على لسانه ”بل القوا“ . فلما ألقوها سحروا أعين الناس . قال الله تعالى: ”فاذا حبالهم و عصيهم يخيل اليه من سحرهم انها تسعى“ . يعنى تمشى . قال الله تعالى: ”و جاءوا بسحر عظيم“ . و امتلأ الوادى من الحبال و العصى، و جعل بعضها يدور على بعض، ثم ”قالوا بعزة فرعون، انا لنحن الغلبون“ ”فأوجس في نفسه خيفة موسى . قلنا لا تخف انك انت الاعلى“ / و الق ما في يمينك تلقف ما صنعوا انما صنعوا كيد سحر و لا يفلح السحر حيث أتى“ . ”قال موسى ما جئتم به السحر ان الله سيبطله ان الله لا يصلح عمل المفسدين“ . و ألقى موسى عصاه، فصارت ثعبانا لها سبعة رؤوس كل رأس منها أعظم ما كان من قبل، و صار على

الف/ع

(١) قرآن كريم سورة ٢٠ آية ٦٦ .

(٢) في هذا الموضع خلط بين أجزاء من سورة الشعراء (انظر سورة ٢٦

آية ٤٤) و سورة طه (انظر سورة ٢٠ آية ٦٩) .

(٣) في الأصل : ثعبان .

ظهرها مثل الأسننة . ثم إنها أكتت على جبالهم و عصيهم ، فابتلعتها
 عن آخرها ، و ابتلعت جميع ما كان في الوادي من زينة فرعون ،
 و مضى فرعون و وزراؤه [حتى] وقفوا على موضع عال ينظرون إلى
 ما تفعل الحية و هم خائفون على أنفسهم منها . ثم حملت الحية على
 سبعين رجلا من كبارهم ، فولوا هاربين ، و حملت على الساحرين رأسى^٥
 السحرة فلدحا جميعا حتى لدحا بغيرهم من السحرة ، فقال أحدهما و كان
 أعمى : هل كبر بطن الحية بما أكلته من الجبال و العصي و الزينة ؟
 فقال : له صاحبه : ما زاد بطنها و لا نقص . فقال : ما هذا سحر .
 ثم خرت السحرة بأجمعهم ساجدين ، و " قالوا امنا رب العالمين رب موسى
 و هرون " فعند ذلك اغتم فرعون و قال : إن الغلبة لموسى على . فقال^{١٠}
 للسحرة : " ائتم له قبل ان اذن لكم إنه لكبيركم الذى علمكم السحر
 فلاقطعن ايديكم و ارجلكم من خلاف و لا وصلبنكم " . و أمر بصلب
 القوم أجمعين . فعندها قالت السحرة : " لن نؤثرك على ما جاءنا من
 البيئت و الذى فطرنا فاقض ما انت قاض إنما تقضى هذه الحيوه الدنيا
 انا امنا ربنا ليغفر لنا خطيئنا و ما اكرهتنا عليه من السحر و الله خير^{١٥}
 و ابقى " ثم صلبوا على سبعين جذعا بعد قطع الأيدي و الأرجل
 من خلاف .

قال ابن عباس : كان هؤلاء السحرة في أول النهار مع فرعون
 سحرة ، و في آخر النهار في الجنة بررة . ثم أمر فرعون هامان أن يبنى

(١) في الأصل : رأسا .

له صرحا - يعنى قصرًا مشيدًا ، قال : لعلى أبلنغ ' أطراف السماء ' ،
 / " فاطلع الى اله موسى " . قال : فجمع هاما ن ألف بناء و صانع ، و كانوا
 قوما يطبخون الآجر و ينقلون الحصى ، و قوم ينقلون الخشب ،
 و آخرون يضربون المسامير فى الأبواب ، فلما عزموا على البناء ، خرج
 ٥ إليهم فرعون على فرسه الكفاح و وزراؤه ' عن يمينه و شماله ، و أمرهم
 بالبناء ، و كانوا يبنون الليل و النهار لا يفترون حتى ارتفع البناء و علا
 القصر فى الهواء ارتفاعا عاما ما انتهى إليه بناء أحد . فاشتد ذلك على
 موسى و هارون لأن بنى إسرائيل كانوا معذبين فى بنائه . فأوحى الله
 تعالى إلى موسى عليه السلام أنى سأهدم ما بناه فرعون فلا تعجل .
 ١٠ فلما انتهى البناء أمر الله عز و جل جبريل بهدمه ، فجعل جبريل أسفله
 أعلاه و أعلاه أسفله ، و مات كل من فيه من الصناع ممن كان على
 دين فرعون . و جعل المؤمنون يزدادون و يجتمعون إلى موسى
 حتى ٣ كثروا .

ثم إن الله تعالى أخذ قوم فرعون بالآيات التسع ، فحبس عنهم
 ١٥ الغيث و أجذبت الأرض و ماتت المواشى . قال كعب الأحبار : فلما
 كان بعد خراب الصرح ، و هو أول ما جاءهم بعد الجذب الطوفان

(١-١) كذا فى الأصل ، و فى القرآن الكريم سورة ٤٠ آية ٣٦ و ٣٧
 " الأسباب * أسباب السموات " .

(٢) فى الأصل : و وزرائه .

(٣) فى الأصل : حين .

قدام عليهم ثمانية أيام بلياليها ، لا يرون فيها شمسا حتى امتلأت الأسواق
والدور بماء المطر ، فخافوا الغرق والتجأوا إلى فرعون فقال : انصرفوا
فأنا أكشف عنكم ذلك . ثم دعا موسى فسأله أن يدعو ربه يكشف
عنهم ما نزل بهم من الرجز لقوله تعالى : " لئن كشفت عنا الرجز
لؤمنن لك " يعنى الطوفان " ولنرسلن معك بنى اسرائيل ه فلما كشفنا
عنهم الرجز إلى اجل هم بالغوه إذا هم ينكثون ه " فأرسل الله عليهم
الجراد فأكل زرعهم و أشجارهم و تمارهم و أكل ما فى بيوتهم من المتاع
حتى الأبواب الحديد . و دام عليهم^٢ ثمانية أيام ، فشكوا إلى فرعون
فوعدهم بصرفه . فدعا موسى و ضمن له أن يؤمن ، فدعا موسى فصرفه
عنهم ، فلم يؤمن ، فأرسل الله / سبحانه و تعالى ريحا باردا فقتل الجراد ١٠ / ٤٩ الف
حتى لم يبق بأرض مصر جرادة واحدة ، فلم يؤمنوا . فأرسل الله عليهم
القمل ، فأكل جميع ما على وجه الأرض ، و وقع فى ثيابهم ، و كان
كبيرها يقرضهم و يقرض أبدانهم و شعور نسائهم فيقطعها ، أهلكت
فرشهم بأسرها ، فضجوا إلى فرعون ، فصرفهم و دعا بموسى و وعده
بالإيمان ، فصرف الله تعالى عنهم جميع ما كان عليهم من القمل ، ١٥
فلم يؤمنوا و ازدادوا كفرا . فبعث الله عليهم الضفادع ، فكانت^٣ أشد
عليهم من جميع ذلك ، لأنها تقع فى طعامهم و قدورهم و ثيابهم

(١) قرآن كريم سورة ٧ آية ١٣٤ و ١٣٥ .

(٢) فى الأصل : عليه .

(٣) فى الأصل : فكان .

و فرشهم، و للضفادع رائحة منتنة، فبقوا في ذلك ثمانية أيام، فشكوا إلى فرعون، فدعا بموسى و ضمن له أن يؤمن به، فدعا موسى ربه، فأمات الضفادع، و أرسل عليهم مطرا، فأخرجهم إلى البحر فازدادوا كفرا. فأوحى الله تعالى إلى موسى أن اضرب بعصاك النيل، فضربه ٥ فتحول دما عبيطا^١ حتى إذا أخذه الإسرائيلى كان ماء، و إذا أخذه الفرعونى كان دما عبيطا، و دام عليهم ذلك ثمانية أيام حتى اشتد بهم العطش و الجهد، و خافوا على أنفسهم و أولادهم و أهاليهم. فجأؤا إلى فرعون و قالوا له: انظر ما حل بنا. فقال لهم: سيروا إلى غدا^٢، سأكشف عنكم هذا. فدعا بموسى و قال له: اكشف هذا و أنا أومن. فدعا الله تعالى، فما ازدادوا إلا كفرا. قال موسى: يا رب! أنت ١٠ "أتيت فرعون و ملاه زينة و أموالا في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على أموالهم و اشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم^٣". و دعا موسى، و آمن هارون على دعائه، فأوحى الله تعالى إليهما: قد أجبت دعاءكما فاستقيما - يعنى على الرسالة. فطمس الله ١٥ ب/٤٩ تعالى على كثير منهم / حتى احتجب^٤ الرجال و النساء، و صار الذهب حجارة. ثم إن الزوجين يصبحان^٥ متعاقين و قد مسخا حجرا واحدا،

(١) أى صافيا .

(٢) فى الأصل : غد .

(٣) فى الأصل : احتجبوا .

(٤) فى الأصل : يصبها .

و الخباز يخبز و قد صار مع التنور حجرا ، كل ذلك بأمر رب العالمين .
 فلم يؤمنوا فقال الله تعالى ^١ : ” و لقد اتينا موسى تسع آيات بينت “ .
 قال عمر بن عبد العزيز في تفسيره : العصا و اليد البيضاء و الطوفان
 و الجراد و القمل و الضفادع و الدم حتى ^٢ صار دما عبيطا و الطمس
 و انقطاع النيل ، ثم أخرج عمر بن عبد العزيز خريطة فيها دنانير و دراهم
 و جواهر و حنطة و شعير و أرز و حمص و عدس و ماش و لوبيا و غير
 ذلك ، و قد مسخها الله حجارة في وقت الطمس . فلما طغى فرعون
 و بغى ، أتى جبريل إلى موسى ، قال له : إن الله يأمرك أن ترحل
 بنى إسرائيل عن ديار فرعون . فنادى موسى في بنى إسرائيل بالرحيل
 فارتحلوا ، و سار معهم موسى و هم ^٣ يومئذ ستمائة ألف من ذرية يعقوب
 عليه السلام ، فسمع فرعون برحيلهم ، فنادى في قومه و هم ألفاء ، ألف
 و ستمائة ألف ، و سار بهم حتى قرب من بنى إسرائيل ، فقالوا : يا موسى
 قد لحقنا فرعون و جنوده ، و البحر أمامنا و ذلك البحر يسمى القلزم^٤ .
 فقال موسى : ” ان معي ربي سيهدين “ ، و دعا ربه فأوحى الله تعالى^٥

(١) قرآن كريم سورة ١٧ آية ١٠١ .

(٢) في الأصل : حين .

(٣) في الأصل : هو .

(٤) في الأصل : الفى .

(٥) في الأصل : القلزم .

(٦) قرآن كريم سورة ٢٦ آية ٦٣ .

”ان اضرب بعصاك البحر“ فضربه فانفرد اثني عشر طريقا، فنجوا^١ بنو إسرائيل، فقبعهم في تلك الطرق فرعون و جنوده إلى أن صاروا كلهم في البحر، فانطبق عليهم البحر فغرقوا جميعهم . فلما نجى الله تعالى بنى إسرائيل من الغرق قالوا : يا موسى ! زيد [أن - ٢] ننظر فرعون غريقا، فالتقى البحر فرعون على الساحل، فنظروا إليه كالثور عليه بشت^٢ من الذهب و الأمواج تضرب فيه فأيقنوا بهلاكه، فنزعوا عنه البشت الذهب و غيره من ملبوسه، و تركوه ملقى و مضوا، فمضى بهم موسى عليه السلام إلى الموضع / الذي بعثه الله فيه رسولا، و هو جبل الطور كما تقدم ذكر مضيه^٣ يقتبس النار، فكان ذلك سبب نبوته و رسالته، فأغنى تفصيل ذلك عن إعادته، فلما [سار - ٥] موسى بنى إسرائيل، رأوا في ممرهم قوما عاكفين على أصنامهم، فقالوا: ”يُموسى اجعل لنا الهة كما لهم الهة“ قال انكم قوم تجهلون^٤ ان هؤلاء متبر ما هم فيه و باطل ما كانوا يعملون^٥، كيف تعبدون الأصنام و إن ربكم الذى خلقكم نجاكم من فرعون و جنوده بخلق الله تعالى لكم البحر و إغراق عدوكم و تقولون ”اجعل لنا الهة

٥/ الف

(١) في الأصل : فنجت .

(٢) ليست بالنص و تكتمل بها العبارة .

(٣) البشت أى العباة، و الكلمة مستعملة في قرى مصر بهذا المعنى .

(٤) في الأصل : مضيته .

(٥) الكلمة ساقطة من الأصل، و ورد بهامشه « لعله سقط سار » .

(٦) قرآن كريم سورة ٧ آية ١٣٨ و ١٣٩ .

كما لهم 'الهة' ! ثم إن الله تعالى وعد موسى ثلاثين ليلة و أتمها بعشراً ، فاستخلف موسى أخاه^٢ هارون و مضى إلى جبل الطور ليرسم كلام ربه ، فصنع السامري في غيبته العجل لبني إسرائيل من حلي القوم ، فخار العجل و صار له حوار . فقال لهم : " هذا الهكم و اله موسى " .
فقال إليه قوم كثير و امتنع قوم آخرون^٣ . فاغتم هارون لذلك ، و لم يمكنه التغيير عليهم خوفاً أن يقتلوه . فلما رجع موسى بعد أربعين بالالواح التي فيها التوراة ، و كانت تلك من الزمرد الأخضر ، و رأى ما صنع^٤ بنو إسرائيل من عبادتهم للعجل ، ألقى الألواح من يده فتكسرت ، و أخذ بلحية أخيه هارون و قال له : اني دعوت بني إسرائيل إلى عبادة الله أربعين سنة ، و ضيعتهم أنت في أربعين يوماً ! قال : يا ابن أم ! ارفق بي ١٠ فاني أكبر منك سناً ، و " ان القوم استضعفوني و كادوا يقتلونني " ، فاستحي موسى و ضمه إلى صدره . ثم أقبل على السامري و أخرجته من عسكره ، و كسر العجل قطعاً و أحرقه بالنار . ثم أقبل على بني إسرائيل فقال :
" انكم ظلمتم انفسكم با اتخاذكم العجل " / بعد عبادة الله تعالى ، و بعد ما نجاكم

٥٠ / ب

(١) في الأصل : بعشرة .

(٢) في الأصل : اخوه .

(٣) في الأصل : آخرين .

(٤) في الأصل : وكان .

(٥) في الأصل : صنعت .

(٦) في الأصل : بني .

من فرعون . فقالوا : نتوب ، لو أمرتنا بقتل أنفسنا ل فعلنا ذلك . فأوحى الله تعالى^١ إلى موسى : يا موسى ! قد رضيت بحكمكم في أنفسكم ، فقل لهم يفعلون ذلك إن كانوا صادقين ، فبلغهم موسى رسالة ربهم ، فقالوا : كيف نقتل أنفسنا ؟ قال : يا قوم ! من لم يعبد العجل يقوم إلى من عبد العجل فيقتله . فقام من لم يعبد العجل و في أيديهم الخناجر إلى الذين عبدوا العجل ليقتلوه^٢ ، و أرسل الله عليهم الظلمة حتى لم يبصر بعضهم بعضا ، فكان الرجل يأتي إلى أخيه ، و ابنه و ابن عمه و نسيبه و هو لا يعرفه من شدة الظلمة ، و لم يزل يعمل الخناجر في الذين عبدوا العجل حتى خاض^٣ القوم في الدم ، فضج النساء و الصبيان إلى موسى و قالوا : العفو العفو يا موسى ! فدعا الله تعالى بالعفو عنهم ، فلم تعمل الخناجر فيهم . و قبل الله توبتهم ، فرفعوا الخناجر ، فرفعت الظلمة عنهم .

قال ابن عباس : كان عدة الذين عبدوا العجل مائتي ألف ، فقتل منهم سبعون ألفا كلهم استشهدوا ، و الباقيون مغفور لهم . ثم أقبل موسى على بني إسرائيل بالتوراة و قال : هذا كتاب ربكم فيه الحلال و الحرام و الأحكام و الحدود و الفرائض و السنن و الرجم للزاني المحصن و القطع للسارق و القصاص في كل ذنب . فضجوا من ذلك و قالوا : لا حاجة لنا في هذه الأحكام ، و ما فيه من عبادة العجل كان أوفق لنا ، و لم يكن

(١) في الأصل : فأمر الله تعالى فأوحى الله تعالى .

(٢) في الأصل : فيقتله .

(٣) في الأصل : خاضوا .

في عبادته علينا قطع ولا رجم ولا قصاص . فقال موسى : يا رب إني قد علمت أنهم ردوا كتابك ، وكذبوا بآياتك . فأمر الله الملائكة فرفعوا جبل طور سيناء في الهواء على جميع بني إسرائيل حتى لم يروا السماء ، و نودوا من الهواء : / إن قبلتم الكتاب و إلا ألقى الله عليكم هذا الجبل ! فقالوا : سمعنا و عصينا . فجعل الجبل يبدنو منهم حتى ظنوا أنه يسقط عليهم ، فظنوا أنهم يموتون^١ ، فخرّوا سجداً وهم بين ساخط و راض ، و كان سجودهم على حواجبهم و هم يلحظون^٢ الجبل خوفاً أن يسقط عليهم ، فلأجل ذلك يكون سجود اليهود في صلواتهم على حواجبهم . فلما قبلوا الكتاب رد عنهم الجبل . قال الله تعالى^٣ : ” و اذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة و ظنوا أنه واقع بهم “ - الآية . و كان موسى يقرأ عليهم في كل سبت و يشرع لهم الأحكام ، فصاروا إلى طلب العكس ، و كثرت أمواهم - و قصة موسى مع فرعون و بني إسرائيل طويلة ، فلنقتصر منها على هذا القدر .

عود إلى حكاية المأمون^٤

و لنذكر الآن الجواب الثالث الذي أعي المأمون كالجوابين ١٥ المتقدمين . و ذلك أن أهل الكوفة اجتمعوا يشكون عاملاً عليهم .

(١) في الأصل : يموتوا .

(٢) في الأصل : يلحظوا .

(٣) قرآن كريم سورة ٧ آية ١٧١ .

(٤) العنوان المحجوز غير وارد بالنص أو الهامش .

قال المأمون: و كنت أحمد مذهبه و أرضى سيرته ، فوجهت إليهم أنى
على القعود لكم فى غداة غد ، فاخترأوا رجلا تولونه المناظرة عنكم ، فانى
عارف بكثرة كلامكم . فقالوا : ما فىنا من نرتضيه إلا رجل أطروش ،
فان صبر أمير المؤمنين عليه تفضل بذلك ، فوعدهم الصبر عليه ، و حضروا
من الغد ، فأمرت بادخال الأطروش ، فلما مثل بين يدى أمرته بالجلوس .

ثم قلت له : ما الذى تشكونه من عاملكم ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ا هو شر
عامل فى الأرض ، أما فى أول سنة وُلينا فانا بعنا أثاثنا و عقارنا ، و أما فى
السنة الثانية بعنا ذخائرنا و متاعنا ، و فى السنة الثالثة خرجنا عن بلدانا و استغثنا
بأمر المؤمنين ليرحم شكوانا و يتطول بالأمر بصرفه . فقلت له : كذبت

٥١ / ب ١٠ / لا أم لك ا بل هو رجل قد حمدت مذهبه ، و رضيت سيرته و طريقته ،

واخترته لكم معرفة منى بقديم سخطكم على عمالكم ، فقال : يا أمير المؤمنين ا

صدقت أنت و كذبت أنا ، و لكن هذا العامل الذى ذكرت أمانته و عفته

و عدله و إنصافه للرعية كيف خصصتنا به هذه السنين دون البلاد التى قد

ألزمك الله من العناية بأموورها مثل ما ألزمك من العناية بأمرنا ، فاستعمله

١٥ على هذه البلاد حتى يشملهم من العناية و عدله مثل الذى شملنا . فقلت

له : قم فى غير حفظ الله و لا ستره فقد عزلته عنكم - انتهى .

فلنذكر الآن خبر أبى دلف العجلي مع المأمون إن شاء الله . قيل

أراد المأمون أن يوقع أبى دلف قاسم بن عيسى العجلي ، فقال : يا أبأ دلف ا

(١) فى الأصل : يا أمير . (٢) فى الأصل : احدث .

قال : لبيك يا أمير المؤمنين ! قال : أنت الذي يقول فيك الشاعر المعروف بالعكوك :

إنما الدنيا أبو دلف عند بادية و محتضر
فاذا ولى أبو دلف و لت الدنيا على أثر

قال : لا تسمع هذا يا أمير المؤمنين ! فإن ذلك شهادة زور ، و قول غرور ، و
و ملاق محتاج ، و أصدق منه ابن أخت لي إذ يقول لي :

دعيني أجوب الأرض في فلواتها فما الكرج الدنيا و لا الناس قاسم

قال : فطابت نفس المأمون بجوابه المسكت ، و « عجل » بطن من بكر بن
وائل ، ثم من ربيعة أخى مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، فيقال لمن

كان من قبيلة عجل : العجلى ، و كان أبو الحسين الشاعر الخراساني المعروف ١٠
بالعكوك هو الذي مدح أبا دلف قاسم العجلى بالبيتين المتقدمين ، و عليهما
زيادة بيتين آخرين و هما :

كل من في الأرض من عرب بين بادية إلى حضره
مستعار منك مكرمة يكتسيها يوم مفتخره

فبلغ ذلك المأمون فغضب غضبا شديدا ، و تطلب العكوك المذكور ، ١٥

فلما صار بين يديه قال له : يا ابن اللخناء ! أنت القائل في مدحك

/ لأبي دلف العجلى « كل من في الأرض من عرب » و أنشد البيتين ، ٥٢ / الف

جعلتنا يا ابن اللخناء ممن يستعير المكارم من أبي دلف و الافتخار به .

(١) في الأصل : بالكعوك ، و هذه صحتها و وردت كذلك فيما بعد .

(٢) في الأصل : أبو .

قال : يا أمير المؤمنين ! أنتم أهل بيت لا يقاس بكم ، لأن الله تعالى اختصكم
لنفسه ، و آتاكم الكتاب و الحكم ، و آتاكم ملكا عظيما ، و إنما ذهبت
في قولي إلى أقرب أبي دلف من هذا الناس . فقال : و الله ما أبقيت
أحدا ! و لقد أدخلتنا في الكل ، و ما أستحل دمك بكلمتك هذه ، و لكن
٥ أستحله بكفرك في شعرك حيث قلت في عبد ذليل مهين ، فأشركت بالله
و جعلته مالكا قادرا ، و هو قولك في مدحك له تقول :

أنت الذي تنزل الأيام منزلها و تنقل الدهر من حال إلى حال

و ما مددت مدى طرف إلى أحد إلا قضيت بأرزاق و آجال

ذاك الله عز و جل يفعله ، سلوا لسانه من قفاه . فأخرجوا لسانه من

١٠ قفاه فمات .

و كان أبو دلف شجاعا و خليعا ، فمن شجاعته أنه شك برمحه راكبين

على فرس ، فنفذ السنان في طعنته تلك في الأول و الثاني شكهما معا ،

فقال الشاعر أبياتا منها :

لا تعجبوا لو أن طول قناته ميلا لشك بها الفوارس ميلا

١٥ و من خلاعة أبي دلف قوله يصف شجاعته و خلاعته :

يوما ترانى على طمر ترهني الأجل الرواسي

و يوم هو أحث كأسا و خلف أذني قضيب رأسي^٢

و كان المأمون بصيرا بعلوم متعددة من فقه و طب و شعر و فرائض .

روى أنه جلس يوما للناس ، و في مجلسه العلماء و الأمراء ، فجاءت امرأة

(١) نقلنا الكلمة من الشطر الأول في الأصل لصالح وزن البيت .

(٢) في الأصل : آسي .

تتظلم إليه، و ذكرت أن أباها توفي و ترك ستمائة دينار، فلم يحصل لها من ميراثه سوى دينار. فقال لها على البديهة: قد وصل إليك حَقُّك. قالت: بماذا يا أمير المؤمنين؟ قال: كأن أخاك قد ترك بنتين و زوجة و أما و اثني عشر أخا و أختا و هي أنت. قالت: نعم يا أمير المؤمنين! قال: للبنتين الثلاثان أربعمائة دينار، و للأم السدس مائة دينار، و للزوجة الثمن خمسة و سبعون ديناراً؛ تبقى خمسة و عشرون ديناراً، لكل أخ ديناران و لك دينار. فتعجب الحاضرون من فطنته / و سرعة جوابه.

٥٢/ب

و إذ قد ذكرت هذه المسألة المحيرة للعقل، فسأذكر ما قيل في نظائرها إن شاء الله تعالى. سئل بعض العلماء عن رجل آبق له غلام، فقال: هو حر إن طعمت طعاماً حتى أجده. فقال العالم المسؤول: يهبه لبعض ولده حتى يجده و يأكل متى شاء.

مسألة - رجلان^٢ كانا فوق سطح، فمال أحدهما فسقط و مات، فخرمت على الآخر امرأته. الجواب - إن امرأة الحى كانت أمة الذى سقط و مات، و كان الزوج بعض ورثته، فصارت الأمة ميراثاً، ١٥ فخرمت عليه.

(١-١) العبارة سقطت من النص و أضيفت بالهامش بقلم آخر، وفيه «أم» مكان «أما».

(٢) في الأصل: عشرين.

(٣) في الأصل: رجلين.

مسألة - رجلان^١ خطبا امرأة، فحلت لأحدهما ولم تحل للآخر من غير مكروه. الجواب - إن أحد الرجلين له أربع نسوة، فحرمت عليه الخامسة، والآخر لم يكن له امرأة فحلت له الخطبة والنكاح.

مسألة - رجل ذبح شاة في منزله، ثم خرج لحاجته، فرجع وقد حرمت عليه الشاة. الجواب - إن هذا الرجل كان مشركا وثنيا ذبح على ذباجة النصب، وخرج لحاجته فأسلم، فقال لأهله: كلوا فقد حرم على الأكل منها لأنى أسلمت. قالوا: وقد حرم علينا أيضا الأكل منها لأنا أسلمنا.

مسألة - امرأة تزوجت في شهر واحد ثلاثة أزواج كلهم حلال غير حرام. الجواب - إن هذه المرأة طلقها زوجها وهي حامل، فولدت فعدتها ولادتها، ثم بعد الطلاق بعشرة أيام خطبها رجل آخر، فاختلعت منه قبل أن يدخل بها، فلم يكن لها عدة، ثم خطبها رجل آخر فدخل بها، فذلك ثلاثة أزواج في شهر واحد.

مسألة - رجل حرمت عليه امرأته سنة ثم حلت له من غير حنث ولا طلاق ولا عدة. الجواب - إن هذا الرجل وامرأته كانا محرمين في الحج فلم يدركا الحج، فلم تزل امرأته حراما عليه حتى كان العام المقبل وحجا فحلت له ووطئها^٢.

مسألة - امرأتان^٣ لقيتا غلامين فقالتا: مرحبا بابنينا وابنى زوجينا

(١) في الأصل: رجلين.

(٢) في الأصل: ووطئها، بسقوط واو العطف.

(٣) في الأصل: امرأتين.

وهما زوجانا^١ . / الجواب - إن المرأتين كان لهما ابنان فتزوجت كل واحدة منهما بان صاحبتهما، فكانا ابنيهما و زوجيها و ابني^٢ زوجيها .

مسألة - رجلان^٣ شربا خمرًا، فوجب على أحدهما حد، ولم يجب

على الآخر شيء . الجواب - إن أحدهما حر^٤ فوجب عليه الحد، و الآخر

كان صبيًا لم يبلغ الحلم فتردد^٥ في الخمر فأكل للشبهة^٦ فلا حد عليه . ٥

مسألة - رجال مخلوقون^٧ سجدوا لغير الله وهم في فعلهم مطيعون^٨ .

الجواب - إن الملائكة سجدوا لآدم عليه السلام .

مسألة - رجل أخذ قدحا فيه ماء يشربه، فشرب بعضه حلالا،

و حرم عليه باقيه . الجواب - إنه شرب بعضه و رعى في بعضه

فحرم عليه .

١٠

مسألة - رجل دفع لامرأته كيسا، فقال: أنت طالق إن^٩ فتحت أو فتقته

أو خرقت^٩، و أنت طالق إن لم تفرغيه . الجواب عن ذلك أن الكيس

(١) في الأصل : زوجينا .

(٢) في الأصل : و ابنا .

(٣) في الأصل : رجلين .

(٤-٤) ساقطة من النص و واردة بالهامش بخط آخر .

(٥) في الأصل « تردد » .

(٦) في الأصل : الشهد .

(٧-٧) في الأصل : رجلين مخلوقين .

(٨) في الأصل : مطيعين .

(٩-٩) في الأصل : فتحتيه أو فتقته أو خرقتيه .

فيه ملح أو سكر فتجعله في ماء حار وقد خلا الكيس .

مسألة - رجل لقي امرأة فقال : فديت من أبي جدها وأخي عمها
وأنا أنكح أمها . الجواب - إنها ابنته .

مسألة - امرأة لقيت غلاما فقبلته ، ثم قالت : فديت من أمه
و ولدته ، وأنا امرأة أبيه . الجواب - إنها أمه .

مسألة - خمسة نفر زنوا بامرأة واحدة ، فوجب على أحدهم
القتل ، وعلى الثاني الرجم ، وعلى الثالث الحد ، وعلى الرابع نصف
الحد ، ولا شيء على الخامس . الجواب - إن الأول مشرك زنى بمسئلة
فوجب عليه القتل ، والثاني محصن فعليه الرجم ، والثالث بكر فعليه الحد ،
١٠ والرابع مملوك يجب عليه نصف الحد ، والخامس مجنون^٢ لا شيء عليه .

مسألة - رجل تزوج بامرأة وزوج ابنه أمها ، فجاءت الأم
و البنت بولدين ، ما يكون هذا من هذا؟ الجواب - ابن الأم خال ابن
البنت ، وابن البنت عم ابن الأم - انتهى .

نعود إلى ذكر المأمون - كان المأمون / كريما سخيا . حكى عن هدبة بن خالد
١٥ أنه تغذى عند المأمون يوما ، فلما رفعت المائدة ، جعل يلتقط ما تناثر منها .

فقال المأمون : أما شبعت يا شيخ؟ فقال : بلى يا أمير المؤمنين ، ولكني
حدثني حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم :
من أكل ما تحت مائدته أمن من الفقر . قال : فأمر له المأمون

(١) في الأصل : خمس .

(٢) في الأصل : مجنوناً .

بألف دينار تصديقا للحديث . وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : من أكل ما تساقط من المائدة عاش في سعة و عوفى في ولده - انتهى .

[عود لموضوع القبرسى و طرابلس - ١]

نعود إلى ذكر بقية الأقوال التي قيلت عن صاحب قبرس لعنه الله ٥ في وقعة طرابلس الشام .^١ و منهم من قال : إن صاحب قبرس جرح عدة جروح من المسلمين في وقعة طرابلس الشام .^٢ فحصل له منها الألم الزائد ، و كان الذي جرحه عند هروبه^٣ و هو طالب مركبه زجل مسلم رمى نفسه عليه في البحر و هو يضربه بالسيف على جوشنه^٤ ، فتقرب منه الغراب ، فرفعته منه جماعة ، و جماعة أخرى منه قطعت المسلم^٥ بالسيوف .^{١٠} قطعا . فصار القبرسى في ألم من جراحاته تلك ، فارتحل أسطوله من ساعته قاصدا [بلاده] . فقال لسان حاله عند ارتحاله : قد تعكست و حق المسيح

(١) هذا العنوان غير وارد في النص أو الهامش .

(٢-٢) العبارة ساقطة من النص و وردت بهامشه بنحط آخر .

(٣) في الأصل : حروبه . - وهو خطأ لفظي صحته واضحة من سياق الحديث .

(٤) الجوشن كلمة فارسية بمعنى صفائح الحديد التي يلبسها المحارب على وسطه

لحمائته . (انظر «السلام في الإسلام» لعبد الرحمن زكى - مصر ١٩٥٠ ص ١٨) .

(٥) في الأصل : المسلمون .

أحوالى بسبب قتل رجالى ! فان رجعت طالبا الجزيرة، سمعت بها الخنازير
الكثيرة، فلا بدلى من غزوة قوية ليتحصل لى بها من أموال المسلمين
ما اقترضته من القيسيين . فلو رجعت إليهم بغير ردود السلف^١، غضب
على كل قسيس وانحرف، و تكرهنى الرهايين^٢، و تحزم على جماعة
٥ القيسيين، فتنفى منى عامة النصرانية، و يتمتع من مخاطبى جميع أهل ماء
المعمورية، فأصير بالطرد آيسا^٣ من دخول الكنائس . و تقول /طوائف
النصارى : قد داخل هذا المجرورح العكس، و عاد نجمة بعد استقامته فى
محس، و ذلك للصوصيته بالإسكندرية، و فعلته الغير مرضية، و ما رزق
بها النصر إلا لعدم مقابلته لجيوش مصر، بل صال على العوام، و قال :
١٠ أنا ربير الملك الهمام، ظفرت بالإسكندرية، التى عجز عنها جميع ملوك النصرانية،
و يقول النصارى : قتل^٤ المسلمون بغير ابلس رجاله، المشاة منهم و الخيالة،
فيقيمون^٥ على القيامة، و يقولون : قد امتنعت النصارى بسية [من] زيارة
كنيسة القيامة، فيا ليتنى اصطلمحت مع المسلمين لما جاءنى رسولهم ناصر الدين،
و كنت أرسلت لهم الأسارى و بقيت بحرمى و نفاذ كلبى، و صرت فى
١٥ انشراح، و سلمت من الجراح، و لكن ما بقى بعد ذلك إلا القتال، و الحرب
و الزال، فداووا جراحى، ليحصل بغنائم المسلمين سرورى و أفراحي .

(١) جمع سلفة .

(٢) فى الأصل : آيس .

(٣) فى الأصل : قتلت .

(٤) فى الأصل : فيقيموا .

وسار بأفروطته ، فاجتاز بيلد جبلة^١ ، التي هي مقبور بها الشيخ الصالح إبراهيم بن أدهم ، فلقى به عند محاذاتها الغم و الهم . و ذلك أن أهل جبلة لما عاينوا أسطوله قادمًا^٢ عليهم ، دخلوا ضريح الشيخ إبراهيم ، و هم مستغيثون قائلون^٣ : يا إبراهيم ! إن كان لك سريرة عند ربك فهو يدفع عنا هذا العدو الذي لا طاقة لنا به . و صاروا يدعون^٤ الله تعالى في دفعه عنهم ، و إذا برح عاصف خرج من خزائن القدرة الربانية ، فرق المراكب في البحر يمينا و شمالا ، فصرف الله به العدو عن أهل جبلة ، فظهرت عند ذلك بركة إبراهيم بن أدهم ، لما أزيل عنهم الغم و الهم .

[قصة إبراهيم بن أدهم - ٥]

و سأذكر لمعا من أحواله إن شاء الله تعالى ،^٦ قيل له^٦ :^٧ يا ابن أدهم !^{١٠}

هذا الكميت و هذا الأدهم ، / فمن كان بالنزال في معرك العشق قد هم ،
فان حاكم الهوى قد أقسم أن لا يبرز عريس المحبة من خدرها ،

(١) جبلة واقعة على شاطئ البحر على بعد ١٤ ميلا جنوب شرق اللاذقية في سوريا .

(٢) في الأصل : قادم .

(٣ - ٣) في الأصل : مستغيثين قائلين .

(٤) في الأصل : يدعوا .

(٥) ليس العنوان بالنص أو الها مش .

(٦ - ٦) ما بين الرقنين ساقط من النص ، و به تكتمل العبارة .

(٧ - ٧) ما بين الرقنين ساقط من الأصل و وارد بالهامش بخط آخر .

إلا لمن نزل على حكمها وأمرها ، فإن كنت بطلا فتقدم ، وإن كنت
 بطالا لا تندم ، فاخلع ثوبك المعلم ، وانزع تاجك الأعظم ، واهدم
 ركناك المحكم ، واهزم جيشك العرمرم ، وانقض رأيك المبرم ، فهناك
 تقرأ حرفها المعجم ، وتحل رمزها المترجم . و تشرح سرها المبهم .
 ٥ و تعلم ما لم تكن تعلم .

قال إبراهيم : فما هو إلا أن ركبت جوادى ، فى معرك جلادى ،
 و سرت بين أجنادى ، إذ سمعت من قربوس سرجى مناديا ينادى :
 يا إبراهيم ! ما لهذا خلقت و لا بهذا خصصت أهل ودادى ، فترك
 مرادك المرادى ، و إلا فانت من أهل عنادى ، فأصابنى السهم فى مقتل
 ١٠ فتوادى ، فأول مسلوب سلب قلبى الصادى ، و أول مأسور أسر قيادى ،
 و أول مطلق أطلق دمعى الغادى ، فنفيت عن بلادى . و تشتت عن
 أولادى ، فى القفار و البوادى ، و جلبت أسيرا إلى من عليه توكلى
 و اعتمادى ، فما انفصلت عن حضرة قصرى ، حتى دخلت فى مصر
 نصرى ، و ناديت : " يايتها العزيز مسنا و اهلنا الضر و جئنا بيضاة
 ١٥ مزجة " ، و افتقار عبدك إلى هذا الجاه الجاه ، فانظر بعين الرحمة إلينا
 " و تصدق علينا " ، " قال هل علمتم ما فعلتم " ، و هل عرفتم من
 أنكرتم . فأما المعترف فنكس رأسه ، و أما المقتصد فصعد أنفاسه .
 ثم نادى الخبيب : " لا تريب عليكم اليوم يغفر الله لكم " " سلم عليكم

(١) فى الأصل : حروفها .

طبتم"، "فادخلوا مصر فإن لكم ما سألتم"، "وهو معكم أينما كنتم".
 فلما انفصل إبراهيم عن ممالكه، واتصل بمملكته، دخل البادية، وأشجانته
 عليه بادية، وانقطع في الطريق، عن الرفيق، بقي سبعة أيام، / لا يتناول
 شربة من الماء ولا لقمة من الطعام، فغار الشيطان على صدقه، والشيطان
 غيور، وإنما يغار من الأكبر وملك الطريقة، وسلاطين الحقيقة،
 وحق له أن يغار لأنهم^٢ ألبسوا خلعتهم التي خلع منها، ودلوا الولاية
 التي عزل عنها. فظهر له الشيطان في صورة شيخ صالح، فقال: يا إبراهيم
 الذي تركت من أجله الممالك، وركبت المهالك، قد ضيعك حتى
 أشرفت على الموت. فقال: لا بأس بالموت إذا حصل الأمان من
 الميت. وقال لسان حاله - شعر:

١٠

الروح أول موجود يجود به والنفس أيسر شيء فيه تفنيها
 وما عليك إذا ماتت بغفتها من الغرام فإن الوصل يحييها
 فبينما إبراهيم في دهشته وحيرته، إذ ظهر له شخص من أطيب الناس
 ريحا وأحسنهم وجها، فقال: يا إبراهيم تريد أن أعلمك اسم الله الأعظم،
 فتروى به وتطعم، فعليه اسم الله الأعظم. فقال له: من أنت؟ قال: ١٥
 أنا أخوك الخضر، أتريد أن أصحبك يا إبراهيم؟ قال: لا. قال: لم؟
 قال: لأن الصعبة لا تجيء إلا بالشركة، وأنا لا أريد أن أشرك في
 مصحوبي، ولا أطلب غير محبوبي، فاني أخاف أن أصحب غيره، وهو

(١-١) اقتباس من القرآن الكريم سورة ٢ آية ٦١ وسورة ١٢ آية ٩٩.
 (٢) في الأصل: لأنه.

شديد الغيرة، فلا حاجة لي في ذلك . و قال لسان حاله - شعر :

هاكم فؤادي فان لاقيتموا^١ اثرا لغيركم فاجعلوا التعذيب مشواه

وها لسانى قد أبدى لكم خبرا عن غيركم صححوا تكذيب دعواه

فان تكن أنت دون الكل بغيته فامن عليه ولو يوما ببقياه

فأنت للصب أقصى ما يؤمله . وأنت للقلب أحلى ما تمناه

إذا شربت وُعُنِّي لي على قدحى رأيت وجهه حبيبي في محياه

ثم إن إبراهيم بن أدهم لما انفصل عن ملكه و أهله ، / ترك زوجته حاملا

فولدت ولدا فسموه أدهم ، فلما كبر و راهق البلوغ قال لأمه : يا أماه !

أما كان لي أب ؟ قالت : يا بنى ! كان لك أب و أى أب ا فقال :

١ . فأين ذهب ؟ قالت : كان ملكا يبلغ حاكما عليها و على أعمالها ، ففارق

أعمالها و ملكه ، و ذهب في طلب ربه . فبكى الصبي و قال : يا أماه ؟

فدعيني أذهب أطلب ما طلب أنى . فقالت : بالله يا بنى لا تفعل ! فان

أباك أحرق قلبي بفراقه ، فلا تحرق قلبي بفراقك . فمكث رعاية لأمه

متربصا في طاعتها حتى ماتت ، فبقي حزينا لا أم له و لا أب ، فخرج

١٥ حارًا حافيا ، و عن الناس جافيا . بيت في المساجد ، و يستأل اللقمة من

الابواب . ثم دخل البادية ماشيا حتى وصل إلى مكة المشرفة ، فبينما

إبراهيم بن أدهم في الطواف و معه بعض مريديه ، إذ نظر إلى الشاب ،

و جعل يحرق بالنظر إليه ، فاستبعد المرید من الشيخ إبراهيم ذلك النظر

(١) في الأصل : اقيم . و لا يستقيم ميزان الشعر بهذه الكلمة .

(٢) في الأصل : أبا .

المريب، فقال له: يا شيخ! كيف هذه الغفلة؟ أتنظر إلى صورة مستحسنة؟ ففاضت عيناه بالدموع، فقال له: اذهب إلى الشاب واسأله من هو و ابن من هو؟ قال: فذهبت إليه و سلمت عليه و قلت له: من أين أنت أيها الشاب؟ قال: من بلاد العجم. فقلت: من أي بلادها؟ قال: من بلخ. فقلت: ابن من أنت؟ قال: لا أدري إلا أن أمي ه قالت إن اسم أبي إبراهيم بن آدم. ثم تساءرت دموعه على خديه. قال: فلم أتمالك حتى جئت إلى إبراهيم فوجدته قد بكى حتى غشى عليه من سماع كلام ولده و هو يحدثني، فجلست عند رأسه حتى أفاق من غشيته. فقلت: الله يأخذ حق هذا الغلام منك، هذا ولدك و الله وشبهك! / فآته و احن عليه. فقال: شيء تركته لوجه الله لا أعود فيه ١٠ / ٥٦ الف أبدا. فقلت: بالله عليك إلا قمت إليه ا فقام و جاءه، فنظر الصبي إليه و قال له: من أنت؟ فقال: أنا أبوك إبراهيم. ثم ضمّه إلى صدره و قال: إلهي قد علمت موقعه مني و هو ولدي و قطعة من كبدي، و قد جاء في طلبي، و أنا لا أتفرغ إليه مع شغلي بك، و أنت أعرف بمصالح عبادك. فما مضت عليه سبعة أيام حتى قضى الصبي نجه، فغسله ١٥ إبراهيم بيده، و كفنه في قطعة كساء غليظ كان إذا غطى رأسه بدت رجلاه، و إذا غطى رجله بدا رأسه، و هو يقول: قرّة عين الأب! جمع الله بيني و بينك في القيامة.

(١) في الأصل: بدت.

ثم إن إبراهيم بن أدهم لما خرج من الحج^١، خرج وهو على فاقة و عدم، حافى القدم عارى الجسد، فأتى الكوفة^٢ و معه خادم يخدمه، فجلس في مسجد بها فقال للخادم: اتنى بدواة و قرطاس! قال: فأتاه بهما فكتب "بسم الله الرحمن الرحيم، أنت المأمول للشدائد كلها، و المشار إليه في الحوامج كلها، و أنت المقصود بكل حال، و المشار إليه بكل معنى."

أنا حامد أنا شاكر أنا ذاكر أنا جائع أنا يانع أنا عارى
هي ستة و أنا الضمين لنصفها فكمن الضمين لنصفها يا بارى
مدحى لغيرك هب^٣ نار خضتها فأجر عبيدك من دخول النار"

١٠ قال: ثم دفع الرقعة للخادم و قال: اخرج و لا تعلق قلبك بغير الله، و ادفع الورقة إلى أول من يلقاك. قال: فخرجت فأول من لقيني كان رجل على بغلة، قال: فناولته الرقعة فأخذها و قرأها و بكى و قال: ما فعل صاحب هذه الرقعة؟ فقلت: هو في المسجد الفلاني. قال: فدفع إلى صرة فيها خمسمائة دينار و قال: ادفعها إليه. قال: فلقيت رجلاً آخر / فقلت: من صاحب هذه البغلة؟ قال: هو رجل نصراني. قال: فجلت إلى إبراهيم بن أدهم فأخبرته بالقصة. فقال: لا تمسها، فانه يجيء الساعة. قال: فلما كان بعد ساعة، و افي النصراني فانكب على

(١) في الأصل: الحجاج.

(٢) في الأصل: كلب. و ينكسر وزن البيت بالكاف الزائدة فحذفناه بدون

تغيير في المعنى.

رأس إبراهيم فقبله و قال : يا سيدى ! أنا أشهد أن لا إله إلا الله
 و أشهد أن محمدا رسول الله . و كان إبراهيم بن أدهم يأكل من عمل يده
 مثل الحصاد و حراسة البساتين ، و قيل كان ' يحرس كرما فمر به رجل
 جندى فقال : أعطنى من هذا العنب . فقال : ما أمرنى صاحبه . قال :
 فأخذ يضربه بسوطه فطأ رأسه و قال : اضرب رأسا طال ما عصى الله . ٥
 قال : فأعجزه الرجل و مضى و تركه . و قيل كان ' من دعائه " اللهم
 انقلنى من ذل معصيتك إلى عز طاعتك " . و لقي إبراهيم بن أدهم بمكة
 سفيان الثورى و الفضيل بن عياض ، و دخل الشام و مات فيه و قبره
 بقريية على ساحل البحر الملح تدعى جبلة ^٢ ابن الأيهم الغسانى المنتصر
 بعد إسلامه فى خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه . ١٠
 و قد تقدم ذكر سبب تنصره ، فأغنى عن إعادته - انتهى .

[عود إلى حملة القبرسى - ^٢]

نعود - و لما صرف الله العدو عن جبلة بالريح العاصف ، و فرق
 مراكب صاحب قبرس و هوربير بطرس ، لم يتعظ الملعون بما جرى له ،
 فصبر إلى أن اجتمعت له مراكبه فسار ^٣ بها إلى اللاذقية ^٤ ، و بمينتها ١٥

(١-١) العبارة بتمامها ساقطة من النص و وردت بهامشه بخط آخر .

(٢) ورد ذكرها فيما سبق - راجع الحاشية و الفهارس .

(٣) العنوان غير وارد بالنص أو الهامش .

(٤) فى الأصل : فصار .

(٥) اللاذقية فى التاريخ القديم Laodicea ad Mare ميناء سوريا فى مواجهة =

سلسلة متينة ، فنظمت^١ ثلاث شوانى عليها ، حصلت^٢ داخل المينة ، فتبادر^٣ المسلمون ، رفعوا سلسلتها بدولابها بما لم يكن للقبرسى بذلك فى حساب ، فقبض^٤ المسلمون على شينى منها ، فقتلوا من^٥ فيه من الرجال الأعلاج ، و انكسر الاثنان^٦ لنقلهما على السلسلة و عملها فيها .

٥ قال المؤلف غفر الله له و لوالديه و للأقربين إليه و لجميع المسلمين : حدثنى محمد بن بهادر الكركرى بئغر الإسكندرية المحروس ، قال : كنت باللاذقية عند إتيان القبرسى بأفروطته / إليها فهاج عليه ربح عاصف ، فانكسرت له ثلاث شوانى ، و أتى منهم إلى البر دون العشرين علجا بالعموم ، و قذف البحر إلى الساحل عشرة أفراس موتى ، و جلس فى قاع البحر شينى ، صار طرف صاربه ظاهرا فوق الماء ، فغطس الغطاسون^٧ عليه ، فوجدوه جلس بقاع البحر بين جبلين صغيرين ، فلم يقدرُوا على

٥١/الف

= جزيرة قبرص يرجع تاريخها إلى فينيقيا و الرومان ، ظلت فى حكم بيزنطة إلى سنة ١١٠٣ حين استولى عليها الصليبيون بقيادة تنكرد ثم أخذها صلاح الدين منهم سنة ١١٨٨ ، و بها آثار رومانية .

(١) فى الأصل : فنظمت .

(٢) أى أدركت .

(٣) فى الأصل : فتبادرت .

(٤) فى الأصل : فقبضت .

(٥) فى الأصل : ما .

(٦) فى الأصل : الاثنين .

(٧-٧) فى الأصل : فغطست الغطاسين .

إخراجه من بينها ، و لا قدروا على النزول إليه ليعلموا ما فيه ، و حصل لهم أيضا ثلاثة 'مراكب رمتهم الريح إليهم ، وجدوا فيها الجواشن و الخوذ و الزرديات ، و حصل لهم أيضا مركب آخر وجدوا فيه رؤس خيل بعددها ، و وجدوا فيها أزوادا كثيرة و بعض أثاث مما حصل لهم من طرابلس .

[صفة السلاسل و المين - ٢]

قال المؤلف غفر الله له : و سأذكر ما قيل في صفة السلاسل و المين إن شاء الله تعالى . اعلم أن سلاسل المين يكون طرف السلسلة الواحدة منها في برج حصين ممكن العمارة بدك الحجارة الكثيرة المونة ، و يعمل في نفس ذلك العمارة مراسي الحديد الموثوق عليها بالبنيان المكين ، ١٠ و لم يكن بارزا من المراسي الحديد سوى الحلق التي بها طرف السلسلة و هو الكلاب الأول ، و يكون زنة كل كلاب منها عدة أرتال ، و يسمر آخر كل خمسة كلاب بطرف صارى ، و يجعل في طرفه الآخر كلاب حديد موصولة بصار آخر ، فتعمل الصواري بكلايبها على قدر سعة المينة متصلة إلى البرج الثاني الذي هو على الطرف الآخر من ١٥ المينة ، و يكون داخل البرج الثاني لولب كبير مهيا لذلك ، فيلتف طرف السلسلة الحديد على اللولب بدورانه بجر البكر لها عليها ، فتترفع إذا

(١) في الأصل : ثلاث .

(٢) العنوان مأخوذ من النص .

(٣) في الأصل : البقر .

احتيج إلى رفعها، و تنخفض إذا احتيج إلى خفضها / بدوران البكر^١،
فتصير السلسلة بصواريخها تحت الماء بمقدار ذراع في ارتفاعها، فإذا أتت
مراكب^٢ تقصد دخول المينة، أرخيت السلسلة فتزل الصواري الخشب
بثقل كلاليب الحديد نزولا زائدا، فتدخل المركب بوسقها و تخرج
كذلك. ^٥ فلو عملت السلسلة على المينة المتسعة الفوهة كلها من الحديد
لكانت كالقناطير المقنطرة. و إنما تعمل بالصواري لتعوم تحت الماء
بثقل الحديد، و لو لم يكن الحديد بها لعامت تلك الصواري فوق الماء،
فيحرق العدو أعلاها فتضعف فيكسرهما العدو بالجروح و القوس،
و يدخل العدو المينة يقاتل من بالساحل بالرمي عليهم بالسهام، فان صبر من
١٠ بالساحل و ثبتوا و رموا على العدو، فالعدو لا يقدر على نزوله البر،
و إن فر من البر - و العياذ بالله تعالى! و نزل العدو بخيله و رجله، فان
كان فرار من البر مكيدة لينزل العدو إلى البر، و يرجعون^٣ عليهم
بعد أن يكمنوا الكمناء داخل السور، فإذا نزل العدو البر و بعد عن
الساحل يريدون القتال، خرج الكمين لهم من باب المدينة المجاور
١٥ للساحل يحوز بينهم و بين مراكبهم، فتقطع إذن ظهورهم بتلك المكيدة.

(١) في الأصل: البقر.

(٢) في الأصل: مركب.

(٣) في الأصل: يرجعوا.

(٤) في الأصل: يريدوا.

(٥) في الأصل: بذلك.

ويبادر أهل المدينة يقومون^١ إلى المراكب يقاتلون^٢ من بقى بها حارسا،
ويجتهدون^٣ يخسفونها من أجنابها بما معهم من الجروح و القوس . فبخسفاها
يقاتل العدو أهل المدينة ، أو يسلمون^٤ أنفسهم لأهل المدينة أسرى لا يقطع
رجالهم من المراكب بخسفاها و تفريقها ، فيصيروا أرقاء يفعل فيهم سلطان
تلك الديار ما يختار . و أما المين الضيقات الفوهات ، فيكتفى بالسلاسل
من غير صواري لكونها قريبة المأخذ لقصر السلسلة - انتهى .

[عود إلى حملة القبرسي - ٥]

نعود إلى ذكر / لسان حال القبرسي ، لعنه الله و غضب عليه -
و ذلك أنه لما رأى ما جرى على مراكبه بمينة اللاذقية قال : ما هذه
المصيبة الثالثة ! فحصل له من الهم ، ما أسكن معه الغم . ثم مضى ببقية
أفروطته إلى بانياس^٦ ، فلم يجد فيها أحدا من الناس . و ذلك أن أهلها
المسلمين^٧ لما عاينوا أفروطة الملعون ، أدخلوا له البلد ، فنزل إليها ، أحرقها ،
فاحترق بحريقها ثمانية آلاف مجذاف كانت حاصلا للمسلمين بها ، فأدركه

(١) في الأصل : يقوموا .

(٢) في الأصل : يقاتلوا .

(٣) في الأصل : يجتهدوا .

(٤) في الأصل : يسلموا .

(٥) العنوان غير وارد في النص أو الهامش .

(٦) بانياس ميناء صغير جنوب اللاذقية بينهما ٢ ميلا .

(٧) في الأصل : المسلمون .

جيش المسلمين المحاذين لمراكبه في البر ، فقتلوا من الإفرنج الذين أحرقوا
البلد جماعة كثيرة ، فتخبل القبرسي في عقله وقال : ما هذه المصيبة الرابعة ،
والرزايا المتتابعة استصير الجنائز بالجزيرة كثيرة ، ما كفاها كسرة طرابلس
وفعل الريح بنا محاذى قرية جبلة والخسارة باللادقية حتى قتلت رجالنا أهل
النجدة والبأس ، يبلدة بانياس . ثم قال لمن معه من المنجمين ، والكهان الضالين :
ما هذه الأحوال المعكوسة ، والطوالع المنحوسة ؟ قالوا له : سيبدو لك بعد هذا
اليوم طالع الاستقامة ، فقد ظهر لنا على الاستقامة علامة ، وهي نصرتك على
المسلمين ، وأخذ الغنائم التي ترد منها ما استلفته من القسيسين . ثم إنه أقبل على
من معه من الرهبان ، فقال لهم : اين قراءتكم لمزاميركم و تلاوتكم لاناجيلكم
١٠ على القربان ، و المزمور الذي تقربون به الرجال و النسوان ؟ و أين دهن
القناديل ، التي قرئت على ضوئها للاناجيل ؟ أين أدعية القسيسين ؟ أين
تضرع الحبسيسين ؟ أين خشوع الاساقفة و الشماميس ، عند سماعهم لضرب
النواقيس ؟ أين مواظبة المسابقة للصلاة مع القسيس ؟ / أين دعاء الرهابين
في القلايات^٢ ؟ اين لحوم الخنازير التي بارك عليها الأب بولص في
١٥ الديارات ؟ فلما سمعت الرهبان مقالته ، نهضوا قياما على أقدامهم ، وأداروا
حوله عكازهم السود و الصفر ، و قرأوا حوله كلامهم الممزوج
بالكفر ، و طافوا بمباخرهم حوالبه ، و قربوها من جبهته و عينيه ، و رموا

٥٨ / ب

(١) جمع شماس . أى خادم الكنيسة (deacon) .

(٢) جمع قلاية وهي حجرة الراهب أو الحبسيس بمعنى المسكن الانفرادى للتوحد

(herm i) .

عليه صلبانهم ، وذكروا له بهتانهم ، فتقدم منهم شماس ، عليه قانسوة
و دماس^١ ، قصير القامة ، قبيح الدمامة ، كقرود من القروود ، متوشح بصلبان
الجلود . فلما تقدم إليه أخذ بيده وقال : انهض^٢ على بركة كل قسيس
وشماس ، ستنصر بيلد آياس^٣ . فقالت الرهبان و القساوسة^٤ ، و المطارفة
و الشامسة : أبشر أيها الملك بمقالته ، و انظر إلى تقشفه^٥ و زهادته ، فانه
لم يقل شيئا قط إلا صدق فيه ، فالتقف كلمته التي خرجت من فيه ، فانه
راهب صادق ، و بالصدق ناطق ، و هو لا يفتر عن البكا ، و قد صار
رماصه بعينه كحب المصطكي ، أما تنظر أسنانه قد تراكم عليها القلح^٦
و صنانه قد فوح ، و أكله يتولد منه في كل شهر بعة ، يقاسى لخروجها
من يسها جمرة ، لا يأوى أبدا تحت سقف بيت ، و إن أكل مطبوخ^٧
الجلبان^٨ فبغير زيت ، و قد جربناه على طول الزمان ، فما ساواه في عبادته
أحد^٩ من الرهبان . قد هجر لذيق المنام ، و نحل جسمه من طول القيام ،
و مداومة الصيام ، و أكل الجلبان على الدوام ، و اسمه عبد المسيح ،

- (١) في الأصل : ودفاس ، و هو من ملابس الرهبان .
(٢) في الأصل : انهظ .
(٣) انظر حاشية سابقة رقم ٤ ص ٦٧ و راجع الفهارس .
(٤) في الأصل : القساوسة ، وهذا لتحقير الجمع للقسوس .
(٥) في الأصل : تقشه .
(٦) في الأصل : الفلج .
(٧) أي حبوب الاوبيا .
(٨) في الأصل : احدا .

و شهرته بالشيخ النجيب . فقال الملك : كيف يكون بهذه الأوصاف الحميدة . و السيرة المشكورة السعيدة ، و منزلته صغيرة ! و مثله لم يكن إلا في المنزلة الكبيرة ، و قد جعلته أسقف الأساقفة ، و جعلت له عليهم النظر / و المشاركة ، و ما في القياس أن يكون منزلة هذا شماساً بل يكون هذا جليسي ، و منادمي و أنيسي ، أشم منه رائحة العبادة ، لأنال بركة قربه السعادة ، لشكركم فيه ، و الكلام الحسن الذي يخرج من فيه ، فانه بشرني بأني أفتح بلد أياس ، و قد داخلني بقوله إيناس .

فانظر يا هذا إلى هذا الكلام الحسيس ، الذي انطبع لصاحب قبرس ، و لجلسائه من كل راهب و قسيس ، بقول هذا الراهب ، الرجس الكاذب ، فسبحان من ينعم على الكفرة الفجرة ، الذين^١ أحاطت بوجوههم القفرة ، و يخولهم و يتفضل عليهم باحسانه و كرمه ، و هم مع ذلك يكفرون به ، و يصفونه^٢ بما يستحيل عليه ، و يضيفون^٣ له ما يتقدس عنه ، و يسلبونه^٤ الآن ما يجب له من الأسماء الحسنى ، و الصفات العلى ، فمنهم من قال : هو ثالث ثلاثة ، و منهم من قال : له وجه ، و منهم من قال بتجسيمه^٥ و تشبيهه ، و منهم من قال : ما للخلق صانع ، كما حكاه الخالق عنهم

(١) في الأصل : شماس .

(٢) في الأصل : الذي .

(٣) في الأصل : يصفوه .

(٤) في الأصل : يصيفوا .

(٥) في الأصل : يسلبوه .

”نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر“ ، و هو مع ذلك ينعم عليهم بأنواع النعم ، من أكل حواسهم ، و خلق فيهم الشهوات ، و أكل لهم اللذات . و مع ذلك يحييهم و يقيهم ، و يصلح أجسامهم و حواسهم ، و يرزقهم و ينعشهم ، و يقضى أربهم و أوطارهم متاعا حسنا ، و يبلغهم أمانهم في معظم ما يحتاجون إليه ، فمصاصيهم إليه صاعدة ، و بركاته عليهم نازلة ، ” كل يعمل على شاكلته “ ، و ينفق بما عنده - انتهى .

نعود - ثم إن صاحب قبرس لما قال له الراهب الكاذب ما قال من نصره بيلد آياس ، و أخذها من المسلمين من غير رمى بأقواس ، فعند ذلك طلبها الرجس الخناس . / فلبارأى^٢ أهلها أفروطته و ردت عليهم ، و وصلت

إليهم ، خاف^٣ المسلمون الذين^٤ بها منه و قالوا : جاءنا الملعون بعرضه ١٠ و طوله ، في جيش أسطوله ، فاجتمعوا بنصاري الأرمن المقيمين معهم بالبلد و كلموهم في أمره فقال^٥ الأرمن : أيها المسلمون ! انظروا ما ذا تفعلون ، فان هذا الكلب الملعون ، قد أتى إلينا قصده [أن] يملك القلعة و البلد منكم ، و يأسركم و يأسرنا ، أو يقتلكم و يقتلنا ، فتحالفوا بنا على غراته ، و كسر قناته . و كانت بلد آياس على ما قيل فيما مضى من الزمان للتكفور^٦ ملك ١٥

(١) قرآن كريم سورة ٥٤ آية ٢٤ .

(٢) في الأصل : راوا .

(٣) في الأصل : خافت .

(٤) في الأصل : التي .

(٥) في الأصل : فقالت .

(٦) في الأصل : للتكفون . و صحته فيما بعد « التكفور » وهو لقب ملوك =

الأرمن . و كانت تجار المسلمين يأتون إليها يبيعون بها و يشترون منها ،
 و من المسلمين من قد استوطنها ، و كان لهم بها مسجد جامع ، فنزات
 نصارى الأرمن ، و المسلمون في صلاة العيد بجامعهم ، و كبسوا عليهم
 بالسيوف قتلوهم ، إلا رجلاً من الفقراء التونسية^٢ كان معه طبره^٣ الذى
 ٥ يحمله و لا يفارقه كجارى عادته كفقراء التونسية ، لا يمشون إلا بأسلحتهم ،
 فهجم الفقير به في الأرمن ، قتل منهم سبعة قبل أن قتل ، فبلغ ذلك ملك
 الأمراء الطنبغا نائب السلطان الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون^٤
 بحلب ، فكاتب السلطان ، أعله بما فعلت النصارى الأرمن بالمسلمين ،
 فأرسل من مصر و دمشق أربعة آلاف فارس ، و ركب عسكر حلب ،
 ١٠ و أغار^٥ بذلك الجيش على بلاد الأرمن ، أحرق بيادرهم من القمح و الشعير
 و الحبوب و الثمار ، و نهب ما قدر عليه بعد أن فروا من بين يديه ،

= الأرمن مشتقة من لغتهم (tagvor) ، و العرب أحياناً يصفون بهذا اللقب
 أباطرة بيزنطة و كذلك طرازون .

(١) في الأصل : رجل .

(٢) في الأصل : اليونانية .

(٣) الطبر هو الفأس أو البلطة بالسلاح المستدير و في العصور الوسطى حملتها
 عرفوا بالطبردارية أو البطجية .

(٤) انظر الحواشي السابقة و راجع الفهارس .

(٥) في الأصل : و غار .

ثم عاد إلى حلب وكاتب السلطان بما فعل ، فانكر عليه رجوعه و أمره
 بالمسير و المحاصرة و القتال ، فرحل و عاد إلى بلد أياس ، فأخرب قلعتها
 التي هي بالبحر مع ما أخرب من بلاد التكفور^١ ملك الأرمن ، و أخرب
 من حصونه أيضا اثني عشر حصنا ، منها درندا و النقيير و شغلان و سوندكار
 و حميص / و غيرها من الحصون بعد أن قتل من الأرمن كثيرا . فلما ٥ / ٦٠ الف
 بلغ التكفور^٢ إخراب المسلمين البلاد ، و ابتلى بأمر لا قبل له به ، بعث
 يعتذر للسلطان الملك الناصر محمد و يقول : إن هذا الأمر الذي اتفق من
 الأرمن في قتلهم للمسلمين بمسجدهم بأياس ما كان باختيارى و لا أمرتهم
 به ، و لا أذنت لهم فيه ، و حلف بدينه أنه لم يكن له أمر به و لا إذن
 فيه . ثم أرسل الحمل الذي كان يرسله في كل سنة و ضاعفه تلك السنة ، ١٠
 و نزل عن نصف البلد له ، فكان للأرمن بها كنيسة يضرب بها ناقوسهم ،
 و بنى^٣ المسلمون منارة على مسجد جامعهم ، و صاروا يؤذنون بها .
 و إذ قد ذكرت المنارة ، فسأذكر ما قيل في اشتقاق اسمها و غير ذلك .
 « المنارة » مفعلة من استنارة ، و المنارة هي التي يؤذن عليها ليعلم الناس
 دخول وقت الصلاة فيتأهبون لها . و منار الأرض : أعلامها و حدودها ، ١٥
 و النور : دخان الفتيلة يتخذ كحلا للوشم و للحبر أيضا ، و امرأة
 نوراء : عفيفة من القبيح ، و النوار : النفار . و كانت امرأة الفرزدق

(١) في الأصل : التكفون .

(٢) في الأصل : و بنت .

الشاعر اسمها نوار ، و سياتى خبره معها فى تزويجه بها إن شاء الله تعالى .
 و أنارت الشجرة : أخرجت النور ، و أنار الشيء أيضا ، و الأحقوان :
 نور أبيض يشبه الثغر من الفم و الفم المبسم ، و الشنب : حدة أطراف
 الأسنان ، و اللى : سمرة باطن الشفة ، و الرضاب : الريق مازجه حلاوة ،
 ٥ و المزج : مزج الشراب و غيره ، و العسل : مزج يمزج به كل شراب .
 قال الشاعر :

و جاء بـمـزج لم ير الناس مثله هو الضَّجُّ إلا أنه عمل النحل
 نعود إلى خبر القبرسى حين قدم بأفروطته إلى بلد أياس - و ذلك أن
 الأرمن المقيمين^١ بأياس قالوا للمسلمين : اعلوا أنا و أنتم لا نقدر على
 ١٠ قتال هذا الملعون . قالوا : و كيف العمل ؟ قالوا : ترسلون^٢ إلى المراكز
 القريبة / منا ليأتوا لمعاونتنا عليه ، و نعمل الآن الحيلة عليه إلى أن يأتينا
 أصحاب المراكز . فأرسل^٣ المسلمون القصاد للمراكز و قالوا للأرمن :
 تقدموا أتم إلى القبرسى ، سلوا عليه لأنكم نصارى و هم نصارى ، و نحن
 نأتى إليه بعدكم ، فإذا سلمتم عليه تقرون عليه الخيل و المكابد ، و نحن
 ١٥ أيضا نحتال عليه و نكابد ، إلى حين وصول النجدة إلينا ليصير لنا

٦٠/ب

(١) فى الأصل : الضحى - كذا ، و لا يستقيم به الوزن ، و الضج و الضحى
 و الشمس كلها بمعنى .

(٢) فى الأصل : المقيمون .

(٣) فى الأصل : ترسلوا .

(٤) فى الأصل : فارسات .

بوصولها قوة و عدة ، و إلا نحن و أتم الآن في قبضته لقلتنا و كثرتة .
 هذا كله و الأفرودة في البحر ينظرونها قادمة إليهم . فلما أرسى بالمينة
 تقدم نائب التكفور بمن معه من نصارى الأرمن ، ركبوا القوارب
 و أتوا إليه ، سلموا عليه و صقعوا^١ بين يديه ، و قالوا له : أيها الملك
 المظفر ! نسألك حقن دماثنا لنستريح ، من غضب السيد المسيح ، و اسمع ٥
 كلامنا ففيه لنا و لك النجاح ، و الرشيد و الصلاح . فقال : و ما تريدون ؟
 و بأى شيء تقولون ؟ قالوا : اهبط أيها الملك من المراكب ، فأنت
 و حق المسيح الظافر و الغالب ! و تسلم البلاد من غير ضرر و لا نكد ،
 و اطردهنا هؤلاء المسلمين الذين^٢ تركونا يبلدنا ذليلين بما نسمع لهم
 من التسييح على منار مسجدهم مع التأذين ، أنت أولى بما يأخذونه ١٠
 منا ، و نصير نحن و أنت في المحيا و احدا^٣ إن خطر يبالك الشركة ، و إلا
 فالملك التكفور لا يتحرك عليك بحركة ، و ينزل لك عن نصيبه فيها ،
 لأنه في غنى بغيرها عنها ، و تطرد عنا من يؤذن على رؤسنا ، و يقهرونا
 في كنائسنا . فقال : إني عذرتكم فيما^٤ يفعله^٥ المسلمون بكم ، لكن أريد

(١) كذا في الأصل ، و جائز أن تكون « صقعوا » بمعنى سجدوا .

(٢) في الأصل : الذى .

(٣) في الأصل : واحد .

(٤) في الأصل : بما .

(٥) في الأصل : تفعله .

[أن - ١] أسمع كلام المسلمين الذين عندكم، لئلا يكون كلامكم حيلة
 ومكيدة منكم . فقالوا : وحق المسيح ، أن أمرك لنجيج ١ و كيف
 نواجهك بالحيل ، و نيتنا لك صحيحة في العمل ، و اعلم يقين أن المسلمين
 منك الآن ٢ خائفون مرعوبون ٣ . فقال : إن كان كما ذكرتم فأحضروا
 ٥ لي أميرهم لأسمع كلامه ، و أعلم خطابه و نظامه . فأرسل ٢ الأرمن
 حينئذ إلى أمير المسلمين ، فركب قارباً و أتى إليه في زى المساكين ،
 فسلم على القبرسى و خضع له ، و أظهر المودة و المحبة / و قال في خلال
 كلامه : إن والدك السلطان ربوك ٤ نبح ٥ الله روحه ، كان في أيام
 دولته يهادى السلطان الملك الناصر صاحب مصر و يهاديه و هو الآخر ،
 ١٠ يهاديه لما كان بينهما من المودة و الصحبة ، و كان من هدية صاحب
 مصر الملك الناصر محمد بن قلاوون ٦ مراكب القمح . فلما سمع القبرسى
 مراكب القمح تبسم و قال : و ما مراكب القمح ؟ قال : التي أرسلها
 لوالدك لما وقع الغلاء بجزيرة قبرس ، أرسلها إغانة للملك و لأهل
 جزيرته . فقال : صدقت ، أخبرنى بذلك والذى أنها أتت له موسوقة
 ١٥ بالقمح من عنده قبل أن أخلق .

الف / ٢

(١) ساقطة من الأصل .

(٢-٣) في الأصل : خائفين مرعوبين .

(٣) في الأصل : فأرسلت .

(٤) ربوك - انظر حواشى سابقة و راجع الفهارس .

(٥) بمعنى الرحمة عند رجال الدين المسيحيين و هى لفظة معروفة في
 الطغيات الكنيسية .

قال المؤلف غفر الله له ولوالديه و للأقربين إليه و لجميع المسلمين:
 و سأذكر ما وقعت عليه من خبر تلك المراكب الموسوقة بالقمح إن
 شاء الله تعالى . و ذلك أن الشام وقع به الغلاء ، فرسم السلطان الملك
 الناصر محمد بن الملك المنصور قلاون بحمل القمح من مصر إلى الشام
 في البحر الملح يباع به ليقنع به الناس ، فسافرت المراكب ، فبينما هي ٥
 سائرة و إذا بريح هبت ، دفعت المراكب المذكورة إلى جزيرة قبرس ،
 فاخشى رانسها و من معه من النواتية أن تأخذ النصارى منهم المراكب
 و يتركونهم عندهم أسرى ، فلما أتى إليهم قارب الجزيرة المرصد لذلك ،
 قال من فيه لهم : من تكونون ؟ و من أين جئتم ؟ قال الرانس :
 جئنا من مصر إلى الملك . قال : كبيركم ينزل و اصلا إلى الملك . فنزل ١٠
 الرانس فأحضره بين يدي الملك ريوك . قال له الملك : من أين
 أنت ؟ و من عند من جئت ؟ قال : أتيت من مصر من عند الملك
 الناصر إلى عند مولانا الملك ، و إنه يسلم عليك ، و قد بلغه أن بيلدك
 الغلاء ، فأرسل لك القمح ترتفق به إلى أن يمن الله تعالى على عباده
 بالرخاء ، ففرح الملك بتلك الهدية السنية المحتاج إليها في ذلك الوقت ١٥
 الصعب ، و جهز هدية أرسلها للملك الناصر في تلك المراكب عوضا
 عن هدية القمح . فلما وصلت / المراكب إلى ساحل دمياط ، أعلم
 السلطان بالبطائق بأن مراكب القمح رجعت و فيها هدية صاحب
 قبرس ، فتعجب السلطان منها و طلب رانسها ، فحضر بين يديه فسأله

ب/٦١

(١) في الأصل : تكونوا .

عنها ، فأخبره الخبر ، فأعجب السلطان حيلته التي تحيل بها حتى نجح هو
و نواتيته من الأسر ، ونجت مراكبه من الأخذ ، و ردت بالهدية
سائلة مرضية - انتهى .

نعود إلى خبر رير^١ القبرسي - و ذلك أنه لما أخبره أمير المسلمين
٥ بأياس أن الملك الناصر كان يهادى والدك و والدك يهاديه ، و أعلمه
بخبز القمح ، و قال : إنه سمع ذلك من والده ، قال لأمير المسلمين :
كيف العمل في هذا البلد ؟ قال : أيها الملك ! إن هذا البلد كان
فيما مضى لأبيك و جدك من قبلك ، فتغلب عليه الملك التكفور .
أخذه منه ، ثم صار نصفه الآن أخذه منه ، ثم صار نصفه الآن أخذه منه
١٠ ثم صار نصفه الأول لصاحب مصر و نصفه الثاني للتكفور ، فأنت أولى به
منها ، لأنك وارث آباءك و أجدادك ، و الدودة بنت الدودة ، و العارية
مردودة ، و إذ قد طلبت بلدك و بلد آباءك و أجدادك فلسنا نحن نمنع ،
و لا لنا قوة بها ندفع . فطمع القبرسي في البلد ، و نزل بجنوده و العدد ،
و ترك خيله ترعى في النجيل الأخضر ، و قد حصل له السرور الأكبر ،
١٥ فنزل في خيامه ، و أحاطت به جنده مع خدامه ، خارجا عن البلد ،
يتصبح بملكها يوم الأحد .

ثم إن المسلمين و الأرمن قدموا له الأبقار و الأغنام ، فصنعت له
أصحابه بلحومها الطعام ، فأكل اللعين ، هو و جيشه الآلاف و المئين^٢ ،

(١) انظر حواشي سابقة و راجع الفهارس .

(٢) كذا لرعاية السجع ، و الصواب : المئون .

وباتوا مطمئنين ، على أنهم في صيحتهم للبلد مالكين^١ . فقالت له جماعة الرهايين والقيسيين : رأيت أيها الملك التارك للقيح ، صدق كلام الراهب عبد المسيح ، في قوله بالمكاشفة و الاستئناس ، سر بأفروطتك فانك ستملك بلد آياس . قال الملك : إى والمسيح ! إن قوله صحيح ، ما هذا الراهب ، إلا له كلام صائب . وأمر باحضاره ه فحضر ، فقال له : أيها المبشر بالظفر والتمكين ، سأعطيك غدا / من أموال المسلمين ، ما تنفع به إخوانك الرهايين . و خلع عليه برنسا و قلنسوة ، و رسم له بالنظر و المشاركة ، على جميع الأساقفة . فقال له الراهب : سيحصل لك من الأموال النفيسة ، ما ترد منه سلف مال الكنيسة ، و تفتح بلدا بعد بلد ، و تبلى أصحابها بالضر و النكد . ١٠ ثم إن القبرسى أكل ضيافة أهل البلد على أنه إذا أصبح ملكها و نهبها ، و إذا بجيوش المسلمين و من تبعها العربان و التركان أقبلوا في الليل كالسيل ، فاندفعوا على القبرسى و جنوده ، وضعوا فيهم السيف ، فلم يسلم من القتل إلا من سارع إلى المراكب ، فكانت هذه الغزوة القوية ، هى التى أورثت القبرسى كل بلية . و لو لا سارع الملعون إلى المراكب ١٥ و إلا كان قبض عليه ، و كحل بالنار فى عينيه . فضاع كلام الراهب عبد المسيح فى الريح . و كان الراهب لما رأى عينها بادر إلى المراكب ، فصار بأحدها فيه راكبا^٢ ، فأذاقه القبرسى العذاب . و سماه الراهب الكذاب ،

(١) كذا لرعاية السجع .

(٢) فى الأصل : راكب .

فأخذ منه ما كساه ، وتركه عريانا و نفاه ، و قال : يا شيخ السوء ا حملتى
على الضرر ، و أوردتني موارد الغرر . و صرخ في القسيسين و الرهايين ،
و قال لهم : حستم عندي خراف المجازين ، حتى هلك من عسكري المثين ،
هذا ما قيل في هذه الواقعة - و الله أعلم بالصواب .

٥ و منهم من قال في وقعة أياس : إن القبرسى لما أرسى بأسطوله بمينة
بلد أياس ، جمع أمير المسلمين منجك جميع النساء و الولدان ، حصنهم بقلعتها ،
و أكن الجند ثلاث كائن ، فنظر القبرسى فلم يجد بالساحل أحدا ، فنزل
بجيشه إلى البر ، و سعى طالبا البلد ، فهضت الكمناء ، جازوا^٢ بينه و بين
البحر . و كان الأمير منجك قدم القول مع طائفة المسلمين : إذا رأيتمونا
١٠ جزنا بينهم و بين البحر ، اصعدوا المراكب و اخرجوها لتمكن من نواصيهم .
فتقدم جيش المسلمين لقتالهم ، و تقدمت جماعة لخرق مراكبهم ، فخرقوا
نحو خمسين مركبا ، و قاتل^٣ المسلمون قتالا قويا إلى أن قتلوا من الإفرنج
/ خمسة آلاف ، و هرب من هرب إلى البحر ، فمنهم من رمى نفسه في البحر
بعد خلعه ما عليه من سراويل الحرب ليتوصل إلى بقية المراكب التي
١٥ لم تخرق ، فمنهم من غرق ، و منهم من سلم ، و منهم من أصابه سهام المسلمين
و هو عائم ، قتلته أو جرحته .

و منهم من قال : إن الأمير منكلي بغا الفخرى أتى في سبعين رأسا
من الخيل ، فقتل منهم نحو ثمانمائة ، و أخذ منهم عشرين أسيرا و فرسا

(١) كذا لرعاية السجع ، و إلا فهو مرفوع .

(٢) في الأصل : جازت . (٣) في الأصل : قاتلت .

واحدًا . فقالت له الأسارى : إن صاحب قبرس جرح في المعمة و حمل إلى المراكب .

و منهم من قال : إن صاحب قبرس عدم و لم يوجد .
و منهم من قال : إن صاحب قبرس هرب من المعمة و اختفى بدير ،
و قبض عليه منه . و ذلك أن راهب الدير لما صار القبرسى محتفياً عنده ، ه
سأل أمير المسلمين المقيم ببلد أياس قبل وقعة القبرسى بمدة طويلة أن
ينعم عليها برزقة يزرعها يستعين بها على ضيافة من يأتيه إلى الدير من المسلمين
المسافرين المارين به ، فأنعم عليه بأرض صار يزرعها ، ففرح الراهب بها .
فلما هرب القبرسى إلى ديره سأل الراهب أن يخفيه ، فأخفاه بسرداب تحت
الأرض ، و الراهب أرمى و القبرسى رومي ، فأتى الراهب إلى الأمير ١٠
الذي تصدق عليه بالرزقة ، فقال له : أيها الأمير ! إن القبرسى كثر عناده ،
و ظهر فساده ، و زاد شره ، و إنه قد أرمل النسوان ، و أيتم الولدان ،
و قد حصلته عندي في ديري . فقال : خذ رجالي معك و أتني به . قال
إن فعلت ذلك كنت هالكا . قال : فيما ذا ؟ قال : يقع على الضرر
من جميع النصارى ، يقولون : استجار بك خذته ، و لأعدائه سلمته ، و لكن ١٥
أريد منك أن تتركني حتى آتي الدير و أستقر به ، و تترك في جندك
و تأتي إلى الدير تأمرنا بفتحه ، فنمتنع من ذلك ، فأطلق النار في الباب ،
و ادخل إليه خذه من السرداب ، حتى لا ينسب للرهبان فيه أمر ، و كأنك
ما سمعت به إلا من غيرنا ، فأخذته منا بعد أن / قهرتنا ، فاستريح من الملامة ،

(١) في الأصل : هالك .

ف فعل الأمير ذلك ، وقبض على القبرسي - كذا قيل ، ولم يصح ذلك لظهور القبرسي بعد هذا القول بقبرس .

و منهم من قال : إن جنسا^١ من الفرنسيين يقال لهم الهنكر^٢ ، طوال القامات ، قتل من أكابره^٣ في رقعة آياس جماعة ، فاستوسموا^٤ بكعب القبرسي ، و ندموا على مساعدتهم له ، ففارقوا أسطوله ، و مضوا في غربانهم إلى قبرس ، نهبوا مال القبرسي و هو مشغول بأفروطته في البحر ، و أخذوا ما وجدوه عنده من أسارى المسلمين ، و مضوا إلى بلادهم ، فلما بلغ القبرسي فعلهم سافر إلى الباب^٥ يشتكيهم له ، ففى غيبته عند الباب ، صار^٦ الناس يقولون : إن القبرسي عدم ولم يعلم له خبر .

١٠ و منهم من قال : إن القبرسي لم يوجد : و لا رآه أحد ، فما علم هل قتل فى رقعة آياس ، أو حلق لحيته و تجرد يحول فى هيئة قرندلى^٦ أو غيره ، فأطلق عليه النداء ببلاد المسلمين ، فلم يظهر له خبر ، و لا وقع له أثر .

(١) فى الأصل : جنس .

(٢) الهنكر Hunsarians أى المجر .

(٣) فى الأصل : فاستوشموا . و المعنى طابوه بالعلامة أو الأثر .

(٤) أى البابا رأس الكنيسة الرومانية . (٥) فى الأصل : صارت .

(٦) قرندلى أى راهب من فرقة القرندلية أو القلندرية نسبة إلى مؤسسها

الشيخ « قرندل » كما ورد فى دى سامى (Chres. I, 263 pp.) وكذلك فى

دوزى (Suppl. II, 340) .

و منهم من قال : إنه جرح بسهم ، قلع خشب السهم ، و صار الحديد
كامنا بجسده .

و منهم من قال : حدثني إفرنجي من أهل مدينة مالطه^١ يسمى نكيهه ،
كان يصحبنى بسبب المتجر ، قال : لما نزلنا^٢ من المراكب ، وصرنا ببر أياس ،
و أكلنا ضياقة الأرمن ، ثقلنا من الشبع فقمنا ، فبينما نحن نائمون^٣ ٥
و إذ الضرب في بعضنا ، فقمنا من مراقدنا مبهوتين . فتوهمت أن حصي
الأرض صار رجالا قدامي و خلفي ، فصاروا يضربوننا^٤ ، و نحن نضرب
بعضنا بعضا ، فما نجا بنفسه إلى المراكب إلا من كان في أجله تأخير ،
فهربت قاصدا المراكب ، فرأيت النصارى طالبيها ، ففرق من غرق ، و نجا
من نجا ، فكنت ممن صعد المراكب ، و عقلي من الخوف ذاهب . ثم قال : ١٠
حضرت قتال الفرنج مع^٥ المسلمين عشرين وقعة ، ما رأيت فيها على
النصارى أشد من تلك الوقعة .

/ و منهم من قال : إن المسلمين ربطوا بأذنان دشار^٦ خيل أسطال^٧

(١) المقصود جزيرة مالطة .

(٢) في الأصل : نزل .

(٣) في الأصل : نائمين .

(٤) في الأصل : يضربوننا .

(٥) في الأصل : من .

(٦) دشار ربما كانت دسار بمعنى حبال الليف .

(٧) جهل سطل و هو إناه النحاس .

النحاس ، و بأعناقها الأجراس ، و دفعوها على عسكر القبرسي في الليل ، فهجمت بكررتها و جلجلتها ، و المسلمون يضربونهم بالسيوف ، فصارت الفرنج تضرب بعضها بعضا ، طولا و عرضا ، إلى أن هلك منهم من هلك ، و نجا منهم من نجا .

٥ و منهم من قال : إن المسلمين من أهل العلايا^(١) بئر التركية لما بلغهم أن القبرسي انكسر بأياس ، عمروا خمس قطائع بالرجال و السلاح ، و أتوا إلى أطراف جزيرة قبرس نهبوا عدة ضياع ، و أسروا من تأخر عن الهروب منها .

و منهم من قال : إن عمر الحلواني ذكر أنه كان حاضرا بوقعة ١٠ طرابلس و وقعة آياس ، ف قيل له : حدثنا بما رأيت فيها ، قال : لما أتت الفرنج إلى مينة طرابلس و نزلوا البر ، زحفوا إلى أن دخلوا البلد ، فأتى^(٢) المسلمون لهم^(٣) من جهة الساحل ، حازوا بينهم و بين البحر ، قتلوا منهم ما يزيد على ثلاثمائة علع ، و قتلت امرأة علجا فارسا من أكابرهم ، و ذلك أنها رمت عليه ستارة حائط سطحها كان واقفا تحتها فوقعت ١٥ عليه ، قتلته هو و فرسه ، فأمر نائب السلطان بطرابلس لما بلغه ذلك أن يعطى لها سلبه ، ف قيل : إن قيمة سلبه عشرة آلاف درهم ، تعطى بعضه ،

(١) العلايا - انظر حاشية سابقة و راجع الفهارس .

(٢) في الأصل : فأتت .

(٣) في الأصل : بهم .

فقال : بل تعطى جميعه للحديث المروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من قتل قتيلًا فله سلبه » . فأخذت المرأة ذلك السلب بأجمعه .
وقيل : بل رمت المرأة عليه فردة طاحون هلك بها .

قال : ثم إن القبرسى الملعون رجع بمراكبه عن طرابلس ، فتبعه جيش المسلمين محاذيا له على البر خوفا من دخوله بعض السواحل ، قال : هـ
وأناسا مع الجيش ، فلما رأت أهل أياس أسطول الملعون ، رفعوا النيران على قن الجبال ، فهرع^١ الناس من كل جهة و مكان ، فوجدوا الفرنج نزلا البر ، فقتل^٢ المسلمون / منهم نحو خمسمائة عالج ، و هربت البقية إلى المراكب ، فجعلهم المسلمون كل عشرة كوما ، و رموا عليهم الحطب ، و أشعلوا فيه النيران ، و الفرنج تنظر إليهم من مراكبهم ، و جاء عدة ١٠ من قتل من المسلمين في المعركة ثلاثة و سبعون^٣ ، و جرح منهم نحو مائة نفس . ثم صار^٤ المسلمون يصرخون^٥ و يقولون^٦ : انزلوا يا كلاب النصارى برنا قاتلونا حتى نجعلكم مثل أصحابكم كيما نطلق فيكم النار . فامتنعوا من النزول ، و لسان حالهم يقول : نحن بمراكبنا لا نزول ، لنصير طعاما للسيف

(١) في الأصل : فهزعت .

(٢) في الأصل : فقتلت .

(٣) في الأصل : سبعين .

(٤) في الأصل : صارت .

(٥) في الأصل : تصرخ .

(٦) في الأصل : و تقول .

البتار ، و شواء على وهج النار . ثم إنهم جذفوا بالأسطول حتى غابوا
 عن أعين الناس . فقال^١ المسلمون : خذوا حذرکم منه . فان الملعون عملها
 حيلة و مكيدة ، و لا بد أن يعود ، فوقفوا على الساحل ، فعاد يطلب الفساد ،
 فرأى الناس على حالهم وقوقا^٢ ، فلم تنفعه حيلته ، و أرست بالمينة أفروطته ،
 و إذا بعلج رمى بنفسه من المراكب إلى البحر طالبا الساحل بالعوام ،
 فرمى^٣ أربعة من العلوج أنفسهم [في] البحر خلفه ليقبضوه و هو يصرخ
 و يقول : أيها المسلمون ! إني مسلم أسير ، انصروني بحق العليّ الكبير .
 فرمى^٤ المسلمون على الأربعة العائمين خلفه بالنشاب ، قتلوا ثلاثة و رجع
 الرابع إلى الأفروطة ، و وصل المسلم الأسير الساحل سليما بقدره العليم
 ١٠ الخبير ، فاحضر بين يدي الأمير ، فقال : من أنت ؟ و من تكون ؟ قال :
 مسلم ابن مسلم . قصدت النجاة من الأسر ، فرزقني الله تعالى السلامة
 و النصر . فقال له : حدثنا بخبر هؤلاء الكفرة الأنجاس الفجرة . قال :
 نعم ، قتل بطرابلس ابن أخت القبرسي ، و إن أمه قالت لأخيها : لا أستقر
 و لا أهدأ^٥ حتى تأخذ لي الإسكندرية أو طرابلس أو أياس في ثار ولدي
 ١٥ و تمرة كبدي . فقال لها : إن الإسكندرية لا أقدر عليها لكثرة الجيوش

(١) في الأصل : فقالت .

(٢) في الأصل : وقوف .

(٣) في الأصل : فرمت .

(٤) في الأصل : أنفسها .

(٥) في الأصل : إهدى .

٦٤ / ب

التي صارت بها . فقالت : و كيف / ظفرت بها أولا ؟ قال : كانت خالية من الشجعان ، فارغة من الترك و التركان ، فطمعت فيها عند فرار أهلها منها فظفرت بها ، و لو أقام أهلها بدائر سورها ، و رمى كل واحد منهم بحجر ، لرأيت فيمن معي العبر ، و أما طرابلس فغلبت عنها . و ها هو قد عاد إليكم يطلب الغدر بكم ، فانظروا ما تصنعون في أمر هذا الملعون ، هـ فانه لما ظفر بالإسكندرية صار كالمجنون ، و قد أنفق على هذه الأفرودة ما حصل له من الإسكندرية . ثم إنه ركب الديون ، فصار الملعون مغبوناً^٢ ، قال : فعند ذلك تجهز^٣ المسلمون لقتاله و حربه و نزاله ، و أذكوا العيون على الملعون ، فلبست التركان اللبد المبلول ، و تهيأوا^٤ لحربه بالسيف المسلول ، و اللبود المبلولة من عاداتها أنها لا^٥ تؤثر فيها السهام ، و لا يفعل^٦ فيها السنان و لا الحسام .

ثم إن العلوج نزلوا الساحل و اصطفوا صفوفاً . فقال أمير المسلمين لأصحابه : تقهقروا و راءكم لتطمعوهم فيكم ، فصار كلما^٧ زحفت الفرنج نحو البلد يتقهقروا^٨ المسلمون . فلما بعدوا عن الساحل هلك^٩ المسلمون

(١) في الأصل : اقامت . (٢) في الأصل : مغبون .

(٣) في الأصل : تجهزت .

(٤) في الأصل : تهيأت .

(٥) في الأصل : لم .

(٦) في الأصل : كل ما .

(٧) في الأصل : تقهقرت .

(٨) في الأصل : هلت .

عليهم بالدبابيس و الطير ، تركوهم على الأرض عبر ، فهرب من هرب
منهم إلى المراكب ، ما بين سالم و عاطب . ثم لما كان بعد العصر ، جذفت
الأفروطة طالبة كبد البحر ، إلى أن غابت عن العين . فقال أمير المسلمين
لجيشه : احتفظوا على أنفسكم فإن الملعون قصده [أن - ١] بعمل حيلة
و مكيدة يأتيكم بها ، فكونوا على حذر منه . فأقاموا راكبين خيولهم ،
فبينما هم في الليل راكبون^٢ ، وإذا بالصراخ من القلعة عاليا ، وإذا
بالملعون رمى من البعد ثلاثمائة علج في غير موضع الحرس ، زحفوا إلى
القلعة الخارجة / عن البلد ، تقبوا تحت عتبتها ليدخلوها ، فقطنت بهم
النسوان اللاتي^٣ حصنهم^٤ المسلمون بها ، فرمى عليهم من مرق الباب
١٠ حجارة كثيرة ، وأطلقن الصراخ ، فعطف الجيش على تلك العلوج الذين^٥
كالبروج ، قتلوا منهم مائة علج ، و هربت البقية إلى المراكب . فعند ذلك
دخل الأسطول البحر ، راجعا بالخبيبة و القهر ، و لم يعد بعد ذلك لخسارته
في تجارته .

٦٥ / الف

و منهم من قال : إن أخت القبرسي قالت له : لا أستقر ولا أهدأ .
١٥ حتى تخرب طرابلس و تجعلها كوما لتصير كنيسة على ولدى المقتول بها
بسيوف المسلمين . فعاد الملعون إليها في الشتاء لقطع الثلوج بالطرق إليها ،

(١) ساقطة من الأصل .

(٢) في الأصل : راكبين .

(٣) في الأصل : التي .

(٤) في الأصل : حصنهم .

(٥) في الأصل : اهدى .

لتمتع النجدة من الإتيان لنصرتها . فلما أتى الملعون إلى مئنتها ،
خرج إليه جيشها ، فلم يستطع النزول إلى البر لما رأى على الساحل من
كثرة الفرسان المتشبهين للعقبان . فرجع الملعون حيث أتى ، ولم تنفعه
حيلة الشتا .

قال المؤلف غفر الله له و لوالديه و للأقربين إليه و لجميع المسلمين ٥

آمين : حدثني الشيخ الصالح أبو محمد إسماعيل بن سليمان الحلبي
بالإسكندرية ، و كان إذ ذاك مقبياً بها ، قال : لما دخلت الإفرنج طرابلس
الشام في أوائل سنة تسع و ستين و سبعمائة ، دخل منهم دار الحاج
محمد بن بهادر التاجر اثنا عشر علجاً ، و كان له بها جفان سكر كبيرة ،

فأحاط^١ المسلمون بالدار ، فصارت الإفرنج يكسرون^٢ تلك الجفان السكر
و يرمون^٣ بها على المسلمين عوضاً عن الحجارة التي عجزوا عن قلعها لقوة
عمارة الدار و لعدم الفؤس التي ليست معهم يقلعون بها الحجارة إذ ليس
معهم غير سيوفهم . / فأتى إليهم الأمير جرجي^٤ برجاله ، عمل عليهم الحيلة
حتى قبضهم منها و قررهم ، فقالوا : إن نصارى أهل الذمة الذين^٥ بسواحلكم
يكاتبون^٦ القبرسي يعرفونه عن أحوالكم و يحرصونه على غزوكم ، فهم^{١٥}
الذين كانوا السبب في إتيان القبرسي إليكم . فكتب الأمير جرجي بذلك
إلى السلطان و الأمير يلبغا الخاصكي ، فمنعوا إذ ذاك من التوجه إلى

(١) في الأصل : فأحاطت .

(٢) في الأصل : تكسر . (٣) في الأصل : ترمى .

(٤) ورد الاسم في مواضع أخرى (انظر الفهارس) .

(٥) في الأصل : التي . (٦) في الأصل : يكاتبوا .

قبرس بسبب متاجرهم التي بها، والتي يستصحبونها معهم إليها، فضاعت متاجرهم التي بقبرس، وبادت متاجرهم التي جهزوها إليها، وحفظت السواحل بالتركيز و القبض على المتجسسين، وقتل النصارى المخبرين - انتهى .

٥ ثم قال أيضا: ولما لم يقض القبرسي أربه من طرابلس، سار بأفروطه إلى انطرسوس أقام بها يوما وليلة، فأحرقها جميعها، لما لم يجد فيها أهلها، وذلك لهروبهم منها، عند معاينتهم لأفروطه الآتية إليهم . ثم إن الملعون توجه بأفروطه إلى مرقية^٢، أحرق منها ثلاثة^٣ بيوت، فأدركه ابن قنقر التركي بمن معه من لتركمان، فهرب منه الملعون، فتوجه إلى بانياس^٤ تحت المرقب . فأقام بها يوما وليلة، وكان أهلها لما عاينوه تركوا له البلد وهربوا منه، فحرقها و حرق أشجارها . فأدركه جيش المسلمين، فهربت الفرنج منهم إلى المراكب . فلم يقبض المسلمون^٥ من علوج القبرسي غير علج واحد، فأتى به إلى نائب المرقب، والمرقب

(١) في الأصل : يستصحبوها .

(٢) مرقية وردت في معجم البلدان لياقوت (ج ٤ ص ٥٠١) قلعة في سواحل حمص .

(٣) في الأصل : ثلاث .

(٤) بانياس - انظر حاشية سابقة (راجع الفهارس) .

(٥) في الأصل : وكانت .

(٦) في الأصل : المسلمين .

قلعة حصينة على جبل عال، فوجه به إلى الأمير منجك بطرابلس، فقرره فقال: إن القبرسي معه صاحب رودس، وأراد الصعود لقلعة المرقب ينقبها و ينهبها، ففنه صاحب رودس وقال له: هل رأيت أحدا بالقرى التي مررت بها / بالسواحل من طرابلس إلى هاهنا من التركان و الفلاحين؟ قال: لا. قال: إنهم بأجمعهم لما سمعوا بنا، أخلوا قراهم و تحصنوا بهذه القلعة، فان صعدنا إليهم هلكننا برميهم الحجارة علينا، لا سيما و الصعود إليهم من طريق ضيق، و الجبل جميعه وعر المسلك، فامض بنا و اتركهم لئلا نهلك.

قال: ثم إن القبرسي توجه إلى بلد جبلة^(١)، فانكسر له مركب بشمال البلد، فتوجه إلى اللاذقية^(٢). فأتى إليه ابن دولسا التركاني، لأن دركه^(٣) موضع^(٤) يقال له: الهداني، عند الجبل الأقرع^(٥) بالقرب من السويدية^(٦)، أتى للقاءه في رجاله، و قد نزل من الإفرنج جماعة إلى البر معهم ستة^(٧) أكاديش^(٨) و فحال من الخيل، فهربت الإفرنج عند مقابلتهم لهم، و تركوا الخيول المذكورة خوفا من القتل لتقصير جريها، فوجدت تلك الخيول مقطوعة الأذنان، فحملها^(٩) ابن دولسا إلى الأمير منجك بطرابلس، ١٥

(١) جبلة - انظر حاشية سابقة و راجع الفهارس.

(٢) اللاذقية - انظر حاشية سابقة و راجع الفهارس.

(٣) في الأصل: موضعا. (٤) الجبل الأقرع ورد في Dussand, Topographie historique de la Syrie antique et medievale.

ص ٤٢٣ بين اللاذقية و أنطاكية جنوب السويدية.

(٥) السويدية - انظر حاشية سابقة (راجع الفهارس). (٦) في الأصل: ست.

(٧) أكاديش - انظر حاشية سابقة (راجع الفهارس). (٨) في الأصل: فحملتها.

فأعطاه منها ثلاثة أكاديش . فقلت لإسماعيل المخبر بذلك : ما سبب قطع أذناها ؟ قال : هذا يقال له التهليب ، و خيل مهلوبة - إذا قطعت أذناها ، و ذلك يكون بسبب الحرب ، فانه يخاف من أذناها أن تمسك عند الكسرة ، فتمتنع من المشى ، فيكون ذلك سببا لقتل فارسها سرعة ، و لذلك تعقد أذناها إلى جهة أجنابها ، و تستر بالبركستوانات^١ خوفا من ذلك .

[أخبار البنادقة و الجنويين بالإسكندرية - ٢]

قال المؤلف غفر الله له و للمسلمين أجمعين : و إذ قد سردت الأقوال التي قبلت في وقعة طرابلس الشام و غيرها ، فساذكر الآن أخبار البنادقة و الجنويين بمينة الإسكندرية إن شاء الله تعالى على الترتيب .

١٠ ب/٦٦ ذكر ما اتفق للمسلمين مع البنادقة و الجنوية بمينة الإسكندرية الشرقية . و في يوم الجمعة ثالث ربيع الآخر سنة تسع و ستين و سبعمائة^٢ ، ذكر أن بمراكب الجنوية أسيرا مسلما من بلاد التركية ، فطلبه المسلمون منهم ، فامتنعوا أن يدفعوه لهم ، و ذلك بعد أن أوقرت الجنوية و البنادقة مراكبهم السبعة بمناجر البهار ، و هم عازمون^٣ على السفر إلى بلادهم .

١٥ و كان بالإسكندرية حينئذ من الفرنج نحو مائتي نفر ما بين تجار و غلمان يتسوقون للسفر ، فمنعهم المسلمون الخروج من باب البحر . فسأل من

(١) وردت الكلمة في قاموس Steingass الفارسي « بركستوانور » An armour

clad horse ; one riding on such و جاءت في « النجوم الزاهرة » لابن تقي

بردي (ج ١٥ ص ٣٥٧) « خيول عليها بركستوانات ملونة و سروج مفرقة » .

(٢) العنوان غير وارد بالأصل أو الهامش .

(٣) ٢٨ أكتوبر سنة ١٣٦٧ م (٤) في الأصل : عازمين .

بالمراكب من أصحابهم أنهم يطلقون^١ لهم الأسير المذكور على أن يطلقوا لهم الفرنج المتعوقين ، فرضى المسلمون بذلك ، فنكثوا و منعوه ، و طلبوا أصحابهم يخرجون إليهم ، فامتنع^٢ المسلمون أن يطلقوهم لهم إلا به ، فنزلت الجنوية إلى سيالة المنار ، أخذوا من الصيادين رجلين ، و أتى قارب كبير من مراكبهم إلى الساحل بالسلاح ليقبضوا على راس دار الصناعة^٥ و هو إبراهيم التازي لوقوفه ذلك الوقت بالساحل معه بعض رجاله ، ففهم إبراهيم بما أتوا به ، فخاض إلى القارب ، و طبق على عالج منهم رماه البحر ، فقتله بعض أصحابه ، و عطفوا أصحاب الراس سريعا على القارب أخذوه بمن فيه من تلك الأعلاج ، و قبضوهم كالقبض على الدجاج ، فأتت الترك الخيالة الذين كانوا حينئذ بالجزيرة يرمون^٣ الشباب على جارى عادتهم بسبب الإدمان ، فقبض كل واحد منهم على شوشة^٤ إفرنجى ، و صار سائقا فرسه ، و العالج يجرى إلى جانبها بحريها و الدماء قد سالت^٥ منهم بما فعلته قواد^٦ الراس بهم حين القبض عليهم من قاربهم ، فسجنوا و رسم على جميع الفرنج المتأخرين فى البلد عن

(١) فى الأصل : يطلقوا .

(٢) فى الأصل : فامتنعت .

(٣) فى الأصل : يرموا .

(٤) أى ذؤابة شعر الراس .

(٥) فى الأصل : سال .

(٦) فى الأصل : قياد .

المراكب . فلما عاينت^١ الفرنج / الذين^٢ بالمراكب ما حل بأصحاب القارب من المصائب ، و منع أصحابهم من الخروج إليهم ، زحف إلى الساحل غراب من غربان البنادق ، رموا بالذباب على من لبس سراويل حربه من الجنود ، وقفوا على الساحل بسبب حرب إن وقع ، فرمتهم الجنود أيضا بالسهم ، فخرج من الإفرنج جماعة ، و قال^٣ لهم المسلمون : إن لم تعطونا الأسير و الصيادين و إلا أهلكناكم عند خروجكم من ضيق فم المينة أجمعين . فحينئذ أطلقوا الأسارى الثلاثة . فلما حصلت^٤ تلك الثلاثة على البر ، دعا^٥ نائب السلطان بتجار الإفرنج و القناصله المقيمين بالإسكندرية ، فأخرجوا إلى الساحل ، فرسم أن يقرأ عليهم كتاب السلطان الوارد عليه الآن ، فقرئ عليهم ، و هو يتضمن تعويق البنادق و الجنوية و جميع أجناس الفرنج عن السفر ، و أن الفرنج جميعهم لا يدخلوا^٥ سواحل المسلمين بمتجر أبدا إلا أن أتوا بأموال الإسكندرية و جميع أسراها . فلما سمعت القناصله و التجار ذلك كتبوا كتابا بالخط الرومى ، و دخل به رجل من المسلمين البحر و جعله بعقب رمح و غرز

(١) في الأصل : التي .

(٢) في الأصل : و قالت .

(٣) أى أدركت البر .

(٤) في الأصل : ادعا .

(٥) في الأصل : يدخلوا .

سنانه بقاع البحر ورجع إلى البر . فأتى قارب من مراكب الفرنج
أخذه ورجع به إلى المراكب . فلما قرأوه ، تيقنوا أن أصحابهم مأسورون^١ .
فبينما هم كذلك و إذا بمركب تشق^٢ البحر آتية ، فحين أرست أخبروا
أهلها بالخبر ، فرفع ما كان فيها من متجر فرق^٣ في تلك المراكب .
و أخذوا قلعها و صاريتها و سكانها و تركوها قصعة بسبب عيبها التي
انعابت^٤ به و سافروا في الليل و تركوها . فطولع السلطان بما اتفق من
الفرنج ، فورد مرسومه إلى الإسكندرية بحملهم إلى القاهرة ، فحملوا
إليها و سجنوا بسجنها .

٦٧ / ب / ذكر العناية بالإسكندرية و تولية ملك أمرائها

١٠ . يصير مقياً كدمشق و حلب

و في يوم الاثنين ثالث عشر ربيع الآخر سنة تسع و ستين
و سبعمائة^٥ ورد إلى الإسكندرية ملك الأمراء سيف الدين أسنبغا بن
البوبكرى فى موكب جليل ، و حال جميل ، و صحبته من الأمراء عشرون
أميراً ، منهم طبليخانات و عشراوات .

أما الطبليخانات فهم الأمير ناصر الدين بن قشتمر و الأمير أقبغا ١٥
مصطفى و الأمير دقماق بن طغنجق و الأمير ناصر الدين بن شرف الدين

(١) فى الأصل : مأسورين .

(٢) التانيث بتأويل السفينة .

(٣) فى الأصل : فرقت . (٤) كذا .

(٥) ٧ نوفمبر سنة ١٣٦٧ م .

و الأمير قطبغا جركس و الأمير طبقغا صابوق و الأمير ناصر الدين
ابن بكتمر و الأمير ناصر الدين بن سلاز و الأمير سيف الدين بن قبلية
و الأمير اروس .

و أما العشاوات فهم الأمير أحمد بن صرغتمش و الأمير ابن دلنجي
٥ و الأمير الطنبغا العلاتي و الأمير ابن قطليجا الحموي و الأمير علي بن
قماري و الأمير سودون و الأمير قماري و الأمير ناصر الدين بن كتبغا
و الأمير قشتمر التقزدمري^١ .

و صار^٢ حجاب ملك الأمراء اسنبغا ثلاثة ، فحاجب الحجاب الأمير
صلاح الدين خليل بن عرام ، و يليه الأمير بهاء الدين أصلان الحاجب
١٠ و الأمير سيف الدين بكتمر العلي الحاجب أيضا . فصارت الإسكندرية
يضرب بها في كل ليلة أربع عشرة^٣ طبليخانة : الواحدة لملك الأمراء ،
و العشر^٤ لعشرة أمراء ، و واحدة لحاجب الحجاب ، و واحدة لأصلان
الحاجب ، و واحدة بأعلى باب الصناعة .

(١) من الواضح أن مثل هذه البيانات الدقيقة بما ورد فيها من الأسماء تكتمل
بذكرها محتويات التواريخ المعاصرة مثل « كتاب السلوك » للمقرزي
و « النجوم الزاهرة » لابن تفرى بردى و غيرها لا سيما و أن النويري كان
شاهد عيان لتلك الأحداث .
(٢) في الأصل : و صارت .
(٣) في الأصل : أربعة عشر .
(٤) في الأصل : العشرة .

و صار ملك الأمراء يركب يوم الاثنين و يوم الخميس في مركب
 جليل ، و حال جميل ، فيه الأمراء ' المذكورون باتباعهم ' ، و تركب
 لركوبه أجناد الحلقة المنصورة المجردين بها و الأجناد المركزين بها ، و هم
 أرباب الجوامك . و يجلس ملك الأمراء / بعد المركب بدار العدل ،
 يفصل القضايا بين الناس . بينما هو جالس بدار العدل ، و إذا بمركب
 قدم من بلاد الإفرنج إلى مينة الإسكندرية ، فلم يخرج منها أحد يأخذ
 واصلها كجاري العادة . فلما لم يأتهم أحد ، أتى من المركب قارب
 إلى الساحل فيه سبعة من الفرنج ، منهم ثلاثة تجار^٢ و أربعة بحرية ،
 فثلوا بين يدي ملك الأمراء و هو جالس بدار العدل . فقال لهم :
 أما بلغكم مرسوم السلطان بأن أحدا^٣ من سائر أجناس النصارى
 لا يدخل^٤ للمسلمين برا ، و لا يطأ^٥ لهم أرضا ، إلا أن تأتي بقية أسارى
 الإسكندرية و رسل السلطان المعوقين بقبرس . فقالوا : إن لنا في البحر
 ما يزيد على شهر ، و لم نسمع بشيء . فاقضى رأى ملك الأمراء أن
 السبعة يعوقون^٦ بالإسكندرية حسب مرسوم السلطان المتقدم ذكره

(١-١) في الأصل : المذكورين باتباعها .

(٢) في الأصل : تجارا .

(٣) في الأصل : أحد .

(٤) في الأصل : لا يدخلوا .

(٥) في الأصل : لا يطؤا .

(٦) في الأصل : يعوقوا .

و المتضمن بأن كل من وطئ بر المسلمين من الفرنج يقبض عليهم و على
 أموالهم و مراكبهم ، و إن تعذر القبض على مراكبهم ، فليطردوا من
 المين ، فرسم ملك الأمراء أن يخرج إليهم إبراهيم التازي رأس دار
 صناعة الإسكندرية في رجاله و رماته يأخذ المركب بما فيه من المتاجر
 ٥ و الرجال . فخرج إليهم في زورقين ، و وقع القتال بينهم . فلما رأت
 الفرنج الجد من المسلمين في القتال ، قطعوا سرياقات مراسي مركبهم
 و هربوا . فأخذ المسلمون مراسيها من قاع البحر ، و طولع السلطان
 بذلك ، فورد المرسوم بحمل السبعة إلى القاهرة ، و من بقى بالإسكندرية
 مسجوناً من الفرنج ، فحملوا إلى القاهرة في السلاسل و الأغلال ،
 ١٠ مخشي^١ الأيدي مشاة حفاة ، و ذلك في جمادى الأولى سنة تسع و ستين
 و سبعمائة^٢ ، و حبسوا عند الإفرنج الملتقدم ذكرهم ، / فصاروا مثقفين في
 السجون . يعملون^٤ بالنهار في العمار السلطانية ، و بالليل في السجون
 بيتون ، قد أكلت سوقهم القيود ، و رتع في أجسامهم بق خزانه
 البنود ، و المسلمون يصيحون عليهم و يقولون : يا كلاب النصارى !
 ١٥ لا خفف الله عنكم العذاب ، ما تسمعون لأقوال^٥ الكافر بولص ، و لا تجتمعون

ب/٦٨

(١) في الأصل : فاخذت .

(٢) في الأصل : مخشبين .

(٣) ديسمبر سنة ١٢٦٧ - يناير سنة ١٢٦٨ م .

(٤) في الأصل : يعملوا .

(٥) في الأصل : الأقوال .

أبدا على محبة مسلم مخلص، بل الكفر شعاركم، و الفجور دثاركم،
فلعنة الله عليكم في الليل و النهار، و العشى و الإبكار ! فستلقون في
الدنيا الوبال، و في الآخرة بجهنم النكال .

[روايات فقهية - ١]

- و روى أن الله تعالى أوحى إلى عيسى بن مريم عليهما السلام : ٥
يا عيسى ! كم بدن صحيح ، و لسان فصيح ، غذا بين أطباق جهنم يصيح .
قال الله تعالى ٢ : ” و ان جهنم لموعدهم اجمدين ٥ لها سبعة ابواب لكل
باب منهم جزء مقسوم ٥ “ . قال ابن عباس رضى الله عنهما : إن جهنم
سبع دركات : إحداهن السعير للشياطين . قال الله تعالى ٣ : ” و لقد زينا
السماء الدنيا بمصابيح و جعلناها رجوما للشياطين و اعتدنا لهم عذاب
السعير ٥ “ . و الثاني الجحيم و هي مأوى الطاغين و المؤثرين الدنيا على الآخرة .
قال الله تعالى ٤ : ” فاما من طغى ٥ و اثر الحياة الدنيا ٥ فان الجحيم هي
المأوى ٥ “ . و الثالثة سقر و هي لتاركى الصلاة و المانعى الزكاة .

(١) العنوان غير وارد بالنص أو الهامش .

(٢) قرآن كريم سورة ١٥ آية ٤٣ و ٤٤ .

(٣) قرآن كريم سورة ٦٧ آية ٥ .

(٤) قرآن كريم سورة ٧٩ آية ٣٧ - ٣٩ .

(٥) في الأصل : لتاركين .

(٦) في الأصل : المانعين .

قال الله تعالى ١: " يتساءلون عن المجرمين ما سلككم في سقره قالوا

لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين " . و الرابعة الحطمة

و هي مأوى الهمازين . قال الله تعالى ٢: " ويل لكل همزة لمزة الذي

جمع مالا و عدده بحسب ان ماله اخلده كلا لينبذ في الحطمة " .

و الخامسة الهاوية و هي مأوى من رجحت سيئاته على حسناته عند

الوزن في القيامة . قال الله تعالى ٣: " واما من خفت موازينه / فامه

هاويه " . و السادسة لظى و هي مأوى الكفار و البخلاء . قال الله

تعالى ٤: " كلا انها لظى نزاعة للشوى تدعو من ادبر و تولى " -

يعنى من ادبر عن التوحيد و تولى عنه - و جمع فاعى " - يعنى جمع

١٠ المال و بخل به . و السابعة جهنم و هي مأوى الكفرة . قال الله تعالى ٥:

" و الذين كفروا لهم نار جهنم لاء يقضى عليهم فيموتوا و لا يخفف عنهم

من عذابها كذلك نجزي كل كفور " . و أنشد بعضهم يقول:

يا طالب الظل من شمس إذا طلعت و المستريح إذا ما حل أزرار

و المستجير ببرد الماء من عطش لا تنس عطشة أهل النار في النار

١٥ روى أن يحيى بن زكريا عليها السلام لما دخل بيت المقدس رأى

(١) قرآن كريم سورة ٧٤ آية ٤٠ - ٤٤ .

(٢) قرآن كريم سورة ١٠٤ آية ١ - ٤ .

(٣) قرآن كريم سورة ١٠١ آية ٨ - ٩ .

(٤) قرآن كريم سورة ٧٠ آية ١٥ - ١٧ .

(٥) قرآن كريم سورة ٣٥ آية ٣٦ .

المجاهدين و الرهبان و القسيسين و الأحرار قد تدرعوا بمدارع الشعر ،
 و لبسوا برانس الصوف . و خرقوا التراقي ، و سلكوا فيها السلاسل ،
 و شدوها إلى سوارى المسجد . قال : فأتى يحيى عليه السلام إلى أمه فقال :
 يا أماه ! انسجى لى مدرعة من شعر و برنسا من الصوف . قال : ففعلت
 ذلك ، فتدرع بالمدرعة و ابس الصوف ، و تعبد مع الرهبان و القسيسين . ٥
 قال : فزغ ذات يوم مدرعته ليقبها ، فنظر إلى نحول جسمه فسكى .
 قال : فأوحى الله تعالى إليه يا يحيى ! أتبكي على نحول جسمك ! و عزتى
 و جلالى ! لو اطلمت اطلاعة فى النار لتدرعت الحديد فضلا عن المسوح ،
 و لبكيت الصديد فضلا عن الدموع . قال : فلم يزل يحيى يبكى حتى
 أكلت الدموع لحم خديه ، و بدت أنيابه و أضراسه . فقالت له أمه : ١٠
 يا بنى ! لو اتخذت قطعتين من اللبود تقيان خديك . قال : فأجابها إلى ذلك .
 قال : و كانت أمه إذا ابتلت اللبود / و استنقعت مسحت دموعه بمدرعته .
 قال : فكان يحيى يقول : اللهم ! هذه دموعى ، وهذه أمى ، و أنت
 أرحم الراحمين . قال : فقال أبوه يوما و قد رآه قد اجتهد فى العبادة فقال :
 يا بنى ! ما هذا البكاء . إنما سألت الله أن يهلك لى قرعة عين . قال : يا أبت ! ١٥
 ألسنت أنت أخبرتنى أن جبريل عليه السلام أخبرك أن بين الجنة و النار
 عقبة لا يجوزها إلا بالكون من خشية الله . قال : بلى يا بنى ! قال : أقتلومنى
 على أن أبكى من خشية الله تعالى ! لعل أجوز تلك العقبة ، كما قال بعضهم :
 دخولك فى الدنيا مع البكاء ، و خروجك من الدنيا مع البكاء ، فالبكاء فى
 دخول الدنيا و البكاء فى الخروج منها .

و اختلفوا في بكاء الصبي حين يولد ، فروى عن بعض الأخبار
أن ملك الموت يقول له في أذنيه إذا ولد : إن الله يقول لك : عبدى !
أخرجتك من بطن أمك طاهرا ، فهذا الذى يبكيه حين يولد . و قيل
إنما يبكى لوقوعه فى دار المحنة و البلاء ، و دار الزوال و العناء . و قيل
٥ إن الصبي إذا قطعت سرته عن سره أمه بكى . يا هذا ! هذه حالة القطع
من المخلوق ، فكيف بحالة القطع عن الخالق !

و قيل إن بعض السلف كتب إلى أخيه : أما بعد يا أخى ! فإن
الدنيا نوم ، و الآخرة يقظة ، و نحن فى أضغاث أحلام - و السلام .
و أنشد يقول :

١٠ قدم لنفسك ما تسربه فالمرء مرتهن بما قدم

و الموت أعظم ما يعاينه و لما يعاين بعده أعظم

و قيل كان زكريا عليه السلام إذا جلس فى مجلس يعظ فيه

بنى إسرائيل يلتفت يمينا و شمالا ينظر إلى ولده يحيى ، فاذا لم يره تكلم

و وعظ ، قال : فوعظ يوما و كان يحيى فى المجلس قد لفت رأسه فى

١٥ مدرعته ، و جلس آخر الناس ، فقال زكريا : حدثنى جبريل أن فى النار

جبل^١ يقال له سكران ، فى أصل ذلك / الجبل واد يقال له الغضبان ،

يفضب لغضب الرحمن ، فى ذلك الوادى جباب من نار عمق كل جب

مسيرة مائة عام ، فى تلك الجباب توايت من نار ، فى تلك التوايت

أسفاط من نار ، فى تلك الأسفاط ثياب من نار و سلاسل من نار

(١) فى الأصل : جبل .

و قيود من نار و أغلال من نار . قال : فلما سمع يحيى عليه السلام ذلك خرج هاتماً على وجهه و هو ينادى بأعلى صوته : واغوثاه من غضبان يغضب لغضب الرحمن . قال : فقام زكريا عليه السلام إلى أم يحيى فقال : الحق بابنك ، ما أراك تلحقينه^١ حتى يفارق الدنيا . قال : فخرجت و معها نسوة من بنى إسرائيل ، فقلن^٢ لها : أين تريدن ؟ فقالت : اطلب وادى^٥ و قرّة عيني يحيى ، إن والده زكريا وعظ بنى إسرائيل ذكر النار ، فخرج هاتماً على وجهه . قال : فذهبت مع النساء ، فاذا هي براع^٣ يرعى غنم له ، فقالت : بالله عليك ! هل رأيت شاباً صفته كذا و كذا ؟ قال : عساك تطلبين يحيى بن زكريا ! قالت : نعم ، ذلك وادى و قرّة عيني و ثمرة فؤادى . قال : تركته الساعة على عقبه الثانية قد دلى قدميه في الماء ، رافعا رأسه إلى السماء .^{١٠} و هو يقول : و عزتك و جلالك ! لا أشرب بارد الماء ، و لا أكل طيب الطعام حتى أعلم أين منزلى في الجنة أم في النار . قال : فأتت إليه أمه ، فوضعت رأسه بين قدميها ، و أقبلت تناشده الله و تقول : بحق ما أرضعتك من ثديي ، و حملتك في بطني ، و ربيتك في حجرى ، الا أكلت هذه القرصة الشعير ، و تقويت بها على طاعة ربك . فقال : يا أماه ! تأمرينى^{١٥} بأكل الطعام و ملك الموت فى طلبى ، و الموت غايتى ، يا أماه ! أتأمرينى بأكل القرصة و أنا أخاف أن يكون مصيرى إلى النار ، و قرينى الشيطان

(١) فى الأصل : تلحقه .

(٢) فى الأصل : فقالوا .

(٣) فى الأصل : براعى .

و الحاكم الرحمن . فقالت : / يا يحيى ! هل لك أن تنطلق معى إلى منزلى ؟
 قال : ففعل ، فلما رجع إلى المنزل قال له أبوه زكريا : يا بنى ! إن لى
 إليك حاجة . قال : وما هى يا أبت ؟ قال : تلبس هذه الجبة الصوف على
 جسمك ، فانها ألين من جبة الشعر . قال : ففعل ، و اتخذ له أبوه مرقه
 ٥ من عدس فشربها ، قال : فلما وجد اين الجبة نام عن الصلاة ، فنودى
 فى منامه : يا يحيى ! أردت دارا خيرا من دارى ، و جوارا خيرا من
 جوارى ! قال : فقام يحيى من منامه و قال : يا أبت ! ردوا على مدرعة
 الشعر ، و خذوا جبتكم الصوف . ثم ازداد فى البكاء و العبادة هو و أبوه ،
 فأوحى الله إليهما : انى قد أمتكما من النار . قال : فعند ذلك اطمأنت
 ١٠ قلوبهما ، و ازدادا فى العبادة . و أنشد بعضهم يقول :

إنى أثبك من حديثىء و الحديث له شجون

قل لى غدا فى القبر و كيف ترى أكون

و لبعضهم :

ما يحيا مع المنايا سرور ملك الموت فى البلاد يدور

١٥ كم سرور قد غيرته الليالى و بلاء يحشه المقدور

أبها الرجل المقيم بدار يتمادى و قبره محفور

شكا رجل إلى بعض المشايخ كثرة النوم قال : اذهب فاشكر الله على

العافية ، فكم من مريض فى شهوة غمضة من النوم الذى تشكو منه .

و قيل لا شىء أشد على إبليس اعنه الله من نوم العاصى ، يقول

٢٠ متى يتنبه و يقوم حتى يعصى الله عز و جل .

و قيل

و قيل كان رجل له تلميذان اختلفا فيما بينهما، فقال أحدهما: النوم خير لأن الإنسان لا يعصى الله تعالى في تلك الحالة . وقال الآخر: اليقظة خير لأنه يعرف الله في تلك الحالة . قال: فتحاكما إلى ذلك الشيخ، فقال: أما أنت الذى قلت بتفضيل النوم، / فالموت خير لك من الحياة، و أما أنت الذى قلت بتفضيل اليقظة فالحياة خير لك .

و قال بعضهم: في النوم معانٍ ليست في اليقظة، إنه يرى المصطفى صلى الله عليه وسلم و الصحابة و السلف الماضين في النوم ولا يراهم في اليقظة . و في بعض الأخبار أن النوم أخو الموت، قال الله: " وهو الذى يتوفنكم بالليل و يعلم ما جرحتم بالنهار " .

و قيل لما قال إبراهيم لولده إسماعيل عليهما السلام: " أنى أرى فى المنام أنى اذبحك فانظر ما ذا ترى " قال: يا أبت! هذا جزاء من ينام عن حبيبه، لو لم تتم ما أمرت بذبح الولد . ثم قال: " يابست أفعلى ما تؤمر ستجدنى إن شاء الله من الصبرين " . و قيل أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: كذب من ادعى محبتي فاذا جنه الليل نام عنى . و قال الشبلى: اطلع الحق على فقال: من نام غفلا، و من غفل حجب . فكان الشبلى يكتحل بالملح و بعده بالخناء حتى كان لا يأخذ النوم . و فى معناه أنشدوا:

عجبا للمحب كيف ينام كل نوم على المحب حرام

(١) فى الأصل: معانى .

(٢) قرآن كريم سورة ٦ آية ٦٠ .

وقيل إن كنت حاضرا فلا تم ، فان النوم في الحضرة سوء أدب ،
وإن كنت غائبا عن الحضرة ، فانت من أهل المصيبة والحسرة ،
والمصائب لا يأخذها النوم ، و أما أهل المجاهدات فنومهم صدقة من الله
عليهم ، وإن الله تعالى يباهى بالعبد إذا نام في سجوده ، يقول : انظروا
٥ إلى عبدى روحه في محل النجوى ، و بدنه في نشاط العبادة . وقيل كل
من نام على طهارة يؤذن لروحه أن تطوف بالعرش و تسجد لله تعالى .
قال الله تعالى : " وجعلنا نومكم سباتا " .

رأى مالك بن أنس / في المنام بعد موته ، فقيل له : ما فعل الله بك ؟
قال : غفر لي بكلمة كنت أقولها عند رؤية الجنازة : سبحان الحى الذى
١٠ لا يموت ! ورأى الجنيد في المنام بعد موته ، فقيل له : كيف حالك
يا أبا القاسم ؟ فقال : طاحت تلك الإشارات ، و بادت تلك العبادات ،
و ما نفعنا إلا تسيحات ، كنا نقولها بالغدوات .

رأى أيوب السختياني جنازة رجل عاص ، فدخل إلى دهلج
داره حتى لا يصل عليها ، قال : فرأى بعضهم الميت في المنام ، فقيل له :
١٥ ما فعل الله بك ؟ قال : غفر لي ، و قال لأيوب : " قل لو انكم تملكون
خزائن رحمة ربي إذا لامسكم خشية الانفاق " .

وقال بعض الصالحين : راودتنى نفسى بالدخول إلى بلاد الكفر عسى
أن أرى فيها مسلما يعبد الله بينهم ، فدخلت إلى أرضهم ، فأخذوني أسيرا ،

(١) قرآن كريم سورة ٧٨ آية ٩ .

(٢) قرآن كريم سورة ١٧٧ آية ١٠٠ .

و فرح بي من أخذني ، و كتفى و أتى بي إلى السوق لبيعني ، فاشتراني شخص محتشم في الفرنج ، و وقفني^٢ خادما على الكنيسة ، فباشرت خدمتها أياما ، و إذا بهم قد أحضروا بسطا كثيرة و مباخر و طيبا ، فقلت لهم : ما الخبر؟ قالوا : الملك عادته زيارة الكنيسة يوما في السنة ، و قد جاء وقت زيارته ، و نحن نهيئها له ، و نخليها لا يبقى فيها أحد ، بل يدخلها وحده يتعبد فيها ، فلما غلقوها ، بقيت أنا فيها ، و احتجبت منهم فلم يروني . و إذا بالملك قد جاء ، ففتحوها له و دخل وحده ، و غلق عليه الباب ، فدار بالكنيسة يفتشها و أنا أنظره وهو لا يراني ، و لا يعرف مكاني ، إلى أن اطمأن و دخل المذبح الذي فيها ، و توجه لقبلة المسلمين و كبر و صلى صلاة المسلمين ، فقبل لي في سرى هذا الذي أردنا^٢ لك / الاجتماع به ، ١٠ / ٧٢ / الف

فظهرت و وقفت خلفه حتى فرغ من صلاته ، و التفت رأني قال : ما تكون؟ قلت : مسلم مثلك ، لأنني رأيتك تصلي صلاة المسلمين لقبلتهم لا لقبلة النصارى و لا صلاة النصارى . قال : و ما جاء بك ها هنا؟ قلت له : قصدت الدخول لبلاد الكفر لأنظر فيها رجلا مسلما مخلصا صديقا ، و ها أنا قد رأيتك ، و سألتني عن حالي ، فأخبرته بما اتفق لي من استرقاقي ١٥ و بيعهم لي ، و وقوني على الكنيسة خادما . ثم إنه كاشفني و كاشفته . فوجدته من كبار الصديقين . فقلت له : كيف حالك بين هؤلاء الكافرين و أنت بما أنت عليه في باطن الحال؟ قال : يا أخي ! لي بينهم فوائد

(١) في الأصل : وقفني .

(٢) في الأصل : ردنا .

لا أبلغ مثلها لو كنت بين المسلمين . قلت له : صف لي ذلك . قال : إن

توحيدى وإسلامى وأعمالى خالصة لله وحده ، ما لأحد على اطلاع ،

و آكل حلالا ما فيه شبهة ، وأنفع المسلمين نفعا لو كنت أكبر ملوكهم

ما بلغت من الدفع عنهم و كف أذية الكفار حتى لا يصلوا إليهم ،

و أفعل فيهم من القتل والإفساد لأحوالهم ما لو كنت أعظم ملوك

المسلمين ما بلغت ، و سأريك بعض تصرفاتى فيهم . ثم ودعنى و ودعته ،

و قال لى : ارجع إلى حالتك ، فاختفيت نفسى و احتجبت عنى يرانى . فخرج

الملك و قعد على باب الكنيسة و قال : اتونى بمن يختص بالكنيسة ، فأحضروا

له جماعة و عرضوهم عليه ، و قالوا : هذا بطريقها ، و هذا شماسها ، و هذا

راهبها ، و هذا مشارف أوقافها . قال : فمن يخدمها ؟ قالوا له : فلان -

يعنون به الذى اشتراى و وقفنى على الكنيسة أخدمها . فقال له : تخدمها

بنفسك أو بغيرك . / فقال : اشتريت أسيرا مسلما و وقفته عليها يخدمها .

٧٢ / ب

فأظهر الملك غضبا عظيما و قال : تكبرتم الجميع على خدمة بيت الرب ،

و جعلتم رجلا من غير الملة نجسا يخدم بيت الرب ! السيف السيف !

١٥ فضرب رقبة البطريق و الشماس و الراهب و المشارف و خادم الكنيسة

الذى اشتراى و جعلنى نائبه فى خدمة الكنيسة ، فضرب رقابهم فى حجة

الغيرة على بيت الرب ، و أمر النصارى باحضارى ، فحضرت فقدمونى

إليه ، فقال : هذا خادم الكنيسة الذى تبرك بخدمتها يستحق فى مقابلة

هؤلاء المقتولين الإكرام و التعظيم و الخلع و الركوب و إطلاقه من أسره

(١ -) الجملة ساقطة من الأصل و وردت فى الهامش بخط المصحح .

إلى أوطانه ، ففعلوا بي ذلك - انتهى .

أخبار الأولياء والصالحين

فلنذكر الآن أخبار الأولياء والصالحين ، والعباد المجتهدين ، إن شاء الله تعالى - حكى عن الأوزاعي أنه قال : مررت بأسود في ذروة جبل وهو قائم يصلي ، فقلت : السلام عليك يا أسود ! قال : فأوجز في صلواته والتفت إلى وقال : إنما الأسود من سود الله وجهه يوم القيامة . فقلت : السلام عليك يا عبد الله ! فقال : و عليك السلام ورحمة الله يا أوزاعي ! قال : فتعجبت من معرفته باسمي ولم أره ولم يرني قط ، فجل في صدري لما ذكر اسمي . ثم قال : اذكر ما تشاء . قال الأوزاعي : فقلت له : كيف الطريق ؟ فاني قد أخطأت الطريق . فقال : يا هذا ! عجا لمن أعاره الله سمعا وبصرا وجعله بشرا سويا كيف يخطئ الطريق ، ثم قال : يا هذا ! والله لو أطعت الله عز وجل ثم قلت لهذا الجبل : أقبل أيها الجبل ! لأقبل . قال الأوزاعي : فأقبل إليه الجبل . فقال : إليك عنى أيها الجبل ! إنما ضربتك [مثلا] لأخى هذا . قال الأوزاعي : فعجبت من طاعة الجبل له ، فأقبلت عليه بكلمتي وقلت له : أتأذن لي أن أكون معك أيام حياتي أخدمك بنفسى . قال : ومن أنا / حتى تخدمنى ! إليك عنى ! لا تشغلى عن عبادة ربى . قال : ثم رجع إلى صلواته . قال الأوزاعي :

(١) في الأصل : تخطئ .

فتركته يصلي ومرت إلى حال سبيلي . قال : فلما رأني قد مرت ناداني : يا عبد الله ! لي إليك حاجة . قلت : وما حاجتك ؟ فقال لي : إذا أنت أتيت الوادي الذي أمامك وفيه قوم يعبدون الله عز وجل ، فقل : يا وادي ! إن سالما يقرئك السلام وكل ما فيك . قال الأوزاعي : فلما أتيت الوادي قلت : يا وادي ! إن سالما يقرئك السلام وكل ما فيك ، فلم يبق حجر ولا شجر إلا ورد السلام وقالوا : على سالم السلام ورحمة الله وبركاته و عليك يا هذا ، كما أدبت الأمانة . قال الأوزاعي : والله لا صحبت أحدا غير هذا الرجل الكبير القدر الذي أقبل إليه الجبل وسلم عليه الحجر والمدر والشجر . قال : فرجعت إليه رجاء أن أكون معه أيام حياتي فلم أصبه^٢ .

و كان الشيخ عبد الله الأرمي أحد العبّاد الزهاد ، قال : بينما أنا ذات يوم بجبل لبنان إذا حرامية^٣ الإفرج [أتوا -^٤] فأخذوني و قيدوني و شدوا وثاقي ، فكنت عندهم في أضيق حال . فلما كان النهار شربوا و ناموا . فبينما أنا موثق إذا حرامية المسلمين قد أقبلوا نحوهم ، فأنبهتهم فلبجأوا إلى مغارة^٥ هناك ، فسلموا من أولئك المسلمين ، فقالوا : كيف فعلت هذا و قد كان

(١) في الأصل : سالم .

(٢) في الأصل : فلم أصيبه .

(٣) بمعنى اللصوص في أسلوب العوام بين أهل مصر .

(٤) ساقطة من النص و يكتمل بها السياق .

خلاصك على أيديهم؟ فقلت: إنكم أطعمتوني، و كان من حق الصحبة أن لا أغشكم. فعرضوا على شيئا من متاع الدنيا فأبيت و أطلقوني. فانظر يا هذا إلى هذا الحكم من هذا الشيخ و العفو عن ظلمه. و قد يكون الشاطر يقطع الطريق و يخيف السبيل، ثم يصير صالحا أبدا ينتفع به كأبي بكر ابن هوزا، فانه كان شاطرا يقطع الطريق / بالبطائح بأرض العراق و معه ٧٣٥ / ب رفاقه، و كان هو مقدمهم، و كانوا يفتسمون الأموال التي يأخذونها من الناس قهرا و غلبة، فسمع امرأة تقول لزوجها: انزل هنا لئلا يأخذنا ابن هوزا و أصحابه. فاتعظ و بكى و قال: لا حول و لا قوة إلا بالله العلي العظيم! صار الناس يخافوني و أنا لا أخاف الله تعالى! و تاب و انقطع مكانه متوجها إلى ربه عز و جل على قدم الصدق و الإخلاص في إرادته، ١٠ و وقع في نفسه أن يسلم نفسه إلى من يوصله إلى ربه عز و جل.

و لم يكن في العراق يومئذ شيخ مشهور من أهل الطريق، فرأى في منامه رسول الله صلى الله عليه و سلم و أبا بكر الصديق رضي الله عنه، فقال له: يا رسول الله! ألبسني خرقة. فقال له: يا ابن هوزا! أنا نبيك و هذا شيخك - و أشار إلى أبي بكر، ثم قال: يا أبا بكر! ألبس سميك أبا بكر ١٥ ابن هوزا كما أمرت. فألبسه أبو بكر رضي الله عنه ثوبا و طاقة، و مر يده على رأسه، و مسح على ناصيته، و قال: بارك الله فيك! فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: يا أبا بكر! بك يحيى سنن أهل العراق بعد موتها،

(١) في الأصل: يخاف.

(٢) في الأصل: يأخذها.

(٣) أي أبا بكر بن هوزا.

و يقوم أرباب الحقائق من أحباب الله بعد درسها ، و فيك تكون المشيخة بالعراق إلى يوم القيامة ، و قد هبت نسبات الله بقيامك . ثم استيقظ من نومه ، فوجد الثوب و الطاقية عليه ، و كان برأسه ثآليل^١ فذهبت ، و كأنه نودى في الآفاق أن ابن هوزا وصل إلى الله تعالى ، فصارت الأسد محدة

٥ حوله بالبطيحة تتمرغ على قدميه ، و أراد أن يرحل عن البطائح و يسكن المدن ، فأحدثت به الحيات ذوات السموم و الأسد الكواسر من الوحش و الطير و الجن ، و سأله بالله العظيم أن لا يرحل عنهم^١ فأخذ عليهم العهد أن لا يؤذوا مريدا له و لا محبا إلى يوم القيامة و أن يطبعوه حيث كانوا .

١٠ البطائح ، و مات بها ، و قبره ظاهر يزار . و يقال إنه لما حضرته الوفاة ، غشيته

أنوار ساطعة ، و اشم الحاضرون رائحة شديدة الطيب لم يلمس في دار الدنيا

أطيب منها . و كانت الأنوار تخرق البطائح ليلا لكثرة ما يطرقتها رجال

الغيب لزبارته ، و كان مجاب الدعوة ، و دعا بالبركة للبطائح فقال : اللهم ا

بارك لنا في ما شئنا و نباتنا و أرزاقنا ، فالبطائح بركة دعوته من أخصب

١٥ بقاع الأرض و أكثرها خيرا ، و أوسعها رزقا ، و أوفرها ما شئنا - انتهى .

و كان مفرج الدماميني عبدا حبشيا ، ملكه بعض التجار ، أقام عنده

سنة أشهر ما استطعم طعاما ، و لا شرب^٢ ماء . و لما رآه سيده على ذلك

ضربه ، فلم يؤثر الضرب فيه ، فحبسه على أنه مجنون ، و استندب شخصا

(١) في الأصل : ثواليل .

(٢) في الأصل : يشرب .

لضربه ، فيقول الضارب للجنية : اخرجي ، فيقول له مفرج : خرجت -
يعنى نفسه : فقيدوه ثم جاؤا به إليه ، فوجدوه خارجا عن القيد ، فأحضروا
له فراخا مشوية ، فلخفهم^١ في الهواء ، وقال لهم : طيروا . فطاروا أحياء
بإذن الله ، فانكفوا عنه ، و تكاثرت ولايته إلى أن اشتهر حتى أنه كان
يكتب اسمه في الحروز - انتهى .

و كان الشيخ منصور البطائحي مجاب الدعوة . يحكى عنه أنه مر بأسد
افترس رجلا ، و قسم عضده نصفين ، فجاء إلى الأسد و أمسك^٢ بناصيته ،
و قال : ألم أقل لك : لا تتعرض لجيراننا ! فذل الأسد ، و أفلت الرجل ،
فقال له : مت بإذن الله . فوقع الأسد ميتا . و أخذ الشيخ ما انفصل من
عضد الرجل و وضعه مكانه و قال : يا حى يا قيوم ! يا ذا الجلال و الإكرام !
اجبر عظمه الكسير . فانبجر عضده ، و كأن لم يكن به شيء . و سلخ -
جلد الأسد بيده .

و قال بعض الصالحين : من راقب الله فى خواطره ، عصمه الله فى

جوارحه . قيل كان عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما / فى سفر ،

فرأى غلاما يرعى غنما ، فقال له : يا غلام ! تبيع من هذه الغنم شاة ؟

فقال : إنها ليست لى . فقال : قل لصاحبها : إن الذئب أخذها . قال العبد :

فأين الله ! فكان عبد الله بن عمر يقول ذلك إلى مدة : قال ذلك العبد :

فأين الله - انتهى .

(١) و فى الأصل : فلحقهم - كذا .

(٢) فى الأصل : مسك .

و كان الشيخ محمد الشبلكي من أعيان مشايخ العراق و أكابر
 العارفين . كان في بداية أمره يقطع الطريق على القوافل و معه رفقة ،
 فاحتبسوا ليلة قافلة في قرية الشيخ أبي بكر بن هوزا [المتقدم ذكره
 آنفا ، و قتلوا فيها و اقتسموا ما كان معها . فلما جاوزوا زاوية الشيخ
 ٥ أبي بكر بن هوزا - ١] وقت السحر . قال محمد الشبلكي لأصحابه : اذهبوا
 فلقد أخذ الشيخ أبو بكر بن هوزا بمجامع قلبي ، و لا أستطيع العدول
 عنه . فقال ٢ له أصحابه : نكون معك . و ألقوا ما معهم من النهب .
 و قال الشيخ أبو بكر بن هوزا [لأصحابه : قوموا تلتقى المقبولين . فخرج
 إليهم ، فلما رأوه قالوا : يا سيدنا ! الحرام في بطوننا ، و الدماء في
 ١٠ سيوفنا . فقال : ذروها فقد قبلتم على ما كان منكم . فتابوا على يديه .
 ثم تولى الشيخ أبو بكر بن هوزا - ٢] مصالح الشيخ محمد الشبلكي ثلاثة أيام ،
 ثم قال له : اذهب إلى بلد الحدادية ، فقد صرت شيخا مكلا . فذهب
 إليها ، و كان من أمره ما يذكر عنه من الكرامات ، فن كراماته أنه
 جلس في البطيحة وحده ، فنزل حوله أكثر من مائة طائر و ارتفعت
 ١٥ أصواتها ، فقال : يا رب ! قد شوش على هؤلاء . فنظر فإذا الكل

(١) الجملة المحجوزة ساقطة من النص و واردة في الهامش بقلم آخر لا شك هو
 قلم المراجع .

(٢) في الأصل : فقالوا .

(٣) الجملة المحجوزة بتمامها ساقطة من الأصل و وردت بالهامش بنفس القلم كما في

الحاشية السابقة رقم (١-١) .

موتى . فقال : يارب ! ما أردت موتهم . فقاموا ينتفضون^١ وطاروا .
وكان يضرب له بيلد الحدادية النوبة في الجو ، تضربها الملائكة بالولاية
و الشاويش ، يصيح له من في السماء بالسلطان ، و الملائكة تسلم عليه بالاحترام
أفواجا أفواجا . و من كلامه : صلاح القلب في ثلاثة أشياء : رفض الدنيا ،
و الرضى بما قسم ، و الاشتغال بطلب العلم للآخرة .

و كان يقال : عليك بالعلم و الحلم ! فانه لا مال أنفع من الحلم ، و لا تجارة
أربح من العلم ، و لا حسب أرفع من الأدب ، و لا تزين أزين من العقل ،
و لا رفيق أشنا من الجهل ، و لا كنز أغنى من التقى ، و لا كرم أجود
من ترك المعاصى ، و لا عقل كالتدبير ، و لا ورع مثل كف الأذى ،
و لا بضاعة / مثل القناعة ، و لا غائب أقرب من الموت ، و لا شفيع أنجح .
من التوبة ، و لا رسول أعدل من الحق ، و لا فقر أذل من الطمع ،
و لا معيشة أهنأ من العافية ، و لا سلامة أسلم من الصمت ، و لا خبيث
أخبث من الحرام ، و لا عبادة أفضل من خشية الله تعالى .

حكى عن أبى يزيد البسطامى أنه قال : بينما أنا فى تيه بنى إسرائيل ،

إذ رأيت شابا بلا زاد و لا ماء حافيا مكشوف الرأس . فقلت فى نفسى : ١٥
يوشك أن يكون هذا الشاب جاهلا ، لا يرى الصلاة غافلا عنها . قال :
فالتفت إلىّ وقال : " يعلم السر و اخفى " ، و قال " يعلم ما فى أنفسكم فاحذروه " .
قال أبو يزيد : فوقعت مغشيا علىّ من هيئته ، قال : فلما أفقت من غشيتى
لم أراه . قال : فلم أزل أدور فى التيه أطلبه يومى ، و ندمت على ما اختلج
فى سرى ، و أردت أن ألقاه فأستحل منه ، فلما كان الغد إذا به قائم . ٢٠

(١) فى الأصل : ينتفضون .

يصلى . قال : فتقدمت إليه ، فأوجز في صلاته ، و التفت إلى وقال :
 " هو الذي يقبل التوبة عن عباده " . ثم غاب عنى فلم أره . أنشد
 بعضهم في تسويفه بالتوبة - شعر :

حال قلبي المشؤم حال عجيب أمره في الذنوب أمر مريب^١
 ه رأيه في الذنوب أقبح رأى كلما رمت توبة لا يتوب
 و كان الشيخ عزاز البطائحي صاحب كرامات ظاهرة ، و أحوال فاخرة ،
 و كان يلقب بالباز الأشهب . كان يحب الله محبة عظيمة . و كان يقول :
 المحب سكران في خماره ، حيران في شرابه ، لا يخرج من سكره إلا
 إلى حيرة . و أنشد يقول :

١٠ الحب سكر خماره التلف يحسن منه الذبول و التلف
 و الحب كالموت يفنى كل ذي شغف^٤ و من تطاعمه أودى^٢ به التلف
 في الحب مات الذي أصفو محبتهم لو لم يحبوا لما ماتوا و ما تلفوا
 ثم قام إلى شجرة خضراء تنفس عندها فيبست و تناثرت / أوراقها .
 ثم قال : مثل المحبة مثل صاعقه فيها نار أوريح فيها رماد ، لو وقعت
 ١٥ على الأشجار لجفت^٣ ، و لو هبت على الرياح لا اضطربت ، و أنشد و جعل

٧٥/ ب

(١) زيد هنا ما بين البيتين شطر آخر نصه : « رأيه في الذنوب أمر مريب »
 فنقلناه إلى الهامش لاستقامة البيتين الآخرين .

(٢) في الأصل : أودى .

(٣) في الأصل : خفت .

يقول

يقول هذه الآيات :

إن البلاد وما فيها من الشجر لو بالهوى عطشت تزور بالمطر
لو ذقت الأرض حب الله لأثقلت^١ أشجارها بالهوى فيها عن الثمر
و عاد أغصانها جردا بلا ورق من حر نار الردى يرمين بالشرر
ليس الحديد ولا صم الجبال إذا أقوى على الحب و البلوى من البشر ٥
ثم قال لمن حضر : انطلقوا إلى فلان - و سمي رجلا جليل القدر من
أهل البطائح - و اسأله عن المحبة . فسأله فسكت ، ثم ذاب كما يذوب
الرصاص على النار قطرة بعد قطرة ، ونحن ننظره حتى صار كالماء ،
فأتاه المشايخ و لفوه بالقطن و دفنوه .

و اعلم أن القرآن شهد بكرامة في قصة صاحب سليمان حيث ١٠
قال في عرش بلقيس^٢ : " انا اتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك " ،
و لم يكن نبيا بل كان وليا .

و الخبر الذي ورد عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله
عنه في قوله في حال خطبته وهو على المنبر في يوم الجمعة و تبليغ
صوت عمر إلى سارية يقول له و عمر بالمدينة و سارية باليمن يقاتل ١٥
الكفار : يا سارية الجبل ! حتى يحرز سارية من مكامن العدو و من

(١) في الأصل : لاشقلت .

(٢) اسم ملكة سبا (Queen of Sheba) في الإسلام و قصتها مع الملك سليمان
واردة في العهد القديم (سفر الملوك أول ١ - ١٠) و في القرآن (سورة ٢٧
آية ٢٠ - ٤٥) . و في ذلك دراسات عديدة ، انظر المراجع في دائرة المعارف
الإسلامية (الطبعة الثانية ، مجلد أول ص ١٢١٩ - ١٢٢٠) تحت (Bilkis) .

الجبل في تلك الساعة . و بما يشهد من القرآن على إظهار الكرامات
للأولياء^١ قوله سبحانه و تعالى^٢ في صفة مريم عليها السلام: " كلما
دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يمريم انى لك هذا
قالت هو من عند الله " . و قوله سبحانه و تعالى لمريم^٣: " وهزى
إليك بجذع النخلة تسقط عليك رطبا جنيا " و كان في غير أوان الرطب ،
فكان هزها للجذع سببا لزول / الرطب ، و بما قيل في المعنى هذه
الآيات :

٧٦ / الف

ألم تر أن الله قال لمريم إليك^٤ فهزى الجذع تساقط الرطب
و لو شاء أحنى الجذع من قبل هزها إليها و لكن كل شيء له سبب
١٠ و كذلك قصة أصحاب الكهف و الأعاجيب التي ظهرت عليهم من
كلام الكلب معهم و غير ذلك . و من ذلك قصة ذى القرنين و تمكنه .
و من ذلك ما أظهر الله تعالى على يد الخضر من إقامة الجدار الذى
أراد أن ينقض ، و ما كان يعرفه بما خفى على موسى عليه السلام . كل
ذلك أمور ناقضة للعادة اختص الخضر بها من الأعاجيب و لم يكن
١٥ الخضر نبيا و إنما كان وليا .

قال بعضهم: قصدت الشيخ أبا الخير التبنانى^٥ مسلما ، فصلى صلاة

(١) في الأصل : على الأولياء .

(٢) قرآن كريم سورة م آية ٣٧ .

(٣) قرآن كريم سورة ١٩ آية ٢٥ .

(٤) وردت الكلمة بالشرط الأول في النص و نقلناها للأخير .

(٥) لم نظفر بهذه النسبة في الأنساب للسمعاني ، لعنه : التبنانى .

المغرب، فلم يقرأ الفاتحة مستويا، فقلت في نفسي ضاعت سفرتي، فلما سلمت خرجت للطهارة، فقصدني السبع فعدت إليه، فقال لي: خفت من السبع! قلت: نعم. قال: لولا الشهرة لما وضعت زادي إلا على ظهره حتى آتى مكة.

و قال بعضهم: أراد إبراهيم بن أدهم أن يركب السفينة، فأبى أصحابها إلا أن يعطيهم دينارا. قال: فصلى على الشط و قال: اللهم! إنهم قد سألوني ما ليس عندي. قال: فصار الشط كله دنانير، قال فاخذ دينارا وأعطاه لهم وركب في السفينة.

و قال بعضهم: كنا مع أبي تراب النخشي في طريق مكة، فقال أصحابه: يا أبا تراب! إنا عطاش. قال: فضرب رجله إلى الأرض، ١٠ فاذا عين من الماء الزلال. فقال لهم: اشربوا. فقال أحدهم: إني أحب أن أشرب في قدح. قال: فضرب بيده إلى الأرض، فناوله قدحا من زجاج أيضا كأحسن ما يكون من الأقداح، فشرب و سقى القوم / و كان القدح معهم إلى مكة.

٧٦/ب

و قال الشيخ الصالح ياقوت الحبشي المقبور خارج باب بحر ١٥ الإسكندرية و قبره يزار، و كان من أصحاب الشيخ أبي الحسن الشاذلي و أحد خدامه: كنت أتعبد في مسجد بظاهر الإسكندرية من غريبها فبقيت فيه مواصلا أياما، فأصابني الجوع، فدخلت الإسكندرية قاصدا للشيخ أبي الحسن، فوجدت في طريقي درهما، فأردت أن أشتري (١) في الأصل: فابوا.

تخبزا وإداما، فرأيت في السوق زيبيا طيبا، وكنت أعلم أن الشيخ
أبا الحسن يحب الزيب. قال: فاشتريت به زيبا وآثرته على نفسي،
وقصدته فوجدته جالسا في الزاوية. قال: فوضعت الزيب بين يديه،
وجلست ساعة وأردت أن أقوم. فقال لي: اجلس. فجلست، وإذا
ه أنا برجل وصل بمائدة فيها خروف شواء سمين ورقاق، فقال لي: هذا
فتوحك لما آثرتنى على نفسك بالزيب وأنت جائع فكل. فأكلت
وحدى إلى أن امتلأت، ثم أمر الفقراء يأكلون، ثم قال لي: ارفع
الزيب وصدق به، فانا لا تباح لنا اللقطة.

ولما كان الشيخ أبو الحسن الشاذلي بتونس، كان السلطان إذ
ذاك أبا زكريا، وكان قاضيه يقال له ابن البراء، فتكلم ابن البراء مع
السلطان في أمر أبي الحسن الشاذلي وما اجتمع عليه من الجموع.
فقال السلطان: جمع الفقهاء وأحضره مجلسي. فجمع ابن البراء جماعة
من الفقهاء. وجلس السلطان خلف حجاب. وأحضر الشيخ أبا الحسن
الشاذلي، فسأله^٢ الفقهاء عن نسبه، فانتسب إلى علي بن أبي طالب رضي الله
عنه، وتحدثوا معه في كل العلوم. فأفاض عليهم بعلوم أسكتهم بها،
وما استطاعوا أن يجابوه عليها من العلوم الموهوبة، والشيخ / يتكلم
معهم في العلوم المكتسبة ويشاركهم فيها. فقال السلطان للقاضي
ابن البراء: هذا رجل من أكابر الأولياء وما لك به طاقة. فقال له:

٧٧/الف

(١) في الأصل: أبو.

(٢) في الأصل: فسأله.

و الله لئن يخرج في هذه الساعة ليدخلن عليك أهل تونس و يخرجونك^١
من بين أظهرهم ، فانهم مجموعون على بابك بسببه . قال : فخرج الفقهاء
و أمر السلطان الشيخ الشاذلي بالجلوس . فقال الشيخ : لعل [أن - ٢]
يدخل على بعض أصحابي . فدخل عليه بعض أصحابه فقال له :
يا سيدي ! إن الناس يتحدثون في أمرك و يقولون : يفعل^٥
به السلطان كذا و كذا - و بكى بين يدي الشيخ ، فتبسم الشيخ و قال :
و الله لو لا أني أتأدب مع الشرع لخرجت من هاهنا و من هاهنا .
فمهما أشار إلى جهة انشق الحائط . ثم قال لي : اتقني بباريق من ماء
و سجادة و سلم على أصحابي و قل لهم : ما أغيب عنكم إلا اليوم خاصة ،
و ما أصلي المغرب إن شاء الله إلا معكم . فأتى بما أمره ، فتوضأ و توجه^{١٠}
إلى الله سبحانه و تعالى . و كان عند السلطان جارية من أعز نسائه عليه
أصابها وجع فماتت في حينها ، فغسلت في بيت سكنى السلطان ، و اشتغلوا
في دفنها . فنسيت المجرمة بالنار في البيت فالتهب ، فلم يشعروا بها حتى
احترق كل ما في البيت من الفراش و الثياب و الذخائر . فعلم السلطان
أنه أصيب من قبل هذا الولي ، فسمع بذلك أخو السلطان أنه أصيب^{١٥}
من قبل هذا الولي . فلما سمع أخو السلطان أبو عبد الله اللحياني ، و كان
في بستانه بخارج المدينة ، فأتى مبادرا إليه ، و كان كثير الاعتقاد للشيخ
أبي الحسن ، فقال لأخيه : ما هذا الذي أوقعك فيه القاضي ابن البراء

(١) في الأصل : يخرجوك .

(٢) ماقظة من الأصل ، و يكتمل بها السياق .

أوقعك و الله في الهلاك / أنت و من معك . قد خلا على الشيخ ،
و جعل السلطان يقول له : يا سيدي ! إني غير عارف بمقدارك - و جعل
يقبل يده و يسأله الصفع عنه ، فقال له : و الله لا أملك لنفسي نفعا
و لا ضرا ! كان ذلك في الكتاب مسطورا . و خرج أخو السلطان في
صحبة الشيخ أبي الحسن إلى داره ، فأقام الشيخ أياما ، و أمر أصحابه
بالنقلة إلى الديار المصرية ، و وجه إلى ابن البراء يقول : أوسع الله عليك
مدينة تونس ! ثم إنه لقي الشيخ يوما ابن البراء فسلم عليه ، فأعرض
عنه و لم يرد عليه السلام . و إذا هو بحاجب السلطان ، فلما رأى الحاجب
الشيخ الشاذلي ترجل عن بغلته و بادر إليه و جعل يقبل يديه و يسأله الدعاء ،
١٠ و القاضي ابن البراء ينظر ، فدعا الشيخ للحاجب و انصرف و لا ذكر
الشيخ ابن البراء بشيء حتى كان بعرفات ، فقال لصحبه : أمنوا على دعائي
الآن ، أمرت أن أدعو على ابن البراء ، فقال : اللهم ! طول عمره ،
و لا تنفعه بعلمه ، و افته في ولده ، و اجعله في آخر عمره خادما للظلمة .
فكان كذلك .

١٥ قال بعضهم : كان ابن البراء قاضي تونس فيه سلاطة ، فقد أنكاه
رجل فاضل عالم يعرف بابن حمين ، فأرسل يقول له : لم فعلت كذا
و كذا يا ابن سبعين ! ييكته بقوله : ابن سبعين ، و الإنسان لم يكن غير
ابن رجل واحد ، ففهم عنه ابن حمين أن قوله ذلك نكابة له و تعريض^١

(١) في الأصل : لابن .

(٢) في الأصل : تعريضا .

لقذفه ، فأرسل يقول للقاضي : يا ابن حثالة المزابل ، و هر شيء من الأشياء إلا ابن سبعين ، و ذلك أن الله تعالى يقول للشيء : كن فيكون ، و الكاف من كن بحساب الجمل لها في العدد عشرون^١ و النون بخمسين ، فجملة ذلك سبعون^٢ ، و أما قولي لك : يا ابن حثالة المزابل / فان البراءة هي الورقة و الخرق^٣ تجمع من المزابل و تغسل و تصنع ورقا . فانتكى ٥ القاضي نكابة شديدة بما صدق فيه المرسل له ذلك لعلم القاضي أن كتب الرسائل عند المغاربة يقال لها البراءة ، و تصغير البراءة برية .

و قال محمد بن أبي القاسم الحميري : حدثني من أثق به قال : كان الشيخ أبو الحسن الشاذلي يحج عاما و يقيم بالإسكندرية عاما ، فكان العام الذي يحج فيه حركة التار على الديار المصرية . فاشتغل السلطان ١٠ الملك الناصر بالحركة عليهم ، فلم يجهز الجيش للركب الحجازي ، فأخرج الشيخ الشاذلي خيمته إلى البركة المعروفة ببركة الحاج ، و تبعه ناس ، قال : و اجتمع بالفقيه المفتي عز الدين بن عبد السلام الشافعي و سأله عن السفر ، فقال : لا يجوز أن يسافر على الغرر و عدم الجيش ، فأخبر الشيخ الشاذلي بذلك ، فقال : اجمعوني به . قال : فاجتمع به في الجامع يوم الجمعة ، ١٥ و اجتمع عليه خلق كثير ، فقال له : يا فقيه عز الدين ! رأيت لو أن رجلا جعلت الدنيا كلها له خطوة واحدة ، هل يباح له السفر في المخاوف

(١) في الأصل : عشرين . (٢) في الأصل : سبعين .

(٣) في الأصل : و الخروق - المقصود جمع خرقة .

(٤) في الأصل : أو يقيم .

أم لا ؟ فقال له : من كان بهذا الحال فخارج عن الفتوى و غيرها .
 فقال له الشاذلي : أنا بالله الذي لا إله إلا هو عن جعل الدنيا كلها لي
 خطوة واحدة ، إذا رأيت ما يخيف الناس أخطو بهم حيث آمن ، و لا بد لي
 و لك من المقام بين يدي الله تعالى حتى يسألني عن حقيقة ما قلت لك .
 ٥ و سافر الشيخ رحمه الله إلى الحجاز و تبعه الناس ، فظهرت له في الطريق
 كرامات كثيرة ، فمنها أن اللاصوص يأتون إلى الركب بالليل فيجدون
 سورا مبنيا كأنها مدينة / فاذا أصبح يأتون إليه و يخبرونه و يتوبون إلى
 الله تعالى و يسافرون صحبته إلى الحج . فلما قضى الحج و رجع ، دخل
 أول المشاة إلى القاهرة و أخبروا بما رأوا من مواهب الله تعالى له . قال :
 ١٠ فخرج الفقيه عز الدين بن عبد السلام فلقاه بالبركة ، فلما دخل عليه قال
 له : يا فقيه ! الله لو لا تأدبي مع جدى رسول الله صلى الله عليه و سلم
 لأخذت الركب من يوم عرفة و تخطيت به إلى عرفات . فقال له : آمنت
 بالله ! ثم قال له : اذكر حقيقة ذلك . قال : فنظر كل من حضر إلى
 الكعبة ، و صاح الناس ، و حط ابن عبد السلام رأسه بين يديه و قال
 ١٥ له : أنت شيخى يا أبا الحسن من هذه الساعة ! فقال له الشيخ : بل أنت
 أخى فى الله تعالى - انتهى .

و كان للشيخ أبى الحسن الشاذلي ابنة سماها عريفة الخير و تكنى
 بالوجهية ، و هى إذ ذاك مكفوفة البصر ، و كانت هذه المرأة من أولياء
 الله تعالى و ممن يجود عليها القرآن من خلف ستر ، و هى سيدة فاضلة .
 ٢٠ قال أبو عبد الله محمد بن سلطان التميمي قال : حدثني من أثق به قال :

حضرت في دفن هذه الحرة الفاضلة بالإسكندرية ، فلما حطت في قبرها ، نزل بعض قرابتها ليلحدها ، فطلع من القبر وهو مبتسم فقال : لما كشفت عن وجهها لألحدها التفتت إليّ ثم ضحكت ، فقلت لها : ما هذا ؟ فقالت : مما رأيت من إفضال الله تعالى ، وأعرفك أنك تلحقني بعد ثلاثة أيام . فتوفى بعد ثلاثة أيام . قال : ولما توفيت فاذا مناد بالإسكندرية ينادى : هلموا إلى الصلاة على الحرة الصالحة عريفة الخير التي خرجت من الدنيا ثلاث خرجات : من بطن أمها و إلى دار بعلمها و إلى قبرها - انتهى .

و قال أبو سلطان ماضي خادم الشيخ أبي الحسن الشاذلي : لما توجه الشيخ أبو الحسن الشاذلي للحج في سفرته التي / توفى فيها ، قالت لي زوجتي و كانت حاملا : تتركني على ولادة و تسافر عني - و جعلت تبكي ، فأخبرت بذلك الشيخ ، فقال : ادعها إلى ، فأتيت بها إليه ، فلما دخلت عليه ، قال لها : يا أم عبد الدائم ! اتركي لي ماضي يسافر معي و أرجو لك من الله خيرا . فقالت له : يا سيدي ! السمع و الطاعة . فدعا لها و انصرفت ، فولدت ولدا ذكرا سمته عبد الدائم . ثم قال أبو سلطان :

فلما تجهزنا للسفر من الإسكندرية ، قال الشيخ : احملوا معكم فأسا و مسحاة . ١٥ فان توفى منا أحدا و اريناه التراب . قال : ولم يكن له بذلك عادة متقدمة في جميع ما سافرت معه ، فكان ذلك إشارة لوفاته . فلما أراد الشيخ السفر ، كان عندها شاب يقيم تشوق للسفر معنا ، فقال الشيخ : احملوه معكم . فأتت أمه إلى الشيخ فقالت : يا سيدي ! يكون

(١) في الأصل : احدا .

نظركم [عليه] . فقال لها : يكون نظرنا عليه إلى منزلة حميرة^١ إن شاء الله تعالى . قال : و سافرنا فلما دخلنا صحراء عذاب مرض الشيخ والشاب ، فمات الشاب قبل أن يصل إلى حميرة^٢ بمرحلة ، فأردنا دفنه ، فقال : احموه إلى حميرة ، فلما وصلنا حميرة غسلناه وكفناه وصلى عليه الشيخ و دفناه بها . فلما كان تلك الليلة بين العشاءين قال لي الشيخ : املا لي إناء من ماء من هذا الجفار . فقلت له : يا سيدي ! ماؤه مالح زُعاق^٣ ، والماء عندنا في القرب عذب . فقال لي : ائتني منها فان مرادى غير ما أنت تظن . قال : فأتيته بإناء من مائها فشرب منه و مضمض فاه و بجه في الإناء ، ثم قال لي : رد الماء في الجفار . قال فرددته إليه . فخلا ماؤه و عذب و كثر باذن الله تعالى . قال : و بات تلك الليلة متوجها إلى الله تعالى ذاكرا ، سمعته / يقول : إلهي إلهي ! إلى السحر سكن ، فظننا أنه نام ، فحركناه فوجدناه ميتا . فاستدعينا سيدي أبا العباس المرسى ، فغسله و صلينا عليه و دفناه رحمه الله ! و كان وصاه بأنك خليفتي بعدى . قال المؤلف غفر الله له : حججت في سنة خمسين و سبعمائة^٤ من

٧٩/ب

(١) كذا في الأصل ، و وردت « حميرا » في ابن بطوطة (انظر ص ٢٥ ، ٥٣ ، ٢٨٢) عند الكلام على « كرامة لأبي الحسن الشاذلي » حيث قال : و حميرا في صعيد مصر بصحراء عذاب : - و جاءت في معجم البلدان لياقوت (ج ٢ ص ٣٤١) : الحميراء تصغير حمراء موضع من نواحي المدينة ذونخل . - و ربما كان وضع ياقوت هو الأصح مع الاختلاف اللفظي .

(٢) أي ماء مر لا يطاق شربه ، و في الأصل : زعاف - كذا بالفاء .

(٣) ١٣٤٩ - ١٣٥٠ م .

البحر ، فنزلنا حميرة ، فزرنا قبر الشيخ أبي الحسن ، فوجدنا الشيخ محمد الإسكندري المعروف بالمبيض ، حمل له من الإسكندرية أخشابا مهيأة درابزينا^١ ركبها على قبره منقوشا فيها اسم الشيخ أبي الحسن و تاريخ وفاته ، و علق بدائرها فوانيس^٢ من الزجاج مع بيض النعام ، فقرأنا عنده ما تيسر من القرآن ، و دعونا و شربنا من الجفار القريب منه ماء طيبا و ارتحلنا - انتهى .

و قال خادم الشيخ أبي الحسن وهو أبو سلطان ماضى فى صفة الشيخ أبي الحسن الشاذلى : إنه أحمر اللون ، نحيف الجسم ، طويل القامة ، خفيف العارضين ، طويل أصابع اليدين ، كأنه حجازى فصيح اللسان ، عذب الكلام . و كان يقول إذا تكلم و استغرق فى الكلام : ألا رجل من الأخيار ! ألا رجل يعقل عنا هذه الأسرار ! هللوا إلى رجل سير الله معه بحر الأنوار .

قال بعضهم فى المعنى :

عجبت لمن أفهمه فيعبي عن المعنى أكرره مرارا
و من دخل الجنان بغير قلب فكيف يرى بعينه الثمارا

و قال آخر :

و من دخل السماع بغير قلب و لم يطرب فلم يلم المعنى

(١) أى حاجز أو سور خشبي ، عادة يتكون من عوارض .

(٢) فى الأصل : فوانيسا .

و كان من أذكار الشيخ أبي الحسن الشاذلي «يا واسع المغفرة! يا باسط
اليدين بالرحمة! إن القضاء والقدر غلبي، و عصيتك جهلا فارحمي،
و رجوتك لما تعلم فاغفر لي، و من يغفر الذنوب إلا الله! فزحزحني عن
النار و الأضرار^١، يا واحد يا قهار^٢ / يا عزيز يا غفار^٣» «كَهَيْبِ عَصَى^٤»
٥ نسألك خوفا و حياء و علما و نورا و قربا و عملا صالحا، وجدنا أنك
على كل شيء قدير.

٨٠ / الف

و كان الشيخ أحمد بن الرفاعي من أعيان مشايخ العراق، و عظماء
المحققين، و صدر المقربين، و هو أحد أركان هذه الطريقة علما و حالا،
و هو أحد من يذكر عنه القطبية، و هو الذي يقول: الزهد أساس الأحوال
١٠ المرضية، و المراتب السنية، و هو أول قدم الصادقين و المتوكلين على الله.
و كان رحمه الله بطائحي المنشأ، و سكن أم عبيدة قرية من أرض البطائح
إلى أن مات بها سنة ثمان و سبعين و خمسمائة^٢. و سنه قريب الثمانين عاما،
و قبره بها ظاهر^٤ يزار. و قال: قبل موته «أنا شيخ من لا شيخ له،
أنا شيخ المنقطعين». و كان لا يتكلم إلا قليلا، و يقول: أمرت بالسكوت.
١٥ و كان شافعي المذهب فاضلا، ما تصدر قط في مجلس، و لا جلس على
سجادة قط، تواضعا لله تعالى - انتهى.

(١) في الأصل: الأضرار.

(٢) قرآن كريم سورة ١٩ آية ١.

(٣) ١١٨٢ - ١١٨٣ م.

(٤) في الأصل: ظاهرا.

وكان الشيخ عبد القادر الكيلاني من أكابر المشايخ، وله مناقب كثيرة قال قاضي القضاة أبو صالح عن أبيه عبد الرزاق : جاءت فتوى من العجم إلى بغداد بعد أن عرضت على العلماء الأكاير، فلم يصح لأحد فيها 'جواب شاف'. و صورة الفتوى : ما تقول السادة الفقهاء العلماء في رجل حلف بالطلاق الثلاث أنه لا بد له أن يعبد الله عز وجل عبادة يفرد بها دون جميع الناس في وقت تلبسه بها، فماذا يفعل من العبادات؟ قال : فأتى بها إلى الشيخ عبد القادر الكيلاني، فكتب عليها مسرعا « يأتى مكة ويحلى له الطواف^٢، و يطوف بها أسبوعا بمفرده، تنحل يمينه، فما بات المستفتى ببغداد، بل سافر منها بعد أن طاف بها مدة طويلة على العلماء. فلما سمعت العلماء تلك الفتيا، تعجبوا منها واستفادوها.

١٠

وكان الشيخ أبو مدين / من أكابر المشايخ وله مناقب كثيرة، و من كلامه الإخلاص ما خفي على النفس درايته، و على الملك كتابته، و على الشيطان غوايته، و على الهوى إمالاته. و كان يقول : سنته عز وجل استدعاء العباد بسعة الأرزاق و دوام العافية ليرجعوا إليه بنعمته، فان لم يفعلوا ابتلاهم بالبأساء و الضراء لعلهم يرجعون. لأن مراده عز وجل رجوع العبد إليه طوعا و كرها. و كان يقول : إذا أراد الله بعبد خيرا، آنسه بذكره، و وفقه لشكره. و كان يقول : انكسار العاصي خير من صولة المطيع و العلو على الناس سبب الانتكاس، و الفتوة أن لا يشتغل

(١-١) في الأصل : جوابا شافيا .

(٢) بهامش المخطوط : مسألة مهمة .

(٣) كذا، ولعله : المطاف .

بالمخلوق على الحق . وكان يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم كثيرا . عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : من صلى عليّ واحدة ، صلى الله عليه عشر صلوات ، و حط عنه عشر خطيئات . .

مطلب

٥ في فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم

على سائر العبادات

قال أبو الليث السمرقندى : إذا أردت أن تعرف أن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم أفضل من سائر العبادات ، فانظر و تفكر في قول الله عز و جل^٢ " ان الله و ملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه و سلموا تسليما " ففي سائر العبادات أمر الله عز و جل بها عباده . و أما الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فقد صلى عليه بنفسه أولا ، و أمر ملائكته بالصلاة عليه ثم أمر المؤمنين بأن يصلوا عليه ، فثبت أن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم أفضل العبادات .

عن أنى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : صلوا على فان الصلاة على زكاة لكم ، قال أبو الليث السمرقندى : معنى قوله : زكاة لكم^٣ ، يعنى طهارة لكم و مغفرة لذنوبكم ، فلو لم يكن

(١) هذا العنوان وارد بهامش الورقة .

(٢) قرآن كريم - سورة ٣٣ آية ٥٦ .

(٣) فى الأصل : له .

للصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ثواب سوى أنه يرجو بذلك شفاعته ،
 لكان الواجب على العاقل أن لا يغفل عنه / فكيف وفيه مغفرة للذنوب ،
 وفيها الصلاة من الله عز وجل ، فالخليل عليه السلام جرد سيف الخلة
 على متن نار النمرود ، فصارت بردا وسلاما ، وذهب الحبيب محمد
 صلى الله عليه وسلم وقال : مالي و الاشتغال بالماء و النار ! أنا أجرد سيف
 الشفاعة من قراب الرحمة و غمد المغفرة على ذنوب الأولين و الآخرين .
 جرد سيف الشفاعة ، و أرسل سهم الوسيلة عن قوس القرية ، ولكن
 ما أصاب سهمه إلا الهدف المقصود ، و لا يشفعون إلا لمن ارتضى من
 قال : لا إله إلا الله ، وهذه الآية دليل على إثبات الشفاعة ، لأن ذنب
 المؤمن لا يخرج من جملة المرتضين لأجل إساءته ، لأنه إن كان دينه
 غير مرتضى ، و إليه الإشارة في قوله تعالى ^٢ " ثم أورثنا الكتاب الذين
 اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه و منهم مقتصد و منهم سابق بالخيرات
 باذن الله " . فأخبر أن في المصطفين ظلما ، و لم يخرج من اصطفائه ،
 ثم قدمه على المقتصد و السابق ، تكديبا للعتزلة في أن المؤمن المذنب
 غير مرتضى و لا مصطفى .

١٥

قال زيد بن أرقم : كان لأبي بكر الصديق رضى الله عنه غلام
 يأتيه بغلة طعامه كل ليلة ، وكان أبو بكر لا يأكله حتى يسأله من أين
 اكتسبه و من أين أصابه ، قال : فجاءه ذات ليلة بطعام ، فمد يده إليه
 فأكل منه لقمة من غير أن يسأله ، فقال له الغلام : قد كنت تسألني

(١) في الأصل : سيفه .

(٢) قرآن كريم - سورة - آية ٣٢ .

كل ليلة غير الليلة فلم تسألني؟ قال أبو بكر: ويحك! الجوع حملني عليه،
ويحك! أخبرني من أين جئت به. قال: رقيت لأناس في الجاهلية
فوعدونني عليه عدة، فرأيت عندهم وليمة، فذكرتهم وخدمهم الذي
وعدونني، فأعطوني هذا الطعام. فاسترجع عند ذلك أبو بكر، ثم أخذ يتقياً،
ه وكابد وجاهد نفسه على أن ينزع اللقمة من بطنه، فلم يقدر عليها حتى
احمر واسود من الجهد فلم يقدر. فلما رأوا ما يلقى / من المعالجة قالوا:
لو شربت عليه قدحا من ماء. فأتى بعس من ماء - والعس هو القدح الكبير
يروى الثلاثة والأربعة، ثم القدح يروى الرجلين، ثم القعب يروى
الرجل - فلما شرب أبو بكر من العس تقياً، فما زال يعالج نفسه حتى
١٠ نبت ما في بطنه. فقالوا: هذا من أجل هذه اللقمة. قال: إني سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن الله تعالى حرم الجنة على جسد
غذى بالحرام، فالحمد لله الذي أخرجها من جوفى، والشكر له دائماً.
قال بعض الصالحين: اشتغلت بشكر أربعة أشياء: أولها أن الله
تعالى خلق ألف صنف من الخلق فرأيت بنى آدم أكرم الخلق فجعلنى
١٥ من بنى آدم. والثانى فضل الرجال على النساء فجعلنى من الرجال،
والثالث رأيت الإسلام أفضل الأديان وأحبها إلى الله عز وجل فجعلنى
مسليماً. والرابع رأيت أمة محمد أفضل الأمم فجعلنى من أمة محمد
صلى الله عليه وسلم.

(١) في الأصل: فوعدونني.

و يقال الخلق عشرة أجزاء : تسعة منهم الشياطين و الجن ، و واحد منهم الإنس . ثم جعل الإنس مائة و خمسة و عشرين صنفا : فالمائة منها يأجوج و مأجوج و الصقالبة و نحوها ^١ ، و ستة في المغرب : الزط و الحبش و الزنج و نحوها ، و ستة بالمشرق : الترك و خاقان و غز و تغزغز و خرجل و كيماك ^٢ - فهؤلاء كلهم كفار ، و مصيرهم إلى النار . و بقي ٥ صنف واحد من مائة و خمسة و عشرين ^٣ صنفا - و هم المسلمون ، افرقوا على ثلاث و سبعين فرقة : فائتان ^٤ و سبعون كلهم أهل الأهواء و البدع ، و مصيرهم إلى النار ، و واحدة إلى الجنة و هم أهل السنة و الجماعة . قال بعضهم : أيد الله أهل السنة بحجج أمضى من الآسنة .

٥١ ذكر دخول الفرنج العراق

بسبب المتجر ، و منعهم من البيع و الابتياح بسبب وقعة الإسكندرية و غير ذلك من الواردات المستطردات .

/ ذكرت البغادة المقيمون ^٦ بالإسكندرية أنه بلغهم بأن الفرنج

الجنوية و البنادقة قصدوا سواحل العراق بمتاجرهم لما منعوا من سواحل

(١) زيد هنا : و ستة بالمشرق الترك و خاقان - و تكررت الجملة مع الإفاضة فيما بعد . فحذفناها من الموضع الأول .

(٢) بلا حظ هنا أن الحساب لا يستقيم و ربما أخطأ المؤلف في الرقم السابق أو سقط من الكتاب عدد آخر من الأجناس غير ما ذكر .

(٣) في الأصل : عشرين .

(٤) في الأصل : فائتان (٥) العنوان و ارد بالنص .

(٦) في الأصل : المقيمين .

الديار المصرية و الشامية ، معهم رسل ملوكهم مستصحبين معهم الهدايا
 للسلطان أويس ابن الشيخ حسن^١ ، فلما حضروا بين يديه قدموا هداياهم ،
 و سألوه أن تكون تجارتهم تدخل مدينة السلطان يبيعون و يبتاعون .
 فقال لهم الملك أويس : أنا اسمي أويس بن حسن بن حسين مسلم بن
 ٥ مسلم ، و أتم تفسدين^٢ بلاد المسلمين ، و تأتون^٣ بلادى بمتاجركم تبتغون^٤
 الفضل ، لا والله لا أرضى بذلك ! ولو سبقنى ملك إلى قتل الرسل
 لقتلتكم ، و لكن ارجعوا من حيث أتيتم ، و اجتهدوا في صلحكم مع
 سلطان مصر ، و استدركوا ما أفسدتم من الحال الذى فعلتم بالإسكندرية ،
 فان أتيمونى بخط ملك مصر بدخولكم تحت طاعته ، مكنتكم حينئذ
 ١٠ تبيعون ببلدى و تبتاعون منه ما تختارون ، و إن لم تفعلوا ذلك و عدتم
 إلى بلدى ، فليس لكم عندى إلا السيف . فرجعوا بالخيبة من حيث
 أتوا مردود عليهم هداياهم ، و قد تقدم فى هذا الكتاب قتل الملك
 أويس للفرنج الذين باءوا ببلده قماش الإسكندرية المنهوب منها المخيوط
 و غيره ، فأغنى عن إعادته .

(١) هذا الفصل فى جملة بحاجة إلى دراسة طويلة فى تاريخ المغول و فروع
 أسراتهم و إسلامهم و غير ذلك من الأمور ، تركناها هنا اختصاراً حتى يتوفر
 المختصون على تبيان غامضها و عقدها .

(٢) فى الأصل : تفسدوا .

(٣) فى الأصل : أتوا .

(٤) فى الأصل : تبتغوا .

و كان الشيخ حصن والد السلطان أويس أميراً كبيراً ، و هو حسن
 ابن حسين بن منكوتمر ، و منكوتمر كان سلطان العراقين ، و هو ابن
 السلطان كيختو^١ ، و كيختو^١ ابن السلطان أبغا ، و أبغا ابن السلطان
 هلاوون ، و هلاوون كان سلطاناً كبيراً ، فتح بغداد و بلاد بكر
 و الروم ، و هلاوون ابن جنكز خان ، و جنكز خان كان سلطاناً كبيراً ، خرج
 على بلاد خراسان و ما وراء النهر و بلاد العجم ، استفتحها^٢ عنوة / أي
 غلبة و قوة و قهراً . و كان^٣ هؤلاء المذكورون من التتر ، و التتر المغل ،
 و هم من ذرية بأجوج و مأجوج ، فتناسل^٤ هؤلاء الخارجون^٥ عن
 انسد على طول الزمان و الأيام ، و كثروا و أفسدوا في الأرض .
 و هم الذين ذكروهم النبي صلى الله عليه و سلم إذ قال : « الفتنة من ههنا - ١٠
 و أشار إلى المشرق - وجوههم كاللجان المطرقة ، و ذكروهم أيضاً من
 السلف ابن عقبة حيث يقول هذين البيتين :

احذر بني من القران العاشر و انفر بأهلك قبل نفر النافر
 من قية فطس الأنوف كأنهم سيل طها أو كالجراد النائر

(١) في الأصل : كيختوا . و وردت الكلمة فيما بعد بدون الألف الزائدة .

(٢) في الأصل : استفتحها ، و ربما كان أصح أن نقول « افتتحها » .

(٣) في الأصل : كانوا .

(٤) في الأصل : فتناسلت .

(٥) في الأصل : الخارجين .

و كانت المغل تعبد الشمس من دون الله ، و كان سبب إسلامهم
أن السلطان منكوتر بن السلطان كينخو ابن السلطان أبغا ابن السلطان
هلاوون ابن السلطان جنكز خان ، و كان هولااء ملوك المغل
و سلاطينها ، قال بعضهم على وزن « كان » ، و كان يخاطب محبوبا
٥ له حيث قال :

فقلت لمن تعزز و تعقص أنفك

بالجرد كأنك ابن الخليفة أو ابن جنكزخان

فبينما السلطان منكوتر بيغداد في دار المستنصر ، و هي راكبة على
الدجلة ، و كانت بيغداد دار ملكه بعد الخلفاء ، فبينما هو جالس في يوم
١٠ شات ، و بين يديه نار موجهة يستوى عليها الإوز ، و إذا بالشيخ محمد
ابن الشيخ أحمد الرفاعي دخل عليه بطائفة من الفقراء الأحمدية الرفاعية ،
فلما رأهم السلطان منكوتر قال لهم : ما برهانكم أيها الفقراء و ما سركم ؟
فقال الشيخ محمد : إن كان برهاننا حقا تؤمن بالله و برسوله ؟ قال :
نعم . و كان للسلطان ولد صغير كالقمر حسنا و جمالا جالسا بين يديه ،
١٥ و كان مشغوبا بمحبته لحسن طلعتة ، فاخطفه الشيخ محمد بسرعة
و اقتحم به تلك النار ، فطار عقل السلطان ، و قام قائما^٢ ، و ضرب
بتاجه الأرض ، و صرخ جزعا على ولده ، و قال لخواصه : أدركوه .
فلم يستطع أحد منهم [أن -^٢] يدخل النار ، فدار الشيخ محمد

(١) في الأصل : كانوا .

(٢) ربما كان المقصود « هاتما » .

(٣) ساقطة من الأصل و بذكرها تكتمل الجملة و سياق الحديث .

/ بالولد فيها 'دورانا كثيرا' ، وخرج بالصغير منها سالما و ثيابها سالمة ،
 فلتقى السلطان ولده منه بلهف و قال : ما رأيت يا ولدى و أنت في
 النار؟ قال : لم أر شرا . فحينئذ أسلم السلطان و من حضره من خواصه
 و بماليك و جنده . ثم إنه ولد له ولدان^٢ ، سمي أحدهما محمود قازان ،
 و الآخر محمد خدا بنده^٣ . ثم ولدت له بنت سماها الجيه خاتون هي جدة
 السلطان أويس لأبيه ، فولى قازان بعد أبيه منكوتمر الملك ، فغزا الشام
 في سنة تسع و تسعين و ستمائة^٤ - و قد تقدم ذكر غزاته تلك فأغنى
 عن إعادتها .

[وقعة قازان و الناصر محمد -^٥]

و سأذكر هنا غير ما تقدم - و هو أن قازان لما أتى بجيوشه إلى
 دمشق ، أغلقت أهلها أبوابها إلا باب توما ، و شرعت^٦ التتر و صاحب
 سيس^٧ في نهب بلد الصالحية بظاهر دمشق ، فأخذوا شيئا كثيرا من

(١-١) في الأصل : دوران كثير .

(٢) في الأصل : ولدين .

(٣) في الأصل هنا و فيما بعد بندا .

(٤) يقابلها ١٢٩٩ - ١٣٠٠ م .

(٥) العنوان غير مذكور في النص أو الهامش .

(٦) في الأصل : و شرعت .

(٧) ملك الارمن ، و سيس عاصمته .

الغلات، و خربوا أماكن كثيرة، و شاع الخبر بأن التبر يقصدون دخول دمشق، فانزعج الناس من ذلك، فأخذوا من البلد عشرة آلاف فرس، ثم قرروا أموالاً كثيرة على البلد و أهل الأسواق، و توجه قازان إلى بلاده، و ترك نوابه في ستين ألف مقاتل، و قد أزعجتهم القلعة، و كان الشيخ تقي الدين بن تيمية يخرج إلى مخيم نائب قازان، فاجتمع به في فكاك من معه من أسارى المسلمين، فاستنقذ كثيرا منهم بعد أن أقام عنده ثلاثة أيام. ثم عاد إلى دمشق، و راح إليه جماعة من الأعيان، و عادوا من عنده. ثم انزاح جيش قازان عن البلد و لم يبق منهم أحد، بل برزوا عنه.

١٠ ثم إن السلطان الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون خرج من مصر بجيشه إلى لقاء جيش قازان، فالتقيا بموضع يعرف بشقحب^١،

(١) في الأصل : يقصدوا .

(٢) أي قازان .

(٣) في الأصل : قررت .

(٤) في الأصل : أموال .

(٥) انظر حاشية سابقة و راجع الفهارس .

(٦) شقحب أو تل شقحب قرية بسوريا بالقرب من دمشق تحت جبل

« غباغب » أوردها ابن تغري بردي في النجوم الزاهرة (ج ٨ ص ١٥٩

و ج ١١ ص ٢٦٠) كما أوردها (Dussaud) في كتابه Topographie

historique de la Syrie antique et medievale, P. 322.

فانتصر الملك الناصر عليه، وبدد شمله، وفرق جمعه. فأنشأ بعضهم يقول على لسان حال الملك الناصر محمد أياتا وبعدها نثرا، / فقال حيث قال :

أين المفر لهارب متقدم قلق الجوانح لا يلد لمطعم
ضقت عليه الأرض حتى أنه أمسى يشاهد هاكدور الدرهم
أنا حافظ الإسلام سلطان الوري رب المكارم و المحل الأعظم
أنا ناصر الدين الحنيف محمد وإلى ' قلاون المعظم أتمى
فلا ركبن جواد عزم ثابت يطوى القفار إلى الوغى بتقدم
أو ما رأى قازان يوم نزاله لما حملت عليه حملة ضيغم
وتركت أجساد المغول رمى بها والخيل تعثر في القنا المتحطم
والوحش ترتع في اللحوم عشية وتضيف أصناف الطيور الحوم
ورجعت والخيل العتاق رواقص مخضوبة منها السنايك بالدم

وقال في نثره: والتحمت الجيوش الإسلامية حتى سدت القفار
بَعْدَها، وبهرت العيون بحسن ضوئها وُعْدَها. وانتصرت على المغل
انتصارا، وولت المغل أقفية وأدبارا، فهلكوا بضرب السيوف، و صاروا ١٥
صرعى على الأنوف، وعادت العساكر المنصورة، إلى مصر المحروسة
غانمين. وأهلك الله الطائفة الباغين، وأفناهم بالقتل أجمعين، وتباشرت
بهلاكهم كافة المسلمين، وقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله
رب العالمين، وقد ملئت أيديهم من الغنائم والمكاسب، وابتهجت

(١) في الأصل: و ابى - كذا.

نفوسهم يبلوغ الأمل و المآرب ، و تحت صناعتهم من الأسرى ما لا يحسد ،
 و لا يحصى و لا يعد ، و انقلبوا بنعمة من الله و فضل - انتهى .
 و لما بلغ قازان بأن جيشه انكسر ، حمل على قلبه من ذلك أمر
 عظيم^١ ، فنوى أنه يجيش و يرجع إلى الشام ثانيا ، فرض فوات ، و ولى
 ٥ الملك بعده أخوه محمد خدا بنده ، فقال للأمراء : ما الذى كان فى قلب
 أخى قازان . فقيل له ما كان فى قلبه أهم من الشام ، فعرض الجيوش
 و أنفق^٢ فيها ، ثم ارتحل قاصدا الشام ، فنزل على الرحبة و حاصر قلعتها ،
 و نصب عليها المجانيق ، فلما رمى المنجنيق بالحجر على القلعة ، كبرت
 أهل القلعة و قالوا بصوت واحد : الله أكبر ! فلما سمع السلطان تكبير
 ١٠ القوم قال : ما هذه الضجة ؟ فقيل له : إنهم مسلمون يكبرون و يستغيثون ،
 فنظر / إلى الأمراء و قال : أنتم مسلمون ، جثم بنا لنقاتل المسلمين . و كان
 وزيره يقال له جواجاشاه ، فلما سمع كلام السلطان قبل الأرض و قال :
 أدام الله عز مولانا السلطان و أعلى مجده ! إن الشام مسكن الأنبياء ، و وطن
 الأولياء ، و الرأى السديد أن يكون المملوك رسولا من مولانا السلطان
 ١٥ إلى الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاون ، أعقد الصلح بينكما ،
 ففى ذلك صلاح المسلمين فى إقليمى الشام و العراق . فقال : افعل ذلك .
 فسار الوزير و عقد الصلح بينهما . فطابت عند ذلك الأوقات ، و حصلت
 المسرات ، و كانت هذه الواقعة التى رمى فيها قلعة الرحبة بالحجر الواحد ،

(١-١) فى الأصل : امرا عظيما . (٢) فى الأصل : نفق .

يسمى الشاميون^١ الواقعة الكذابة - انتهى .

و تفسير « خدا بنده » باللغة العربية عبد الله ، فولد للسلطان خدا بنده ولد كناه بأبي سعيد . فلما كبر أبو سعيد ومات خدا بنده ، تسلطن بعد أبيه ، فكان أبو سعيد عقيماً لا ولد له : ولما مات اختلفت المغل بعده ، فلم تزل مختلفة حتى جمع الله كلمتهم على السلطان أويس ابن الشيخ ه حسن ، فأصلح الله به ما فسد ، و عمر به ما خرب في زمن الاختلاف ، و نشر الله به العدل في العراقين وهو الآن في سنة خمس و سبعين و سبعمائة^٢ ، ينشر العدل و يبسطه ، و يمحو الجور و يدحضه ، فالله تعالى يؤيده و ينصره ، و كرسى مملكته مدينة توريز^٣ بأرض العجم ، و حكمه نافذ مسيرة أشهر ، و نوابه ببغداد و غيرها من مدن العراق . وهو يتنقل في مملكه من ١٠ كرسى إلى كرسى . و لما دخل بغداد و شق شوارعها ، سمع امرأة من طاقها تنادى صاحبها : أسرع يا فلانة لتنظري السلطان . فوقف بفرسه ، و وقف لوقوفه العسكر إلى أن أتت المرأة و نظرت إليه من طاقة أخرى . فلما علم أن المرأة الثانية نظرت سار . و قيل إن السلطان أويس حسن الوجه ، بديع الجمال ، لم ير في زمانه أحسن منه ، / ولا أوسع منه وجهاً ، و نشر ١٥ / ٨٤ من العدل في الآفاق ما لا نشره غيره من سلاطين العراقين ، وكان من عدله أنه إذا استغاث به مظلوم وهو سائر وقف له ، و سمع كلامه ، و أزال

(١) في الأصل : الشاميين .

(٢) يقابلها ١٣٦٣ - ١٣٧٤ م .

(٣) أى مدينة تبريز و هى معروفة و شهيرة بين مدن إيران .

ظلامته ، و استعمل في دولته العدل و الإنصاف ، فلذلك ألقع الظالم عن ظله و منه خاف .

[موسى على جبل الطور - ١]

قال المؤلف غفر الله له و لوالديه و للأقربين إليه و لجميع المسلمين :

٥ و قفت على كتاب مسامر المساهر و مساهر المسامر ، لأبي الحسن علي بن

عبد الرحمن الحريري ، فرأيت في ذكره العدل و الإنصاف خبراً حسناً ، فأحببت

ذكره هنا ، و هو أن موسى عليه السلام ناجى ربه عزوجل على جبل الطور .

فقال في مناجاته : إلهي ! أرني عدلك و إنصافك ، فقال له : يا موسى أنت

رجل حاد جرىء لا تقدر أن تصبر . قال : أقدر على الصبر بتوفيقك . فقال :

١٠ اقصد العين الفلانية ، و اختف^٢ بازائها ، و انظر إلى قدرى و على

بالغيوب . فمضى موسى و صعد إلى تل بازاء تلك العين و قعد محتفياً ، فوصل

إلى العين فارس . فنزل عن فرسه : و توضأ منها ، و شرب من مائها ، و حل

من وسطه همياناً ، فوضعه إلى جانبه ، و استراح ساعة و ركب فرسه ، و نسي

الهميان في موضعه و سار ، فجاء صبي صغير ، فشرب من العين ، و أخذ

١٥ الهميان و مضى ، فجاء بعد الصبي شيخ أعمى ، فشرب من العين و توضأ

و وقف في الصلاة . فذكر الفارس الهميان فعاد من طريقه إلى العين ،

فوجد الأعمى فلزمه و قال : إنني نسيت همياناً فيه ألف دينار في هذا

(١) العنوان مشتق من النص .

(٢) في الأصل : و اختفى - كذا .

الموضع في هذه الساعة ، و ما جاء إلى هذا المكان سواك . فقال الأعمى :
يا هذا ! تعلم أني رجل أعمى ، فكيف أبصرت هميانك حتى أخذته ؟
فغضب الفارس من كلامه ، و جذب سيفه فضرب الأعمى فقتله ،
و قشه فلم يجد معه شيئا ، فمضى وتركه . فعند ذلك قال موسى : إلهي
و سيدي ! لقد صبري ، و أنت عادل ، / فعرقتي كيف هذه الأحوال . ٥ / ٨٥ ب
قال : فهبط جبريل عليه السلام و قال : يا موسى ! الباري عز و جل
يقول لك : أنا عالم الأسرار ، أعلم ما لا تعلم ، أما الصبي الذي أخذ
الهميان فأخذ حقه و ملكه ، و ذلك أن أبا هذا الصبي كان أجيرا
لأبي هذا الفارس ، و اجتمع له عنده بقدر ما في الهميان ، فطلب منه
أجرته فمنعها منه ، و أما ذلك الأعمى فانه قبل أن يعنى قتل أبا ذلك
الفارس ، فقد اقتص منه و وصل كل ذي حق إلى حقه . و عدلنا
و إصافنا دقيق كما ترى .

[خبر الأعمى - ٢]

قال المؤلف غفر الله له : و وقفت أيضا على خبر الأعمى و خبر
العجوز في الكتاب المذكور ، و سأذكرهما الآن إن شاء الله تعالى - ١٥
أما خبر الأعمى فهو إنه كان في زمن المقتدر^٢ أعمى يقرأ ما يكتب له
باللس ، فبلغ الخليفة المقتدر ذلك ، فأحضره و قال : إن قرأت ما كتبت لك ،

(١) في الأصل : له .

(٢) ليس العنوان بالنص أو الهامش .

(٣) المقتدر الخليفة العباسي و خلفه ٢٩٥ - ٣٢٠ / ٩٠٨ - ٩٢٢ م .

فلك كذا وكذا . ثم كتب له "نملة تجر مدينة" فلبسه الأعمى بيده . قال : هذا سؤال معجرف ، متى كانت النمل تجر المدن فأعجب المقتدر ذلك ووصله بما ذكره له - انتهى .

[خبر العجوز - ١]

٥ وأما خبر العجوز فهو أن بعضهم انقطع من قافلة الحاج وغلط الطريق ، فجعل يسير إلى أن وصل إلى خيمة ، فرأى عجوزاً جالسة ، وعلى باب الخيمة ^٢ كلب قائم ^١ . فسلم على العجوز و طلب طعاما . فقالت العجوز : امض إلى ذلك الوادي ، واصطد من الحيات ، وكل منها بقدر كفايتك . فقال الرجل : أنا لا أحسن صيد الحيات ولا لي عادة بأكلها . فقالت العجوز : أنا أصيد لك فلا تخف ، فمضت هي وإياه ^٢ ومعها الكلب ، فاصطادت من الحيات قدر كفايتهم . فأتت العجوز وطبخت له الحيات ، فلم ير من الأكل بدا لشدة جوعه ، فأكل منها ، ثم عطش فطلب منها ماء ليشرب ، فقالت : دونك والعين ! فاشرب منها - ودلته عليها ، فمضى / إلى العين ، فوجد ماء مرا مالحا ، ١٥ ولم يجد من شربه بدا . فشرب وعاد إلى العجوز ، قال لها : عجبت منك ومقامك في هذا الموضع ، تأكلين الحيات ، وتشربين الماء

(١) ليس العنوان بالنص أو الهامش .

(٢ - ٢) في الأصل : كلبا قائما .

(٣) كذا ، والظاهر : هو .

المالح المر، قالت: كيف يكون في بلادكم؟ قال: يكون في بلادنا الدور
الواسعة، والأطعمة الطيبة، واللحوم السمينة، والفواكه اللذيذة،
والمياه العذبة الباردة. قالت العجوز: قد سمعت هذا كله، فقل لي:
هل تكونون تحت يد سلطان يحور عليكم، و يأخذ أموالكم، ويستأصل
شأفتكم، ويخرجكم من بيوتكم، ويتسلط خدامه عليكم؟ قال: قد يكون
ذلك. فقالت: إذا نعد هذا الطعام اللطيف والنعم اللذيذة مع الجور
والظلم سما نافعا، ونعد أطعمتنا مع الأمن درياقا نافعا، أما سمعت
قول الحكماء إن أجل النعمة بعد نعمة الإسلام الصحة والأمن.

[ذكر الحيات - ٢]

و إذ قد ذكر أكل الحيات، فسنذكر ما قالت الفقهاء في أكلها. ١٠
قال مالك رحمه الله: إذا أذكبت الحيات في موضع ذكاتها، فلا بأس
كلها لمن احتاج إليها. فشرط في إباحة أكل الحيات الحاجة. وأجاز
بأكل اليربوع^٢ والخلد^٣ والوبر^٤ من غير شرط. لكن النفوس
في الغالب تنفر عن نوع الحيات وتستقذرها. فأنما يقدم على أكلها^٥

(١) في الأصل: يتكونون.

(٢) ليس العنوان بالنص أو الهامش.

(٣) اليربوع من فصيلة الفئران.

(٤) كاليربوع من فصيلة الفار.

(٥) للوبر^٦ حيوان يشبه الهز و لكنه أصغر منه وهو قصير الذنب.

(٦) في الأصل: اكله.

عند الحاجة إليه ، إما من تداو أو غير ذلك ، فصار ذلك الشرط مما جرى مجرى الغالب ولا مفهوم له ، فلذلك جمعها مع اليربوع وما ذكر معه ، ومن أجاز أكل الحيات رأى دخولها في قوله تعالى : " قل لا اجد في ما أوحى إلى محرما على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا ٥ أو لحم خنزير فإنه رجس أو فسقا " ، والكراهة عند بعضهم خوفا من سمها . قال الأبهري : إنما كرهت لأنها ليست من بهيمة الأنعام / ولا من الطير . قال : وأمر عمر بن عبد العزيز أهل أريحا بذكاة حيات الترياق لشربه - انتهى .

٨٠ / الف

[في السياسة -]

١٠ فلنذكر الآن ما قيل في السياسة إن شاء الله تعالى ، ونعود إلى ذكر الحيات - قال بعض العلماء : ينبغي لمن يكون عارفا بالسياسة والمصلحة لأمور الرعية أن يعرض نفسه على السلطان ويعلمه أنه عارف باصلاح الرعايا عالم بسياستهم وإن كان في ذلك تزكية لنفسه ، ألا ترى إلى قول يوسف عليه السلام للملك الريان : " اجعلني على خزان الأرض ١٥ أنى حفيظ عليهم ٢ " . فان قيل كيف استجاز يوسف عليه السلام ٣

(١) قرآن كريم سورة ٦ آية ١٤٥ .

(٢) ليس العنوان بالهامش أو النص .

(٣) قرآن كريم سورة ١٢ آية ٥٥ .

(٤) العبارة من « الملك الريان » إلى هنا ساقطة من النص ووردت في الهامش

بقلم المصحح .

مع عقله و عليه أن يقدم نفسه بين يدي الملك الريان بن الوليد بقوله :
 " اجعلني على خزان الأرض انى حفيظ عليم " ، و قد جاء النهي عن
 تزكية النفس ؟ قيل : إنما جرى ذلك مجرى الإعلام لما يحسنه و العلم
 الذى هو مختص به كأنه يقول : انى مختص بعلم كيفية حفظ ذلك الطعام
 الذى يعد لأيام القحط و العدم ، و عليم بوقوع ساعة الجوع متى يقع . ٥
 فقال يوسف عليه السلام : " انى حفيظ عليم " ، و ليس بتزكية لنفسه ؛
 ألا ترى أن الله تبارك و تعالى ذكر نفسه بالكبرياء و العظمة لا على
 أنه زكى نفسه ، لكن ليعظكم بهذا و يبين طريق توحيدده و تعظيمه ،
 لأنه لو لم يعبر لهم بذلك لما عرفوه ، و لو لم يبين لهم صفاته ما وصفوه .
 و كذلك ذكر الأنبياء مناقب أنفسهم ليست لهم ، كما قال النبي صلى الله
 عليه و سلم : " أنا سيد ولد آدم و لا نخر ، و بيدى لواء الحمد ، و غير
 ذلك من أقواله مما يليق به . و إنما ذكرت الأنبياء ذلك إخباراً لأمتهم ،
 إذ لو لم يخبروهم بذلك ما عرفوهم و لا وصلوا إلى على مقاديرهم ، فكذلك
 يوسف عليه السلام بتزكيته لنفسه إنما قصد إعلام الملك الريان بما
 خصه الله تبارك و تعالى به - انتهى . ١٥

[عود إلى ذكر الحيات - ١]

نعود إلى ما قيل / فى الحيات كما تقدم ذكرها آنفاً - قالوا : إن
 الحيات و الأفاعى أجناس ، و لها أسماء ، منها الشجاع و الأرقم و الأسود
 و الأفعى و الأفعوان و الأبتى و الأعبىج و الأصلة و أسود ساخ
 (١) ليس العنوان بالنص أو الهامش .

والجنان و الثعبان و الشيطان و الأسم و الأرقش و النضناض و ابنة الجبل . فالنضناض من الحيات الذي يحرك لسانه برعد به . روى عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال : من ترك الحيات من مخافة قتلهن ، فليس منا ، ما سألناهن مذ حاربناهن .

٥ و سأذكر ما قيل في علاج الملسوع إن شاء الله تعالى - قال علي بن العباس المتطبب : من لدغته حية أو أفعى و لا سيما الأفاعى المعطشة ، فينبغي أن يقطع العضو الملدوغ إن أمكن ، فإن الراحة في قطعه ، فإن لم يمكن قطعه فليربط العضو من فوق اللدغة ، و افصد الملدوغ و أطعمه الثوم و البصل و الكراث ، و اسقه مرق الإسفيداج بالسلت^١ و الملح ١٠ و الدارصيني ، و أطعمه السرطانات النهرية مشوية ، و كذلك الضفادع المطبوخة . و الجبن العتيق إذا عجن بماء و ضمّد موضع اللدغة نفع . و العقارب المدقوقة بمروسة بماء المردقوش^٢ و ماء السذاب^٣ إذا شربها نفعته منفعة بينة ، و إن شرب من درياق الأربعة نصف درهم إلى نصف مثقال بماء السذاب كان نافعا جدا ، بل هو أكبر من هذه الأشياء ١٥ كلها ، لا سيما الطرى منه .

و ينبغي لمن لدغته العقرب أن يربط فوق موضع اللدغة بعصابة

(١) نوع من الشعير لا قشر له .

(٢) نبات عطري كالزعفران .

(٣) في الأصل : السذاب . بالدال - و السذاب نبات يشبه الرمان و زهره أصفر و رائحته كريهة .

قوية لئلا يسرى السم في البدن، و أن تفدغ العقرب و يضمد بها موضع اللدغة، أو يضمد بهذا الضماد الذي أنا سأذكره لك، وهو بزر كتان خمسة دراهم، كبريت أصفر ثلاثة دراهم، ملح ثلاثة دراهم، علك البطم^١ عشرة دراهم، / تعجن بهذه الأدوية، و يضمد به اللدغة، فانه نافع .

لسمعت عقرب^٢ رجلا بدويا^٣ أول الليل، فقال لحضري: أتعرف لهذه دواء؟ قال: نعم . قال: وما هو؟ قال: الصياح إلى الصباح - انتهى .

[وفيات الملوك الثلاثة: قازان و أبو سعيد

و خدا بنده - ٢]

نعود إلى ذكر تواريخ وفيات الملوك الثلاثة: و هم قازان و أبو سعيد . و خدا بنده، و مواضع مدافنهم و صفة قبورهم . أما قازان محمود فكانت وفاته في سنة أربع و سبعمائة^٤ . و قبره بظاهر مدينة توريز بمكان يقال له الشام، عليه قبة عظيمة البناء، واسعة الفناء، لم يبن مثلها في هذا الزمان . فيها بسط الحرير، و الستور الحرير المذهبة، و قناديل الذهب و الفضة، و الشمعدانات الذهب، و غير ذلك من التحف .

١٥

(١) أي صمغ البطم و هو شجر يشبه شجر الفستق .

(٢-٣) في الأصل: رجل بدوي .

(٣) العنوان مقتبس من النص، و لا وجود له بالهامش .

(٤) يقابلها ١٣٠٤ - ١٣٠٥ م .

وكانت وفاة السلطان أبي سعيد سنة خمس و ثلاثين و سبعمائة^١ .
 وقبره بظاهر السلطانية ، وهي المدينة التي بناها والده خدا بنده . وفي
 تربة أبي سعيد من الزينة و القناديل و الفضة و الشمعدانات الذهب و البسط
 و الستور الحرير كثير^٢ ، و سماطه ممدود في كل يوم للصادر و الوارد
 ٥ بالتربة المزبورة ، و لها وقوفات كثيرة .

وكانت وفاة خدا بنده محمد في سنة سبع عشرة و سبعمائة^٣ ، و دفن
 بالمدينة المعروفة بالسلطانية^٤ في القلعة ، و تربته عليها قبة كبيرة ، حولها
 اثنتا عشرة^٥ مئذنة برواقين يؤذن على كل مئذنة مؤذن واحد في وقت
 واحد مجتمعة أصواتهم ، فترج المدينة بأذانهم ، و المآذن^٦ المذكورة ظاهرها
 ١٠ مرصع بالقيشاني الأزرق ، منقوش بالأصفر ، إذا طلعت الشمس عليها
 تشتعل^٧ كالنار . و في تلك القبة من القناديل الذهب و الفضة و الشمعدانات

(١) يقابلها ١٣٣٤ - ١٣٣٥ م .

(٢) في الأصل : كثيرا .

(٣) يقابلها سنة ١٣١٧ - ١٣١٨ م .

(٤) إحدى مدن فارس بالقرب من تبريز ، وردت في رحلة ابن بطوطة (ص

٧٧ ، ٢٣١) .

(٥) في الأصل : اثني عشر .

(٦) في الأصل : المواذن .

(٧) في الأصل : تشعل .

الذهب / و الشمع كثيرا^١ . و تراب أرض القبة الزعفران ، و أرض القبة مفروشة^٢ بالبسط الحرير ، و الستور الحرير الملونة المذهبة . و عتبة باب القبة من الذهب منزل بالفضة ، و على تلك القبة وقوفات كثيرة .
وكان السلطان محمد خدا بنده كريما سخيا ، و كانت عطاياه كثيرة .
و من جملة عطاياه أنه جاء حمل^٣ مغاص اللؤلؤ ، و كان عشرين^٤ حملا على ٥
بغال ، فيه الذهب و الفضة و اللؤلؤ ، و جاءه به محمد بن السواملي صاحب المغاص . و كان في جملة الحمل دجاجة لؤلؤ منظومة ، و كان تحتها فراريجها لؤلؤ منظوم ، حاكوا بها الدجاجة و فراريجها ، و كان عند وصول الحمل إليه في وقت طيب^٥ و سرور ، و عنده قينة^٦ تغنى من قيان بغداد يقال لها زهراء ، و ثبت قائمة و قالت : أدام الله ملك مولانا السلطان الهدية لمن حضر ، فأعطاها الحمل بكماله قبل أن يعرض^٧ الحمل عليه ، و لم يعلم ما فيه .
فحصل لمحمد بن السواملي الآتي به من ذلك^٨ غم و قهر^٨ ، و كان له مدة

(١) في الأصل : كثيرا .

(٢) في الأصل : مفروش .

(٣) في الأصل : حمل .

(٤) في الأصل : عشرون .

(٥) في الأصل : طيبة .

(٦) أي أمة أو مغنية ، و في الأصل : قينة .

(٧) في الأصل : تعرض .

(٨-٨) في الأصل : غم و قهرا .

يتعب في تحصيله حتى أتى به يفتخر به عنده فمات بغمه^١ .
 وكان من كرم خدا بنده أيضا ، إذا ركب حراقة في الدجلة يصير
 الناس يحاذونه في البر يدعون له ، فيرمي إليهم بقوسه بندق الذهب
 والفضة ، فيزدحمون عليه ، فيعجبه ذلك و ينبسط و ينشرح . و عام عوام
 ٥ مسائرا للحراقة يقلى جينا على كانون لطيف فوق يده ، فأعجبه ذلك ،
 فاستدناه إلى الحراقة ، و صار يأكل ما يقليه الجبان العوام المذكور . ثم إنه
 صار يحشوا^٢ [في] فيه الذهب إلى أن صار شدقه مملوئا بالدنانير حتى لم يجد
 السلطان موضعا خاليا يدس له فيه منه ، و قد ورمت أشداقه من الدنانير
 الملتزمة بعضها لبعض ، فحينئذ دعا له بالإشارة لعدم نطق لسانه ، و انصرف
 ١٠ عنه إلى الساحل . و كان نقش خاتمه ، محمد و علي غاية أمل ، . و كان [قد]
 ٨٨ / الف طلوع على عينه اليسرى جدرية في صغره ، فتكونت بياضا نابقا / على حبة
 حدقة فعميت ، و كان دائما عليها خرقة حرير سوداء - رحمة الله تعالى عليه .

[خبر الأعرابي مع أمير المؤمنين المهدي -]^٣

و إذ قد ذكر الكرم فسأذكر خبر أمير المؤمنين المهدي مع
 ١٥ الأعرابي - وهو أن فائقة بنت عبد الله أم عبد الواحد بن جعفر قالت :

(١) في الأصل : بغمته .

(٢) في الأصل : يحشى .

(٣) العنوان من هامش الورقة .

(٤) الخليفة العباسي و خلفته ١٥٨ - ١٦٩ هـ / ٧٧٥ - ٧٨٥ م .

بينما أنا جالسة عند أمير المؤمنين المهدي ، و كان قد خرج متنزها إلى الأنبار^١ إذ دخل عليه الربيع وزيره و معه قطعة جلد^٢ محتومة بقطعة طين معجونة بالرماد، و هو مطبوع بخاتم الخلافة ، فقال : يا أمير المؤمنين ! ما رأيت أعجب من هذه الرقعة ، جاءني بها رجل أعرابي و هو ينادي « هذا كتاب أمير المؤمنين المهدي ، دلوني على هذا الوزير الربيع ، فقد ه أمرني الخليفة أن أدفعها إليه ، قال الربيع : فأخذ مني أمير المؤمنين الرقعة و نظر فيها ثم ضحك و قال : صدق الأعرابي ، هذا خطي و هذا خاتمي ، أفلا أخبركم بالقصة كيف كانت ؟ قلنا : نعم يا أمير المؤمنين ! قال : اعلوا أني خرجت بالأمس في صيد في صحو ، فلما أصحرت^٣ هاج علينا ضباب شديد حتى فرق بيني و بين خدمي و أصحابي حتى ما رأيت منهم أحدا ، فأصابني من البرد و الجوع ما الله به أعلم ، و تحيرت عند ذلك . قال : فذكرت دعاء سمعته من أبي يحكيه عن جده عن ابن عباس . قال من قال إذا أصبح و إذا أمسى « بسم الله و بالله و لا حول و لا قوة إلا بالله ، اعتصمت بالله ، و توكلت على الله ، حسبي الله ، لا حول و لا قوة إلا بالله العلي العظيم ، و قى و كفى من الحرق و الغرق و فتنه السوء . قال : فلما ١٥

(١) جاءت في معجم البلدان لياقوت (ج ١ ص ٣٦٧ - ٣٦٩) قرب بلخ و هي قصة جوزجان . و الأنبار أيضا مدينة على الفرات في غربي بغداد بينهما عشرة فراسخ ، و لا شك أن المقصود هو الأخيرة .

(٢) في الأصل هنا زيد « فيها برماد » و أغلب الظن أن العبارة زائدة من خطأ قلبي حذفناها يستقيم السياق و اكتفينا بإثباتها في الهامش .

(٣) في الأصل : اضجرت .

قلتها ثلاثا رفع لي ضوء نار فقصدتها ، فاذا بهذا الأعرابي في خيمة له ،
 وهو يوحد نارا بين يديه . فقلت : أيها الأعرابي ! هل من ضيافة ؟
 قال : انزل ، فنزلت ، فقال لزوجته : هاتي الشعير . قال : فأتت به ،
 قال اطحنيه . فبدأت تطحنه . / فقلت له : أيها الأعرابي ! اسقني ماء .
 قال فأتاني بسقاء فيه مذقة من لبن أكثرها ماء . قال : فشربت منه شربة
 ما شربت قط أطيب منها . قال : وأعطاني كساء له فوضعت رأسي
 عليه ونمت نومة طيبة . قال : ثم انتبهت فاذا هو قد وثب إلى شويهة
 له فذبحها . قال : فسمعت امرأته تقول : ويحك اقتل نفسك و صيائك ،
 إنما كان معاشكم من لبن هذه الشاة ، فاذا ذبحتها فبأي شيء تادمون^١ بقرصم
 الشعير . قال : فقلت : أيها الأعرابي ! لا عليك هات الشاة ، فشقت
 جوفها بسكين كانت في خفي واستخرجت كبدها فشرحتها و ملحتها
 ثم طرحتها على النار . فأكلت ثم قلت له : هل عندك شيء أكتب
 لك فيه . قال : فجاءني بهذه القطعة الجلد ، وأخذت عودا من الرماد الذي
 كان بين يديه ، و قلت له اطرح على الرماد الماء ، فجبلته^٢ بالعود و كتبت
 له هذا الكتاب ، وأمرته أن يطينه ببقية الرماد المبلول و ختمت عليه
 بخاتمي ، وأمرته أن يجيء و يسأل [عن] الربيع و يدفعها إليه بعد أن
 عرفته أن هذا كتاب أمير المؤمنين . قال الربيع : فأملت الرقعة بعد
 أن استأذنته بفك ختمها ، فاذا فيها خمسمائة ألف درهم . فقلت :

(١) في الأصل : تادموا .

(٢) أي دعكته ، و في الأصل : بجفلاته - كذا .

يا أمير المؤمنين ! تعطيه خمسمائة ألف درهم فقال : والله يا ربيع لا نقصت منها درهما واحدا^١ ولو لم يكن في بيت المال غيرها حملوها معه . قال : فحملت مع الأعرابي ، فما كان إلا قليلا^٢ حتى كثرت إبله و غنمه ، و صار منزلا من المنازل تنزله الناس ممن أراد الحج من الأنبار إلى مكة .
شعر يشتمل على حجاج بيت الله النازلين ببطحاء مكة المشرفة - شرف ه
الله قدرها ! وهي هذه الآيات :

أيها الوفد انزلوا و أنيخوا و أضيفوا بأكرم الأكرمين
ملك يملك السماوات و الأرض جميعا و يملك العالمينا
وله الخلق و المشيئة و الأمر و ما لم تتروا و لم تعلمونا
أيها المعشر المهلون بالحج سلوه لن ترجعوا خائنين
أيها المحرمون لبوه شعنا إنكم في جواره آمنينا
/ ما تركتم من لذة و سرور فلدينا أضعاف ما تتركونا
أيها الطائفون بالبيت طوفوا فلكم منه تحفة القادمين
بالصفا نلتهم الصفا و بالمروة صارت ظنون قوم يقينا
أيها الصادررون من عرفات قد سفرنا بكم لكي تعرفونا
و كفاكم بعد التعارف قبحا تجحدون الوداد أو تنكروننا
أيها الواقفون لا أحجب الصوت و أفضى حوائج السائلينا
أيها اللامسون الحجر الأسود قبل الطواف مستسلمينا

(١) في الأصل : واحد .

(٢) في الأصل : قليل .

ذاك عهدى إليكم فاحذروا أن تنقضوا الطواف أو تغدرونا
فصلونا بالصدق منكم نصلكم واذكرونا إنا لكم ذاكرونا
ذكر تاريخ قدوم سيف السلطان الملك الأشرف شعبان
من القاهرة إلى الإسكندرية و نصب كرسى الملك بها
و غير ذلك من الواردات المستطردات^٥

و فى يوم الاثنين ثامن عشر جمادى الآخرة سنة تسع و ستين
و سبعمائة^٢ ورد سيف السلطان الملك الأشرف شعبان^٤ بن حسين بن
الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون من القاهرة إلى الإسكندرية،
فكان لدخوله الإسكندرية يوم مشهود^٥، فلقاه ملك الأمراء سيف الدين
١٠ أسنبغا بن البوبكرى و الأمراء المجردون بها و الحجاب الثلاثة المتقدم
ذكر أسمائهم، و هم صلاح الدين بن عرام و بهاء الدين أصلان و بكتمر
العمرى، ثم قضاة القضاة و هم قاضى القضاة كمال الدين الرينى المالكى
و قاضى القضاة شهاب الدين الحلبي الحنفى و نوابها، و اصطفت الناس
بالمحنة العظمى لدخول سيف السلطان المذكور، فكان خازندار

(١) فى الأصل : تنقضون .

(٢-٢) هذا العنوان وارد بمطلع النص .

(٣) يقابل هذا التاريخ ٨ فبراير سنة ١٣٦٨ م .

(٤) سلطنته ٧٦٤ - ٧٧٨ / ١٣٦٣ - ١٣٧٦ م .

(٥-٥) فى الأصل : يوما مشهودا .

ملك الأمراء لابس الخلعة و السيف السلطاني على عاتقه الأيمن ، قابضا على قبضته يده اليمنى ، و ملك الأمراء يحجب السيف ، و قضاة القضاة الواحد عن يمينه ، و الآخر عن يساره ، و الأمراء تحجب ملك الأمراء ، و الشاوشية تصرخ ، و الشباب تزعق ، و الخلق يموجون / من كثرتهم ،

١٨٩/ب

و ذلك بعد أن وضع كرسى الملك بايوان دار الإمارة الجديد العمارة . ٥
و هذا الإيوان المذكور عمره ملك الأمراء المذكور ، و قد فرش الكرسى بفرش الحرير ، و وشح أيضا بشقاق الحرير الملونة ، و علق السيف السلطاني بصدر الكرسى ، و جلس ملك الأمراء تحت الكرسى و جلست القضاة عن يمينه ، و جلست الأمراء بمجالسهم اللائقة بهم ، و انتصب الحجاب و الجند قياما^١ على أقدامهم ، و زعقت^٢ الشباب ، و صرخت ١٠ الشاوشية ، و مد السباط ، فأكلت الأمراء من تلك الموائد المنصوبة بقدر أكل الطائر ، و رفع السباط لأرباب الوظائف المعتادين لأخذه ، إذ ليس الحظ من موائد الملوك [كثرة الأكل عليها ، بل للرتبة التي يرفع إليها و ينخص بها ، كما قيل موائد الملوك^٣] للشرف ، لا للعلف . فقد كانت ملوك الفرس إذا رأوا رجلا شرها في هذا الحال على الطعام ، ١٥

(١) في الأصل : قيام .

(٢) في الأصل : زعقة .

(٣) العبارة المحجوزة ساقطة من الأصل و وردت بهامشه بقلم المصحح المراجع .

(٤) في الأصل : رأت .

أخرجوه من طبقة الجد إلى باب الهزل ، و من باب الإعظام إلى باب الاستخفاف^١ .

ألا يرى أن أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان حين قدم بين يدي عظماء العرب الموائد عليها الأدجة^٢ ، ففك أحدهم دجاجة وأنهم^٣ في أكلها ، فنظر إليه معاوية فقال : هل بينك وبين أمها عداوة ؟ فقال له العربي : فهل كان بينك وبينها قرابة ؟ فهذا الكلام الذي دار بينهما قد قدح في قلب كل واحد منهما ، ولم يقل معاوية هذا لأنه كان يعظم عليه قدر الدجاجة ، وكيف يكون ذلك وهو يكتب^٤ إلى عماله في سائر أعماله باطعام السابلة^٥ و الفقراء و ذوى الحاجات^٦ و له كل يوم أربعون مائة يقسمها وجوه أهل الشام . و لكن علم أن من حق الملوك توقير مجالسهم و تعظيمهم ، و ليس من التوقير كثرة حركة اليد ، و شدة النهم ، و طلب الشبع بحضرتهم - انتهى .

[في آداب المائدة و موضوعات أخرى - ٦]

فلنذكر الآن سماطا عمل لبعض الملوك إن شاء الله تعالى - و هو

- (١) في الأصل : الاستحقاق .
- (٢) جمع دجاجة ، و لم نظفر بهذا الجمع ، و جمعها : كجاج و دجاج و دجاجج .
- (٣) كذا في الأصل ، و لعله : نهم .
- (٤) في الأصل : يكتب - كذا .
- (٥) في الأصل : السايبة . و السابلة هم أهل السبيل .
- (٦) ليس بالنص أو الهامش ، و هو باب يشمل متفرقات و حكايات في شتى الموضوعات .

أن سيف الدولة صدقة ممدوح أبي يعلى^١ بن الهبارية بكتابه «الصادح و الباغم»، عمل سماطا للسلطان / جلال الدولة أبي القتح ملك شاه^٢.
فاشتمل ذلك السماط على ألف رأس من الغنم و مائة من الجمال و الخيل و غيرها، و دخله عشرون ألف من^٣ من السكر، و جعل عليه من أنواع الطيور و الوحوش المنفوخة من السكر شيء كثير. فتناول السلطان منه شيئاً يسيراً، ثم أشار فانتهب عن آخره.

ثم انتقل من ذلك المكان إلى سرادق عظيم له لم ير مثله من الحرير، و فيه خمسمائة قطعة من فضة و ألوان من تماثيل الندى و المسك و العنبر و غير ذلك. فمد فيه سماطاً خاصاً، فأكل السلطان حينئذ، و أمر بأن يحمل إلى سيف الدولة صدقة عشرون ألف دينار و انصرف.

١٠ -

و يقال إن سابور^٤ أحد أكاسرة الفرس لما مات 'موبدان موبدان' -

(١) في الأصل: أبي العياش، و التصحيح من كشف الظنون، و فيه: «الصادح و الباغم» منظومة على أسلوب كلية و دمنة في ألفي بيت لأبي يعلى محمد بن محمد المعروف بابن الهبارية الهاشمي العباسي البغدادي... نظمه للأمير سيف الدولة أبي الحسن صدقة بن دبيس.

(٢) خلف الب أرسلان من سلاطين السلاجقة و حكمه ٤٦٥ - ٤٨٥

١٠٧٢ - ١٠٩٢ م

(٣) في الأصل: منا.

(٤) عود ذو رائحة طيبة يتبخر به.

(٥) ربما كان المقصود سابور الأول و حكمه ٢٤١ - ٢٧٢ م.

تفسيره بلغة الفرس قاضى قضاتهم - وصف له رجل من كورة إصطخر^١ يصلح لذلك لما فيه من العلم و الأمانة ، فوجه إليه ، فلما قدم و دخل عليه دعا بالطعام و ندبه إليه ، فدنا و أكل معه ، و أخذ سابور دجاجة فنصفها ، و وضع نصفها بين يدي الرجل و نصفها بين يديه ، ثم أوما إليه أن كل من هذه ، فأقبل الرجل يأكل ففرغ من نصفها قبل فراغ سابور ، و مد يده إلى طعام آخر ، و الملك يلحظه . فلما رفعت المائدة ، قال له الملك : ودع و انصرف إلى بلدك ، فان آباءنا و أسلافنا من الملوك كانوا يقولون « من شره بين يدي الملوك إلى الطعام ، فانه إلى أموال الرعايا و البيتمى و السوق أشد شرها ، و لم يوله سابور بأن أحضره له^٢ و صرفه .

وقال العلماء : ينبغي للرجل أن لا ينهم في الأكل و يكثر منه ، فما ملاء ابن آدم و عاء شرا من بطن ، بل يجعل ثلث بطنه للطعام ، و ثلثه للماء ، و ثلثه للنفس .

وسئل مالك عن الجبار^٣ يأكل وهو واضع يده اليسرى على الأرض ، فقال : إني لأتقيه و أكرهه و ما سمعت فيه شيئا .

قال القاضى أبو الوليد : إنما كرهه لما فيه من معنى الاتكاء و إن كان لم يسمع فيه نهى / يخصه ، و لياكل الآكل يمينه ، و يشرب يمينه ، و يأكل مما يليه إلا أن يكون الطعام ألوانا مختلفة . و رخص الشيخ

(١) إصطخر - انظر حاشية سابقة .

(٢) العبارة كذا في الأصل .

و مضمونها واضح في صرف ذلك الرجل .

(٣) في حديث الأكل بمثل هذه الهيئة : لم يجعلنى جبارا ، عنيدا - راجع الأطعمة من سنن أبي داود و ابن ماجه ، و في الأصل : الحما... كذا .

أبو الوليد أن يتعدى ما يليه ، وإن لم يكن ألوانا إذا كان مع أهله و ولده ، إذ لا يلزمه أن يتأدب معهم و يلزمهم أن يتأدبوا . وإذا كان جماعة فأدير عليهم ما يشربون من لبن أو ماء أو غيره ، فليأخذ بعد الأول الأيمن فالأيمن . و ينبغي للرجل إذا أكل مع قوم أن يأكل مثل ما يأكلون من تصغير اللقم و إطالة المضغ و الترسل في الأكل ٥ و إن خالف ذلك عادته ، و لا ينفخ في طعامه أو شرابه ، و لا يتنفس في الإناء ، و لكن ينحيه عن فيه ، فإذا تنفس أعاده كما جاء في الخبر ، و لا بأس بالشرب قائما ، و من أكل ثوما نيئا فلا يقرب المساجد ، و كذلك إن أكل البصل أو الكراث ، و إن كان يؤذى مثله قياسا على الثوم ، و يغسل يديه من الدسم .

١٠

و الدعوات خمس : الأولى وليمة النكاح و يؤمر باتيانها إلا من عذر ، و الثانية ما يفعلها الرجل للخاص من إخوانه و جيرانه على حسن العشرة و إرادة الألفة و يستحب إتيانها ، و الثالثة ما سوى ذلك مما يفعل على جرى العادات دون مقصود مذموم كالخرس و هو طعام الولادة ، و العقيقة و هو اسم للشاة التي تذبح عن المولود يوم سابعه ، و الإعذار ١٥ و هو طعام الختان ، و الوكيرة و هي الطعام لبناء الدار ، و النقيعة و هو الطعام للقادم من السفر - و كل ذلك جائز إجابته ، و الرابعة ما يقصد به مذموم من التطاول و ابتغاء المحمدة ، الشكر و ما أشبه ذلك فلا ينبغي إجابتها لا سيما لأهل الفضل و الهيئات لأن إجابتهم إلى مثل / هذه الأظعمة إضاعة للتصاون و إخلاق للهيئة عند دناءة الناس و سبيل ٢٠ / ٩١ الف

(١) في الأصل : سبيلا .

لإذلال أنفسهم فقد قيل « ما وضع أحد يده في قصة أخيه إلا ذل له » ،
الخامسة ما يفعله الرجل لمن يحرم عليه قبول هديته كأحد الخصمين
للقاضي فهذا يحرم إجابته .

و لآكل الطعام فرائض و سنن و مكارم و آداب ، ففرائض التسمية
٥ في أوله ، و الحمد و الشكر في آخره ، و معرفة ما أطعمك الله تعالى ،
و لتأكل باليمنى . و أما سننه فاتكاؤك على فخذك الأيسر ، و الأكل بثلاث
أصابع ، و لتأكل مما يليك ، و لتلق أصابعك من أثر الطعام . و أما المكارم
و الآداب فغسل اليدين قبل الأكل و بعده ، و تصغير اللقمة ، و تطويل
المضغعة ، و قلة النظر إلى جليسك ، و السكوت حين الأكل ليأخذ كل
١٠ عضو من الطعام حقه منه .

و سئل مالك عن قوله تعالى ' ' و لا تنس نصيبك من الدنيا و احسن
كما احسن الله اليك ' ' فقال : أن يعيش و يأكل و يشرب غير مضيق
عليه و يتجمل باللباس . قال أبو الوليد و قد شرع في الصلاة : التجمل
و حسن الزى و الهيئة و منع الاحتزام و تشمير الكمين و ما جرى مجرى
١٥ ذلك مما ينافي الوقار ، و لذلك شرع في أيام الجمع التجمع باللبس
و التطيب لاجتماع الناس ، و كذلك في الأعياد . و ينبغي لأهل العلم أن
يكون زيهم حسنا . روى « إن الله جميل يحب الجمال » ، و ينبغي للرجل العالم
التجمل و التطيب لأنه يجتمع إليه الناس و يردون عليه ، فشرع له التجمل

(١) قرآن كريم سورة ٢٨ آية ٧٧ .

(٢) كذا في الأصل و لعله : التجمل .

في الملبس دون أن يخرج من عادة مثله - انتهى .

نعود إلى ما قيل في عدم الأكل عند الأكاير و الإكثار و الإقلال

منه - كان أمير المؤمنين المنصور^١ أحد خلفاء بني العباس يأكل يوما ،

فدخل عليه / بعض قتيان بني هاشم ، فدعاه إلى الطعام ، فقال : إني شبعان ،

فلما خرج عدل به الربيع بن يونس^٢ الوزير إلى ناحية من الدار فضربه ٥

عشرين مفرقة ، فشكا ذلك إلى أهله ، فغدوا على أمير المؤمنين أبي جعفر

المنصور ، فعرفوه بما جرى من الربيع . فقال : إن شئتم فاسألوا^٣ الربيع ، فما

أراه ضربه لغير واجب . فسألوه فقال : يا أمير المؤمنين ! دعوته إلى طعامك ،

فقال : إني شبعان ، فظن أن موائد الملوك إنما يجلس عليها لطلب الشبع

و إطفاء النهم ، و جهل ما في ذلك من شرف المنزلة و علو المرتبة فأدبته . ١٠

فقال لهم المنصور : قد عرفتم أن الربيع لم يكن ليضربه إلا لأمر

أوجب أدبه .

قيل لسمره بن جندب أن ابنك أكل طعاما كثيرا كاد يقتله .

فقال : لو مات ما صليت عليه .

سأل أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان^٤ أبا الزعزعة فقال له : ١٥

(١) خلافته ١٣٦ - ١٥٨ هـ / ٧٥٤ - ٧٧٦ م .

(٢) حياته ١١٢ - ١٧٠ هـ / ٧٣٠ - ٧٨٦ م استوزره الخليفة المنصور و بعده

المهدي والهادي .

(٣) في الأصل : فسألوا .

(٤) في الأصل : و جعل .

(٥) الخليفة الأموي و خلافته ٦٥ - ٨٦ هـ / ٦٨٥ - ٧٠٥ م .

هل اتخمت قط؟ قال: لا. قال: وكيف؟ قال: لأنى^١ إذا طبخت أنضجت، وإذا مضغت دقت، ولا^٢ كظ^٢ المعدة ولا أخليها.

قيل لرجل: ما أسمنك؟ وإنك لحسن السحنة، قال: آكل لباب البر بصغار المعز، وأدهن بخالص البنفسج، وألبس الكتان. وقيل لرجل: ما أسمنك؟ قال: قلة الفكرة، وطول الدعسة، والنوم على الشبع.

قعد أعرابي على مائدة المغيرة بن شعبة، فجعل ينهش اللحم، ويتعرق العظم، فقال: يا غلام! ناوله سكيناً. فقال الأعرابي: كل امرئى سكينه فى رأسه، أنيابه و من وراء أضراسه. وقيل لأعرابي: ما لكم تأكلون اللحم و تدعون الثريد؟ فقال: لأن اللحم طاعن و الثريد مقيم، و أكل أعرابي عند ذى اليميين فأقلل فقال له: إن الطعام كثير فخذ بحظك منه. فقال: إن الإقلال من الطعام، يعين الكرام، و ينشط الهبوب / من المنام، و تدوم معه سلامة الأجسام.

حكى أن الحجاج أصبح جائعاً فقال لجلسائه: ما خير الغذاء؟ فقال ابن القرية: بواكره أيها الأمير! قال: ولم ذلك؟ وهل هو كذلك؟ هو فى أران. قال: إن كان الزمان شتاء فلطول الليل و هضم المعدة للطعام، و إن كان صيفا فلبرد الماء و قلة الذباب.

(١) فى الأصل: لأن.

(٢) فى الأصل: اكض - كذا بالضاد.

عزم بخيل^١ على جحظة الشاعر ، فانهزم معه ، فقدم له طعاما ، فصار
 جحظة ينهم في الطعام ، ويشره في الأكل ، و ذلك البخيل يرمقه و قد
 تفتت كبده لكثرة أكله ، و إنه خلع رجل دجاجة كانت على المائدة ،
 فقام البخيل لجحظة و جر رجلاه غيظا منه ، فلما شبع جحظة من طعام
 ذلك البخيل و فهم عنه ما كان يصنع من تغيير وجهه و تقطيعه و شتمه
 لعبدته ، و جره لرجله ، أنشأ يقول :

لنا صاحب من أبرع الناس في البخل

و أفضلهم فيه و ليس بذي فضل

دعاني كما يدعو الصديق صديقه

١٠ فجئت كما يأتي لأمثاله مثلي

فلما جلسنا للغداء رأيتـه

يرى أن ما بين أعضائه أكل

و يغضب أحيانا و يشتم عبده

فأعلم أن الغيظ و الشتم من أجل

١٥ أمد يدي شزرا لآكل لقمة

فيلحظني شزرا فأعبث بالقل

إلى أن جنت كفي لحيني دجاجة

فجر كما جرت يدي رجلاها رجلي

و قد تغفل بنا الكلام ، و تسلسل و تشعب إلى أن أخرجنا مما كنا فيه

(١) في الأصل : بخيلا .

(٢) في الأصل : كما .

من نصب كرسى الملك بالإسكندرية . فلنذكر ما قيل فى الكرسى إن شاء الله تعالى .

[فى الكرسى - ١]

قال اللغويون : الكرسى من تراكب الشيء بعضه على بعض .
 ٥ و تكارس الشيء - إذا تراكب ، و منه الكيرس - بعضه فوق بعض
 و منه الكراسية - لتراكب^٢ بعض أوراقها فوق بعض . و العرب يسمون
 أصل كل شيء الكرسى . و لأن الملك يجلس على الكرسى ، فسمى الملك
 باسم مكان الملك . و الكرسى هو الشيء الذى يعتمد عليه ، و منه
 يقال للعلماء : كراسى ، / لأنهم الذين^٣ يعتمد عليهم ، كما يقال لهم :
 ١٠ أوتاد الأرض . و الكرسى عبارة عما يقعد عليه القاعد و لا يفضل
 عن قعوده شيء .

٩٢/ب

و قيل فى قوله تعالى^٤ : "وسع كرسية السموات و الأرض" المراد
 به فى الآية هو العلم ، و هذا من تسمية الشيء بمكانه ، لما أن كان الكرسى
 يكون عليه العالم و يقرأ عليه العلم ، أطلق على علم الله تعالى كرسى .
 ١٥ و قيل الكرسى المراد به فى الآية الملك ، و هذا أيضا من تسمية الشيء
 بمكانه ، لما أن كان الحاكم يجلس على الكرسى ، أطلقه على حكم الله تعالى .

(١) العنوان مشتق من النص .

(٢) فى الأصل : لتركب .

(٣) فى الأصل : الذى .

(٤) قرآن كريم - سورة ٢ آية ٢٥٥ .

وقيل المراد به في الآية - [العرش ، و العرش أكبر منه ، و يدل على ذلك الحديث . قال صلى الله عليه وسلم : ما السماوات السبع] و الأرضون السبع - [في الكرسي إلا كحلقة ملقاة في فلاة من الأرض ، و في بعضها إلا كالدراهم السبعة ملقاة في ترس ، و ما السماوات السبع و الأرضون السبع و الكرسي في العرش إلا كحلقة ملقاة في ٢ الأرض - ٥ و في بعضها : إلا كشعرة بيضاء في بعر أسود .

و كراسي الجنة منصوبة فيها لأولياء الله و أهل صفوته و أحبائه من خلقه ، و المنابر فيها منصوبة لأنبيائه عليهم السلام . جعلنا الله تعالى من أهل الجنة بمنه و كرمه ، آمين .

و كان في بني إسرائيل رجلٌ من خيارهم قد اجتهد في عبادة ربه ، و زهد في دنياه و أزالها عن قلبه . و كان له زوجة مساعدة له على شأنه . مطبعة في كل أوانه ، و كانا يعيشان ٥ من طبق الأطباق و المراوح ٦ ، يعملان النهار كله ، فإذا كان في عشية النهار ، خرج الرجل بما يعملانه في يده ، و مشى به على الأذقة و الطرق يلتمس مشتريا يبيع له ذلك ،

(١) العبارة المحجوزة ساقطة من النص و أضيفت في الهامش بقلم المراجع .
(٢) لعله سقط من هاهنا « و الأرضون السبع . - و يدل على ذلك سياق الحديث فيما بعد .

(٣) كذا في الأصل ، و ربما كانت « في فلاة من الأرض » .

(٤) في الأصل : رجلا .

(٥) في الأصل : يعيشا .

(٦) المقصود جدل الأطباق و المراوح أي من الخصوص - و في الأصل : المرواح - و هو خطأ قلبي ، انظر ما بعد .

و كانا يديمان الصوم ، فأصبحا في يوم صائمين ، و عملا يومها ذلك ،
 فلما كان عشية النهار ، خرج و بيده مراوح يطلب من يشتريها ، فر
 ياب أحد أهل الثروة و أهل الرفاهية ، و كان الرجل حسن الوجه جميل
 الصورة ، فرأته امرأة صاحب الدار ، فتعشقتة و مال قلبها إليه ميلا
 ه شديدا ، و كان زوجها مسافرا ، فدعت جاريتها و قالت ^١ : لعلك أن
 تتحيلين في دخول هذا الرجل عندنا في هذه الليلة ، فاني قد ملت إليه
 بكليتي . فخرجت الجارية إليه ، و دعتة لأن تشتري منه ما بيده ، و قالت :
 ادخل و اقعد في الدهليز ، فان سيدتي تريد أن تشتري من هذا شيئا
 / حتى تتخير منه و تنظر إليه . فتخيل للرجل أنها صادقة في قولها ، و لم يربه ^٢
 ١٠ بأسا فدخل ، فلما حصل في الدهليز غلقت الجارية الباب ، و خرجت
 سيدتها فجذبتة و أدخلته الدار مكرها ، و قالت : كم لي أطلب قربك ،
 و قد عيل صبري من أجلك ، و هذا البيت خال ^٣ ، و الطعام حاضر ^٤ ،
 و أنا قد وهبت نفسي لك ، و كم طلبني من الرؤساء و أرباب الدنيا فلم أرفع
 على أحد منهم ، و زادت و نقصت في كلامها ، و الرجل لا يرفع
 ١٥ رأسه إليها حياء من الله تعالى ، و خوفا من عقابه ، فطمع أن يكف
 نفسه منها . فقال : إن كان و لا بد من مطاوعتك أريد منك شيئا . قالت :
 و ما هو ؟ قال : ماء طاهرا و أصعد به إلى أعلى دارك أصنع به أمرا

(١) في الأصل : قال .

(٢) في الأصل : لم يريه .

(٣) في الأصل : خاليا .

(٤) في الأصل : حاضرا .

و أغسل به درنا لا يمكنى أن أطلعك عليه . فقالت : الدار متسعة
 ولها خبايا وزوايا . قال : ما غرضي إلا الارتفاع . فقالت لجارتها :
 اصعدى به إلى المنطرة العليا من الدار . قال : فصعدت به إلى أعلى
 موضع في الدار ، و وضعت له الإناء بالماء ، و نزلت عنه ، فتوضأ و صلى
 ركعتين . ثم علا على سطح المنطرة ، و نظر إلى الأرض ، فرآها بعيدة ،
 و خاف أن لا يصل إلى الأرض إلا و قد تمزقت أشلاؤه ، ثم تفكر
 في مشيئة الله تعالى و عذابه ، و ألم عقابه ، فهان عليه بذل نفسه ، و سفك
 دمه . و قال : إلهي و سيدي و مولاي قد ترى ما نزل بي ، و لا يخفى
 عنك حالي ، و بذل نفسي في نيل رضاك يسير ، و أنت على نجاتي قدير .
 ثم رمى بنفسه من أعلى المنطرة ، فبعث الله تعالى له ملكا التقفه على
 جناحه و أنزله سالما ، فلما حصل في الأرض ، حمد الله تعالى ، و أثنى
 عليه على ما أولاه من عصمته ، و أناله من رحمته ، و صار دون شيء
 إلى زوجته . و كان قد أبطأ عنها ، فدخل دون شيء معه يتعشيان به .
 فسألته عما خرج به في يده / من ثمن المراوح ، فأخبرها بما عرض له
 من الفتنة ، فقالت : الحمد لله على ما أزال عنك من المحنة . ثم قالت :
 إن الجيران تعودوا منا أن نضرم نارا في كل ليلة ، فان رأونا الليلة
 دون نار ، علموا أننا دون شيء ، و من شكر الله تعالى كتمان ما نحن فيه
 من الخصاصة ، و نصوم هذه الليلة باليوم الماضي ، و قيامها لله تعالى .
 و قامت إلى التنور و ملأته حطبا لتغالط الجيران ، و أضرمته نارا ،
 فتوضأ جميعا ، ثم قاما إلى الصلاة . فاذا بامرأة من الجيران تستأذنها .

(١) في الأصل : قل .

في أن توقد من نارها . فقالت لها المرأة : شأنك و التنور ! فلما دنت
 المرأة من التنور نادتها : يا فلانة ! أدركي خبزك قبل أن يحترق .
 فقالت لزوجها : أسمعت ما تقول هذه المرأة ؟ فقال : سيري و انظري .
 فسارت المرأة إلى التنور ، فاذا التنور قد امتلأ خبزا نقبا أبيض .
 ٥ فأخذت المرأة الأرعفة ، و دخلت على زوجها و هي تشكر الله على ما
 أذلى من الخير العميم ، و المن الجسم . فأكلا من الخبز ، و شربا من الماء ،
 و شكرا لله تعالى . ثم قالت المرأة : تعال فلندع الله تعالى ، عسى [أن]
 يغنيننا عن كد العيش ، و يعيننا به على عبادته ، و القيام على طاعته . قال
 لها : نعم ، فدعا الرجل ربه ، و أمنت الجارية على دعائه . فاذا سقف
 البيت قد انفرج ، و نزلت منه ياقوتة أضواء البيت من نورها ، فسرا
 بتلك الياقوتة سرورا عظيما ، و صليا ما شاء الله تعالى . فلما كان آخر
 الليل ناما ، فأتت المرأة كأنها دخلت الجنة ، و رأت منار كثيرة
 مصفوفة ، و كراسي منصوبة . فقالت : و ما هذه المنابر ؟ فقيل لها منار
 الأنبياء . فقالت : و ما هذه الكراسي ؟ فقيل لها : كراسي الصديقين
 ١٥ و الصالحين . فقالت : و أين كرسى زوجى فلان ؟ فقيل لها : هذا ،
 فنظرت فاذا فى جانبه ثلثة . / فقالت : و ما هذه الثلثة ؟ فقيل لها : هى
 موضع الياقوتة النازلة عليكما من سقف بيتكما . فانتبهت المرأة من نومها
 و هى باكية العين ، حزينة القلب على نقص كرسى زوجها ، و ثلثه بين
 كراسى الصديقين ، فقالت له : أيها الرجل ! ادع ربك أن يردها إلى
 ٢٠ موضعها ، فمكابدة الجوع و المسكنة فى الأيام القلائل ، أهون من ثلم

كرسيك بين أصحاب الفضائل . قال : فدعا الرجل ، فاذا الياقوتة قد طارت صاعدة إلى السقف وهما ينظران إليها ، وما زالا على فقرهما^١ ، وكثرة عبادتهما ، حتى لقا الله تعالى .

وقال وهب بن منبه : إن كرسى سليمان عليه السلام اتخذه له صخر الجنى ، وكان من أنياب الفيلة^٢ ، وقوائمه من الذهب . وركب^٣ فيه صخر من الصور والتماثيل وجميع ما يدب على وجه الأرض ، فكان سليمان يجلس عليه . ثم أمر سليمان باتخاذ^٤ اثني عشر ألف كرسى من العاج والأبنوس والصندل محلاة بالذهب الأحمر . فكانت هذه الكراسى لمن يكون بين يديه . وكان الكرسى الذى وضعه له صخر الجنى يجلس عليه إذا وفدت عليه ملوك الأرض . وكان الكرسى^٥ الذى يخطب عليه ويحكم بين الناس اسمه كوكب الجنة . كان له عارضتان من الذهب ، ودرج من الياقوت الأحمر واللؤلؤ والزبرجد ، وكان فيه كل أولوة بقدر بيض النعام . وكان صخر الجنى قد أحدث فيه عجائب وركب فيه غرائب ، وذلك أنه ركب فى أول مرقاة من مراقبه كرمة قضبانها من الذهب ، وورقها من الزبدجد^٥ ، وعناقيدها من الجواهر على مثال العنب من سائر الألوان ، وركب على جوانب الكرسى نخيلا من ذهب سعتها من زبرجد أخضر عليه جوهر على مثال

(١) فى الأصل : فقرهما .

(٢) فى الأصل : الأنيلة .

(٣) فى الأصل : اثنا .

(٤) فى الأصل : عارضتين .

(٥) فى الأصل : الزجد - كذا .

الرطب، وركب على النخيل / طواويس و نسور و عقبان مجوفة تدخل الرياح في أجوافها فتصفر صفيرا حسنا، وركب على المرقاة الثانية من الكرسي أسدين عن يمين المرقاة و عن شمالها، وكذلك سائر مراقي الكرسي عليه أسود و طواويس من الذهب محشوة مسكا و عنبرا مسجوقا . فكان سليمان إذا صعد المرقاة الأولى^١، نشرت العقبان و النور و الطواويس أجنحتها، و إذا صعد^٢ المرقاة الثانية مدت الأسود أعناقها نحوه، و إذا صعد المرقاة الثالثة سبحت الوحوش و الطيور و الهوام، و إذا صعد المرقاة الرابعة و الخامسة و السادسة و السابعة دار الكرسي بما عليه من وحوش الذهب و الطيور . و يجلس سليمان، فإذا جلس نفخت النور ١٠ و الأسود و الطواويس ما في أجوافها من المسك و العنبر المسحوق على رأس سليمان . ثم تدنو منه حمامة^٣ مصورة من الذهب و في منقارها صحيفة من فضة فيها آيات من الزبور، فيقرأها سليمان على بني إسرائيل . فكان إذا جلس للحكم و حضر الحصان، أخذت الأسود تزار، و تخفق الطيور بأجنحتها، فيظهر لسليمان من الهيبة ما يدهش الخصم، فلا يتكلم ١٥ إلا بالحق . و كان مع ذلك الملك يصعد لسليمان من العمل الصالح في يومه و ليلته ما لا يصعد مثله لأهل الأرض من بكاء و خشوع و شكر و عبادة . و كان سليمان عليه السلام تطيعه الجن، و من تمرد عليه منهم سجنه في القاقم، و ختمها بالرصاص، و ألقاها في البحر . و فرق سليمان المردة من الجن في الأثقال المختلفة من الحديد، و أمر نساءهم أن يغزلن الإبريسم^٤

(١) في الأصل: الأوله . (٢) في الأصل: صعدت .

(٣) في الأصل: جماعة . (٤) عن الإبريسم، انظر فيما سبق ج ٣ ص ١١٣ .

والشعر والقطن ونسيج البسط والتصاوير والتماثيل ، وأمرهم باتخاذ
القدور الراسيات والجفان التي كالجواب ، يأكل من كل قدر ألف أنسان .
واشتغل طائفة منهم بالغوص في البحر وإخراج الأصداف والجواهر
وجميع الأصناف المختلفة الألوان ، وأمر بعضهم بحفر الأنهار والآبار ،
وبعضهم باستخراج الكنوز من تحت الأرض ، وبعضهم / في عمل ٥ ٩٥ / الف
السروج . وأمر بعضهم بلزوم الخيل الصعاب ، وقال : كما يصلح المهماز
للفرس والرسن للحمار ، كذلك يصلح القضيب لظهور الجمال .
وفي مشور الحكم من لم يصلح باللين . أصلحه التلين ، ومن
لم يعتدل عدل .

وكان لسليمان عليه السلام موائد منصوبة على طول الزمان للغرباء ،
وله خمسون^٢ ألف طباخ ، مع كل طباخ شيطان يعينه على سلخ البقر
والغنم واحتطاب الحطب ، ورتب في كل مخبز ألف خباز . وقيل إنه
كان يذبح في كل يوم بمطبخه من الإبل والبقر والغنم ثلاثين ألف رأس .
وكانت الموائد منصوبة لطعام الناس ، فقيرهم وغنيهم وكبيرهم وصغيرهم .
وقال وهب بن منبه . بينما سليمان عليه السلام سائر بساحل البحر ، والريخ ١٥
من تحته ، والإنس عن يمينه ، والجن عن شماله ، والطير فوقه تظله ،

(١) في الأصل : الجهال - كذا .

(٢) في الأصل : خمسين .

إذ نظر إلى تطفط^١ أمواج البحر، فرأى^٢ قبة تضربها الأمواج في لجة البحر،

فأمر الجن بالإتيان بها إليه . فلما وضعت القبة بين يديه ، انفتح لها بابان ،

فخرج من القبة شاب حسن عليه ثياب بيض ، وكان رأسه يقطر ماء .

فقال له سليمان : يا قتي ! من الجن أنت أم من الإنس ؟ فقال : لا بل من

الإنس . قال : فتعجب سليمان من حسنه و مكانه الذي هو فيه ، فقال له :

ما بلغ بك ما أرى من سكنك هذه القبة ، و القبة تمشي بك على وجه الماء ؟

فقال : يا نبي الله ! كانت لي والدة ، و كنت أبر الناس بها ، أطعمها و أسقيها

بيدي ، و لا أترك شيئاً من صنائع البر إلا صنعت بها ، فلما أدركتها الوفاة ،

سألته أن تدعو الله عز و جل لي . قال : رفعت رأسها إلى السماء و قالت :

١٠ يا رب ! قد عرفت بر و لدي بي فارزقه العبادة في موضع لا يكون لإبليس

و جنوده عليه سبيل . قال : تم ماتت لوقتها ، فلما خرجت أتمشى على

ساحل هذا البحر ، إذا أنا بهذه القبة على وجه الماء إلى جانب الساحل ،

ففتحت أبوابها لي ، فدعتني نفسي إلى الدخول إليها / لأنظر ما فيها ، فلما

٩٥ / ب

دخلتها انطبقت^١ على أبوابها . و تراحت الأمواج عليها ، دخلت بي البحر ،

١٥ فكان آخر العهد بي يا نبي الله ! فقال له سليمان : فأخبرني يا عبد الله من

أين مطعمك و مشربك ، فقال : إذا جاء الليل جاءني طائر أخضر في منقاره

(١) أي حركة الأمواج العالية .

(٢) في الأصل : إذ رأى .

شيء أيضاً ، يدخل إلى من طاقة بأعلى القبة ، فيدفعه إلى ، فهو يعصمني
من الطعام و الشراب ، فقال له سليمان : فهل لك في صحبتنا ؟ قال : لا
يا نبي الله ! أريد أن تاذن لي أن أدخل قبتي ، أختلي في خلوتي ، لأنني
قد آنست بها . فأذن له فدخلها ، فحينئذ انطبقت عليها أبوابها ، وزخرت
عليها الأمواج ، فدخلت بها البحر . فعجب سليمان من أمر الفتى ، وسارت
به الريح إلى حيث أراد الله - انتهى .

نعود إلى ذكر صفة كرسى يوسف الصديق عليه السلام ، و دخول
إخوته إليه و هو جالس عليه إن شاء الله تعالى - و ذلك أن إخوة يوسف
لما أتوا من أرض كنعان حين القحط بسبب شراء الطعام من خزائن
يوسف التي خزنها^١ في سني^٢ الخصب بسبب سني^٣ الجذب ، و أعلم يوسف
بقدومهم ، لبس أحسن ثيابه ، و قعد على كرسى ملكه ، و كان طول كرسيه
ثلاثين^٤ ذراعا و عرضه عشرة أذرع ، و هو من ذهب مرصع بالدر^٥
و الجواهر و الياقوت ، قد ضرب عليه ... ثم أرخى على وجهه برقعا من

(١) في الأصل : الذي خزنه .

(٢) في الأصل : سنين .

(٣) في الأصل : ثلاثون .

(٤) في الأصل : بالدر .

(٥) موضع النقاط في الأصل : اكله من استبرق . - وهو ما لا يؤدي أي معنى ، =

الدياج منظوما بالجواهر والآلي ، يرى الناس من داخله ، ولا يرى هو من ظاهره . و أقام على يمينه ألف جارية بزيتهن و حليهن ، وعلى يساره مثلهن بأيديهن أعمدة الذهب والفضة . ثم أمر قواده أن يلبسوا^١ دروعهم ، ويحضروا^٢ أجنادهم و جموعهم ، ففعلوا ذلك ، و صفوا صفوفاً ركباناً على يمين الكرسي ويساره . و أمر الرجال و الغلمان ، فصفوا من خلف الفرسان ، بأيديهم / الحراب و المقامع ، و أظهروا زينة لم يرقط مثلها . فلما دخل إخوة يوسف عليه ، رأوا ملكاً جليلاً ، و أمراً عظيماً ، ذا هيبة و وقار ، و نظروا الرجال و الفرسان ، و القهارمة و العبدان ، و الجوارى و الوصائف ، و الحللى و الحلل ، و الهيبة و الخول ، و الأستار و الكلل ، فرأوا ما لم يروه . قبل ، و لا سمعوا به فى الزمان . فسلموا عليه بتحية الأنبياء ، و أقاموا وقوفاً قد طأطأوا الأعناق ، و نكسوا الرؤوس و غضوا الأحداق ، كل ينتظر ما يؤمر به و يحكم فيه . و جعل يوسف ينظر إليهم و يتأملهم واحداً بعد واحد ، و يعرفهم بأسمائهم ، و يراهم من حيث لا يرونه^٥ ، و يطيل النظر

٩ / الف

= رأينا الأنسب ترك مكانها بياضاً .

(١) فى الأصل : قياده .

(٢) فى الأصل : تلبس .

(٣) فى الأصل : يحضرون .

(٤) فى الأصل : دخلوا .

(٥) فى الأصل : لا يروه .

إليهم . فلما كان بعد ساعة ، قيل لهم اعتزلوا حتى يفرغ الملك لكم ، فخرجوا إلى موضعهم الذي أمر يوسف قهرمانه أن ينزلهم فيه و يطعمهم و يكرمهم . فحينئذ وقعت التهمة عندهم ، و تشوشت خواطرهم من نظره إليهم ، أكثر ما كان ينظر إلى غيرهم . فقال يهوذا : يا إخوتاه ! إنه كان ينظر إلينا نظرا لم ينظره لغيرنا ، فاما أن يكون نظره إلينا على جهة الغبطة لنبوة آبائنا ، و إما أن [يكون] نظر إلى هيئاتنا و تجلدينا ، فيريد الإعانة بنا على عدو من أعدائه ، و سد ثغر من ثغوره ، و إما أن يكون بلغه فعلنا بأخينا يوسف فيريد بنا الفضيحة و العار ، و العقوبة و الدمار ، و هذا هو المصرع الذي كنت أحذركم ، فياخجلنا^١ و يا سوء مقامنا ! ثم إنهم دخلوا عليه مرة أخرى باذنه لهم في ذلك ، و كان يكلمهم بترجمان . فقال لهم الترجمان : ١٠ إن الملك يقول : أتم ذوو^٢ هيئة و قوة ، أخبروني ما أنتم و ما نسبكم ؟ و من أي البلاد جئتم ؟ فقالوا : نحن الأسباط أولاد يعقوب إسرائيل [عبد] الله ابن إسحاق / ذبيح الله ابن إبراهيم خليل الله ، نحن الأنبياء بنو الأنبياء . و كان له صاع من ذهب مرصع بالجواهر ، و كان إذا نقره يسمع له طينا ، و يدينه إلى أذنه و يقول للصادق في كلامه : صدقت ، و للكاذب : ١٥

(١) في الأصل : فيا خجلتنا .

(٢) في الأصل : ذوى .

كذبت ، و يقول : إن الصاع أخبرني بصدقكم أو كذبكم . فنقر الصاع وقال :
 صدقتم في قولكم . ثم قال لهم : هل لوالدكم ولد^١ غيركم ، هو معكم
 أو هو عنده ؟ فقالوا له : كان له ولدان^٢ غيرنا يقال لأحدهما : بنيامين ،
 والثاني يوسف ، فأما بنيامين فهو عنده ، وأما ولده الآخر فقده . فنقر
 يوسف الصاع نقرة أخرى ، فخرج طينته عاليا ، فقال للترجمان : قل
 لهم : إن الصاع يخبرني أنكم تكذبون في هذا الواحد المفقود أنكم
 لا تعرفون خبره . قال : فتغيرت ألوانهم ، و تلجلجت ألسنتهم ، و ارتعدت
 فرائصهم . ثم قال لهم : فكيف كان سبب فقده حتى لم تعلموا^٣ حقيقة
 أمره ؟ فقال واحد منهم : أكله الذئب . و قال آخر : أسره العدو .
 ١٠ و قال آخر : غرق في البحر . فهز يوسف رأسه ، فنقر الصاع و أدناه
 من أذنه و قال لترجمانه : قل لهم : أما ذكرتكم أنكم أنبياء و أولاد الأنبياء
 فإني لا أرى عليكم آثار ما ذكرتكم ، إنما أنتم لصوص أو جواسيس لأحد
 الملوك بأخبارنا ، فإذا رجعتم إليه بأخبارنا ، جئتم بأمثالكم من القوة
 و الجلد^٤ تقاتلوننا ، و تدخلون علينا الفتنة و القتال ، أما أنا لا أسرحكم
 ١٥ من سجنى حتى أعلم خبركم حقيقة ، و أستيقن ما جئتم به و بسببه ، و إن
 الصواع يخبرني بأمور كثيرة عنكم ، و يقول بضد ما قلموه .

(١) في الأصل : ولدا .

(٢) في الأصل : ولدين .

(٣) في الأصل : لم يعلموا .

(٤-٤) في الأصل : تقاتلوننا و تدخلوا .

فلما سمعوا ذلك منه ، أظهروا الخضوع ، و سكبوا الدموع ، و قالوا :
 أيها الملك ! إنا نسألك بالذي أنعم عليك و فضلك إلا ما نظرت بعين
 الحنان إلينا ، و سترت ستر الامتنان / علينا . و عجبت بتسريحنا ، و ردنا
 إلى أيينا ، فانه اليوم أعظم حقا عليك و على أهل الأرض ، و إن
 لم ترحمنا فارحم الشيخ يعقوب ، فانك لو رأيت حاله . و شاهدت باله
 ذلك لرحمته ، و إنه قد احدودب ظهره ، و ابيضت عيناه ، و كابده
 الوهن و الشيب قبل أوامه ، و قد توسلنا إليك به ، فلا تضيع وسيلتنا
 و لا تخيب ظنونا . فبكي من قولهم ذلك ، و جهزهم و أطلق سيدهم -
 و بقية القصة مشهورة ، فلنقتصر على هذا القدر منها هنا و الله الموفق للصواب .

١٠ [خبر إبراهيم التازي و الفرنج - ١]

ذكر خبر إبراهيم التازي رأس دار الصناعة بالإسكندرية ،
 و ما فعله في الإفرنج من المخازي و غير ذلك من الواردات المستطردات .
 و لما عزل الأمير الأكز من الإسكندرية في التاريخ المتقدم ذكره ،
 و ارتقت منزلته عند السلطان الملك الأشرف شعبان ^٢ إلى أن صيره
 و زيره ، صار يعرض عنده بذكر الرأس إبراهيم التازي ، و يشكره ^{١٥}
 لحسن رئاسته و شجاعته و معرفته بقتال الإفرنج حين قاتل بمينة الإسكندرية
 قراقر ^٢ البنادقة و الجنوبية المتقدم ذكرهم . فوقع من قلب السلطان موقعا ،

(١) العنوان مقتبس من النص .

(٢) انظر حاشية سابقة و راجع الفهارس .

(٣) انظر موضوع السفن فيما سبق و راجع الفهارس .

و تشوق لرؤيته . فأمر بأحضاره ، فطلب على خيل البريد فحضر ، فقيل
 والله أعلم إنه لما أذن له بالدخول ، قال : أدخل في حلية لباس المسلمين
 أو حلية محاربه الإفرنج ؟ فقيل له : أدخل في الحلية التي تحارب بها الإفرنج ،
 فدخل في قمجون^١ و شيرون^٢ و كباس^٣ و بيدرون^٤ و شاية^٥ و حياصة^٦
 ٥ جلد^٧ و سيف و خنجر^٨ ، و صار بقوة الجنان السليم ، يفرع منه
 الشيطان الرجيم ، فلما دخل على السلطان / في تلك الحالة العجيبة ، تعجب
 من صفته و قال له : من أنت ؟ و من تكون ؟ قال : أنا مملوك مولانا
 السلطان و عبده إبراهيم التازي رأس دار صناعة الإسكندرية . قال ،
 ما الملبوس الذي أراه عليك ؟ قال : به أقاتل الفرنج أنا و قوادي^٩ ،
 ١٠ نقاتلهم به و نقتلهم و نغنمهم بعون الله تعالى و جوله و قوته . و شرع

(١) وردت الكلمة في دوزي بمعنى قميص .

(٢) لعل ذلك من ملابس الحرب .

(٣) الكباس آلة يكبس بها في الحرب الخاطفة ، ذكرها دوزي بهذا المعنى .

(٤) قميص سميك مبطن بالقطن يلبس في الحروب لحماية لابس من السهام

و ضربات السيوف .

(٥) لعلها غطاء الصدر ، و تستعمل اليوم في لغة العامة بهذا المعنى مع الأطفال .

(٦) الحياصة سير طويل من الجلد يشد به حزام السرج على الدابة ، و المعنى هنا

الحزام الجلد الذي يربط به وسط المقاتل فوق ملابسه الحربية .

(٧-٧) في الأصل : سيفا و خنجرا .

(٨) في الأصل : قيادي .

يشرح له غزواته فيهم ، و غنائمه التي غنمها منهم ، و تنكيسه لأعلامهم
و أسره لحريمهم . فقال له السلطان : تقدر تفتح جزيرة قبرس ؟ قال :
نعم بسعادة مولانا السلطان . فقال : تفتحها بكم من غراب ؟ قال :
بمائة غراب . قال : هي حاضرة خذها و سافر بها .

و كانت هذه الغرابان التي عمرها يلبيغا الخاصكى بعد وقعة الإسكندرية ، ه
قصد [أن] يسافر فيها بالجيوش الإسلامية من الديار المصرية و الشامية ،
فأدر كته المنية ، فتأخر سفرها ، و صارت يبحر النيل واقفة . ثم إنه
قال : يا مولانا السلطان ! بل أسافر بغرابين لا كشف بهما جزرهم ؛
و لأعرف خبرهم . فقال له السلطان : تمن على ! قال : و ما الذي عملته
حتى بلغت درجة التمني ! است بمتن حتى يرى مولانا السلطان فعل ١٠
المملوك و عمله . فازداد السلطان فيه رغبة ، فرسم له بالسفر من
الإسكندرية في غرابين ، و النفقة فيه و في رجاله شهرين مستقبليين .
ثم إنه خلع عليه ، و رسم له بفرس من خواص خيله ، و انحدر إلى
الإسكندرية ، فجهز الغرابين ، و سافر بهما مستصحبا معه فيها خمسمائة قائد
بأسلحتها و رماثها .

١٥

و كان سفره من الإسكندرية يوم الاثنين التاسع و العشرين من
رجب سنة تسع و ستين و سبعمائة . فلما كان يوم الأربعاء التاسع من
شعبان من السنة المذكورة ، ورد إلى ميناء الإسكندرية زورق كبير بقلعين
فيه رجال مسلمون . فقيل لهم : من أين أتيتم بهذا الزورق ؟ قالوا : من

(١) يقابل هذا التاريخ ٢٢ فبراير سنة ١٣٦٨ م .

عند الرئيس إبراهيم / التازي، أتينا به غنيمة غنمها و أرسلها معنا بعد أن أخذ معه ما كان فيه من الإفرنج، جعلهم في الغرابين أسارى .
و أرسل معنا كتابا ، فقرئ الكتاب ، و إذا فيه ولا تفرغ الغنيمة التي بالزورق إلا بحضرة القضاة و العدول ، . ففعل له ما ذكر في الكتاب المذكور . و كانت الغنيمة سكرًا و قطنًا و خشب بقس^١ و غير ذلك ، فحصر و تخزن ، و طولع السلطان^٢ به ، ففرح و فرح^٣ المسلمون بسرعة إرساله هذه الغنيمة بعد سفره بأيام قلائل .

ثم^٤ أخبر القادمون^٥ في الزورق عنه أنه قال لتاجر الزورق و لرئيسه : إنكما قد صرتما معنا أسارى و من معكما أيضا من البحرية و غيرهم . فأخبراني بالخبر الصحيح عن صاحب قبرس حتى أستوهبكما من السلطان و أطلق سبيلكما . فقال : إن الباب^٦ استدعاه لمحاكمته الجنوية بين يديه بما ضيعه من أموالهم ، و قتل رجالهم ، و تعويق صاحب مصر لتجارهم ، بسبب ما فعل بالإسكندرية . و إن مراكمه التي غزا بها طرابلس الشام جالسة فوق البر ، و ليس بمينتها الآن غير ثلاث

(١) شجر كشجر الآس صلب الخشب مطلوب في عمل الأبواب و بعض الأدوات الخاصة .

(٢) في الأصل : للسلطان .

(٣) في الأصل : فرحت .

(٤-٤) في الأصل : أخبرت القادمين .

(٥) أي بابا رومة .

شياطي^١ تحرسها، وإن إبراهيم بن الخبازة خرج من قبرس في غرابين
 وشيطي يتلصص في البحر . وقيل بل كان ذلك المتلصص يتور أخا^٢
 إبراهيم المذكور، فبينما أهل الإسكندرية منتظرون^٣ قدوم الرانس إبراهيم
 التازي، وإذا قد ظهر في يوم السبت ثانی عشر شعبان^٤ من السنة
 المذكورة ثلاث^٥ قلاع أرست خارج المينة، فتشوش^٦ المسلمون
 لعدم دخولهم المينة، وقالوا: لو كانت مراكب الرئيس إبراهيم التازي،
 كان دخل المينة، ولم يبرز في البحر . فبات^٧ الناس على الساحل في
 تشوش بسببهم . و كان للغاربة زورق قد تكمل وسقه، / وهو مرسى
 بأقصى المينة، قاصدا السفر إلى طرابلس الغرب، فيه ما يساوي على
 ما قيل بضعة [عشر -^٨] ألف دينار^٩ . ^{١٠} نخاف المسلمون^{١٠} على الزورق ١٠

(١) انظر موضوع السفن فيما قبل وراجع الفهارس .

(٢) في الأصل : أخو . و المقصود أخ ابن الخبازة لا التازي و اسمه يتور أي
 (Peter) أو بطرس .

(٣) في الأصل : منتظرين .

(٤) أي ١١ ابريل سنة ١٣٦٨ م .

(٥) في الأصل : ثلاثة .

(٦) في الأصل : فتشوشت .

(٧) في الأصل : فباتت .

(٨) الكلمة ساقطة من الأصل و واردة بالهامش .

(٩) في الأصل : ديناراً .

(١٠-١٠) في الأصل : نخافت المسلمين .

من تلك المراكب المبرزة، فصعد إليه بعض رماة الإسكندرية الجرخیة^١ يحرسونه منهم . فقالت أرباب الأمور لرئيس الزورق: ادخل به المينة، وقربه من الساحل، ليمتنع إن كانوا حرامية^٢ بحجارة المجانيق، فامتنع وقال: إذا كانوا حرامية قاتلتهم القتال الشديد، و أفعل فيهم ما أريد .

٥ وقد كان حصل بالزورق المزبور جماعة من المغاربة مع بعض رماة الإسكندرية، متأهبين لقتال من يأتيهم . فبينما هم متأهبون^٣ في تلك الليلة القمرية، و إذا بشيطن دخل على الزورق كشفه، فرمى من بالزورق عليه بالسهم، فطار كطيران الحمام . فأخبر من بالغرايين خبره، فحذفوا قاصدين الزورق، فاندفع^٤ عليهم المسلمون منه يرمونهم بالسهم و الحجار، فباعدوا عنه، ثم عادوا كرة أخرى، فرماهم^٥ المسلمون أيضا منه، فخرجوا عنه أيضا غابوا^٥ و عادوا إليه مرة ثالثة، فرماهم^٥ المسلمون بالسهم و الحجار إلى أن نفذت سهامهم و حجارهم، فكسروا ما معهم من أواني الفخار، رموم بها حتى أنهم رموم بشقاف الأزيار التي حملوا فيها الماء للسفر، فعلت الفرنج أنهم ما رموا بالشقاف إلا لنفاد سهامهم و حجارهم، فهجموا عليهم، حصلوا معهم بالزورق،

(١) أى رماة السهام و النفط (Arbalesters) .

(٢) أى لصوص، راجع ما قبله حاشية سابقة .

(٣) فى الأصل : متأهبين .

(٤) فى الأصل : فاندفعت .

(٥) فى الأصل : فرمتهم .

فقتل^١ المسلمون منهم بسيوفهم وخنجرهم جماعة، و قويت الفرنج عليهم، ملكوا^٢ منهم الزورق، فمن المسلمين من قتل، و منهم من أسر، و لا وجد من بالساحل من المسلمين سبيلا إليهم، ينصرون من بالزورق، لغية التازي بالغرابين اللذين فيها سافر، و ما حمل الإفرنج على الدخول على الزورق و أخذه من المسلمين إلا لعلمهم / عند كشفهم المينة بالشيطي ٥ ٩٩/الف

أنها لم يكن بها أغربة حرب، فخرج إليهم، و لو كان في تلك الليلة غربان مجهزة للقتال، و كان الرانس إبراهيم التازي حاصلا^٣ بغربانه التي سافر بها مغازيا، و وقع بالزورق الذي أرسله بغنيمة الى الإسكندرية، و كان رجع معه أحد الغرابين و الشيطي من تلك الحرامية سرعة، و لكن كان ذلك في الكتاب مسطورا، و لو كان رانس زورق المغاربة دخل به ١٠ إلى الساحل، و سمع من أرباب الأمور ما ذكروا^٤ له كان سلم، و لكن غرر فوق في الغرر .

قيل في منشور الحكم و احذر الغرور، فما يعرف الإنسان يحصل له السرور، أو يحصل له الشرور!، قال الشاعر :

ليس المغر بمحمود و لو سلما

١٥

(١) في الأصل : فقتلت .

(٢) في الأصل : ملكت .

(٣) في الأصل : حاصل .

(٤) في الأصل : ذكرت .

فلما ملكت الإفرنج الزورق ، خرجوا به الى واسع البحر ، وأصبح الصباح : ° غطس الغطاسون ° يرفعون مراسي الزورق التي قطعت الإفرنج سرياقاتها بالخناجر و مضوا به . فبينما تحت الماء يرفعونها و إذا هم برجل ميت ، فرفعوه إلى القارب ، وأتوا به إلى الساحل ، و إذا به حسن العسال -
 ٥ بالعين المهملة - و صدره و وجهه مرشوقان بالسهام ، و يده اليسرى قابضة على آذان قفة فيها جرخته ، و القفة مرشوق فيها ثلاثة أسهم كان يلقي بها عن نفسه ، و بيده اليمنى خنجر قابض على نصابه . قد يبست يده على الخنجر ، و اليد اليسرى يبست على آذان القفة و هو ميت ، و ملك الأمراء أسنبغا و جيشه و قوف على الساحل ، و ناظر الإسكندرية ١٠ نجر الدين بن الخازن إلى جانبه . فنزل حينئذ الناظر المذكور عن فرسه ، أتى إليه ، قُبِّل ما بين عينيه هو و غيره من الأكابر ، و قلع يده الأسهم التي بوجهه و صدره ، و قلع من يده اليسرى القفة ، و من يمينه الخنجر ، و قال : هذا هو الشهيد الذي قتل مقبلا لا مدبرا ، أما ترون إلى ظهره / ليس به جرح و لا خدش ، و وجدت عورته مستورة بثيابه ، فدفن ١٥ بالمقبرة المجاورة لتربة الشيخ أبي العباس المرسي ، و سمي قبره بقبر الشهيد .
 قال المؤلف غفر الله له و لوالديه و للأقربين إليه و لجميع المسلمين : حدثني الشيخ الصالح عبد الله بن نجم الصفندي بئر الإسكندرية المحروس بعد أخذ الفرنج للزورق المزبور بمدة ، قال إن هذا الملعون إبراهيم بن

(١ - ١) في الأصل : عظمت الغطاسين .

الخبازة القبرسي الذي قاتل المسلمين و أخذ زورقهم ، ما أتى إلى الإسكندرية إلا بعد أن أتانا بلد الصرند^١ بساحل الشام . و ذلك أن رجلين^٢ من أهل الصرند تخاصما ، فضى أحدهما يشتكى الآخر^٣ عند والى صيدا . فلما كان الليل ضرب البوق و الزمر ، فظن^٤ أهل البلد أن الرجل أتى بالوالى يكبس الصرند ، فخرج^٥ أهل البلد منه هارين ، فبينما هم خارجون^٦ من البلد ، و إذا بالناس يصيحون^٧ : ارجعوا إلى بلدكم ، و قاتلوا عدوكم ، فانما هم إفرنج . فرجعت الناس . فهربت الفرنج بعد أن قتلوا من المسلمين ثلاثين نفرا ممن أدركوه في أزقة البلد ، و أسروا ثلاثة عشر ، منهم ثلاث نسوة و أربعة صبيان و أربع بنات و طفلان^٨ على أكتاف أمهاتهما ، و لم ينالوا من البلد شيئا غير المأسورين المذكورين . ثم إنه أخبر^٩ ١٠

(١) وردت بمعجم البلدان لياقوت (ج ٣ ص ٣٨٢) « قرية من قرى صور

من سواحل بحر الشام » تقع بين صور و صيدا .

(٢) في الأصل : رجلان .

(٣) زيد هنا في الأصل : من .

(٤) في الأصل : « في » .

(٥) في الأصل : فظنت .

(٦) في الأصل : فخرجت .

(٧) في الأصل : خارجين .

(٨) في الأصل : يصيحوا .

(٩) في الأصل : اربع .

(١٠) في الأصل : و طفلين .

عن بعض أسارى المسلمين الذين قدموا من جزيرة قبرس إلى الشام أن إبراهيم بن الخبازة القبرسي قال لثائب صاحب قبرس في غيبة صاحب قبرس عند الباب كبير النصارى: أعطني غرابين و شيطي مكمل^١ العبارة برجالهم و أزوادهم أهجم بها على الصرند، فاني لما كنت أدخلها تاجرا، أرى فيها الأموال الكثيرة و النساء الحسنات، أنهبها و أرجع إليك بأموالها و حريمها. فلما لم يحصل له في غزوته تلك غير الأسارى المذكورين، قال: كيف أدخل قبرس بغير مال و قد أنفق^٢ نائبا النفقات الكثيرة على الغرابين و الشيطي فقصد الإسكندرية، صادف زبورق المغاربة، فظفر به و دخل به جزيرة قبرس / بالطبول و الأبواق و الزمور، فانقلبت جزيرة قبرس بالفرح لدخوله إلى مينتها به. لكنهم لما تبين لهم قتل جماعة كثيرة من أصحابه الفرنج بسهام المسلمين و سيوفهم، انقلب فرحهم ترحا لما عاينوه من كثرة الجرحى، فأطلقت النساء و العجائز على المقتولين الجنائز.

١٠/الف

و في يوم الثلاثاء الثاني و العشرين من شعبان من السنة المتقدم ذكرها ١٥ و هي سنة تسع و ستين و سبعمائة^٣، قذف البحر على بن معلى أحد رؤساء دار الصناعة بالإسكندرية، و كان المذكور هو و غيره من المسلمين في الزورق

(١) في الأصل: مكملين.

(٢) في الأصل: نفق.

(٣) تقابل سنة ١٣٦٧ - ١٣٦٨ م.

المزبور، فمضيت مع الناس لأنظره، فرأيته على الساحل ملقى على ظهره متوجها للقبلة، قد سمر بالمسامير في يديه ورجليه، وقلعوا منها فصارت طاقات المسامير بأقدامه بينة ظاهرة، ونفذه الأيسر مهشم من وسطه، ويداها^١ معورتان^٢ بضرب السيوف، و يده اليمنى مرتفعة إلى جهة رأسه ويده اليسرى بجانبه الأيسر، ووجهه بضرب السيوف معور، غير عينه^٣ اليسرى فانها مفتوحة بياضها ظاهر، وقد انتفخ ولم أر له لحية. فقبل إن الفرنج سلختها بجلدتها، رأيت عورته مستورة بديس^٤ البحر. فذكر لي بعض الحاضرين أنه مقطوع الذكر والأنثيين والأذنين أيضا، وهذا القش الذي على عورته، ستره^٥ المسلمون به. ثم كفن وصلى عليه ودفن بالقرب من الباب الأخضر. ولم تمثل الفرنج به هذه المثلة إلا لعلمهم^{١٠} أنه أحد رؤساء دار الصناعة. ثم ألغوه في البحر من غير تثقيب بحجر ليقذفه البحر بعد ثلاث إلى ساحل الإسكندرية، ليغيظ المسلمين تمثيلهم له. ولم يعلم الملاعين الفجرة الكافرون^{١٥} أن الله تعالى قد أنعم عليه بالشهادة، ورزقه في الآخرة السعادة، فانه من قاتل من المسلمين الكفار، و قتل بسيوفهم أمن من النار، وصار في الجنة حيا يرزق، كما جاء في القرآن^{١٥} و صحیح الأخبار، و أما من تسبب في قتل نفسه بزعمه أنه يرحم بذلك، فالرحمة عنه بعيدة، و الشقاوة به موجودة.

(١) في الأصل: يدين.

(٢) في الأصل: معودة.

(٣) أي غشب البحر.

(٤) في الأصل: سترته - كذا. (٥) في الأصل: الكافرين.

حدث بعضهم قال : / رأيت قوما على نهر من أنهار الأغاب التي
تجري إلى البحر الملح ، ولها جرى عظيم تمدّ و تجزر ، وإذا بعجوز^١
قاعدة في وسط النهر على رمل ، وقد هرب الماء بجزره ، فقلت لها :
ما أقعدك هاهنا ؟ قالت : أنتظر الماء حتى يجيء بمدّه فيحملني إلى البحر .
٥ فقلت لها : ولم تفعلين^٢ بنفسك ذلك ؟ فذكرت لي أنها عاشت مدة
طويلة ، وأكلت و شريت ، فأرادت أن تقرب نفسها لخالقها كما زعمت ،
فهذه الرحمة عنها بعيدة بتسيبها لقتل نفسها ، فما زالت قاعدة في موضعها
حتى جاء الماء ، حملها و سار بها .

حدث بعض المسافرين أنه رأى بمدينة كنبات^٣ من أرض الهند ،
١٠ الواحد يجيء إلى الخور فيغرق نفسه ، و من خاف منهم أعطى أجرة
لمن يغرقه ، فيقبض عليه و يضع يده في قفاه ، و يغطس رأسه في
الطين و الماء حتى يتلف ، فان صاح و استعفى و سأله أن لا يفعل
و يتركه حيا ، فلا يقبل منه ذلك ، و لم يزل به حتى يهلكه ، لان ذلك
عندهم في إحيائه بعد إذنه في إماتته - انتهى .

(١) في الأصل : بعجوزة .

(٢) في الأصل : تفعلين .

(٣) وهي كنباية أوردها ابن بطوطة (طبعة بيروت سنة ١٩٦٠ ص ١٥٦ ،

٤٥٢ ، ٤٥٤ ، ٤٧٧ ، ٤٩٧ ، ٥٠٠ ، ٥٠٥) و تعرف أيضا باسم (Cambay)

مدينة تجارية معروفة في العصور الوسطى واقعة على خليج بهذا الاسم أيضا
في شمالي بومباي .

فلرجع إلى خبر إبراهيم التازي من إتيانه إلى الإسكندرية بأسارى
النصرانية من الجزائر الرومانية . وفي يوم الخميس الرابع والعشرين من
شعبان سنة تسع وستين وسبعمئة^١ قدم الراس إبراهيم التازي من
جزر الفرنج إلى الإسكندرية بأسارى النصرانية مخشبين ، و غربانه الاثنان^٢ ،
بالغنم موسوقان^٣ . فكانت مدة غيبته في غزوته من حين سفره من ٥
الإسكندرية إلى حين عودته إليها ثلاثة وعشرين يوما ، فارتجت
الإسكندرية لقدمه ، وماجت بأهلها ساعة وروده ، فخرجت أهلها منها
إلى موضع منارتها التي لم يبق من أساسها في سنة خمس وسبعين وسبعمئة^٤
إلا البقعة لا غيرها - وقد تقدم ذكرها وذكر انتفاضها بمر السنين عليها
فأغنى عن إعادته .

١٠

وأما الترك المجردة بالإسكندرية لحراستها ، فانهم اصطفوا بطول
الساحل على ظهور خيولهم ناظرين للغرايين القادمين ، / مرتفعة بهما
أعلام السلطان ، وأعلام النصرانية منكسة في البحر عائمة يحذف رؤسها
فيه يمينا ويسارا ، والمسلمون بالساحل يضجون بالتكبير ، للعلي الكبير
و يصلون على البشير النذير ، ولم تبق مخدرة إلا خرجت من خدرها ، ١٥
ولا مصونة إلا برزت من كنها ، لينظرون إلى النصرانية الأسارى . وكان

(١) يقابلها سنة ١٣٦٧ - ١٣٦٨ م .

(٢) في الأصل : الاثنين .

(٣) في الأصل : موسوقين .

(٤) يقابلها سنة ١٣٧٣ - ١٣٧٤ م .

وصول التازى إلى المينة ضحى نهار ، فدعا له الصغار والكبار ، وزعزعت^١ له الأحرار والجوار . فدخل الإسكندرية على فرس عريية ، على رأسه طرطور يقال له بلغة الإفرنج « كستير^٢ » ، وبلغة الروم « كباس^٣ » ، وبلغة المصريين « رأس الغول » ، من وبر شبه الصوف المرعز^٤ ، وعلى بدنه فشطون^٥ محتزم عليه بحياسة^٦ جلد معلق بها خنجر مجوهر ، وهو مهياً معه لذبح العلوج ، وقت المعمة فى الدخول والخروج . وكان من خلف فرس الراس المذكور أسارى الفرنج ، يقدمهم راهب مكرش^٧ الوجه ، شنع القالب ، مزنر بزناره^٨ ، متوشح بصلبانه ، رأسه مكشوف ، ولحيته شبه القطن المندوف ، كبير السن ، جلده ناشف كالشن^٩ ، بعيد عن ديره ، مسلوب عن خيره ، قيل : لما قبض^{١٠} المسلمون عليه ، بال على ساقيه وقدميه ،

(١) فى الأصل : و زرغنت .

(٢) جائز أن تكون الكلمة (Castoro) بالإيطالية وهو (Beaver) بالإنجليزية ، وهو القندس من القوارض بالعربية ، وفراؤه يستعمل فى عمل غطاء الرأس .
(٣) انظر حاشية سابقة ، وقد يقصد بالكلمة هنا « الخوذة » التى تلبس على الرأس فى المعارك ، وقد يكون الطرطور من الفراء .

(٤) اللين من الصوف أو الشعر الناعم الذى ينبت تحت شعر العنز الخارجى .
(٥) أى لباس الحرب ، والكلمة غريبة لم نعر عليها فى المراجع المعروفة ، وربما كان يقابلها بالإنجليزية (Fustian) أى جلاب .

(٦) انظر حاشية سابقة و راجع الفهارس .

(٧) مكرش الوجه - أى عبوس الوجه ، وفى الأصل : مكرمش .

(٨) أى محتزم بحزامه .

(٩) أى مثل جلد القرية البالية . (١٠) فى الأصل : قبضت .

و ضرب على صدره يديه ، و صار يضرب الأرض برجليه ، حتى كلمه -
من يعرف لغته فقال له : ما اسمك ؟ قال : حنين . فقال له : كم سنك
يا حنين ؟ قال : مائة و ستون^١ . فقال له : يا خبيث ! قطعت عمرك في
الكفر و التلثيت^٢ ! فلما صار سائراً^٣ خلف فرس إبراهيم التازي بثغر
الإسكندرية ، صار في كربة و بلية ، يقدم قومه العلوج الأسرى المناحيس^٥
و هو راكب على حمار وجهه لذنبه بالتجريس ، و هو يقدمهم على ذلك
الحمار كما يقدم فرعون قومه إلى النار ، و لسان الحال يقول : يا حمار !
ما نفعت صليتك و الزنار ، بل في قبضة المسلمين الأخيار ، و الرجحية^٢
تضرب على رأسك بالطبل و الطار ، / و يزمرون عند أذنك بالمزمار ، ١٠١ / ب
يا رأس الكافرين الفجار ! و كان يمشى خلف الراهب المذكور الفرنج^{١٠}
العلوج في أعناقهم الحبال ، و هم حفاة بلا نعال ، و هم في أسوأ حال
و شر وبال ، شعورهم منشورة ، كشعور الخنيرة ، و بأيديهم الخشب
المسمورة ، منهم التجار و الفلاحون^٤ ، و هم من سوء حالتهم كالمجانين ،
و عدتهم خمسة و ثلاثون^٥ ، و صحبتهم صبي مراهق و بنت بكر^٦ بالغ مخطوبة
بعض الأسارى المذكورين ، فصار ينظر إليها ، [من] نار بقلبه عليها . ١٥

(١) في الأصل : و ستين .

(٢) في الأصل : ساير .

(٣) حملة الآت الموسيقية .

(٤) في الأصل : و الفلاحين ، و لعله لرعاية السبعم .

(٥) في الأصل : و ثلاثين .

(٦) في الأصل : بكر .

قبل كان أسرهم من جزيرة الفيران و جزيرة الروج^١ و جزيرة الرهبان ،
و من الزورق المغنوم أولا ، ثم إن جماعة الرانس إبراهيم التازي الغزاة
المسلمين^٢ أراقوا نهم بجزائرهم ، و نهبوا دورهم ، و قتلوا خنازيرهم ،
التي لحومها حرام بالإجماع . و سأذكر ما قيل في سبب تحريمها
٥ إن شاء الله تعالى .

اعلم أن لحوم الخنازير حرام ، قال الله تعالى^٣ : ” حرمت عليكم
الميتة و الدم و لحم الخنزير “ و النصارى تأكل لحومها الكبير منهم و الصغير .
قال بعض العلماء : إنما حرم الله تعالى في الابتداء لحم الخنزير ، لأنه تعالى
أراد أن يقطع العصمة بين العرب و بين الذين كانوا يشككونهم باجتماعهم
١٠ مع اليهود و النصارى ، فحرم الله على المسلمين ذلك ، إذ هو معظم ما كولاتهم
و عظم الأمر في تناوله و مسه ليخزاه المسلمون عن الاجتماع معهم في
المؤاكلة و الأنس ، فأما العالم فلا بأس بمجالسته إياهم بخلاف العوام ، لأنه
جاري سلطان ذي أجناد ، و عدة و عتاد^٤ ، لا يخاف عليه العدو حيث
ما توجه ، و لهذا جوز له الاستماع إلى الشبه ، بل أوجب عليه أن يتبع
١٥ بقدر جهده كلامهم ، و يسمع شبههم ليجاهدهم و يدافعهم . فالعالم أفضل

(١) جزر صغيرة شرق رودس و شمال قبرس بقرب الجزيرة المعروفة باسم

قشطليل الروج أي (Castello Rizzo) .

(٢) في الأصل : المسلمون .

(٣) قرآن كريم سورة ه آية ٣ .

(٤) في الأصل : عتاد .

فالعالم أفضل المجاهدين، الذابين عن الدين، و الجهاد جهادان : جهاد البيان، و جهاد بالبنان . / وسمى الله تعالى الحجّة سلطانا في غير موضع من كتابه كقوله^١ حكاية عن موسى عليه السلام^٢ "انى اتيكم بسلاطين مبينه". وأما العوام فكره لهم أن يجالسوا أهل الهوى والأبداع لئلا يغوؤهم، فالعامى إذا خلا بأهل البدع، فكالشاة إذا خلت بالسبع، اقترسها، وكذلك العامى إذا خلا بأهل البدع، ه يفترسونه ببدعهم . قال الله تعالى^٣: " لا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل و اضلوا كثيرا و ضلوا عن سواء السبيل " - انتهى .

نعود - و فى اليوم الذى أتى فيه التازى إلى الإسكندرية، بالأعلاج الرومية، خلع ملك الأمراء أسنبغا على الراس إبراهيم التازى خلعة سنية، و أمره بالسفر إلى حضرة السلطان الملك الأشرف شعبان؛ على حالته ١٠ التى أتى بها، فسافر فى يومه ذلك، و سافر* الأسارى عقيبها، قيل إنهم لما وصلوا إلى الديار المصرية، و قفت الخلق لهم صفوفاً^٤، تضرب من طيقانها النسوان بالدفوف، و وقدت العوام الشموع، و الناس ينظرون^٥ إليهم من الربوع، و العوام قدامهم و خلفهم ينظرون إليهم، و يصرخون

(١) فى الأصل : لقوله .

(٢) قرآن كريم سورة ٤٤ آية ١٩ .

(٣) قرآن كريم سورة ٥ آية ٧٧ .

(٤) راجع حاشية سابقة و انظر الفهارس .

(٥) فى الأصل : و سافرت .

(٦) فى الأصل : صفوف .

(٧) فى الأصل : تنظر .

عليهم . وقد ضرب بين أيديهم الطبل و الزمر و البوق ، و كل علاج
بجبله الذي في عنقه كالمشقوق ، و راهبهم يثن^١ على حمار و يكرب ،
و وجهه إلى جهة ذنب الحمار شبيه بالقطرب^٢ . فقلت فيه لما هو فيه
من شعر :

٥ يا راهب الدير^٣ صرت اليوم في حزن
لأجل فرقة قاع الدير و الوطن
و صرت في قبضة الإسلام مرتتها
كأنك الميت في قطن و في كفن

ما ذا ضللت^٤ من الإفريج فاجتمعوا
على عبادة صلبان إلى وثن
/ جازاك كفرك بالتجريس في ملا
على حمار طويل الذيل و الرسن
فاقدم تلامذة تلبذتهم أبدا
إلى الجحيم كما قدمت من فتن

١٠

١٠ / ب

(١) في الأصل : بين .

(٢) جمعها قطارب أي المصروع أو الذئب الأجرى أو الجرو الصغير ، وجاءت
أيضا بمعنى صغار الجن و السفية من اللصوص و الجهة .

(٣) زيد هنا الأصل : قد ، و ينتظم الوزن بدونها فحذفناها .

(٤) في الأصل : اضللت .

و ذكر بعض الغزاة الذين كانوا مع إبراهيم التازي ، قال أحد القواد^١ : قبض بعض القواد على شوشة راهب بأرض النصارى وهو طالب به نحو الغرايين ليصيره مع الراهب المقبوض عليه ، فقال له بعض القواد^١ ، ما تصنع بهذا الكلب الرجس ؟ قال : نجعله مع الراهب الأول ، يتفرج المسلمون عليها إذا قدمنا إلى الإسكندرية بهما . قال : ٥ ما لنا بهذا الكلب حاجة ، يكفي للفرجة راهب واحد ، ورفع السيف و ضرب عنقه ، فوَقعت جثته على الأرض ، و صار رأسه بشوشته في كف ماسكه^٢ معلقا ، فرمى به من كفه ، و شرعت الإفرنج تتهارب منهم إلى رؤس الجبال ، فنهب^٣ المسلمون أمتعتهم ، و حرقوا قواربهم الموسوقة بالقمح و الشعير و الفول و الملح . ثم إنهم أذنوا بجزأهم ١٠ وصلوا فيها ، و قالوا : هذه أرض الكفار ، نوحدها بالعزير الجبار ، و نسجد له فيها بالعشى و الإبكار ، فنكون قد جاهدنا في سبيل الله ، و سجدنا فيها لوجه الله ، و قتلنا بها الخنازير التي حرم الله أكلها ، و أرقنا الخمر التي منع الله شربها ، و لو كان معنا عشرة من الغربان ، أخرجنا قبرس و أعمالها ، و أسرنا نساءها و رجالها ، لغيبة صاحبها عنها ، و بعده ١٥ منها . و قد قلت آياتا في المعنى - هذه الآيات :

إن إبراهيم أعنى التازي رأس الإسلام أضفى الغازي^٤

(١) في الأصل : القياد .

(٢) في الأصل : ماسكها .

(٣) في الأصل : فنهبت .

(٤) في الأصل : غازي .

١/ الف / أطلق الأسد على كلابهم^١ فابتلوا بعموم الذل و المخازى
 سار في البحر إليهم صار في حرزهم كالأسد المجتاز
 ٥ / أراقوا خمرهم من بعدما عقروا الأبقار و الأعزاز
 سفكوا دم الرهايين التي ينحنوا^٢ عمدا على العكاز
 فغدوا صرعى على أذقانهم^٣ و على الأصلاب و الأعجاز
 شربوا كأس المنون مرة لا كـشرب الماء بالأكواز
 سلبوهم كل شايات لهم مع لبوس إلى غنبازه^٤
 ١٠ أسروا جمعا علوجا فيهم راهب الدير الشيخ الخازي^٥
 جرسه المسلمون جرسه فوق ظهر لمار نازي
 لحية الملعون حذوا ستة و به كل الأنام هازي

(١) في الأصل : كلابها .

(٢) الكلمة في الشطر الأول و نقلناها للثاني بسبب ميزان الشعر .

(٣) كذا في الأصل ، و صحته « ينحنون » و لا يستقيم بها الوزن فتركنا على ما هي عليه .

(٤) يعني لحاهم - جمع لحية .

(٥) جمعها غنابز أو غنابيز و وردت الكلمة قنباز بمعنى الثوب الطويل الرث يرتديه الشخص على اللحم .

(٦) كذا في الأصل ، و يلوح بالشطر كسر يقتضى النظر .

خلفه أسرى الفرنج أوثقوا بحبال الليف كالأكراز
ثم أعلام النصارى نكست و غدت تكس للجتاز
سار للسلطان في يوم أتى يبتغي الحضرة للاعزاز
بالذي قد جاء في صحبته من كلاب الروم و المخازي
أقبل السلطان في الحال على الرئيس المذكور أعنى التازي ٥
فكساه خلعاً سنية طرزها من أحسن الطراز
فالنويري سره الفعل الذي فعل التازي الهزبر الغازي
قال فيه مدحة منظومة نبذة في غاية الإيجاز
ربنا افتح قبرسا ودع بها علم الإسلام بالإرکاز
فلقد شفي التازي قلوب المسلمين، بما فعله في الفرنج الكافرين، ١٠
و قتلهم في جزرهم، و إتيانهم إلى الإسكندرية و القاهرة بأسراهم في
الحبال، و السلاسل و الأغلال . و في ذلك بعض أخذ الثار من الفرنج
الكفار، و نرجو من الله تعالى سفر المسلمين إلى جزيرة قبرس يقتلون
من فيها من الكفار، و يخربون منازلهم و الديار، لينقطع منها نصارى
الروم، لتصير مأوى للبوم .

١٥

قال العلماء: من أسر من الكفار على ضريين: ضرب يصير رقيقا
بنفس السبي و هم النساء و الصبيان / البالغون، و ضرب لا يرق بنفس

١٠٣/ب

(١) في الأصل: الرازي .

(٢) اسم المؤلف، و قد ورد قبله في قصائد أخرى من نظمه في موضوع الحملة
الصليبية على الإسكندرية، و يعرفه بعض الركاة، أثبتناه كما في الأصل
بقدر الاستطاعة لمناسبتة التاريخية .

السبي وهم الرجال . فالإمام مخير فيهم بين ^١ أربعة أشياء: القتل،
والاسترقاق، والمن، والفداء بالمال؛ وبالرجال يفعل من ذلك ما فيه
المصلحة، ومن أسلم قبل الأمر أحرز ماله ودمه وصغار أولاده .

[في التشفي من أعداء الملوك - ^٢]

٥ فلنذكر الآن ما قيل في التشفي من أعداء الملوك حين قدروا
عليهم . قيل في مشور الحكم ^٣ من نازع السلطان مات قبل يومه . .
وقال جعفر الصادق في قصيدته المشهورة وهي:

من نازع السلطان في قصره أضحى نزيح الرأس عن جسده

قال المؤرخون: لما ولي أمير المؤمنين أبو جعفر عبد الله بن محمد بن

١٠ عبد الله بن العباس الملقب بالمنصور ^٢ الخلافة، وبقى في أمية بقية،

قال لغلمانه الخراسانية: إن لي في بقية آل مروان تديرا ^٤، فتأهبوا

يوم كذا وكذا في أكمل عدة . ثم بعث إلى آل مروان في ذلك

اليوم، فجمعهم وأعلمهم أنه يعرض لهم في العطاء، فحضر منهم ثمانون

رجلا، فساروا إلى بابه، فلما استقر بهم المجلس، خرج رسول المنصور

١٥ فقال بأعلى صوته: أين حمزة بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه

وسلم ليدخل ^٥ فأيقن القوم بالهلكة، و" كان بنو أمية قتلوه في وقفه

(١) في الأصل: من .

(٢) العنوان مأخوذ من النص .

(٣) انظر حاشية سابقة و راجع الفهارس .

(٤) في الأصل: تدير .

(٥-٥) في الأصل: و كانت بنوا .

أحد ، أرسدوا له وجثى عبد هند بنت عتبة بن ربيعة حتى قتله و مثلوا به حتى أن هندا^١ بنت عتبة مضغت فلذة من كبده ، فلم تقدر على إساغتها فلفظتها من فيها . و ذلك لأن حمزة قتل أباه عتبة في وقعة بدر ، و لكن عتبة قتل كافرا مشركا ، و حمزة قتل مسلما شهيدا ، ثم خرج رسول المنصور ثانيا لآل مروان ، فنادى بأعلى صوته : أين الحسين بن علي بن أبي طالب ؟ و كان بنو أمية قتلوه^٢ بأرض العراق // يقال لها كربلاء في خلافة يزيد بن معاوية ، قتله عمر بن سعد ، و احتز^٣ رأسه و حملها إلى يزيد بدمشق ، و هو أول رأس حمل^٤ في الإسلام ، و أول رأس^٥ حمل على خشبة^٥ ، و كان قتله في يوم عاشوراء سنة إحدى و ستين^٦ للهجرة .

١٠

عن أم سلمة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : « يقتل الحسين بن علي على رأس ستين سنة من هجرتي » .
و لما أفضت الخلافة إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، و كان معاوية بن [أبي] سفيان واليا على الشام من قبل عمر و عثمان رضي الله عنهما ،

(١) في الأصل : ان هند .

(٢) في الأصل : قتلته .

(٣) في الأصل : اجتز .

(٤) في الأصل : حملت .

(٥-٥) في الأصل : حملت على خشبت .

(٦) يقابلها سنة ٦٨٠ - ٦٨١ م .

فاستشار علي في أمر معاوية ، فقال له بعضهم : 'أقره على امرته' وأرسل إليه بعهد ، فاذا دخل في تبعك فاعزله . فقال له : يرحمك الله ! أتأمرني أن أطلب العدل بالجور ! ثم عزله ، و كان عزله سبب عصيان معاوية ، فجرى ما جرى في وقعة صفين ^٢ التي هلك ^٣ فيها ما يزيد على مائة ألف من المسلمين . ولما قتل الحسين و من معه من أقاربه ، قالت بنت لعقيل بن أبي طالب بن عبد المطلب حيث قالت هذه الآيات :

ما ذا تقولون إذ قال النبي لكم ماذا فعلتم و أنتم آخر الأمم
بعتني و بأهلي بعد منطلق منهم أسارى و قتلى ضرجوا بدم
ما كان هذا جزائي مذ نصحت لكم أن تخلفوني بقتل في ذوى رحمي
١٠ فما سمعها أحد إلا و بكى . و كان يوسف ابن الأمير حسام الدين البغدادي حسن الصوت ، حسن الوعظ ، صعد الكرسي يوما ، و قد سئل أن يذكر للناس شيئا في مقتل الحسين بن علي بن أبي طالب ، فجلس طويلا لم يتكلم ، ثم وضع المنديل على وجهه و بكى ، و أنشد يقول :

ويل لمن شفاعؤه خصاؤه و الصور في نشر الخلائق ينفخ
١٥ لا بد أن تأتي القيامة فاطمه و قميصها بدم الحسين ملطخ
١٠٤ / ب / فصاحت الخلائق صيحة واحدة ، و بكوا بكاء شديدا . و هجا بعضهم أهل دمشق بأبيات منها هذه الآيات :

تجنب ما استطعت من الأخلا و لا سيما إذا قالوا دمشق

(١-١) في الأصل : قره على امرته .

(٢) وقعة صفين سنة ٣٧ هـ ٦٥٧/٩ م .

(٣-٣) في الأصل : الذي هلك .

'يرون السبت عيدا إن فيه' أتى رأس الحسين إلى دمشق
وقال محمد الباقر بن علي^٢ زين العابدين: لا رعى الله هذه الأمة! فانها لم ترع
حق نبيها في أهله، أما والله! لو تركوا الحق لأهله لما اختلف في الله
اثنان، وأنشد يقول:

إن اليهود لحبهم لنبيهم أمنوا بوائق حادث الأزمان
وذو الصليب بحبهم لصليبهم يمشون زهوا في قرى نجران
والمؤمنون بحب آل محمد يرمون في الآفاق بالنيران

فلنذكر الآن ما قيل في الحسين ومقتله إن شاء الله تعالى - وذلك
أن علي بن أبي طالب رضى الله عنه لما تزوج بفاطمة رضى الله عنها ودخل
بها، التقى البحران: بحر ماء النبوة، وبحر ماء النبوة من علي، فهناك
"مرج البحرين يلتقيان" بينهما برزخ لا يبغيان^٣ بينهما برزخ التقوى لا يبغي
علي علي فاطمة بدعوى، ولا فاطمة علي علي بشكوى، خرج منها اللؤلؤ
والمرجان، اللؤلؤ الحسن، والمرجان الحسين. فجاءت بسبطين سيدين
شهيدين حبيبين إلى سيد الكونين، فهما روحاه وريحاته، كلما راح عليهما
وارتاح إليهما، يقول: «ريحاتى في الدنيا، وكلما اشتاق إليهما وأثني^٤
عليهما، يقول: «ولداى هذان سيदा شباب أهل الجنة، وأبوهما خير

(١-١) الشطر كما يلي في الأصل: تركز للسبت عيد لأن فيه، وأغلب الظن أنه
خطا لفظي يستقيم المعنى فيه بالتعديل الذي أوردناه.

(٢) زيد بعده في الأصل «بن».

(٣) قرآن كريم سورة ٥٥ آية ١٩.

(٤) اقتباس من تمام الآية وفيها «ينخرج» مكان «خرج».

منها ، و فاطمة بضعة مني يريدني ما رابها ، و يؤذيني ما يؤذيها ، ” قل
لا استلکم علیہ اجرا الا المودة فی القربى “ ، قيل : من قرابتک
یا رسول الله ؟ قال : الذین وجبت علینا مودتهم علی و فاطمة و الحسن
و الحسين ، و فی و فیهم نزل / قوله تعالى : ” انما يريد الله
لیذهب عنکم الرجس اهل البیت و يطهرکم تطهیرا “ . یا حسین ا فاذا
کنت غصن هذه الشجرة ، و شعاع نور هذه الجوهرة المطهرة ،
کیف یباح دمک ، و لا تحفظ ذمک ، و لا یحترم حرمتک ا فقال :
یا قوم ا قضي الامر و جف القلم ، و عدل الحاکم فیما حکم ، فأولیاؤه
و خواصه خصوا فی هذه الدار بالبلاء و النقم ، و العناء و السقم ، صب
١٠ علیهم بلاء لو صب علی جبل لانهدم ، و رکن لاثلم ، و من أشبه آباءه
فما ظلم ، أبی قتل مظلوما ، قتله عبده الرحمن بن ملجم و هو يؤذن لصلاة
الصبح فی مسجد الکوفة ، و جدی مات مسموما ، بسم اليهودیة ذراع
الشاة ، و كذلك أخی الحسن کان بالسم موسوما . سمته زوجته جعدة
لتزوج بیزید بن معاویة و تعطی مائة ألف ، فأعطیت المائة ألف ، و قال
١٥ معاویة : لنا حاجة فی یزید ا فلم یزوجہ بها خوفا أن تفعل به كما فعلت
بالحسن . ثم قال الحسین : فلو لم أسلك سبیلهم فیما اتفق لهم لکنت فیهم
ملوما ، فنحن السعداء فی الحیاة و الشهداء فی الممات ، و لو لا شرف النبوة ،

(١) قرآن کریم سورة ٤٢ آیه ٢٣ .

(٢) قرآن کریم سورة ٣٣ آیه ٣٣ .

(٣) فی الأصل : شبه .

ما ألحقت بدرجة النبوة، أما رمى في النار إبراهيم الخليل ! أما أضجع
للذبح إسماعيل ! أما ضنى بالضنى أيوب ! أما غنى بالعنا يعقوب ! أما ناح
نوح حتى ثوى ! أما بكى داود حتى ذوى ! أما نشر بالمنشار زكريا !
أما ذبح الحصور يحيى ! فكيف لا أسلك سبيل الأنبياء و طريق الأولياء !
فتحن أهل بيت خصصنا بالبلاء، كان جدى كلما كر عليه كرب الموت يقول ٥
« واكرباه ! » وكانت أمى فاطمة تقول « واكرباه ! لكربك يا أبتاه ! » فكان
يقول « يا بنية ! لا كرب على أيبك بعد اليوم، فأخذت من هذه العبارة
لمشارة، فكنت كلما كرّ بلاء فى كربلاء أقول « لا كرب لا، وأنشد
فى المعنى / هذه الآيات :

أما والذى لدمى حلالا و خصص أهل الولا بالبلا
لئن ذقت فيكم كؤوس الحمام لما قال قلبى لساقيه لا
ولا كنت من يشتكى بالجوى^١ ولو قدنى مفصلا مفصلا
رضيت و جدك كل الرضى إذا كان يرضيك أن أقتلا
أنا ابن البتول و سيف الرسول فجدى بجدى فيكم علا
أنا ابن الفتى الهاشمى الذى لمرحب فى خير جدلا
فلا غرو إن مت موت الكرام كما مات فى الحب من قد خلا
أزينكر بين الورى قتلتى ورأسى يطاف به فى الملا

(١) فى الأصل : الابنوه .

(١) فى الأصل « من » مكان « من » و « الجوى » مكان « بالجوى » ولا يستقيم
بهما الوزن .

فيا حبذا يوم صلى على صلاة^١ الشهيد على كربلاء
ومت كما مات أهل الهوى كذا رسم الحب أن يفعلوا
مضت سنة الله في خلقه فان الحبيب هو المتلا
يقول لهم عند بلواهم أليس لي الحكم قالوا بلى
فكم في الهوى من قتي عاشق على مركب الموت قد عولا
ومزق بالشوق أستاره وخالف في حبه العذلا
ونادى على نفسه جهرة كذا من أحب وإلا فلا

عن مجاهد عن ابن عباس قال : لما فتح مدائن كسرى على عهد
أمير المؤمنين عمر بن الخطاب^٢ رضي الله عنه ، أخذ الانطاع فبسطها في
مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأفرغ الأموال عليها قال : فلم ينقص
القوى لقواه ، ولم يزد الضعيف لضعفه ، فأول من قام إليه الحسن بن علي بن
أبي طالب ، فقال : يا أمير المؤمنين ! أعطني حتى من هذا المال الذي فتح الله
[به - ٣] عليك للمسلمين . قال : حبا وكرامة يا ابن بنت رسول الله ! قال :
فأمر له بألف دينار ، ثم انصرف . قال : فأقبل الحسين بن علي فقال :
يا أمير المؤمنين ! أعطني حتى مما فتح الله به على المسلمين . قال : فأعطاه
ألف دينار ، ثم انصرف . قال : فأقبل عبد الله بن عمر فقال : أعطني حتى
يا أبت من هذا المال الذي فتح الله به على المسلمين ، فقال : حبا وكرامة .
ثم أمر له بخمسمائة دينار . / فقال : يا أبت ! أنا جزل كنت أضرب

(١) نقلت الكلمة من الشطر الأول للثاني لاستقامة الوزن .

(٢) انظر حاشية سابقة وراجع الفهارس .

(٣) ليست بالأصل و أضفناها كما جاءت في الجمل التالية .

بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيف، و الحسن و الحسين
 اصبيان صغيران يدرجان في أزقة المدينة، أعطيت كل واحد منها ألف
 دينار و أعطيتني خمسمائة دينار! فقال: نعم يا بني! ان أباهما علي المرتضى،
 و ليس أبوك علي المرتضى، و أمهما فاطمة الزهراء، و ليس أمك فاطمة
 الزهراء، و جدتهما محمد المصطفى، و ليس بجدك محمد المصطفى، و جدتهما ٥
 خديجة الكبرى، و ليس جدتك خديجة الكبرى، و خالهما القاسم ابن
 رسول الله صلى الله عليه وسلم، و ليس خالك القاسم ابن رسول الله،
 و خالاتهما زينب و رقية و أم كلثوم بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم،
 و ليس بخالاتك، و عمهما جعفر الطيار، و ليس عمك جعفر الطيار، و إن
 عمتهما أم هانئ ابنة أبي طالب. قال: فبلغ ذلك علي بن أبي طالب ١٠
 كرم الله وجهه - قول عمر لولده عبد الله، فقال علي: و الله لا كتمت شيئاً
 و لا أكتم! سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « عمر سراج أهل
 الجنة في الجنة ». قال: فبلغ ذلك عمر من قول علي فأتى إلى منزل علي
 في نفر من المسلمين، فقال له: يا أبا الحسن! أنت سمعت رسول الله
 صلى الله عليه وسلم يقول: « عمر سراج أهل الجنة في الجنة »؟ قال: اللهم ١٥
 نعم. قال فدعا عمر بدواة و قرطاس و قال: اكتب لي خطك بهذا.
 فكتب علي: « بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما ضمن علي عن رسول الله
 صلى الله عليه وسلم عن جبريل عن رب العالمين جل و علا أن عمر سراج
 أهل الجنة في الجنة ». ثم دفع عمر الرقعة إلى ولده عبد الله، فقال له:

(١-١) في الأصل: صبيين صغيرين - كذا.

يا بني ! إذا أنا مت ، فغسلني و كفني ، و أدرج هذه الرقعة في كفي ،
حتى ألقى بها علي بن أبي طالب بين يدي ربي عز وجل . فلما طعن عمر
و مات من طعنته تلك ، وضع عبد الله الرقعة في كفنه - و سيأتي ذكر
/ سبب طعن عمر و من طعنه إن شاء الله تعالى .

ب /

٥ قال الغزالي في كتابه كشف علوم الآخرة ، إن النبي صلى الله
عليه وسلم قال : « إني أكرم على الله أن يدعى في الأرض أكثر من
ثلاثة ، و كانت ثلاث عشرات ، لأن الحسين قتل على رأس الثلاثين
منه ، فغضب على أهل الأرض ، و عرج به إلى السماء . و قد رآه بعض
الصالحين في النوم ، فقال : يا رسول الله بأبي أنت و أمي ! ما ترى في
١٠ فتنة أمتك ؟ قال : زادهم الله فتنة ! قتلوا الحسين ، و لم يحفظوني
فيه - انتهى .

ع

و كان سبب قتل الحسين رضي الله عنه أنه لما مات معاوية بن
أبي سفيان ، و أتى الوليد بن عقبة المدينة ليأخذ البيعة ليزيد بن معاوية ،
خرج منها الحسين يريد مكة حتى أتى علي عبد الله بن مطيع ، فقال
١٥ للحسين : يا أبا عبد الله ! إلى أين تريد ؟ فقال : العراق . قال : لم ؟ قال :
إن معاوية مات ، و جاءني أكثر من حمل صحف يدعوني للبيعة بالخلافة .
قال : لا تفعل أبا عبد الله ! والله ما حفظوا أباك و كان خيرا منك !
و الله لئن قتلت لا بقيت حرمة إلا انتهكت ! و قد كان الحسين بعث إلى الكوفة

(١) انظر حواشي سابقة و راجع الفهارس .

باب عمه مسلم بن عقيل بن أبي طالب وكان على الكوفة حينئذ النعمان
 ابن بشير الأنصاري أميراً ، فقال لأهل الكوفة : ابن بنت رسول الله
 صلى الله عليه وسلم أحب إلي من يزيد بن معاوية بالخلافة . فبلغ ذلك
 يزيد بن معاوية ، فبعث اليها عبيد الله بن زياد بن أبيه الدعي ، فقدمها
 قبل أن يقدم الحسين ، وقد كان بايع لمسلم بن عقيل بالكوفة أكثر
 من ثلاثين ألفاً . فلما خرج بهم يريد عبيد الله بن زياد ، جعلوا كلوا
 انتهوا إلى زقاق ، انسل منهم أناس حتى بقي في شردمة . فلما رأى
 ذلك دخل دار هاني بن عروة المرادي ، وكان له شرف ورأى ،
 فقال له هاني : إن لي من عبيد الله بن زياد مكاناً ، وسأتمارض له ،
 فإذا جاء يعودني أضرب عنقه ، فلما سمع عبيد الله بمرض هاني ، أتاه
 يعوده . وكان هاني شرب المغرة وسعل / [و] بقي كأنه يتقياً الدم .
 وقد كان هاني قال لمسلم بن عقيل : إذا قلت : اسقوني فاخرج إليه .
 فلما جاءه عبيد الله يعوده قال هاني : اسقوني ، فلم يخرج مسلم من البيت
 الذي هو محتف به ، فقال هاني : اسقوني ولو كان^٢ فيها خروج نفسي .
 قال : فخرج عبيد الله من عنده ، ولم يصنع مسلم شيئاً . وكان مسلم من
 أشجع الناس ، ولكن أخذ بقلبه ، وبلغ عبيد الله الخبر . فأمر بقتل هاني .
 ثم أرسل لمسلم بن عقيل رجالاً^٣ يأتونه ، فخرج عليهم مسلم بسيفه قاتلهم

(١) في الأصل : يتقياً .

(٢) في الأصل : كانت .

(٣) في الأصل : رجال .

حتى أنحن بالجراح ، و سيق إلى عبيد الله ، فلما قدمه للقتل قال : دعني حتى أوصي . قال : افعل ، فنظر في وجوه القوم فقال لعمر بن سعد بن أبي وقاص : ما أرى هاهنا قرشياً غيرك ، ادن مني . فدنا منه فسارّه وقال : هل لك أن تكون سيد قریش ما دامت قریش ! إن الحسين و من معه و هم تسعون إنساناً ما بين رجل و امرأة في الطريق ، فارددهم و اكتب لهم بما أصابني . تم ضربت عنق مسلم بن عقيل . فقال عمر بن سعد لعبيد الله : أتدرى أيها الأمير بما سارني مسلم ؟ قال : اكتبم علي ابن عمك ، قال : الأمر أكبر من هذا . قال : فما قال لك ؟ فأخبره بما قال ، فقال له عبيد الله : أما إذ دلت عليه ، فوالله ما يقاتله سواك ! اخرج إليه .

١٠ ثم جاء الخبر للحسين بقتل مسلم ، فهم بالرجوع ، و كان معه من بني عقيل خمسة ، فقالوا للحسين : أترجع و قد قتل أخونا و جاءك من الكتب ما تثق به من طاعة أهل الكوفة لك ؟ فقال لباقي أصحابه : ما بي على هؤلاء من صبر ، فلقبهم الحسين و هم بكر بلاء ، فقال الحسين : أي الأرض هذه ؟ قالوا : كربلاء . قال : كرب و بلاء ، ولما أحاطت به خيل عمر بن سعد قال الحسين لعمر : اختر مني خصلة من ثلاث خصال : إما أن تتركني أرجع من حيث جئت ، و إما أن تسير بي / إلى يزيد بن معاوية بدمشق ، و إما أن تتركني أسير إلى الترك أقاتلهم حتى أموت . فأرسل عمر بن سعد إلى عبيد الله بن زياد بذلك ، فهم أن يسيره إلى يزيد بن معاوية ، فقال له

(١) في الأصل : لعمر .

شمر ابن ذى الجوشن^١ لعنه الله : أمكنك الله من عدوك ، فتركه إلى أن ينزل على حكمك . فأرسل إليه بذلك ، فقال : أنا أنزل على حكم ابن مرجانة ! لا والله لا أفعل ذلك أبدا ! قال : وأبطأ عمر بن سعد عن قتال الحسين ، فأرسل إليه عبيد الله بن زياد بشمر وقال : إن تقدم عمر ابن سعد وقاتل وإلا فاضرب عنقه وكن مكانه . وكان مع عمر بن سعد ٥ ثلاثون رجلا من الكوفة ، فقالوا له : أيعرض عليك ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم خصلة من ثلاث خصال ، فلا تقبل منها شيئا ؟ فتحولوا مع الحسين ، وقاتله شمر ومن معه حتى قتله سنان النخعي ، قطع رأسه وأتى به عبيد الله بن زياد وهو يقول^٢ :

١٠ أوفر ركبى فضة وذهبا أنا قتلت الملك المحجبا

خير عباد الله أما وأبا

فقال له عبيد الله : فإن كان خير عباد الله أما وأبا فلم قتله ؟ فأمر به فضربت عنقه . ثم أمر بحمل رأس الحسين إلى يزيد بن معاوية ، وحمل معه نساءه وأبناءه الأصاغر . فلما وضع الرأس بين يدي يزيد ، تمثل بقول حصين المرى :

١٥ .

نفلق هاما من رجال أعزة علينا وهم كانوا أعق وأظلما

فقال له على بن الحسين وهو فى السبي : كتاب الله أولى بك من الشعر ،

(١) الجوشن : الدرع أو الزرد يلبسه المحارب على الصدر .

(٢) زيد بعده فى الأصل : قال .

يقول الله عز وجل: " ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في كتب من قبل ان نبرها ان ذلك على الله يسير له لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور " .

فغضب يزيد ، وجعل يعبث بلحيته ، ثم قال : ما ترون يا أهل الشام ؟

١٠ / الف ه فقال كل منهم على قدر دينه . فقال النعمان بن بشير الأنصاري : / انظر

ما كان يصنعه رسول الله صلى الله عليه وسلم لو رأيتم في هذه الحالة ،

فاصنعه بهم . قال : صدقت ، خلوا عنه ، واضربوا عليها القباب .

وكساهم وأخرج لهم الجوائز الكثيرة . وقال : لو كان بين ابن مرجانة

و بينهم نسب ما قتلهم . ثم ردهم إلى المدينة .

١٠ عن الشعبي قيل لعبد الله بن عمر إن الحسين قد توجه إلى العراق ،

فخرج وراءه حتى لحقه على ثلاث مراحل من المدينة ، وكان غائبا

عند خروجه ، فقال للحسين : أين تريد ؟ قال : أريد العراق . وأخرج

إليه كتب القوم ثم قال له : هذه بيعتهم و كتبهم لي بالطاعة . فناشده الله

أن يرجع ، فأبى . فقال : أما ! إني سأحدثك بحديث ما حدثت به

١٥ أحدا قبلك . إن جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم فخبره بين الدنيا

والآخرة ، فاختر الآخرة ، وإنكم بضعة منه ، فوالله لا يلي الخلافة

أحد من أهل بيتك ! وما صرفها الله عنكم إلا لما هو خير لكم ، فارجع

(١) قرآن كريم سورة ٥٧ آية ٢٢ - ٢٣ .

(٢-٢) وقع في الأصل « في السماء » وهو خطأ صحیحناه .

فأنت تعلم غدر أهل العراق وما كان يلقي أبوك منهم، فأني . فاعتنقه
وقال : أستودعك الله من قتيلا

و حكى الفرزدق قال : خرجت أريد مكة ، فاذا بقباب مضروبة

و فساطيط ، فقلت : لمن هذه ؟ قالوا : للحسين بن علي . فسلمت عليه .

فقال : من أين ؟ قلت : من العراق . قال : كيف تركت الناس ؟ قلت : هـ

القلوب معك ، والسيوف والنصر في السماء . ولما قتل الحسين لم تقم

لبنى [أبنى] سفیان بن حرب بعده قائمة حتى سلبهم الله ملكهم .

و كتب عبد الملك بن مروان للحجاج بن يوسف الثقفي وهو عامله

على العراق « جنبى دماء أهل هذا البيت ، فأني رأيت بنى حرب سلبوا

ملكهم لما قتلوا الحسين . » وقد أخذ ثأر الحسين من أقوام كثيرة ، ١٠

منهم عبيد الله بن زياد الذى وضع رأس الحسين بين يديه ، قتله إبراهيم

ابن الأشتر ، رمى بذراعيه إلى المشرق ، و برجليه / نحو المغرب . ولما

وصل رأس 'عبيد الله' إلى المختار بن عبيد الله بن مسعود الثقفي ، بعث به

إلى على بن الحسين بالمدينة . قال الرسول : فقدمت عليه انتصاف النهار ،

و إذا هو يتغذى . فلما رآه قال : سبحان الله ! لقد أدخل رأس أبى على ١٥

عبيد الله بن زياد وهو يتغذى . ثم إن المختار كتب كتابا لعبيد الله

ابن الزبير بمكة ، و قال لحامله : امض إلى محمد ابن الحنفية - وهو ابن على

ابن أبى طالب - و اقرأ عليه السلام ، يقول لك المختار : إني أحبك و أحب

أهل بيتك . فلما فعل ، قال له محمد : كذب ، لو كان كذلك ما جلس

(١-١) في الأصل : الحسين - خطأ .

عمر بن سعد على وسائده و هو قتل الحسين . فلما بلغه الرسول ما قال له ، أمر بقتل عمر بن سعد ، ثم قال لولده حفص بن عمر : أتحب أن تلحق بأبيك ؟ قال : لا خير في العيش بعده ، فقتله . ثم لم يزل يتبع قتلة الحسين حتى ألقى أكثرهم .

٥ و كان من ذرية علي بن أبي طالب رضى الله عنه المرأة المباركة السيدة نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب القرشية الهاشمية . دخلت إلى مصر مع زوجها إسحاق بن جعفر الصادق ، و كانت ذات حال و إحسان إلى الزمنى و الجذمي و المرضى و عموم الناس . و لما ورد الإمام الشافعي إلى مصر ، كانت تحسن إليه ، وربما صلى بها في شهر رمضان ، و كان يسمع عليها الحديث ، و هى منه خلف سترها . و حين توفى الشافعي ، أمرت بجنازته . فأحضرت إليها فصلت عليه . و لما توفيت عزم زوجها أن ينقلها إلى مدينة برب^٢ ، يدفنها عند قبور أسلافها ، فمنعه أهل مصر من ذلك و سألوه أن يتركها عندهم ، فدفنت في المنزل الذى^٣ كانت تسكنه في محلة كانت تعرف قديما بدرب الف / ١٥ السباع^٤ . و قيل إن زوجها لما قصد نقلها إلى المدينة ، / جردت جماعة

(١-١) في الأصل : أبي محمد بن الحسين . و التصحيح من الأعلام للزركلى .

(٢) أى المدينة المنورة .

(٣) في الأصل : التى .

(٤) من أحياء القاهرة لم يرد بالمقرئى أو ابن تغرى بردى .

السيوف و قالوا : ما تنقل أبدا من عندنا ! فتركت بقرها [إلى] الآن ،
وقبرها يزار على الدوام - انتهى .

[خبر المنصور مع بني أمية - ١]

نعود إلى ذكر خبر أبي جعفر المنصور^١ مع آل مروان -
ثم خرج رسوله إليهم وهم بمجلسهم كرة ثالثة ، فنادى : أين زيد بن هـ
على بن الحسين ؟ و كان زيد هذا قتل^٢ بنو أمية في خلافة هشام بن
عبد الملك^٣ بن مروان ، و صلبوه على جذع ، قيل إنه أقام سنة مصلوبا ،
فقال شاعرهم :

صلبنا لكم زيدا على جذع نخلة

١٠ ولم أر مصلوبا على الجذع يصلب

ثم خرج رسول أبي جعفر المنصور و نادى : أين يحيى بن زيد ؟
و كان بنو أمية قتلوه^٤ . و لكل من تقدم قتلهم لهم خبر عجيب يطول
هذا الكتاب بجلب أخبار مقتلهم .

و آل مروان من نسل بني أمية ، و كانت خلافتهم تزيد على

(١) العنوان غير وارد بالنص أو الهامش .

(٢) انظر حاشية سابقة و راجع الفهارس .

(٣) في الأصل : قتلته .

(٤) انظر حاشية سابقة .

(٥-٥) في الأصل : و كانت بنوا .

الثمانين سنة . و كانوا قد غلبوا بنى ' عبد المطلب و بنى ' العباس على الخلافة . فلما انقضت دولتهم ، و ولى ' بنو العباس الخلافة ، قصد أبو جعفر المنصور بأخذ ثأر بنى العباس و بنى عبد المطلب بما فعله بنو أمية بهم فى أيام دولتهم .

٥ فلما قال رسول المنصور لآل مروان - وهم الثمانون^٣ نفرا الجالسون^٤ بالمجلس - ما تقدم ذكره ، خافوا من قوله لهم ذلك . قال المنصور لرسوله : ائذن لهم بالدخول . فنهضوا من المجلس و دخلوا على المنصور و هو جالس بالرواق ، و فيهم الغمر بن زيد ، و كان صديقا للمنصور ، و لم يكن من بنى أمية ، بل كان من أخوالهم ، فأوما^{١٠} المنصور إلى الغمر بن زيد أن ارتفع ، فأجلسه المنصور معه على طنفسة ، و قال لآل مروان : اجلسوا ، و العثمان الخراسانية قيام بأيديهم / العمد الحديد . و كان ابن العبدى الشاعر جالسا بين يديه ينشده قصيدته التى قال فيها :

أما الدعاء^٥ إلى الجنان فهاشم و بنو أمية من دعاة النار

١٥ فلما أنشد منها أبياتا ، قال له الغمر بن زيد : يا ابن الزانية ! فانقطع

(١) فى الأصل : بنو .

(٢) فى الأصل : وليت .

(٣) فى الأصل : الثمانين .

(٤) فى الأصل : الجالسين .

(٥) فى الأصل : دعا .

ابن العبدى^١ الشاعر، وأطرق المنصور ساعة ثم قال للشاعر: امض فى نشيدك . فلما فرغ من قصيدته ، رعى إليه المنصور بصره فيها ثلاثمائة دينار، ثم تمثل المنصور بقول عن بنى أمية بهذه الآيات:

ولقد ساءنى وساء سواى قربهم من منابر وكراسى
أنزلوها بحيث أنزلها الله بدار الهوان والإتعاس

لا تقبلن عبد شمس عثارا و اقطعوا كل نخلة و غراس

و اذكروا مقتل الحسين و زيد و قتل بجانب المهـراس

يعنى حمزة بن عبد المطلب ، قتلوه فى وقعة أحد بمكان يعرف عند جبل أحد بالمهراس . ثم قال المنصور للخراسانية التى بأيديهم عمد الحديد:

١٠ اقلوهم ! فنزلوا على آل مروان الثمانين بتلك العمدة ، شدخوهم حتى سألت أدمغتهم . ثم التفت المنصور إلى صديقه الغمر بن زيد الجالس معه على الطنفسة ، فقال له : لا خير فى الحياة لك بعدهم . قال : لست من بنى أمية . قال : الخال من القوم ، اقلوه . فضربه واحد من الخراسانية بعموده فى دماغه نثره .

ثم دعا المنصور برادع فألقاها عليهم ، و بسط عليها الأنطاع ، ١٥ و دعا بغذائه فأكل فوقهم . و إن أنين بعضهم لم يهدأ^٢ حتى فرغ من أكله . ثم قال : ما تهنأت بطعام منذ نهلت دم الحسين ابن عمى إلا يومى هذا . و قام فأمر بهم فحجروا بأرجلهم ، و أعطى خدامه الخراسانية أموالهم . ثم صلبوا فى بساتينه المجاورة لمجلس رواقه .

(١) فى الأصل : العبد ، و قد سبق . (٢) فى الأصل : يهدى .

و كان يأكل يوما ، فأمر بفتح الرواق إلى البستان فاذا / راحة
جيفهم تملأ الأنوف . فقيل له لو أمرت يا أمير المؤمنين برد هذا
الباب ! فقال : والله لرائحتها أحب إلى وأطيب من ريح المسك ،
ثم قال يترنم بهذه الآيات :

حسبت أمية أن سيرضى هاشم^١

عنها^٢ و يذهب زيدها و حسينها

كلا و رب محمد و إلهه

حتى تباح كنوزها و حزونها^٣

و تذلل كل خلية لخليلها

بالمشرفى و تسترد ديونها

ثم خرج المنصور يطلب من بقى من بنى أمية في أقطار الأرض ، إن
وجد منهم حيا قتله ، وإن وجد لهم قبرا نبشه وأحرق من فيه حتى
أتى دمشق ، فدخلها و قتل في جامعها المنسوب لبنى أمية في يوم جمعة
في شهر رمضان خمسين ألفا من بنى أمية و مواليتهم ، كانوا قد استجاروا
بجامع فلم يجرمهم .

١٥ ولما وصل المنصور إلى الرصافة^٤ ، أخرج هشام بن عبد الملك بن

(١) في الأصل : هاشما .

(٢) هذه الكلمة في الأصل في المصراع الأول .

(٣) جائز أن تكون الكلمة « حزونها » بانطاء بدل الحاء فتسجم مع ما سبقها أى
« كنوزها » .

(٤) توجد مدن و قرى بهذا الإسم في مناطق عديدة ذكرها ياقوت (معجم البلدان
ج ٢ ص ٧٨٢ - ٧٨٨) منها رصافة أبي العباس بالأنبار و رصافة البصرة و رصافة =

مروان^١ من قبره ، فضربه مائة سوط و عشرين سوطا ، حتى تناثر جلده من على عظمه . و قال : إنه ضرب أبي ستين سوطا فأضعفتها له . فاذا كان المنصور فعل بنى أمية بن عبد شمس بن عبد مناف [هذه الفعال جزاء بما فعله^٢ بنو أمية بنى عمه أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف -^٣] و بحمزة بن عبد المطلب ، و هم أولاد أب واحد ، يجمعهم عبد مناف^٥ ابن قصي بن كلاب ، فكيف تتأخر ملوك مصر عن أخذ ثأر الإسكندرية من النصارى الكافرين ، أعداء الدين .

['خبر ابن الأحمر' و القنطرة بالأندلس]

فالواجب عليهم النهوض لأخذ الثأر من الكفار ، كما نهض

= بغداد و رصافة الحجاز و رصافة الشام و رصافة قرطبة بالأندلس و رصافة الكوفة و رصافة نيسابور و رصافة واسط بالعراق . و أغلب الظن أن يكون المقصود بالنص رصافة الشام و هي رصافة هشام المذكور هنا على حافة الصحراء غربي الرقة و كان يسكنها صيفا .

(١) من خلفاء بني أمية و خلافته ١٠٥ - ١٢٥ هـ / ٧٢٤ - ٧٤٣ م .

(٢) في الأصل : فعلته .

(٣) العبارة المحجوزة ساقطة من الأصل ، و وردت في الهامش بقلم المراجع .

(٤) العنوان المحجوز غير وارد بالنص أو الهامش ، انظر فيما سبق من هذا

الكتاب (ج ٣ ص ١٨٣ - ٢٠٢) ما جاء في موضوع حروب المسلمين بالأندلس .

(٥) إذا اعتبرنا التاريخ المذكور في هذه الوثيقة (انظر ما بعد) كان سلطان

غرناطة وقتئذ ثامن ملوكهم محمد الخامس الغني بالله في ولايته الثانية أي سنة

٦٧٣ - ٧٩٣ هـ / ١٣٦٢ - ١٣٩١ م و هو من أسرة بني نصر التي اشتهر سلاطينها

بألقاب ابن الأحمر .

(٦) القنطرة لقب من الكلمة الإسبانية Conde يقابلها Count بالإنجليزية و Comte =

السلطان أبو عبد الله محمد بن يوسف سلطان المسلمين بالأندلس ، المعروف بابن الأحمر على القند ملك النصارى بالأندلس ، أطلق فيه و في جنده النار بالسيوف القواطع ، و أخرج مدنه و الديار ، و كتب بذلك كتابا يبشر سلطان المسلمين بمدينة فاس بما فتحه الله على يديه ، و نص الكتاب المذكور هذا ٢ :

ب / سلام كريم يتم بفتح الفتوح ، المؤيد بالملائكة و الروح ، / عرفه يهدى أنفاس ريحان الجنان ، فيغنى عبارة اللسان ، و مدارك عالم الإنسان ، و وصفه يختص مقامكم الأعلى ، و مثابكم الفضلى ، و رحمة الله و بركاته . أما بعد ، حمد الله كافي من استكفاه ، و هادي ٣ من استهداه ، الذي نصر الحق و أعلاه ، و دحض الباطل و أرداه ، و وعد من توكل عليه ، و فوض أمره إليه ، بحسن عقابه ، و أخرج الذين كفروا من ديارهم لأول الحشر و قد ظنوا أنهم ما نعتهم حصونهم من الله ، فما أسبغ نعماء ، و أوسع رحماء !

= بالفرنسية و مشتق منها Condestable يقابلها بالإنجليزية Constable و بالفرنسية Connetable و تعرفها عند الأسطول بالعربية . و ربما كان المقصود هنا أحد أشرف مملكة قشتالة Castille و ملكها في ذلك الوقت بطرس الرهيب Pedro the Cruel و حكمه ١٣٥٠ - ١٣٦٩ م .

(١) سلطان مراکش و قنصل عبد العزيز المريني ٧٦٨ - ٥٧٧٤ / ١٣٦٦ - ١٣٧٢ م .

(٢) في الأصل : هذه .

(٣) في الأصل : هدى .

(٤) اقتباس من القرآن الكريم سورة ٩٥ آية ٢ .

والصلاة على سيدنا محمد رسوله سر الوجود و معناه ، الذي نصره الله
بالرعب على أعداءه ، و زوى له الأرض فرأى ملك أمته يبلغ ما له منها
وراه ، و الرضى على آله و صحبه ، و عترته و صحبه ، المخصوصين بمزية قربه ،
و منقبة حبه . 'فان ما ' كتبتنا لكم كتب الله لكم فخذوا رباه ، و سعدا مشيدا
مبناه ، من حمراء^٢ مدينة غرناطة^٣ و الحمد لله ، مبدأ كل سعد و منتهاه ، ه
فما كنا لنهتدى لو لا أن هدانا الله ، فكتبتنا لكم نجلو عليكم خبر الفتح
المخبور لزماننا و زمانكم ، المدخور^٤ فضلا من الله سبحانه و تعالى علينا و عليكم ،
من ديون في الكفر تقتضى ، و معارج للذكر الجميل ترتقى ، و سبل
للسلف الصالح تفتقى ، في الجهاد تقرب إلى رب العباد زلفى ، و نعود منه
بالجزء الأوفى . إن مدينة جيان^٥ التي هي تلفات^٦ الشهرة ، و غاب البسالة .
و منبت الشوكة ، و عقاب القواعد المغتصبة للمسلمين . مدد الكروم ، التي
استثمرها الروم ، مفخر الأسود ، المختالة في جلود الزرود ، و اللبوث
الباطشة ، فوق فيول الخيول و مصرخ النواقيس الصائلة ، و منصب

(١-١) في الأصل : فانما .

(٢) قصر الحمراء Alhambra .

(٣) مقر بنى نصر بالأندلس .

(٤) أى المدخر .

(٥) في الأصل : جفان ، كما وردت فيما بعد في هذه الوثيقة ، و هى Jaen الواقعة في جنوب الأندلس ما بين غرناطة و مدريد .

(٦) كذا وردت الكلمة بالأصل و مدلوها غير واضح ، و اعلمها : تلغات ، جمع تلة : ما علا من الأرض .

التماثيل الهائلة . فوينا أن نرفع بها هضم جانب الإسكندرية ، و نقوم
 بفرض الكفاية عن الكفاة المرضية . فاستدعينا / أهل الجهاد ، و نقصنا
 أطراف البلاد ، عن أولى الجلادة على الجلاذ ، و استكثرتنا من آلات
 القتال ، و رفعنا المجانيق على أفلاك الأبحال ، و أوصلنا الجيوش من
 المطوعة الغازين ، و المرتزقة المدونين ، إلى حقوقها في المغنم المتقدم ،
 و النفل المبارك المتعين ، فأخلصت الضمائر النصفة ، و أطابت القلوب التي
 كانت دلفة . و لما تكامل الحشود ، و توافت الجنود ، و تعددت بظاهر
 حضرتنا الرايات و البنود . فاجتمع من النسم ما لا نحصيهم إلا من كتب
 خطاهم في طاعته ، و أحصى أنفاسهم المطيبة بذكره ، و يستحفظ بقع
 ١٠ الأرض شهادتهم بتوحيده . و كان إطلالنا على مدينة جيان يوم
 الاثني الثالث و العشرين من شهر الله المحرم سنة ثمان و ستين و سبعمائة^١ ،
 فأحضرت إلينا حامية العدو ، ذابة عن الحوزة . مبلبلة من دون العرصه ،
 فلما كأثرهم^٢ السواد الأعظم ، و البحر الذي لا يزحم ، من المسلمين الموحدين
 اجتمعوا بحمي الأبراج المنيعه ، و فرج الأبراج العديدة ، و تلاحق أوائل^٣
 ١٥ الأمم المحشودة ، من الجموع المنصورة الموفورة ، يموج بهم عرفات موقف
 الجهاد ، و تعرضهم ساهرة نشر البلاد ، و تتراكم منهم رجل الجراد ، فبرز

(١) من أطل ، يطل .

(٢) أي ١٦ نوفمبر سنة ١٣٦٦ م .

(٣) أي غالبهم في الكثرة .

(٤) أي الطليعة أو المقدمة .

الناس إلى حومة الحرب، لم يلو المتقدم منهم^١ على المتأخر، ولا انتظر
 المسرع إلحاق المتلوم، فجنحت الرايات إلى حومة الربض الأعظم، ومالت
 كأنها^٢ سحائب الخريف حركتها الزعازع، وضربت آباط ركائبها البروق
 الخواطف، وأحاطوا به من قبل أن يوزع عليهم الآلات، وتنوى
 مقاعد القتال كإهالة الحماة، وفرة الرماة، فقرعوا للحين سوره، واقتحموا
 منازلهم ودوره، وصدقوا حامية الضمة / حتى أزججهم عنه عنوة، واستلجحوا
 منهم جملة، وشمل الربض^٣ النهب، ورعى فوق أهله للعذاب السقب^٤،
 وتعلقوا بسور البلد بعدا، وبادرنا الهيعة^٥ إليه، وقد هزت رياح النصر
 عذبات الرايات، وسد ما بين الخاقين علو كلمة الشهادة باختلاف
 الأصوات، فلا ترى إلا هاويا من ذرى السور، ونزل النصر على المسلمين،
 وقذف الله الرعب في قلوب الكافرين، وأمد أوليائه بالملائكة المسومين،
 ففتحت المدينة عنوة، وجاز فرسانها السكك يطرون من هيعة إلى
 الأخرى، والمسلمون يأخذون عليهم الفوهات، ويسبقونهم إلى الممتنعات،
 وقد شهرت السيوف وتخارقت الرماح، وحق على الكافرين القول
 وأخذتهم الرجفة، ففتحوا أبواب المدينة، وأهبوا الخيل ركضا وأجهدوها
 بالحتوف، واستولوا على أقطار المدينة استيلاء أعجل المجانيق عن الركوع،

(١) في الأصل: فهم، و لعله: فيهم. (٢) في الأصل: كأنهم.

(٣) أي مساكن القوم.

(٤) السقب: العضم الريان الغليظ الطويل.

(٥) بمعنى الصوت تفرع منه وتخافه من عدو.

و صواعق الصخر عن الوقوع، و خيل الحرب عن الإحكام، و الاعتداد
 عليها بالهندام، و انطلقت الأيدي على ما لا يناله الحصر من الأموال
 الدثرة، و الأمتعة النثرة^١، و الذخائر المصونة، و آنية الرقة الثقيلة،
 و الأسلحة المستجادة^٢، و عاثت في الخزائن الطامية، و الأقوات الهائلة،
 و الأدهان المدخرة، و الخمور المقدمة، إبادة و نهبا و إراقة و نقلا، إلى
 ما يكاثر الحصى من الحيوان المختلف الأجناس، صواهل ضامرة، و يعافير
 فارهة، و من الماعون و الحربي، و أخربت الدور و القصور و البيع
 و هياكل العبادة و الرباع الشهيرة و الحانات المطروقة، و الديورة المقصودة،
 و القياسر الميسورة، أبدى الإبادة فسلطت النار على أهاليها، و الهدم على
 ما يليها، و جللها الدخان، و ظللها الخسران، و نادى منادى الحمية،
 يا لثارات الإسكندرية! / و قيدته نواقيسها بالحيل التي حركت جبالها،
 و قلقت هضابها، فأبرزت نخاسة صاغرة، و تركت بعد سل أسنتها
 دامية فغرة، و جنب من الأسرى و هم الغل، الذي تخطاه الأجل
 المكتوب، و القدر المحتوم، أو شفع الحسن الموموق. و هلك بين
 ١٥ جدران المدينة من النسم الكافرة المجانبة لطرق الحق ما بين مقدم
 و شجاع معلم، و فارس مغوار، و منتجع فلاحة، و معاني صناعة، و ملتئم
 تجر ما لم تستأصله الهزائم المشهودة و الوقائع المبيرة. كفى الله شرهم،
 و دفع ضرهم، و تخلص من أسرى المسلمين الذين كانوا تحت يد الكافرين

(١) في الأصل: الثرة.

(٢) في الأصل: المستجارة.

جفلة طرقهم في المطامير' المطبقة عليهم الفرج ، فكل منهم في الضيق
 خلص و خرج . و تحصن كثيرا من الكفرة بقلعة المدينة ، فعطينا تلك
 القلعة الشفاء المضرة التي لم يعهد مثلها في سالف عصر و دهر غابر ،
 بلغ فيها الصبر أغني ما تتجاذبه مطولات القصص و غرائب الأسمار ،
 و تجمع إليه السنة الأخبار ، فدخلنا قصة القلعة الأولى ، و ارتفعت ٥
 في أبراجها البنود ، و انتقل من بها إلى القصة الثانية ، فرمتهم الرماة ،
 ففشت فيهم الجراحات ، و نبأ بهم الوطن ، و اقتطفتهن المحن ، فأعطوا
 الأمان ، و بذلوا في جماجمهم من الفدا على الإفراج عنهم ، و الإقلاع
 عن ساحتهم ، فاقترضنا مائة من متخير رهائنهم ، هذا بعد جهر المنادى
 بعقر الأشجار ، و انتساف الأقطار ، فأمسى الجنان الخضر لا تظل ضاحيا ، ١٠
 و لا تقل فراشا هافيا . و تناوات الفؤس جرائم العقار ، فعقرتها السنة
 النار سورة " و التين و الزيتون " فخرقتها ، و استوصلت عاديات الأشجار ،
 و فجع بخندق / الجنة أهل النار ، و طاف عليها طائف من الله فأصبحت
 كالصريم ، و تقاسمت الأيدي تخرب أسوارها ، فهمت أسنان الشرفات ،
 و جذعت أثنافي* الأبراج المشرقات ، فهي اليوم الياب البلقع ، السنى ١٥

(١) أى الحفر في الأرض التي تخزن فيها الحبوب .

(٢) في الأصل : كثيرا .

(٣) في الأصل : تبا .

(٤) في الأصل : و ابدلوا .

(٥) في الأصل : اثنافي .

لا يرفع ، و اتفق من تمام الصنع أن يلاحق بعسكرنا عليها وزير صاحب
 قشتاله^١ في كتيبة حسناء من قومه ، و عدد جم من أتباعه ، مستجيرا
 بنا من مطالبة سلطانه ، طارحا نفسه علينا في تكفل أمانه ، فرأى
 الوزير من وفود عساكر المسلمين ما بلّد فكره و حير لحظه ، و شاهد
 ه من عظم أثرهم في البلد المستباح الذي رمزوه ، و عدد من أسروه
 و استرقوه ، ما ضاعف حسرته ، و أذرف عبرته . فكان ذلك طرازا
 على الحلة ، و تماما للنعمة . و قد نجح الكفر بمدينة جيان كرسى ملك
 الإفرنج ، تركها^٢ المسلمون أوحش من القفر ، و أخوف من القهر ،
 مرصوفة السكك بالخشب^٣ و الأشلاء ، مظلة بغير الدخان تبلغ أعنان
 ١٠ السماء ، قد شاه مرآها الجميل ، و أوحش مربعها الأنيس ، فولى ملاء^٤
 بلاد الكفر رعبا و جأشها زعرا ، و أقام لدين الإسلام وزنا ، و يالها
 من شوكة كفر حصدها الله و أبادها ، و أذهب كيادها^١ ” و من يتوكل
 على الله فهو حسبه ان الله بالغ امره “ . فانصرفنا عنها و قد دمرها
 الحريق فصارت رمادا ، و ألبسها الشكل^٤ حدادا ، ثم استجشنا و مضينا

(١) ربما كان هذا هو « القند » الوارد في مطلع الرسالة . و في الأصل :

قشتاله .

(٢) في الأصل : تركتها .

(٣) أي الجماعة من الناس ، في الأصل : بالخشب أو الحطب .

(٤) في الأصل : للشكل .

إلى مدينة أبده^١، لنهيض^٢ منها ثانی جناحی الکفر، و تؤمن جهة الأندلس الشرقية عادية الضر، إلى أن حللنا بعد مراحل ضفة الوادی الكبير^٣، و لما صبحنا بساحتها، و أزمعنا بعزة الله استباحتها، نظرنا إلى مدينة حصينة . فقلنا : اللهم ا سهل صعبها ، و أسفل كعبها ، و اجعلها لعبادك أنفالا ، و اترك معالمها أغفالا ، و بواديهما لرياح النصر ثقالا . ٥

فعاطينا حربا تبرجت لأبطال المسلمين الحور، و تجلت بشذور الدُمى لها النحور، و علت بالشهادة الأصوات، و حامت على موارد الشهادة الكفاة، / و بيعت من الله النفوس، و دارت للأجال الكؤوس، حتى ١١٣/الف

أثمر الصبر ثمراته المعهودة، و أنجز الصبر مواهبه الموعودة، فافترعت الشرفات المشرفات، و أصبحت منها المسافات، تطؤها الآفات . و دخلت ١٠ المدينة و القدرة لله غلابا، و تقسمتها أيدي الإسلام قتلا و استلابا، و فتحت المقاصر و المقاصير و القصور، و اقتحمت الديورة و الدور،

(١) و هي بلدة (Ubeda) الواقعة شمال شرق جيان المذكورة (Jaen) عبر نهر الوادی الكبير - انظر أيضا الإدريسي (صفة المغرب و أرض السودان و مصر و الأندلس - نشر دوزي و دي خويه في امستردام ١٨٦٦ و ١٩٦٩) ص ١٩٦ و ٢٠٣ و هو مستخرج من « نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ». و انظر كذلك الحميري (الروض المعطار في خبر الأنطار - نشر لبني بروفسال - القاهرة ١٩٣٧) ص ١١ تحت « ابذه » .

(٢) أي لنكسر، و في الأصل : لنهيض .

(٣) نهر (Guadalquivir) شهير بأسبانيا .

و خسفت في مطالع بروجها البـدور ، و انتسفت الأوقات ، و أوقع بالكفرة القوات ، و أخلى من سروج فرسانهم الصهوات ، و أيتمت من آباتها البنون و البنات . و كان سورها^١ الذي تعاصى على الذرع و المساحة فوره ، و تعدى حدود المدن طوره ، قد استودع أفنيته نعم ه لمسارحها التي أخفاها الخلاف ، فآلقاها^٢ المسلمون ألوفا لا تحصى ، فتناول تلك المواشى الاقسام ، و أما الأهراء الموصلة ، و الخزانن الجملة و المفصلة المحصلة ، فأعي نقلها الظهور ، فاستغرق الأيام لا بل الشهور ، ثم تركنا قصورها السامية قيعانا ، و كنائسها الحافلة آثارا لا عيانا ، و قد أخزى صلبانها ، و أحرقت النار رهبانها ، و أتى الله بيوتها من القواعد فخرت و زلزلت مصانعها العالية فاستوت على وجه الأرض و استقرت ، و لما فرغت الأيدي المجاهدة من داخلها تدميرا و تخريبا انطلقت على خارجها عقر الأشجار ، و تعفية الآثار ، و تغوير الأنهار . فالحمد لله على تخريب مدينة أبده بعد تخريب مدينة جيان ، فكيف لا يحمد الله على تخريب هذين المصرين الشهيرين ، و القطبين الحصينين ، ١٥ بحيث تمضى الأحقاب و هما عبرة للعترين ، و موعظة للمستبصرين . و نحن نشرع إن شاء الله تعالى في غزوة مدينة قرطبة دمرها الله تعالى ، و جعلها خاوية على عروشها ، و أهلك جندها و فنوشها^٣ / و أما مدينة

١١/ب

(١) في الأصل : مسورها .

(٢) في الأصل : فآلقاها .

(٣) جمع فنش ، أو الفنش أي (Alfonso) .

أطريزه^١ فلما جزنا عليها ، وجدنا أهلها أخلتها و تركت أثارها خوفا
 فهبتها أيدي المسلمين ، و قفلنا إلى بلادنا و الألوية بالنصر خافقة ، و السنة
 الحمد و الشكر لله ناطقة . قد سقنا الأموال و الأسارى ، و تركنا
 النصارى بما فعلنا في أراضيهم حيارى - و السلام^٢ . - آخر الكتاب
 الذى أرسله السلطان ابن الأحمر يبشر به السلطان صاحب مدينة فاس . ٥
 و كان السلطان أبو عبد الله محمد بن يوسف سلطان المسلمين
 بالأندلس^٣ [المعروف بابن الأحمر رسم في غزوته أن كل من غنم غنيمة
 هي له ، فاستغنى^٤ المسلمون المجاهدون غنى كثيرا حتى قيل إنه لم يبق
 من المسلمين بالأندلس [فقير^٥ . و قيل إن السلطان ابن الأحمر المذكور ،
 لما كثرت عليه أسارى الفرنج من النسوان و الولدان ، قيل له لم يكن ١٠

(١) في الأصل : أطريزه، و صححتها (Utrera) مدينة بالقرب من إشبيلية (Seville)
 في جنوب الأندلس .

(٢) حاولنا قدر الاستطاعة الاحتفاظ بأسلوب هذه الوثيقة على ما قد يكون
 ببعض أجزائها من الألفاظ و الجمل الغريبة . هذا و لم نجد لها أثرا أو ذكرا
 في لسان الدين بن الخطيب « الإحاطة في أخبار غرناطة » أو دراسة محمد كمال
 شبانه (يوسف الأول ابن الأحمر سلطان غرناطة - طبع القاهرة ١٩٦٩)
 بقصد المقارنة

(٣) العبارة المحجوزة ساقطة من النص و وردت في الهامش بقلم المصحح .

(٤) في الأصل : استغنت .

(٥) في الأصل : فقيرا .

لهؤلاء محمل، وليس لهم قدرة على المشي، بخلاف الأسارى الأعلاج
فإن لهم قدرة عليه. قال السلطان: بل للنسوان والولدان محمل،
فأفعلوا مثل ما أفعل، يحملون^١ كلهم، وأخذ امرأة جميلة أردفها
خلفه، وأخذ ولدا صغيرا حمله قدامه. ففعل كل من في العسكر كفعله
٥ ذلك، و مضوا بهم إلى بلاد المسلمين، فتسرى^٢ المسلمون بالنسوان،
وجعلت الولدان في المكاتب يقرؤون القرآن.

ولما كان في شعبان سنة تسع وستين وسبعمائة^٣، ورد في
ركب المغاربة القاصدين للحج رجل من أهل مليج^٤، كان دخل
الإسكندرية يتسوق منها لدكانه الذي^٥ يبلده على جارى عادته،
١٠ فصادف بها وقعة القبرسى حين ظفر بها، فأسر بجملة من أسر من
أهلها. فأخبر عن نفسه أنه وقع في سهم رجل من نصارى الأندلس.
قال: فصرت أسيرا في مملكة القند ملك مدينة جيان^٦. فلما ظفر
السلطان ابن الأحمر بها، كنت في جملة من أسره منها، فوقفت بين
يدى سلطان المسلمين، وهو أبو عبد الله محمد بن الأحمر مستغيثا.

(١) في الأصل: يحملوا.

(٢) في الأصل: فتسرت.

(٣) مقابلها سنة ١٣٦٧ - ١٣٦٨ م.

(٤) إحدى مراكز مديرية المنوفية بالقرب من عاصمتها شبين الكوم.

(٥) في الأصل: التي.

(٦) انظر الحواشي السابقة وراجع الفهارس.

وقلت له: / أيها الملك المنصور! إنني رجل مسلم من ذرية المسلمين،
 ولم أكن نصرانياً^١، ولا آباتي ولا أجدادي نصارى. قال: و من
 أين أنت؟ قلت: أنا من بلدة يقال لها ملبج من أرض مصر، بين
 مصر والإسكندرية، دخلت الإسكندرية أتبضع منها على جاري عادتني
 لدكاني الذي^٢ هو بيلدتي، فصادفت ورقة القبرسي بها، فهبت وأسرت،
 فأتت بي النصاري إلى هذه الأرض، واستوفيت ما كتب علي، وقد
 خلاصني الله تعالى من الأسر على يدك بما فتح الله عليك. وقد حصلت
 بين يدك، وأنا الآن في جملة أسراك، وأنا مسلم مثلك، اقرأ
 ما تيسر من القرآن، وأصلي على سيد الأنبياء محمد بن عبد الله بن
 عبد المطلب بن هاشم سيد ولد عدنان. ثم تشهدت^٣ وقرأت سورة ١٠
 من القرآن، فلم أت من المسلمين لا من النصاري الكافرين. ثم قال
 لي: و ورقة الإسكندرية صحيحة كما قيل؟ قلت له: ظفر بها صاحب قبرس
 نهبها وأسر منها وأنا من جملة تلك الأسارى. ثم أخبرته بخبر ظفره بها،
 وفرار أهلها منها، حتى تسليها الملعون منهم في يوم واحد، وهو يوم
 الجمعة في أواخر المحرم سنة سبع وستين وسبع مائة^٤. فقال عند ذلك: ١٥
 لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، أنا لله وأنا إليه راجعون. لقد

(١) في الأصل: نصراني.

(٢) في الأصل: التي.

(٣) في الأصل: تشهدت.

(٤) أي سنة ١٣٦٥ م والمحرّم يقابل سبتمبر و أكتوبر - انظر حواشي سابقة.

هتكنا أهل الإسكندرية بين النصارى، أتاهم كلب من كلاب الجزر
أقل عددهم، ونهب بلادهم، ولا أخذ لهم بثأر، فآه آه لو كنا
بالقرب من قبرس لكانت قبرس أكلة رجل من أهل الأندلس قال:
ثم إنه أحسن [إلى] وأطلق سبيلي، ولي نحو سنة أقطع السهل والوعر إلى
ه أن وصلت إلى الإسكندرية صحبة الركب المغربي. وقد حصل لي أمر
مريج، وها أنا سائر / لبلدى مليج.

ب/١١

قال المؤلف رحمه الله تعالى و غفر له و لوالديه و الأقربين إليه
و المسلمين أجمعين: حدثني بعض المغاربة القادم في الركب المغربي بسبب
الحج أن القند صاحب المملكة النصرانية أرسل للسلطان ابن الأحمر
١٠ يطلب منه الصلح لما داخله منه من الرعب بسبب إخراجه لمدائنه، فقال
لرسوله: أرسل القند يصالحنى، وتمضى النصارى إلى سواحل المسلمين
بأرض مصر يقاتلونهم، لا كان ذلك أبدا حتى ترد أموال الإسكندرية
إليها مع أسراها، و يأتينى^٢ كتاب صاحب مصر بأنكم اصطلحتم معه،
لأنه خادم الحرمين الشريفين، و أنا خادمه بسبب ذلك، و حينئذ
١٥ أصالح صاحبك القند، و إلا السيف بينى و بينه حتى أملك^٣ إشبيلية
و قرطبة و طليطلة^٣، و أعيدها للمسلمين كما كانت لهم. فلما بلغ القند مقاله،
قصر لسانه عن رد جوابه. و قالت المغاربة الحجاج: إن المسلمين

(١) في الأصل: قل.

(٢) في الأصل: و يأتنى.

(٣-٣) المدن الرئيسية بالأندلس و هى (Seville, Cordoba, Toledo).

أخذوا من حصون الفرنج بالأندلس حصونا^١ عدة منها حصن أشر^٢ ،
 و حصن الرود^٣ ، و حصن قنيل^٤ ، و حصن الجوابر^٥ ، و حصن طورن^٦ ،
 و حصن فرضالس^٧ ، و حصن قنيط^٨ ، و حصن بيغوا^٩ الحجر ، و حصن
 برج الحكيم^{١٠} ، و مدينة اشونه^{١١} ، و مدينة برشانه^{١٢} ، بعد أخذه للندن
 المتقدم ذكرها ، فجملة ما أخذ السلطان ابن الأحمر للنصارى في تلك
 السنة ما بين مدينة و قرية ثمانية و أربعون غير الحصون المذكورة^{١٣} .

(١) في الأصل : حصون .

(٢) كذا في الأصل ، و ربما كانت « الش » التي ذكرها الإدريسي في صفة
 الأندلس (ص ١٧٥ ، ١٩٢ - ١٩٤) .

(٣) من الحصون و القلاع الصغيرة بالقرب من ابدو و اطيريه لم نعثر عليها
 في وصف الإدريسي للأندلس و لا الروض المعطار للحميري أو الأطالس
 التاريخية .

(٤) وردت « بيغو » في (الروض المعطار ص ٦٠ - ٦١) « مدينة بالأندلس
 من عمل غرناطة » .

(٥) من ضمن الحصون الصغيرة التي لم نعثر على موضعها .

(٦) في الأصل : اسونه . و وردت بالشين في (الروض المعطار ص ٢٣) من
 من كور أستجه في الجنوب الغربي من قرطبة . و جاءت بالإدريسي
 (ص ١٨٤ و ٢٠٦) .

(٧) جاءت في (الروض المعطار ص ٤٢) « بالأندلس و هي حصن على مجتمع
 نهرين ، و هو من أمنع الحصون مكانا ، و أوثقها بنيانا ، و أكثرها عمارة » .
 و أوردها الإدريسي (ص ١٧٥) .

(٨) في الأصل : المذكورون .

وقالت المغاربة أيضا: إنه كان بمدينة جيان حمام في نهاية الحسن كانت أعجوبة من الأعاجيب في البناء، فأخربها المسلمون . وقالوا أيضا: ومن العجائب بالاندلس جامع قرطبة، وهو أن الرجل الذي يقف في أوله لا يرى الذي في آخره / من اتساعه وحسن عمارته . ومن العجائب أيضا مئذنة بمدينة إشبيلية، يصعد فيها فارسان^٢ في مدرجها إلى أن يصيرا بأعلاها .

١١ / الف

فبغزوة السلطان أبي عبد الله محمد بن الأحمر هذه، حصل للمسلمين أخذ ثار الإسكندرية، وثار السلطان أبي الحسن المريني^٣ المتقدم ذكره، ظفر انتفس^٤ بعسكره كما تقدم ذكر ذلك مفصلا .

[حصون المؤمنين -^٥]

١٠

و إذ قد ذكرت الحصون، فلنذكر ما قيل في حصون المؤمنين . وذلك أن الله تبارك وتعالى جعل لكل مؤمن سبعة^٦ حصون: الحصن الأول من ذهب - وهو معرفة الله تعالى، و حوله حصن من فضة - وهو

(١) في الأصل: فأخربتها .

(٢) في الأصل: لم .

(٣) في الأصل: فارسين .

(٤) في الأصل: أبا .

(٥) انظر حواشي سابقة و راجع الفهارس .

(٦) في الأصل: النفس .

(٧) العنوان مشتق من النص في مطلقه .

(٨) في الأصل: سبع .

الإيمان بالله تعالى ، و حوله حصن من حديد - و هو التوكل على الله تعالى ،
 و حوله حصن من حجارة - و هو الشكر و الرضى بقضاء الله تعالى ، و حوله
 حصن من نحاس - و هو الأمر و النهى و القيام به ، و حوله حصن من
 اللؤلؤ الرطب - و هو أدب النفس ؛ فالمؤمن داخل تحت هذه الحصون ،
 و إبليس وراء هذه الحصون ، ينبح كما ينبح الكلب ، و المؤمن لا يبالي به ،
 لأنه قد تحصن منه بهذه الحصون . فينبغي للمؤمن أن لا يترك أدب النفس
 في كل أحواله ، فإن من ترك أدب النفس و تهاون به ، يأتيه الخذلان
 من فوقه لتركه أدب النفس ، فلا يزال إبليس يعالجه و يضع فيه أقدامه
 إذا ترك أدب النفس ، فيأخذ منه حصنا حتى يأتيه الخذلان من الله تعالى ،
 فإذا أخذ منه كل الحصون ، رده إلى الكفر ، و يخلده في النار ، فنعوذ
 بالله منه و من النار

سأل بعض الفقراء شيخه ، فقال له : أوصني بوصية أنتفع بها .

قال : نعم جبرك الله ! اجتهد في رضى خالقك بقدر ما تجتهد في رضى
 نفسك ، و اعمل في دنياك بقدر مقامك فيها ، / و اعمل لربك بقدر حاجتك
 إليه ، و أطع إبليس بقدر نصحه لك ، و ارتكب من المعاصي بقدر طاقتك
 على النار ، و احفظ لسانك ما استطعت ، و اترك أربعا لأربعة ، ثم لا تبالي
 متى مت ، اترك الشهوات إلى الجنة ، و النوم إلى القبر ، و الراحة إلى
 الصراط ، و الفخر إلى الميزان ، و اسلك الأدب ، تسلم من العطب .

قال المؤلف غفر الله له و لوالديه و الاقربين إليه و للمسلمين أجمعين :

وقفت على قصيدة طويلة جدا لقاضي القضاة عز الدين عامر بن عامر ٢٠

(١) في الأصل : لا تبالي .

البصرى المتصوف . عارض بها قصيدة ابن الفارض الثائية ، فرأبته ذكر
فيها عجائب و غرائب ، فكتبت منها هنا فصل الآداب ، وأولها هذه
الآيات :

٥ تجلى لى المحبوب فى كل رجة فشهد منى كل معنى و صورة
فما قاله فى الآداب :

تخلق بأخلاق الإله مقدسا لنفسك عن أوساخ كل رذيلة
تبت فارغا عن جملة الخلق راضيا محلى بأخلاق الإله الشريفه
وقم بحدود الله واحفظ حقوقه وراع له ترعى به كل حرمة
ولازم ألباء الرجال وكن لهم خدوما لكيا تحظ منهم بخدمة
١٠ وراع حقوق الأهل والجار واحذر ال
وعف بتقوى و اعف عن قدر وكن
وحدث بحق إن نطقت تفر به وإلا فلا تنطق بجهدك واصمت
وإياك والسلطان والبحر طالبا لدينا تنلها منها بكفاية
فكن خائفا فى حال أمنك منها وفى حال خوف موثنا من سلامة
١٥ فلا تك منقادا لطبعك طائعا فيلقيك يا مسكين فى كل نكبة
ولا ترتكن^١ يوما إلى الغيد واجتنب دهاهن^٢ فى تدقيق كل مكيدة
وإياك أن تسمى أسيرا لقينة وإياك أن تغدو صريعا لقهوة
ولا تك جباللدام مداوما فيصرع منك العقل أية صرعة

(١) فى الأصل : تركز . ولا يستقيم بها ميزان الشعر .

(٢) فى الأصل الكلمة مقسومة بين الشطرين .

وخذ باعتدالك من لطائف ذوقها
 ولا تك بالشرنج والرد مغرما
 / ولا كلفا بالخيل والصيد ذاهلا
 ولا تكثرن الهزل في كل مجلس
 ولا تبسطن^١ في مجلس بتمسخر
 ولا تكثرن الجمع للمال مائلا
 ولا تك متلافا ولا ممسكا له
 ولا تك عبد البطن والفرج واستعن
 و صن منك عرضا تبذل المال دونه
 ولا تك في سفك الدماء مهورا
 وحارب إذا حاربت فالحرب خدعة
 وكن مبديا للخصم وجه بشاشة
 وقابل بحلم منك ذا الجهل واجتهد
 وخالف هوى النفس التي طالما وهت^٢
 وكن في سبيل الله جدا مجاهدا
 فذل رجال الله في الله عزة
 وإن كنت ذا ذوق بذاتك فامقت
 فترجع مغبونا بأخسر صفقة
 ولا غرقا في بحر لهو وعشيرة
 ولا القول إلا في الأمور المفيدة
 ولا تمزحن^٣ في محفل بسفاهة
 إليه بحرص مفرط ومحبة
 فتصبح ممقوتا به شر مقفلة
 بتقليل نوم^٤ مع كثير رياضة
 تغرظ من تعادي إن فعلت وتبكت
 فقتل بقتل إن خلا من عناية
 بفكر ورأى واحتيال ولينه
 ولا تبدين^٥ يوماله وجه غلظة
 بأن لا تقابل منه جهلا بجهلة
 به نفس حر في هوان وهوة
 ولا تخش فيه من أليم ملامة
 وعز بنى الدنيا مشوب بذلة

(١) في الأصل : تبسط . ولا يستقيم بها الوزن - و نون التوكيد موجودة في الشطر الثاني وفي البيت التالي مما يستدعي وجودها هنا أيضا .

(٢) في الأصل : يوم .

(٣) في الأصل : ولا تبديا .

(٤) نقلنا الكلمة من الشطر الثاني في الأصل . وفي الأصل : طال ما .

ولا ترهبين الموت قبل حلوله
فكل امرئ يوما وإن طال مكثه
ولا دافع عنه له إن أتى ولو
فطعم الرزايا في أمور حقيرة
٥ وكن ناطقا بالحق إن شاء أو أبنى
ولا تخش إلا الله في كل حالة
فدو الجهل لا يرضيه شيء وذو الحجى
وإن نلت في نيل المعالي مشقة
يصح انبجار النفس بعد انكسارها
١٠ فجرد عن الأشياء نفسك واقتنع
ولا تحزن يوما على فوت خرفة
و ساعد إذا ما ساعد الدهر قبل أن
ولا تأس شعانا و جارك جائع
وكن فطنا شهما لبيبا مهذباً
١٥ و ساع أخاك الحر في فعله إذا

ولا تخش منه إن أتاك بهجمة
له أجل يأتي لوقت موقت
تمنع منه بالحصون المنيعة
كليمك مقادما به ذا بسالة
يعنك وكن حرا قنوعا ببلغه
يعيش بنفس حرة مطمئنة
فإن المعالي بالمكاره حفت
إذا قنعت في ظل بيت بكسرة
بأيسر شيء من لباس و طعمة
ولا تأسفن يوما على ذوق لقمة
يفوتك مكان بتضييع فرصة
فتصبح موسوما بأرذل خصلة
أديبا كريما مؤثرا عن خصاصة
أنى ذلة و اغفر له جرم هفوة

(١) الشطر الثاني مكانه بياض بالأصل ، وربما كان الشطر الأول هو الثاني
بدليل القافية .

(٢) في الأصل : أبا .

(٣) نقلنا الكلمة من الشطر الأخير إلى مكانها ، وفي الأصل : وذو الحجا .

/ وكن أبدا هشا له متبسا
 يدم لك مهبا عاش أو عشت وده
 ولا تك مكثارا إذا زرت صاحبا
 ولا إذا كرا بالسوء من قد عرفته
 وسرك فاحفظه وكن كاتما له
 وكن آخذا بالعهد في كل حالة
 ولا تك حقادا إذا صاحب أسا^٢
 ولا حاسدا خلقا على فضل نعمة
 ولا نافضا عهدا لخل محافظ
 ولا تك في حال الغنى طاغيا ولا
 وإن بك خطب^١ حل فاثبت وداره
 وخذ من صريح العلم والفضل كل ما
 فلا تك ذا خبث و مكر منافقا
 و عود بصدق القول ما دمت ماثلا^٧
 ولا تك ضحاكا ولا ذا عبوسة
 و تصبح معروفا^٢ بعهد و ذمة
 ولا قاذفا من غاب عنك بغيبة
 ولا ناسيا يوما لعهد و صحبة
 تعش في أمان من أذى ذى عداوة^٥
 تحاول تسلم من سهام ندامة
 إليك و أبدى عنده ذا ضغينة
 ولا ناسيا حقا لمبدي صنيعته
 ولا قاطعا جبلا لصاحب وصلة
 إذا مس فقر مظهرا لكآبة^{١٠}
 بصبر جميل^٥ عند أول صدمة
 يزينك في حالي مقام^٦ و رحلة
 فتبلى بذى مكر و نفس خيشة
 لسانك و احذر أن تفوه بكذبة

(١) في الأصل : ذو .

(٢) في الأصل : معروف .

(٣) في الأصل : اسي .

(٤-٤) في الأصل : يك خطبا .

(٥) في الأصل : جميلا .

(٦) في الأصل : مقيم .

(٧) في الأصل : ما يلا .

و لا تك سفسافا لخوف من امرئ
 و لا تك دخالا على الناس خارجا
 و لا تك هجّاما على من عرفه
 و لا تك جذابا بحرص تكالب
 ٥ و لا تك كسلانا عن الكسب واحترز
 و كن حاملا أثقال أهلك دافعا
 و كن راعيا عهدا لخل و إن جفا
 و لا تك مغرورا بجماء تناله
 و لا تك جبارا إذا دولة أتت
 ١٠ و كن نابذا من صحبة الناس هاربا
 و لا تله عن محو الرذائل واقن ال
 و كن شاكرا لله في كل حالة
 تخاطبني نفسي بأشياء في الكرى
 و من خطب العلياء يوما و لم يكن

و لا طمعا عن رغبة أو لرغبة
 بصورة إيذاء و نقل نمية
 فتدعى ثقيلًا أهوجا ذا حماقة
 لأسباب دنيا من وجوه خسيصة
 من الذل للاخوان في نيل حاجة
 بسعيك عنهم همّ كل مهمة
 أخوك^٢ فصل واحفظ حقوق الأخوة
 فتسلبه الأيام أعجل سلبه
 و لا تك خوارا إذا هي ولت^٣
 فعز الفتى في أن تراه بعزلة
 فمضائل و اجهد فهي أفضل قنية^٤
 و لا تظهر الشوى إذا النعل زلت
 إذا عاينتها عين غيرى أقرت
 صبوراً على وقع القنا^٥ و الأسنه

(١) في الأصل : النار .

(٢) نقلنا الكلمة من الشطر الأول في النص .

(٣) الشطر في الأصل : و لا خورا منها إذا هي ولت - و هو مكسور و لا يترن
 مع اشطر السابق ، و الوضع الذي اقتبسناه أصبح بدون تغيير في المعنى و مقابله
 مع الشطر الأول .

(٤) في الأصل : تعنة .

(٥) في الأصل : الضبا - كذا بالضاد المعجمة . ولعله : الظبي - بالظاء المعجمة

فليس له في أن يعرض نفسه لها^١ و ليعش عنفا بأدنى معيشة
 /أجباءنا إن الليالي بعدكم رمت^٢ بسهام البين شملي فأصمت
 تفتت مذ بتم فؤادي بالنوى وأي فؤاد بالنوى لم يفتت
 لأن كنتم يوما أنتم بغيرنا فعندي لكم والله أعظم وحشة
 بعيد عن الأوطان فرد مشرد طريد عن الإخوان في كل بلدة
 فلست أبالي أن أكلت لقيمة وبت و رأسي مسند فوق لبنة
 ولا فرق عندي بين يابس كسرة إذا نلتها يوما وبين قليية
 ولا بين نومي فوق خز مطرز وبين منامي فوق صفحة تربة
 لساني قوسي و التفكير جعبي و لفظي سهامي و المعاني رمي^٣
 و عقلي سلطاني و نطقي حاجبي و جسمي تختي و الملوك رعيتي^٤
 و نفسي نديمي و المباحث مطربي و ذهني كأسي و الحقائق خمرتي
 مخيلاتي نجملو على عرائسا و بديعات حسن و التميز سمعتي
 و صدقي صديقي و العفاف ملازمي و سرى سميري و المعاني حبيبي
 و صبري معيني و احتمالي مساعدي و حلمي نصيري ثم سلمى وسيلتي
 و فقري غنائي و اشتغالي فراغتي و مالي تجريدي و كنزي قناعتي^٥
 تجرعت أحداث الزمان و ذقتها بطعمي جناها حلوة بعد مرة
 فلم أر في الدنيا أشد نكايه بقلب محب من فراق أحبة

(١) نقلنا الكلمة من الشطر الأول ليستقيم الوزن في كل من الشطرين .

(٢) نقلنا الكلمة من الشطر الأول ليستقيم وزن الشطرين .

(٣) في الأصل : رمية .

(٤) في الأصل : غمى .

و بكر أتت لا فارض بعد عليها إذا ما بدت أخفت سنى الفارضية
 لها زى مسكين لضعف معينها على أنها سلطان كل قصيدة
 تخال معانيها خلال حروفها كواكب تدير فى حنادس^١ ليلة

[أخبار المغاربة و أسارى الفرنج -^٢]

٥ فلنرجع إلى ذكر ما أخبرت به المغاربة القادمون^٣ إلى الإسكندرية
 فى الركب بسبب الحج . قالوا : و قد أتى إلى مدينة فاس من أسارى
 الإفرنج الذين أسرهم السلطان ابن أحر كثيرا حتى أنهم من كثرتهم
 لم يسمع الإنسان كلام صاحبه من كثرة جلجلة قيودهم عند مرورهم
 ابتاعتهم أهل فاس من وقعة الأنداس . و حدثنى أبو الفضل قاسم بن
 ١٠ محمد قاضى رنده^٤ القادم فى الركب المغربى أن الأسارى التى حصر عددها
 من الرجال و النساء و الأطفال سبعة آلاف و ثمانمائة رأس .

و إذ ذكرت الأسارى . فلنذكر الآن ما قيل فى أسارى الكفار
 إن شاء الله تعالى - قال العلماء : يقتل الإمام من أسارى الكفار من

(١) فى الأصل : حنادس .

(٢) العنوان مقتبس من النص ، و هو غير وارد فى الهامش .

(٣) فى الأصل : القادمين .

(٤) فى الأصل : التى .

(٥) « رنده » مدينة قديمة بالأندلس على نهر ينسب إليها ، أوردها الحميرى

(ص ٧٩) .

لا يؤمن منه شره .

ب / ١١٧ / روى ابن وهب أن النبي صلى الله عليه وسلم قتل سبعين أسيرا بيدر، و قتل عقبة بن أبي معيط، و كان قد أخذه أسيرا يوم بدر فقتله . فقال : من للصية؟ قال : النار . و الأصل في هذا قوله تعالى " ما كان لنبى ان يكون له اسرى حتى يثخن في الارض " ، قيل بالقتل الكثير ، و قال تعالى " فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم " ، و قال تعالى " فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد و اما فداء حتى تضع الحرب اوزارها " . فأجمع مالك و أهل العلم أن الإمام مخير في الأسارى بين خمسة أشياء : إما أن يقتلهم ، أو يسترقهم ، أو يمن عليهم بالفداء ، أو يعقد لهم الذمة و يضرب عليهم الجزية ، لأنه استعمل الآية كلها . و فسر التخيير في الأسارى ليس على الحكم فيهم ، و إنما هو على وجه الاجتهاد في النظر للمسلمين ، كالتخيير في الحكم على المحارب ، إما أن يقتل أو يصلب أو يقطع يده و رجله من خلاف ، أو يبنى في الأرض بالسجن .

قال نجر الإسلام أبو بكر الشاشي : إذا أخذ قاطع الطريق نصابا ١٥ في المحاربة قطعت يده اليمنى و رجله اليسرى . و إن قتل في المحاربة انحتم

(١) قرآن كريم سورة ٨ آية ٦٧ .

(٢) قرآن كريم سورة ٩ آية ٥ .

(٣) قرآن كريم سورة ٧ آية ٤ .

(٤) في الأصل : انحتم - كذا بغير النقط .

قتله ، و إن قتل و أخذ المال قتل و صلب . قال الله تعالى ' انما جزوا الذين يحاربون الله و رسوله و يسعون فى الارض فسادا ان يقتلوا او يصلبوا او تقطع ايديهم و ارجلهم من خلاف او ينفوا من الارض ' - الآية .

٥ قال ابن عباس فى قطاع الطريق : إذا قتلوا و أخذوا المال ، قتلوا و صلبوا ، و إن أخذوا المال و لم يقتلوا ، قطع أيديهم و أرجلهم من خلاف ، و إذا هربوا طلبوا حتى يوجدوا ، فيقام فيهم الحد . و إن تاب قاطع الطريق قبل القدرة عليه ، سقط عنه ما لم يختص بالمحاربة . فأما حدود الله فى غير المحاربة ، فانها تسقط بالتوبة مع إصلاح العمل فى أصح القولين ، فان كان الأسير من أهل النجدة و القوة و النكاية فى المسلمين ١٠ قتله ، و إن لم يكن كذلك و كان ذا صنعة استرقه ، و إن كان فيه محمل^٢ لأداء الجزية أعتقه ، و إن رأى فداء الأسير أولى أخذ فيه الفداء / إن بذل فيه مالا كثيرا أكثر من قيمته . و إن كانت صنعة تحتل خراجا أخذ منه سيده على قدر عمله فى صنعة . ألا ترى ما كان من أبى لؤلؤة ١٥ لعنه الله و اسمه فيروزا و كان علجا للغيرة بن شعبة . و الذى كان من أمره مع عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

إنه كان نجارا يصنع الأرحية بالمدينة ، فسأل عمر أن يأمر سيده و أهله [أن -] يخففوا عنه من خراجه ، فأبى عمر لما علم من كثرة متحصله

(١) قرآن كريم سورة . آية ٢٣ .

(٢) فى الأصل : محملا .

(٣) - قاطعة من الأصل .

من عمل الأرحية ، ففقد أبو لؤلؤة في نفسه منه ، فسأله عمر أن يصنع له رحي ، فقال : لأصنعن لك رحي يتحدث بها في المشارق و المغرب ! فقال عمر : هددني والله عدو الله . ثم إن العليج المذكور طعن عمر في صلاة الصبح بخنجر ، فصاح عمر و قال : من طعنني ؟ قالوا : عليج المغيرة . فقال : إني كنت نهيتكم : لا تجلبوا إلينا من علوجهم شيئا ، فعصيتموني . ثم دعا ٥ بلبن فشربه فخرج من الطعنة ، فأيقن بالموت ، وقيل : إن كعبا طيب العرب سقاه اللبن فخرج من طعنته ، فقال له : يا أمير المؤمنين ! تعيش ثلاثا ، فأنشد عمر يقول هذين البيتين :

و واعدني كعب ثلاثا يعبدها و عندى أن القول ما قاله كعب
و ما بي حذار الموت إني ميت و لكن أخاف الذنب يتبعه الذنب ١٠
و كان عمر رأى في منامه أن ديكا أحمر نقره ثلاث نقرات ، فتأوله
عمر : رجل من العجم يطعنه ثلاث طعنات ، فطعنه أبو لؤلؤة بخنجره ،
و ذلك في صلاة الصبح ، إحداهما بين سرتة و عاتة خرقت الصفاق ٢ و هي
التي قتلته . و طعن أبو لؤلؤة في المسجد ثلاثة عشر رجلا ، مات منهم
سبعة . فأقبل رجل من بني حطان ، فألقى كسائه عليه ، ثم احتضنه ، ١٥
فلما علم العليج أنه مأخوذ ، نحر نفسه بخنجره ، و قدم عمر صهيبا يصلي
بالناس الصبح ، فقرأ بهم " قل هو الله احد " في الركعة الأولى و " قل
يا أيها الكفرون " في الثانية ، و احتمل عمر إلى بيته مثبتا مشخنا ، فعاش

(١) في الأصل : ادعا .

(٢) الجلد الذي تحت الجلد الظاهر .

ثلاثة أيام . وكان قد استأذن عائشة أن يدفن في بيتها مع صاحبه ،
فقالت : والله لقد كنت أردت ذلك / المضجع لنفسى ، و لا وثرنه اليوم
على نفسى . وكانت خلافته عشر سنين . و صلى عليه صهيب بين القبر
و المنبر ، و دفنوه عند غروب الشمس .

١١ / ب

٥ و جعل الخلافة شورى بين عثمان و على و الزبير و سعد بن أبي
وقاص و عبد الرحمن بن عوف ليختاروا منهم رجلا يولونه أمر المسلمين ،
فوقع اتفاقهم على عثمان ، فولى الخلافة بعده .

قال أبو الحسن : كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه رجلا آدم
مشربا حمرة ، طويلا مشرفا على الناس من طوله كأنه راكب ، كث اللحية ،
١٠ حسن الخدين و الأنف و العينين ، ولى الخلافة يوم الثلاثاء لثمان ليال بقين من
جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة^{٤٢} من الهجرة . و طعن ثلاث بقين من
ذى الحجة سنة ثلاث و عشرين^٢ ، و هو ابن ثلاث و ستين سنة ، و كان
عمر يلقب بالفاروق ، لأن الشيطان كان يفرق منه ، أى يهرب منه ،
ولى الخلافة بعد أبي بكر رضى الله عنه ، و كان اسم أبي بكر فى الجاهلية
١٥ عبد الكعبة ، فلما أسلم سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله ، و عتيقا -
قيل لجماله ، و قيل لعتقه من النار .

(١) أى أسمر اللون .

(٢) يقابلها شهر يوليو سنة ٦٣٤ م .

(٣) يقابلها ١٨ نوفمبر سنة ٦٤٤ م .

صفته : كان آدم طويلا نحيفا خفيف العارضين ، غائر العينين ، مشرف الجبهة ناتي الوجنتين ، يغير شبيه بالخناء - انتهى .

[ذكر مناقب عمر - ١]

نعود الى ذكر مناقب عمر بن الخطاب رضى الله عنه - كان عمر بن الخطاب فى خلافته يجرى على نفسه من بيت المال درهمين فى كل يوم . ٥ فلما ولى عمر بن عبد العزيز الخلافة ، قيل له : لو أخذت ما كان يأخذ عمر بن الخطاب ا قال : كان عمر لا مال له و أنا مالى يغنيى ، فلم يأخذ عمر بن عبد العزيز من بيت مال المسلمين شيئا . وقيل لعثمان بن عفان بعد أن ولى الخلافة : مالك لا تكون مثل عمر بن الخطاب ؟ قال : لا أستطيع أن أكون مثل لقمان الحكيم ، و قال : كان إسلام عمر ١٠ / فتحا ، و هجرته نصرا ، و إمارته رحمة .

١١٩ /

عن الحسن البصرى قال : ما فضل عمر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان أطولهم صلاة و أكثرهم صياما ، و لكن فضلهم أنه كان أزهدهم فى الدنيا ، و أشدهم فى أمر الله .

قال ابن عباس : خرجت أريد عمر بن خطاب^٢ فى خلافته ، ١٥ فألفيته راكبا حمارا قد رسنه بجبل أسود ، و فى رجليه نعلان مخصوفان ،

(١) العنوان مستخرج من النص .

(٢) الخليفة الأموى و خلافته ٩٩ - ١٠١ هـ / ٧١٧ - ٧٢٠ م .

(٣) خلافته ١٣ - ٢٢ هـ / ٦٣٤ - ٦٤٤ م .

و عليه إزار قصير و قميص قد انكشف منه ساقاه ، فمشيت إلى جنبه ،
 و جعلت أجذب الإزار عليه ، فينكشف الساق الآخر . فجعل يضحك
 و يقول : إنه لا يطيعك . حتى أتى العالية ، فصنع له طعاماً من خبز و لحم
 و دعوه إليه ، و كان عمر صائماً ، فجعل يئذ إلى الطعام و يقول : كل لي
 هـ و لك ، و كان زيد بن ثابت كاتب عمر بن الخطاب في أيام خلافته ،
 و حاجبه يرفاً مولاه ، و خازنه يسار ، و على بيت ماله عبد الله بن أرقم .
 قال الليث بن سعد : كان عمر بن الخطاب أول من جند الأجناد ،
 و دون الدواوين . و ولى الخلافة بعد عمر عثمان بن عفان رضى الله عنه .
 كنيته أبو عبد الله و أبو عمرو . صفته : كان مربوعاً حسن الوجه أسمر ،
 ١٠ وافر اللحية يصفرها ، مشدود الأسنان بالذهب . و كان يلقب بذي
 النورين ، و ذلك لأنه تزوج بنتي النبي صلى الله عليه و سلم ، تزوج الثانية
 بعد وفاة الأولى . و أقام في خلافته اثني عشر سنة . و قتل بداره ،
 فسمى شهيد الدار .

و ولى الخلافة بعده علي بن أبي طالب^٢ ، فكانت خلافته سنتين
 ١٥ و ثمانية أشهر . و قتل لسبع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان المعظم
 سنة أربعين من الهجرة . و كان الذي قتله عبد الرحمن بن ملجم وقت
 صلاة الصبح بمسجد الكوفة ، و أعمى قبره . و كان يكنى بأبي الحسن .

(١) في الأصل : طعاماً .

(٢) في الأصل : اثني .

(٣) خلافته ٣٥ - ٤٠ / ٦٥٦ - ٦٦١ م .

١١٩/ب

صفته : / كان أسمر ، عظيم البطن ، أبيض الرأس و اللحية ، أدعج عظيم العينين ، ليس بالطويل ولا بالقصير ، تملأ لحيته صدره ، لا يغير شبيهه . قال الخطيب في « تاريخ بغداد » عن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه : دفنت أبي علي بن أبي طالب في حجرة من دور آل جعدة بن هبيرة . و في قول آخر : دفنت أبي في الكوفة ، فلا يعلم أحد مكان قبره . عن عبد الملك بن عمير قال : لما حفر خالد بن الوليد أساس داره بالكوفة ، فاستخرجوا شيخاً مدفوناً أبيض الرأس و اللحية . فقال لي : أتحب أن أريك علي بن أبي طالب ؟ فكشف عنه فرأيت و كأنه قد دفن بالأمس . و قال شريك بن عبد الله : بلغني أن الحسن ولده نقله إلى المدينة . و كان الحسن بن علي كنيته أبو محمد . و كان أحد المشبهين برسول الله صلى الله عليه و سلم . قال شريك بن عبد الله : أوحى الله تعالى إلى النبي صلى الله عليه و سلم أني قتلت يحيى بن زكريا سبعين ألفاً ، و إنني قاتل ببن ابنتك حسين ألف ألف و سبعين ألفاً . و روى عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال : سيكون بعدى خلفاء ، أعطوهم حقهم ، فإن الله سألهم عما استرعاهم . و قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : هذا الأمر في قريش لا يعاديهم أحد إلا أكبه الله علي وجهه ما أقاموا .

(١) في الأصل : ألف . .

(٢) في الأصل : ألف ، و زيد بعده : ألف . - و خطأ ذلك واضح لتضعيف الألف السابقة .

ولما قتل علي بن أبي طالب ولي الخلافة بعده الحسن بن علي، ثم وليها معاوية ابن أبي سفيان.

[خلافة بني أمية - ١]

و كانت خلفاء^٢ بني أمية لهم ألقاب واقعة عليهم، وهي «الناصر
 ٥ لحق الله، معاوية، «المستنصر على أهل الزبيغ، يزيد بن معاوية، «الراجع
 إلى الله، معاوية بن يزيد بن معاوية، «المؤمن بالله، مروان بن الحكم،
 «الموثق لأمر الله، عبد الملك بن مروان، وقيل كان عبد الملك يلقب
 «رشح الحجر، لبخله، ويكنى أبا ذباب لبخره، وهو أول من سمي
 ١٢ / الف في الإسلام عبد الملك، وكان أفوه مفتوح القم، مشبك الأسنان / بشرائط
 ١٠ الذهب، كان حازما في أمره، لا يكل أمره إلى غيره، «المنتقم بالله،
 الوليد بن عبد الملك، «المهتدي بالله، يزيد بن الوليد بن عبد الملك،
 «الداعي إلى الله، سليمان بن عبد الملك، «المعصوم بالله، عمر بن عبد العزيز،
 «القادر بصرع الله، يزيد بن عبد الملك، «المنصور، هشام بن عبد الملك،
 وكان يدعى بعبد العزيز بن مروان، وكان ولي العهد بعد أخيه عبد الملك
 ١٥ ابن مروان [يلقب - ٣] بـ «المعظم لحرمان الله، ولم يلب الخلافة، وكان مسلمة

(١) العنوان مشتق من النص ولا وجود له بالهامش.

(٢) في الأصل: خلافة، وصحة الكلمة يدل عليها السياق.

(٣) ساقطة من النص وأدخلناها لا اكتمال الجملة.

(٤) في الأصل: لم يلب.

ابن عبد الملك يلقب بـ « القاهر بعون الله » لما حارب أهل القسطنطينية ،
 وبنى مدينة يباب القسطنطينية ، وسمّاها مدينة القهر . ولم يلب الخِلافة
 « المكتفى بالله » الوليد بن يزيد . « الشاكر لأنعم الله » يزيد بن الوليد .
 « المعتز بالله » إبراهيم بن الوليد . « القائم بحق الله » مروان بن محمد بن الحكم -
 وهو آخر خلفاء بني أمية .

[خلافة العباسيين - ٢]

و أول خلفاء بني العباس السفاح^٢ أبو العباس عبد الله بن محمد بن
 علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب . صفته : كان طويلًا أبيض
 أقي ، حسن الوجه ، جعد الشعر ، له وفرة ، شديد الرأي ، ماضى العزيمة ،
 كريم الأخلاق ، مألّفًا للرجال ، سمحًا بالأموال ، أهون عليه أن يأمر
 بسفك دماء عالم من أعدائه من غير أن يعاين ذلك .

المنصور وهو أبو الخلفاء من بني العباس إلى سنة خمس وأربعين
 وثمانمائة . واسم المنصور عبد الله بن محمد بن عبد الله بن العباس بن
 عبد المطلب . كنيته أبو جعفر . صفته : كان طويلًا أسمر خفيف العارضين ،

(١) في الأصل : لم يلبى .

(٢) العنوان مشتق من النص ، ولم يرد بالهامش .

(٣) خلافته ١٣٢ - ١٣٦ هـ ٧٥٠ - ٧٥٤ م .

(٤) يقابلها سنة ٩٥٦ م و خلافته ١٣٦ - ١٥٨ هـ / ٧٥٤ - ٧٧٥ ؛ و ينتج من
 هذا أن التاريخ الوارد بالإمام خاطئ على كل حال .

يخضب لحيته بالسواد محتك السن ، حازم الرأي ، قد عركته الأيام ،
 وحلب الدهر أشطره ، روى العلم ، وعرف الحلال والحرام ، لا يدخله
 فتور عند حادثة ، ولا يعرض له وله ' عند مخوفة ، يجود بالأموال حتى
 يقال : هذا أسمح الناس ، و يمنع في أوقات حتى يقال هذا أبخل الناس ،
 ٥ يسوس سياسة الملوك ، ويثب وثوب الأسد العادي ، لا يبالي أن
 يحرس ملكه بهلاك غيره .

المهدي^٢ محمد بن عبد الله المنصور . كنيته أبو العباس . صفته :
 كان حسن الوجه و الجسم ، أسمر طويلا ، بعينه اليمنى نكتة بيضاء ،
 كريما حفيا بذولا للال ، حسن العفو ، كريم الظفر ، لا تدخله غفلة
 ١٠ عند مخوفة . ولا يتشكل في الأمور على غير ثقة ، وصولا لأرحامه ،
 برا بأهله ، فيه لين الجانب ، كثير الولاية و العزل بغير سبب .

الهادي^٣ موسى بن محمد المهدي . كنيته أبو جعفر ، أمه أم ولد
 يقال لها الخيزران . صفته : كان طويلا ، أبيض جسيما أفوه ، بشفته العليا
 يياض ، شجاعا بطلا ، أقوى الناس بدنا ، وأجرأهم مقدما ، فيه تيه
 ١٥ و جبرية ينسب بها إلى الهوج ، قاضيه أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم
 الحنفي صاحب الإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت .

(١) الكلمة بفتح الواو واللام ، وفي الأصل : وليه .

(٢) خلافة المهدي ١٥٨ - ١٦٩ هـ / ٧٧٥ - ٧٨٥ م .

(٣) خلافة الهادي من بني العباس ١٦٩ - ١٧٠ هـ / ٧٨٥ - ٧٨٦ م .

هارون الرشيد^١ بن المهدي . كنيته أبو جعفر ، أمه الخيزران
 عمره أربع و أربعون سنة و أربعة أشهر ، خلافته ثلاث و عشرون^٢
 سنة و شهران و ستة عشر يوما . توفي بقرية سداباد من طوس^٣ من
 أرض خراسان يوم السبت لأربع خلون من جمادى الآخرة سنة ثلاث
 و تسعين و مائة^٤ ، صفته : كان تام الخلق ، جميلا طويلا ، أبيض^٥
 مسمنا ، قد وخطه الشيب ، له وفرة إذا حج حلقها . و كان كامل
 الأخلاق ، سمحا شجاعا ، كثير الجهاد و الحج ، استوزر البرامكة : يحيى
 ابن خالد بن برمك و ابنه جعفر و الفضل ، ثم نكبهم ، و دفع خاتم الخلافة
 بعد إيقاعه بالبرامكة إلى علي بن يقطين ، و غلب عليه الفضل بن الربيع
 و إسماعيل صبح^٥ إلى أن مات ، و اختلت أموره بعد قتله للبرامكة ،
 و بان للناس قبيح تدبيره و سوء سياسته .

الأمين^٦ أبو عبد الله محمد بن هارون الرشيد . كنيته أبو موسى ،
 أمه زبيدة أم جعفر ابنة جعفر بن أبي جعفر المنصور . كانت تسمى أمة
 العزيز ، و كان أبوها عم الرشيد ، و كانت أحب الناس إلى الرشيد ،

(١) خلافته ١٧٠ - ١٩٣ هـ / ٧٨٦ - ٨٠٩ م .

(٢) في الأصل : عشرين .

(٣) من بين مدن إيران القديمة التي حلت محلها مدينة مشهد بعد انقراضها - ذكرها

ابن بطوطة (ص ١٧٩ ، ١٨٧ ، ٣٨٣ ، ٣٨٨) .

(٤) يقابلها ٨٠٨ - ٨٠٩ .

(٥) كذا في الأصل ، و لعله : إسماعيل بن صالح .

(٦) خلافته ١٩٣ - ١٩٨ هـ / ٨٠٩ - ٨١٣ م .

و إنما لقبتم بزييدة لأن أباه^١ جعفر بن المنصور كان يلاعبها وهي صغيرة و يرقصها و يقول لها: إنما أنت زييدة! فغلب ذلك عليها، فلا تعرف / إلا بزييدة. و كانت من المال و الجمال و الخير و الديانة على جانب عظيم. و لها من الصدقات و الأوقاف و وجوه القربات شيء كثير، فأنفقت^٢ في ستين يوماً أربعة و خمسين ألف ألف درهم. و كان لها مائة جارية، كلهن يحفظن القرآن العظيم، و ورد كل واحدة منهن في كل ليلة عشر القرآن، و كن يسمعن^٣ لهن في القصر دوى كدوى النحل. و رثيت زييدة في المنام بعد وفاتها، فقيل لها: ما فعل الله بك؟ قالت: غفر لي بأول معول ضرب في طريق مكة، لأنها كانت سهلت الأماكن الصعبة للحاج في طريقها، فهانت عليهم في السفر بعد مقاساتهم المشقة الشديدة، ثم قيل لها: ما هذع الصفرة التي في وجهك؟ فقالت: دفن بين أظهرنا رجل معتزلي يقول: إن القرآن مخلوق و ليس بمنزل يقال له بشر المريسي، زفرت جهنم له زفرة فاقشعر لها جلدي، فهذه الصفرة من تلك الزفرة.

١٥ قال بعضهم آياتنا في الرد على من يقول: إن القرآن مخلوق، وهي هذه:

أوصيكم بالقول في القرآن يقول أهل الحق و الإيقان

(١) في الأصل: أبوها.

(٢) في الأصل: فنفتت.

(٣) في الأصل: يسمعن.

ليس بمخلوق ولا بهتان لكن كلام الملك الديان
آياته مشرقة المعاني متلوة لله باللسان
محفوظة في الصدر والجنان مكتوبة في الصحف ذي البيان
والقول في الصفات يا إخواني كالذات والعلم مع البيان
أبرزها من غير ما كفران من غير تشبيه ولا عدوان ٥
سئل علي بن أبي طالب رضي الله عنه: بماذا فضل القرآن على
التوراة والإنجيل؟ فقال: إن الله عز وجل أنزل على موسى عليه
السلام^١ "وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة". وأنزل
على عيسى عليه السلام^٢ "ولا بين لكم بعض الذي تختلفون فيه". وقال
عز وجل^٣ فيما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم "ما فرطنا في
الكتب من شيء". فهذا فضل القرآن على التوراة والإنجيل.
قال أبو محمد عبد الله بن زيد القيرواني في العقيدة التي ذكرها في
الرسالة في الفقه: وإن القرآن كلام الله، ليس بمخلوق فيبيد،
ولا صفة لمخلوق فينفد. قال الزناتي^٤: القرآن طائفة من كلام الله،

(١) قرآن كريم سورة ٧ آية ١٤٥ .

(٢) قرآن كريم سورة ٤٣ آية ٦٣ .

(٣) قرآن كريم سورة ٦ آية ٣٨ .

(٤) في المشتبه ١/٣٠٠: و زناتة قبيلة من البربر . وفي تاج العروس :
(زناتة بالكسر) وقد يفتح أهمله الجوهري وصاحب اللسان . . . (منها الزناتي)
الرمال (المنجم) المشهور فيهما و الزناتي الفقيه شارح تحفة ابن عاصم و محشي
مختصر الشيخ خليل .

و الإنجيل / طائفة ، و التوراة طائفة . و كلام الله هو القائم بذاته ، ليس بحرف ولا صوت ، ولا يتجزأ ولا ينقسم ، فاذا عبر عنه بالعربية سمي قرآنا ، و إذا عبر عنه بالعجمية سمي إنجيلا ، و إن عبر عنه بالسريانية سمي زبوراً ، و إن عبر عنه بالعبرانية سمي توراة .

٥ و اختلف لما اذا سمي القرآن ، فقيل : بذلك سمي في الازل ، و لم يشتق من شيء . و قيل : سمي القرآن مأخوذاً^١ من البيان ، فلا شك أنه بين فيما يحل و ما يحرم و غير ذلك . و قيل : سمي القرآن مأخوذاً^١ من الجمع ، كقولك : قرأت الماء في الحوض ، أى جمعته ، و سمي بذلك لأنه جمع أوامر و نواهي^٢ و ناسخا و منسوخا^٣ و غير ذلك - انتهى .

نعود إلى ذكر مقدار عمر الأمين^٤ و مدة خلافته و صفته - كان عمره ثلاثا و ثلاثين سنة ، و مدة خلافته أربع سنين و سبعة أشهر و عشرة أيام . صفته : كان حسن الوجه ، تام الخلقة و القامة ، أبيض مسمنا ، صغير العينين ، بعيد ما بين المنكبين ، شديداً في بطشه^٤ ، باسطا يده ١٥ بالعطاء ، قبيح السيرة ، ضعيف الرأي ، سفاكا للدماء ، يركب هواه ، و يهمل أمره ، و يتكل في جليلات الأمور على غيره ، و يثق بمن لا ينصحه .

(١) في الأصل : مأخوذ .

(٢-٢) في الأصل : و ناسخ و منسوخ .

(٣) خلافة الأمين ولد الرشيد ١٩٣ - ١٩٨ هـ / ٨٠٩ - ٨١٣ م .

(٤) في الأصل : بطنه .

المأمون^١ عبد الله بن هارون الرشيد، كنيته أبو جعفر، أمه حبشية تسمى مراجل، عمره تسع و أربعون سنة. توفي على عين الزندون من أرض الروم مما يلي طرسوس، و دفن بطرسوس. فكانت خلافته عشرين عاما و خمسة أشهر و ثمانية عشر يوما. صفته: أبيض تعلوه صفرة، طويل اللحية، ضيق الجبين، كاملا عالما جوادا، عظيم العفو، كريم القدرة، ميمون النقية، حسن التدبير، جليل الصنائع، لا تجوز عليه الخدائع، عليه بما بعد عنه من ملكه كعله بما قرب و حضر، وربما حرك منه الغضب فعجل بالعقوبة.

المعتصم^٢ محمد بن هارون الرشيد، كنيته أبو إسحاق. أمه أم ولد تسمى ماردة، و عمره ست و أربعون سنة / و عشرة أشهر. فكانت خلافته ثمان سنين و ثمانية أشهر و يومين. صفته: كان أصهب أبيض، حسن الوجه و الجسم، مربوعا، مشربا حمرة، عريض الصدر، شديد البدن، طويل اللحية، لم يشب. و كان الرجل الذي لا يقاس به الرجال قوة بدن و شدة بأس، و شجاعة قلب، و كرم أخلاق.

الواثق^٣ هارون بن محمد المعتصم، كنيته أبو جعفر، أمه أم ولد، ١٥ تسمى قراطيس. توفي بسر من رأى يوم الأربعاء لست بقين من ذي الحجة

(١) خلافته ١٩٨ - ٢١٨ هـ / ٨١٣ - ٨٣٣ م.

(٢) خلافته ٢١٨ - ٢٢٧ هـ / ٨٣٣ - ٨٤٢ م.

(٣) خلافته ٢٢٧ - ٢٣٢ هـ / ٨٤٢ - ٨٤٧ م.

(٤) و اختصرت «سامرا» تقع على الشاطي^٤ الأيسر لنهر الدجلة شمال العراق على بعد ٧٠ ميلا فوق بغداد.

سنة اثنتين^١ و ثلاثين و مائتين^٢ . فكانت خلافته خمس سنين و تسعة أشهر و ستة أيام . صفته : كان أبيض مشرباً بحمرة ، حسن الوجه ، عريض الصدر ، كث اللحية ، في عينه نكتة بيضاء ، يذهب في كثير من أموره مذهب المأمون .

٥ المتوكل^٣ جعفر بن محمد المعتصم : كنيته أبو الفضل ، أمه أم ولد ، تسمى شجاعاً^٤ ، عمره إحدى^٥ و أربعون سنة ، قتل بمدينته المسماة الجعفرية^٦ من سر من رأى ليلة الأربعاء لثلاث خلون من شوال سنة سبع و أربعين و مائتين^٧ . فكانت خلافته أربع عشرة سنة و تسعة أشهر و تسعة أيام . صفته : كان أسمر ، رقيق البشرة ، يضرب لونه إلى الصفرة ، حسن الوجه ، خفيف العارضين ، كبير العينين ، و كان سليماً محبباً إلى العامة على إيثاره الهزل و المضاحك ، و الأمور التي تشين الملوك ؛ والله تعالى أعلم - انتهى .

(١) في الأصل : اثنين .

(٢) يقابلها ٨٤٦ - ٨٤٧ م ، انظر حاشية سابقة بمدة خلافته .

(٣) خلافته ٢٣٢ - ٢٤٧ هـ / ٨٤٧ - ٨٦١ م .

(٤) في الأصل : شجاع .

(٥) في الأصل : احد .

(٦) ذكرها ياقوت في معجم البلدان (ج ٢ ص ٨٨) « محلة كبيرة مشهورة في الجانب الشرقي من بغداد » و هي مدينته .

(٧) يقابلها ١١ ديسمبر سنة ٨٦١ م .

ذكر ما جاء في فتح القسطنطينية

و ذكر ملحمة أبي العباس أحمد بن أبي جمعة - عن أبي هريرة
رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تقوم الساعة
حتى ينزل الروم بالأعماق أو بدابق ، فيخرج إليهم جيش من المدينة
من خيار أهل الأرض يومئذ ، فإذا تصافوا قالت الروم : خلّوا بيننا
و بين الذين سبوا منا نقاتلهم ، فيقول المسلمون : لا والله ! لا نخلي
بينكم و بين إخواننا فتقاتلوهم ، فينهزم^٢ ثلث لا يتوب الله عليهم ، و يقتل
بينهم أفضل الشهداء عند الله ، و يفتح الثلث لا يفتنون أبدا ، فيفتحون
قسطنطينية ، فيها هم يقتسمون الغنائم و علقوا سيوفهم بالزيتون إذ صاح
فيهم الشيطان : إن المسيح قد خلفكم في أهلكم فيخرجون ، و ذلك بأطل ، ١٠ / ١٢٢ ب
فإذا جاءوا الشام خرج الدجال ، فيها هم يغدون للقتال يسوون
الصفوف ، إذ أقيمت الصلاة ، فينزل عيسى بن مريم فأمهم ، فإذا رآه
عدو الله الدجال ذاب كما يذوب الملح في الماء .

و عن أنس قال : فتح القسطنطينية مع قيام الساعة .

و القسطنطينية مدينة الروم ، و تفتح عند خروج الدجال . و قيل : ١٥
ان المهدي إذا خرج بالمغرب ، جاءت إليه أهل الأندلس يقولون له :
يا ولي الله ! انظر جزيرة الأندلس ، فقد تلفت و تغلب عليها أهل الكفر

(١) في الأصل : فتقول .

(٢) في الأصل : فتنهزم .

و الشرك من أبناء الرزم ، فبعث كتبه إلى جميع قبائل العرب من أهل المغرب
 أن انصروا دين الله وشريعته رسول الله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، فأتون
 إليه من كل مكان ، و يجيئون و يقفون عند أمره ، و يكون على خدمته
 صاحب الخرطوم ، و هو صاحب الناقة الغراء ، و هو صاحب المهدي ،
 ٥ و ناصر دين الإسلام ، و ولي الله حقا . فعند ذلك يبايعه ثمانون ألف
 مقاتل ، ما بين فارس و راجل ، قد رضى الله عنهم ، ” أولئك حزب الله
 الا ان حزب الله هم المفلحون “ ، فباعوا أنفسهم من الله ، و الله ذو الفضل
 العظيم ، فيعبرون البحر حتى ينتهوا^١ إلى مدينة إشبيلية ، فيصعد المهدي المنبر
 في المسجد الجامع ، و يخطب خطبة بليغة ، فيأتيه أهل الأندلس ، فيبايعه
 ١٠ جميع من بها من أهل الإسلام . ثم يخرج بجميع المسلمين متوجها إلى بلاد
 الروم ، فيفتح بها سبعين مدينة من مدائن الروم ، يخرجها من أيدي العدو
 عنوة . و إن المهدي و من معه يصلون إلى كنيسة الذهب ، فيجدون
 فيها أموالا ، فأخذها المهدي ، فيقسمها بين المسلمين بالسوية . ثم يجد فيها
 تابوت السكينة . و فيه / غفارة عيسى و عصا موسى ، و هي العصا التي
 ١٥ هبط بها آدم من الجنة حين أخرج منها ، و كان قيصر ملك الروم قد أخذها
 من البيت المقدس في جملة السبي حين سبي البيت المقدس ، و احتل جميع
 ذلك إلى كنيسة الذهب ، فهو فيها إلى الآن حتى يأخذها المهدي . فاذا
 أخذ المسلمون العصا ، تنازعوا فيها ، فكل منهم يريد أخذ العصا . فاذا

(١) في الأصل : يبايعونه .

(٢) في الأصل : ينتهون .

أراد الله خذلان أهل الإسلام من الأندلس ، خذل رأيهم ، وسلب ذوى الألباب عقولهم ، فيقسمون العصا على أربعة أجزاء ، فيأخذ كل عسكر منهم جزءا ، وهم يومئذ أربعة عساكر . فاذا فعلوا ذلك رفع الله عنهم الخلاف بينهم .

قال كعب الأحبار : و يظهر عليهم أهل الشرك حتى يأتوا البحار ، و فيبعث الله عليهم ملكا ، فيجوز بهم القنطرة التي بناها ذو القرنين على زقاق سبته لهذا المعنى خاصة ، فيأخذ الناس وراهه حتى يأتوا إلى مدينة فاس و الروم و راءهم ، فلا يزالون كذلك ، كلما ارتحل المسلمون مرحلة ارتحل المشركون مرحلة كذلك حتى يأتوا إلى أرض مصر و الروم و راءهم .
و في حديث حذيفة : و يملكون مصر إلى الفيوم - و الله أعلم .

قال ابن الفارض يصف البحر و البر بهذه الآيات :
و في البر تسرى العيس تخترق الفلا و بالبحر^٢ تجرى الفلك في كل لجة
و تنظر للجيشين في البر مرة و في البحر أخرى في جموع كثيرة
لباسهم نسج لبأسهم وهم في حمى حدى ظبي و أسنة
فأجناد جيش البر ما بين فارس على فرس أو راجل رب رجلة ١٥

(١) مشهورة على الساحل المغربى من جبل طارق ذكرها ياقوت في معجم البلدان (ج ٣ ص ٣٠) و وصفها بأنها « حصينة تشبه المهديّة التي بافريقية ». كما ذكرها ابن بطوطة (ص ٦٦٤ - ٦٧٢) .

(٢) في الأصل : ارتحلوا .

(٣) في الأصل : بالسفن - كذا .

فمن ضارب بالبيض فتكا وطاعن بسمر القنا العسالة السمهرية
 فمن مغرق في النار رشقا بأسهم ومن محرق في الماء زرقا بشعلة
 ترى ذامغيرا باذلا نفسه وذا يولى كسيرا تحت ذل الهزيمة
 وتشهد نصب المنجنيق ورميها لهدم الصياصي والحصون المنيعه
 / ١ ب ٥ / و تلاحظ أشباحا تراهى بأنفس مجردة في أرضها مستحيه
 هذا يفهم منه معنيان : أحدهما ان نصب المجانيق والرماة والمقاتلة في
 التمثيل كالجن ، وهم في أرض الجسم مستجنون ، والثاني إشارة إلى الجن ،
 فهم في أرض الدنيا وأرض الأشباح - انتهى .
 فلنذكر الآن ما قال ابن أبي جمعة في ملحمته ، وهو قوله هذا :

١٠ كليني إلى أعمال كيد الكواكب بحرب أراه في بلاد المغارب
 فلست على أهل المغارب آيسا ءصروف المنايا من صروف الكتائب
 إذا احترق البرجيس^١ في الكبس فاعلمن وقارنه كيوان^٢ أعلى الكواكب
 وبهرام^٣ في الجوزا بيت عطارده وزهرتها في الثور بيت المناسب
 ترى ثم أهوال ووقت معظم و حرب يعم الأرض من كل جانب
 ١٥ و ذى الزهرة البيضاء فذلك حدها وأخشى عليها من ظهور المراكب
 فيهلك نصف خلقها بفنائها ليوث أسود مضرين الشوارب

(١) في الأصل : هذه .

(٢) بهامشه : المشتري . - وهو معناه .

(٣) بين السطرين فوق الكلمة : زحل . - للدلالة عليه .

(٤) بين السطرين فوق الكلمة : المريخ . - للتعريف به .

بقين ولا يعرفن في الأرض مهربا
 هناك عقوبات من الله فاعلمن
 فيقدم أرض الغرب جيش عرمرم
 فيملك من فاس الى أرض طنجة
 كأنى يقوم من زناته قتلوا
 كأنى أرى الجيشين يوم تلاقيا
 وماهى إلا ساعة بعد ساعة
 فيملك أرض الغرب ليث معظم
 فويل على ذى الأرض من وقع بأسه
 وحرب بدالى عند طنجة كأن
 وفي صفر الأصفار يخرج عسكر
 وتعلو دواب الأرض في كل بلدة
 وفي نصف شهر الصوم يخرج عسكر
 فلما رأيت الجيش قد عم غربها
 وتبديد شمال الناس فيها وفرقة
 / وهذا الذى قد قلته هو كأن
 ويلقى الردى كل السياسة عنوة
 ويملك أمر الناس عبد مجرب
 فيملك أحوال الرعية كلها

ولا حاميا منها فيرجى لهارب
 فكم هتكوا من ستر عذراء كاعب
 كمثل السحاب المظلم المتراكب
 الى منتهى البحر الكثير العجائب
 صراعا بوجه الأرض يوم التجارب ٥
 على غير ماء يستلذ لشارب
 فتحتكم الأسياف من كل جانب
 قوى على مجرى أمور النوائب
 تصير خلاء خاليا كالخرائب
 من البصرة الدنيا بأحر عاضب ١٠
 فيقتله الرحمن أقدر غالب
 ولست ترى نسل البغال الضوارب
 يبيد ويفنى من عظيم النوائب
 وذلك جيش خائب غير صائب
 تفرقهم منها إلى كل جانب ١٥
 لعشر ثلاث بعد عقد لحاسب
 بحد سنان مثل لدغ العقارب
 بجيش كليل مد لهم الجوانب
 فمن بين مسلوب لديه و سالب

وذرا الشمس والبرجيس والرأى بعده
 فيأتون من سبتا^٢ برفع تجارة
 تعود كما كانت بأول مرة
 فمن كان ذاك لب بيتن أرضها
 ٥ فيا أسفا للانداس ثم قومها
 كأتى بجمع القوم لما تجمعوا
 وقد عطلوا تلك الديار وبادروا
 ولم تغنهم أسيافهم و دروعهم
 فيدركهم عند الزقاق عدوهم
 ١٠ فمن بين مذهول يطير فواده
 فيأتيهم جبريل في الليل ناصرا
 على جسر ذى القرنين لما بدا لهم
 فذاك قران مؤذن بالعجائب
 لتموية^٣ الإعلاء ذات المراتب
 وتعمر من بعد الخلال والخرائب
 ويقصدها قبل ازدحام الكتاب
 إذا أخذتهم معظمت النوائب
 على البحر أشباه القطا المتراكب
 حضور المنايا بين ماش وراكب
 وزرق رماح كالنجوم الثواقب
 يضيق عليهم فاسحات المذاهب
 وباك و محبول و داع و راغب
 يجوزهم بحرا كثير العجائب
 بقدره رب العرش رب الرغائب

يعنى بزقاق سبتة الخليج الذى حفره الإسكندر و ساقه من البحر المحيط ،
 و يعنى بالجسر القنطرة التى بناها الإسكندر على خليج سبتة المعروف بالزقاق .
 ١٥ و قد تقدم ذكر حفر هذا الخليج و صفة حفره و بناء قنطرتة فأغنى عن
 إعادته . قال بعضهم فى قنطرة بنيت على خليج :

(١) انظر الحاشية عليه .

(٢) انظر الحاشية فيما قبل .

(٣) من مؤنّه : احتمل مؤنّته و قام بكفائته ، و فى الأصل : لقمونية - كذا
 و لا يستقيم بها الوزن .

(٤) فى الأصل : ذو .

(٥) انظر فيما قبل ج ٣ ص ٨٩ - ٩١ .

قنطرة قد بنيت و صورت^١ من الملح
يكاد من يبصرها يطير عجا و فرح
قد كملت أوصافها من كل حسن مقترح
كأنما ارتفعاها في ديره قوس قرح

٥ نعود إلى ذكر بقية الملحمة المذكورة .

فيلقوا بها قوما أسودا كأنهم
فيلقوا بها عشرين شهرا و أربعا
/ وويل وويل [قد] أتى أهل جربة^٢
من الروم و الإفرنج قوم^٣ تجمعوا
و تخلو بلاد الروم من كل ظالم
فويل لمن يلقى^٤ بقابس^٥ قاطنا
و ويل لمن يلقى سفاقس^٦ بعد
جبال حديد حنكوا بالتجارب
وشهرا و تأتي بعد عشر لحاسب
إذا جاءهم مثل الدبي المتراكب
غلاظ شداد في بطون المراكب
ومن كل مغلوب لديها و غالب
إذا نزلت بالقوم كل المصائب
و مهدية^٨ الغراء ذات المناقب

١٢٤ / ب

١٠

(١) في الأصل : و صورة .

(٢) جربة جزيرة بالمغرب قرب قابس يسكنها البربر كما وردت في معجم البلدان لياقوت (ج ٢ ص ٤٧) .

(٣) في الأصل : قوما .

(٤) في الأصل : و تخلوا .

(٥) في الأصل : يلقى . - و جائز أن تكون « يلقى » بالقاف .

(٦) قابس جنوبي تونس واقعة على الخليج المسلمى باسمها .

(٧) سفاقس على القسم الشمالي من ساحل خليج قابس إلى الجنوب الشرقي من مدينة تونس .

(٨) المهديّة فرضة القيروان على خليج قابس استحدثها المهدي عبيد الله سنة ٩١٢ م و جعلها نصبة لملك الفاطميين في أول عهدهم .

وفيها من الأتراك والروم عشر
 هناك ترى من مرهفات القواضب
 وقد سببت تلك النساء وشققت
 فيا ويحها ما ذا تلاقى بوجهها
 ٥ و يملك أقطار السواحل كلها
 فلا تسمع فيها أذان مؤذن
 كأنى بهم بضعا وعشرين بلدة
 إذا أخذتهم نقمة بعد نقمة
 وقد هربوا كي يطلبون أمانهم
 فكيف تركوا من نعمة وكرامة
 ١٠ فيهزمهم فيها ويتبع أثرهم
 فأهلا بأرض القيروان^٢ ومرحبا
 فيا لك من قتل ذريع وغارة
 وتخلو^٣ قصور الملك من كل قاطن
 يرون حلول الموت ضربة لازب
 وتبكي نساء بالدموع السواكب
 لهن جيوب بعد قطع الذوائب
 من اللطم والتخميش عند النوائب
 فيقفون من جور العدو المحارب
 سوى ضرب ناقوس وتقسيس راهب
 ممزقة تمزيق سد مارب^١
 فباؤا بويل واستطاروا بجانب
 وقد علموا ألا أمان لهارب
 ومشرب عذب قد يلذ لشارب
 بحد صقيلات القنا والقواضب
 إذا رجعت دار العلي والمراتب
 و قتل بحد المرهفات الضوارب
 بها قاطن في عاجل متقارب

(١) سد مارب مؤسسات مملكة سبا باليمن ذكره مؤرخو العرب تفصيلا
 كالسعودي وكذلك ياقوت في معجم البلدان (ج ٤ ص ٣٨٢ - ٣٨٨) وكذلك
 النويري فيما سبق راجع - الفهارس .

(٢) القيروان من مدن تونس الرئيسية أسسها العرب سنة ٦٧١ م على يدى
 سيدى عقبة وبها جامع الكبير الشهير وتبعد عن تونس بثمانين ميلا
 نحو الجنوب .

(٣) في الأصل : وتخلو .

و تبديل ملك القشعمية منهم
 و لا بد من تحقيق ما قال أحمد
 و ذى الزهرة البيضاء سوسة^١ يأتها
 فيملك معمور السواحل كلها
 و تبقى لهم أرض الرمال سليمة
 فينفذ حكم الله فيما ذكرته
 فيجتمعون الروم يبقوا بضيرة
 هناك هلاك الروم عند اجتماعهم
 فيأتيهم ندم عظيم معظم
 و من خلفه جيش عظيم عرمرم
 / فيالك من حرب تدوم وشدة
 فيهزم جيش الروم من بين قابس
 و يقتل ذو الملك [أهلها] وصحبه^٢
 كأنى أرى الجيشين حين تقابلا
 فيبقون في أرض السواحل بعدها
 و يخرج منها عنوة و مخافة

و خفض رؤوس و ارتفاع ذنائب
 و إقفارها من كل حسنا و كاعب
 جيوش عظام مثل سوق السحائب
 كذا سونة^٣ الغراء ذات المناصب^٤
 و يجمع ذات النخل غير السباب^٥
 ثلاثة عشر في حساب الحواسب
 و ذلك رأى خائب غير صائب
 و ينصب دين الله من كل جانب
 و أهلا بنذب في الأمور محارب
 فأهلا بجيش صائب غير خائب
 و يالك من قتل كذات الذوائب
 و القيروان لشاطى^٦ البحر الكثير العجائب
 و لم ينبج إلا بعض تلك الكتاب
 و قد نصر الرحمن خير المذاهب
 ثلاثة عشر بعد عشر لحاسب^٧
 بحد سيوف المرففات القواضب

(١) سوسة - من موانى تونس على ساحل خليج الحمامات على بعد ٧٠ ميلا جنوب شرق مدينة تونس .

(٢) فى الأصل : بسونة ، و سونة لم نعثر عليها فى المراجع الجغرافية العربية المعروفة .

(٣) فى الأصل : ذات المناصب .

(٤ - ٤) فى الأصل : و القيروان إلى شاطى^٦ . و الوزن يستقيم بإسقاط « و القيروان » إنما تركناها لا اقتضاء المعنى .

(٥) كذا فى الأصل و فيه كسر . و يستقيم الوزن بزيادة « أهلها » التى تكون

مفعول « يقتل » .

و ذلك في إحدى و تسعين كائنا على رغم أنف الكاذب المتغاصب
 و ترجع دار الظلم أمنا و مألفا إذا جاءها الندب الكثير المناسب
 فقل لذوى الألباب إنى منحتكم كلاما عجيبا مؤذنا بالعجائب
 [ولاية طيدمر البالى الإسكندرية - ١]

٥ ذكر تاريخ ولاية ملك الأمراء طيدمر البالى ثغر الإسكندرية
 المحروس ، و ما اتفق فى ذلك من ولايته للمسلمين مع طائفة الفرنج
 الكافرين . و هو أنه فى شهر ذى القعدة الحرام سنة تسع و ستين و سبعمائة^٢ ،
 ولى السلطان الملك الأشرف شعبان^٣ الأمير سيف الدين طيدمر البالى
 ثغر الإسكندرية المحروس ملك أمراء ، فدخل الثغر المذكور يوم الأحد
 ١٠ ثانى عشرى^٤ ذى القعدة من السنة المذكورة أعلاه ، عوضا عن ملك
 الأمراء أسنبغان بن البوبكرى ، و إنفاذه ملك أمراء بحلب .

و كان قبل دخول ملك الأمراء طيدمر البالى الإسكندرية ورد
 إلى مينتها ثلاثة أغربة فيها رسل الإفرنج بسبب الصلح ، فلم ينزلوا من
 غربانهم إلا بعد أن أرسل إليهم قنصلين من الإفرنج المسجونين بالقاهرة
 ١٥ حسب ما تقدم ذكر سبب سجنهم بها ، فلما رأت الرسل القنصلين نزلوا هم
 و غلبانهم ، فدخلوا الإسكندرية ثالث يوم قدوم ملك الأمراء طيدمر ،

(١) العنوان مقتبس من بداية النص ، و لا ذكر له بالهامش .

(٢) يقابلها سنة ١٣٦٧ - ١٣٦٨ م .

(٣) انظر حاشية سابقة و راجع الفهارس .

(٤) فى الأصل : عشرين .

وكان أحد الرسل جنويا^١ يسمى قازان ، و الثاني بندقيا^٢ ، قيل : إن قازان المذكور هو الذي ظفر بمدينة القرم ، نهبها و أسر منها من الترك المسلمين كثيرا . ثم إن تلك الرسل حملوا إلى القاهرة ، فأتى بعد سفرهم إليها أربعة قراقرا^٣ ، أرسوا بالقرب من أغربة الرسل ، زعموا أن معهم البضائع / التي انشقت مرآتهم بسبب كسادها مدة طردهم من سواحل المسلمين ، ٥ / ١٢٥ كما تقدم ذكر ذلك ، و زعموا أنهم أتوا خاضعين ذليلين ، فصار المسلمون يقولون : إنما أتوا مكررا و خداعا ليخلصوا الإفرنج المسجونين بالقاهرة ، و بعضهم يقول : إنما معهم بعض البضائع ، و بقية و سقها أسلحة يقاتلون بها المسلمين^٤ إذا خلصوا أصحابهم و حصلوا بقراقراهم ، و يرسلون^٥ إلى المراكب الكثيرة المجتمعة تأتيهم و تعينهم القراقرا الأربعة على قتال المسلمين .

فلما كان في العشرين من ذي الحجة سنة تسع و ستين و سبعمائة^٦ ، قدم بعد رسل الإفرنج من القاهرة إلى الإسكندرية ، فنودي بها : من

(١) في الأصل : جنوى .

(٢) في الأصل : بندقى .

(٣) انظر الحواشي عن السفن في مجلد سابق و راجع الفهارس .

(٤) في الأصل : فصارت .

(٥) في الأصل : المسلمون .

(٦) في الأصل : يرسلوا .

(٧) يقابلها سنة ١٣٦٧ - ١٣٦٨ م .

كان له أسير ببلاد الإفرنج فليكتب اسمه و نسبه ليتخلص من الأسر ،
فكتبت أسماء أسارى كثيرة . وكان السبب في ذلك أنه قيل للرسول
المذكورين بالقاهرة : فيم أتيتم ؟ قالوا : في الصلح . فقيل لهم : و أين رسل
المسلمين الذين بحزيرة قبرس : ناصر الدين محمد بن قراجا الشريقي و الجوبان
و أصحابهم و أسارى الإسكندرية ، قالوا : يحضرون بسعادة مولانا السلطان ،
فقيل لهم : لا يبيع أحدًا منكم عندنا بضاعة و لا ينزل بها من المراكب حتى
تأتى رسل السلطان و أسارى الإسكندرية ، فانكم ما جئتم إلا لمصالحكم .
فلا سبيل لكم إلا بذلك .

فوقع الاتفاق على أن القراقر المذكورة^٢ تقيم بمينة الإسكندرية ،
١٠ و تسافر الغربان تأتى برسل المسلمين و الأسارى و زورق المغاربة الذى
أخذه إبراهيم القبرسى المعروف بابن الخبازة فى العشر الأول من ذى
الحجة بما فيه من كتان و غيره ، حسب ما تقدم ذكر أخذه له . فسافرت
الغربان مردودا عليها هداياهم ، بعد أن أخذوا معهم ما كتبه المسلمون
لهم من أسماء أسارى الإسكندرية و أنسابهم . و صارت رسل الإفرنج
١٥ الف بالقاهرة مقيمين عند الإفرنج المسجونين . / فيهم قازان الجنوى و رفيقه البندقى

(١) فى الأصل : يحضروا .

(٢) فى الأصل : احدا .

(٣) فى الأصل : المذكورين .

(٤-٤) فى الأصل : مردود عليها .

(٥) فى الأصل : كتبه .

و كانت أصحاب الغربان أتوا يخلصون^١ الإفرنج بمكرهم ، فازدادوا برسول الفرنج و غلبانهم معهم في السجن . فرجع من بالغربان خائبين ، و إلى قومهم منذرين ، بقولهم لهم إما رجوع رسول المسلمين و أسارى الإسكندرية و الزورق المأخوذ ، و إما الحرب و الطعن و الضرب . و كان إذ ذاك بالإسكندرية من الأمراء المجردين لحراستها الأمير أيدير الشمسى مقدم ميمنة العساكر^٥ المنصورة ، و ملك الأمراء طيدر البالى ، و الأمير صلاح الدين بن عرام حاجب الحجاب ، و الأمير محمد بن ذنكزبغا ، و الأمير أبو بكر بن طاز ، و الأمير أسندمر حروفوش ، و الأمير طغيتمر العثمانى ، و الأمير أرسغا الخليلى ، و الأمير عبد الله بن الحاجب : و الأمير ابن بكتمر الساقى ، و الأمير أرغون الخازندار ، و الأمير جركس بن سولى ، و الأمير ابن أرنان ، و الأمير^{١٠} أحمد بن ذنكزبغا ، و الأمير ابن الذهبى ، و الأمير ابن المحمدى ، و الأمير ابن دلنجى ، و الأمير ابن لاجين ، و الأمير بهاء الدين أصلان الحاجب ، و الأمير بكتمر العلى الحاجب أيضا و غيرهم ، منهم مقدمون و طبلخانات و عشراوات ، غير بعض أجناد الحلقة المنصورة المقطعين ، و أجناد الجوامك ، و قواد^٢ الصناعة ، و العربان المركزة ، و غلمان الفرسان ، غير^{١٥} أهل الثغر الذين صارت قلوبهم على الإفرنج أحر من الجمر .

فبينما الناس على أهبة القتال ، و إذا بغرايين قدما إلى مينة الإسكندرية ،

(١) في الأصل : يخلصوا .

(٢) في الأصل : قياد .

فيهما رسل المسلمين وثمانون^١ أسيرا وأسيرة، منهم دون العشرين نسوة،
والباقي رجال^٢. فلما أُرست الغرابان^٣ بالمينة، لم يتركوا رسل المسلمين
والأسارى ينزلون^٤ إلى البر حتى يأخذوا رسلهم وتجارهم وغيلانهم
الذين بالقاهرة. ولم ينزل منهم / سوى أربعة من المسلمين غرباء من غير
الإسكندرية، واثنين من الفرنج، حملا إلى القاهرة يريدان^٥ الخبر. فقيل
إن الأمراء قالوا لهما^٦: فيم أتيتما؟ قالوا: نريد الصلح. فقالوا لهما: من
أى الملوك أتيتما؟ قالوا: من عند صاحب جنوة وصاحب البندقية، وقد
حملنا صاحب قبرس رسالة نذكرها للسلطان، فقالت الأمراء لهما: اذكراها^٧
لنا وما جئتما^٨ به من صاحب قبرس، فإن رأينا فيها^٩ صلاحا، تركنا
كما تذكرها للسلطان، وإن لم يكن فيها صلاح خفنا عليكما سطوته و غضبه.
فقالا: يقول^{١٠} صاحب قبرس: إن السلطان لا يأخذ منه على متاجره

(١) في الأصل: ثمانين .

(٢) في الأصل: رجالا .

(٣) في الأصل: غرابين .

(٤) في الأصل: ينزلوا .

(٥) في الأصل: يردون .

(٦) في الأصل: لهم .

(٧) في الأصل: اذكروها .

(٨) في الأصل: جئتم .

(٩) في الأصل: فيه .

(١٠) في الأصل: لا يقول، و واضح أن المعنى لا يستقيم هنا بالنفي فحذفنا «لا» .

إلا العشر لا الخمس ، و أن يصير قنصله مقيما بالإسكندرية يحكم بين تجار المسلمين و تجار الفرنج في بيعهم و شرائهم ، و أن كل من حج كنيسة قمامة من أهل جزيرة قبرس لا يؤخذ منه شيء ، و أن يعطى له أرض في بر الشام محاذية للقدس ، يعمرها ، تصير له و لأصحابه ، و أن يكتب اسمه على كنيسة قمامة .

هذا و الأمراء يسمعون كلامها ذلك ، فلما انقضى كلامها ، قال أحد الأمراء لها : صاحب قبرس 'سلطان عاقل أو مجنون مطبق' ؟ قال : ليس به جنون . قال : أما ما ذكر من العشر فليس ذلك لنا ، لأن الله تعالى قال في كتابه العزيز : " الخمس " ، و ليس لنا تغيير ما أمر الله به . و أما قوله : إن قنصله يحكم بين تجار المسلمين و تجار النصارى في ١٠ بيعهم و شرائهم ، مقيما دائما بالإسكندرية ، فليس في إقامته بها ضرر ، و أما حكمه على تجار المسلمين فلا يجوز في ديننا ، لأن الإسلام يعلو و لا يعلى عليه . و أما قوله : إن كل من حج من القبارسة إلى كنيسة قمامة لا يؤخذ منه شيء ، فالدى يؤخذ منهم بسبب زيارتهم لها ينفق على أصحاب الأدراك^٢ الذين يخفرونهم في ورودهم و صدورهم من العرب التي تنهبهم في ١٥ طريقهم / ، و إن كان مراده أن لا يؤخذ من أصحابه شيء^٣ ، فلتخفر الإفرنج أنفسهم في طريق بلاد المسلمين ، و ذلك لا يتصور أبدا ، لقلة الفرنج الزائرين

(١-١) في الأصل : سلطانا عاقلا او مجنونا مطبقا .

(٢) جمع درك - أى خفارة المكان و حراسته .

(٣) في الأصل : شيئا .

و كثرة العرب التي تركهم من ملبوسهم ، فضلا عن أخذهم لأموالهم
 منها عارين . و أما قوله : يكتب اسمه على قامة ، فيصير بذلك مضحكة ،
 لأنه يضع اسمه على غير ملك له ، و ذلك أتى إذا أمرت أن يكتب اسمي
 على كنيسة قبرس بمكان^١ لا أملكه ، لا يفعل ذلك لي ، وإن فعل
 ٥ صرت مضحكة لأهل قبرس ولغيرهم من النصارى الواردين عليهم . و أما
 قوله : يعمر في أرض المسلمين بلدا ، فكيف يتصور له الحكم على
 بلد يجاوره فيها آلاف آلاف من المسلمين ، كانوا يهدمون البلد على
 رأسه ، ويخمدون أنفاسه^٢ . ثم قال لهما : هذا الكلام الذي تكلمتا به
 لا يتصور وقوعه من مجنون أبدا ، فكيف من عاقل ! والحذر الحذر
 ١٠ من ذكره للسلطان ! فان عليكما فيه من الأمر المخوف ما تمضون به على
 حروف السيوف .

و كان السلطان قبل ورود الغرابين إلى مينة الإسكندرية طلب
 الأمير صلاح الدين بن عرام من الإسكندرية ، وهو إذ ذاك حاجب
 الحجاب بها لمصلحه ، فحضر بحضرة السلطان ، فأمره بما اقتضته مصالحه ،
 ١٥ فامثل أمره . ولما بلغ السلطان أن أصحاب الغربان منعوا رسل المسلمين
 و الأسارى أن ينزلوا منها حتى يأخذوا رسل الإفرنج و تجارهم و غلمانهم ،
 قال لابن عرام المذكور : انحدر إلى الإسكندرية ، و تحيل على نزول

(١) في الأصل : مكانا - و لفظه باء الجر ساقطة و لزومها واضح من السياق .

(٢) في الأصل : لأنفاسه .

الرسول والأسارى من مراكب الإفرنج . فقال : ينزلون^١ إن شاء الله تعالى
 بسعادة مولانا السلطان خلد الله ملكه ، وعجل بوار عدوه وهلكه ، من
 غير أن ندفع لهم^٢ علجا واحدا^٣ من أصحابهم ، ولكن يريد المملوك
 مرسوما شريفا^٤ بأن استصحب معى أربعة من الفرنج المسجونين ، أستعين
 بهم على خلاص المسلمين / من غربانهم . فرسم له بهم ، واستصحب^٥ ١٢٧ /
 معه من أكابرهم . فلما وصل بهم إلى الإسكندرية ، أركبهم الخيول
 العربية بالسروج المذهبة ، و^٦ الكنايش المترتبة ، و^٧ أتى بهم إلى ساحل
 البحر الملح ، فسلبوا على من بالغربان ، و سلم من بالغربان عليهم ، وكلموهم
 فى نزول الرسول والأسارى . فقالوا : حتى تاتونا بأجمعكم ، و تحصلوا
 عندنا كلكم . فقالوا لهم : إن السلطان رسم للأمير صلاح الدين هذا بأنكم
 إن منعمت نزلوهم من غربانكم أن يقتلنا الأربعة قدامكم . قالوا ذلك
 بحضرة تراجمة المسلمين لثلا يكلموهم^٨ بكلام فيه ضرر^٩ على المسلمين فيذكره^{١٠}
 التراجمة للأمير صلاح الدين ، فيحصل لهم ما لا خير فيه . و أيضا

(١) فى الأصل : ينزلوا .

(٢-٢) فى الأصل : علج واحد .

(٣-٣) فى الأصل : مرسوم شريف .

(٤ - ٤) فى الأصل : الكبايش المقرقة و الكنبوش - بالضم : البرذعة تجعل

تحت سرج الفرس .

(٥) فى الأصل : ليلا يكلمونهم .

(٦) فى الأصل : ضررا .

(٧) فى الأصل : فذكره .

قصت الأربعة نزولهم ليكون ذلك سببا لخلاصهم من أيدي المسلمين .
 ثم قال الأمير صلاح الدين لمن بالغربان : انزلوا بالمسلمين وبما جثم به
 من الهدايا ، و سترون ما يفعل بكم و برسلكم من الإحسان و الإكرام .
 ٥ و صار يسايسهم و يجلب عقولهم بلبين كلامه إلى أن أنزلوهم بأجمعهم
 من المراكب .

و كان لرسل المسلمين بقبرس من حين أرسلهم الأمير يلبغا الخاصكى
 من جهة دمياط من قبل المقتلة إلى حين نزولهم من غربان النصارى
 مدة سنة و أربعة أشهر . فدخلت رسل المسلمين الإسكندرية راكبين
 الخيول العربية ، تضرب بين أيديهم الطبول ، و تصرخ الأبواق و الزمور ،
 ١٠ و الأسارى خلفهم يتبعون . فكان من أسارى الإسكندرية سبع نسوة
 و صى مراهق البلوغ ، و بقية الثمانين من الشام . ثم نزل عقبيهم من
 تجار الفرنج المحتشمين ستة عليهم الشايات الرفيعة المثلث المزررة بأزرار
 الذهب و اللؤلؤ المنظوم ، فاجتمعوا بأصحابهم الأربعة ، فقالوا لهم حين
 سألوهم عن أحوالهم : نحن بخير عند المسلمين ، و أن قازان الجنوى و رفيقه

١٥ البندقى فى خير و عافية . فعند ذلك تحيل الأمير صلاح الدين على التجار

١٢ / الف الستة و قال لهم : / أنتم لكم و جاهة و حشمة و شكالة ، فامضوا مع
 أصحابكم هؤلاء الأربعة إلى القاهرة ، تحضروا قدام السلطان ليراكم
 و يشاهد أشكالكم و حشمتكم ، و تنظروا ملكة مصر و تصيروا مترددين
 بمتاجركم بعد إيقاع الصلح بين المسلمين و بينكم ، و صار يسايسهم

بهذا الكلام و شبهه حتى نزلوا الحراقة^١ التي هي مرسية بخليج^٢ الإسكندرية بسبب توديع^٣ أصحابهم الأربعة ، وهم مترددون^٤ بين السفر و الإقامة بالإسكندرية ، فساعة طلوعهم الحراقة و حصولهم بها أشار الأمير صلاح الدين بحفنه لرأس الحراقة بالسفر ، فما استتم جلوس الإفرنج بها ، إلا و هي سائرة كالطيور الطائرة ، فلما مثلوا بين يدي السلطان ، سر بذلك و زاده ٥ إقطاعا على إقطاعه بعد الإكرام و الإحسان لابن عرام ، و ذلك بسبب خلاص رسل المسلمين و أسراهم على يديه ، بعد أن أقاموا في غربان الفرنج على مينة الإسكندرية خمسة عشر يوما ، ينظرون المدينة ، و لا يستطيعون النزول إليها ، خائفين من رجوع الفرنج بهم أيضا إلى بلادهم .

فلما تخلص^٥ المسلمون من أيدي الفرنج بسياسة الأمير صلاح الدين ، ١ . ذلت الفرنج بعد ذلك ، و نزلوا بهداياهم من مراكبهم ، و ظهر بعد ذلك خبثهم و مكرهم للمسلمين بمحاqqة^٦ رسل المسلمين لهم ، لأن رسل الفرنج ذكروا أنه لم يبق أحد^٧ من أسارى المسلمين ، فكذبتهم رسل

(١) الحراقة نوع من المراكب السريعة الجريان في النيل - راجع الفهارس .

(٢) القناة الموصلة بين الإسكندرية و فرع رشيد ، وهي الآن ترعة الحمودية .

(٣) كذا في الأصل ، و لعل الكلمة « توديع » .

(٤) في الأصل : مترددين .

(٥) في الأصل : تخلصت .

(٦) بمعنى التحقيق معهم .

(٧) في الأصل : أحدا .

المسلمين وأسراهم ، وقالوا : بقي بها^١ وبرودس الأسارى و ذكرت
 الأسارى أسماء من هم عندهم ، فلما قالت الأسارى القادمون^٢ ذلك ،
 صيرت رسل الفرنج و الستة^٣ تجار أيضا محبوسين مع الفرنج المسجونين .
 ثم صارت مراكب الإفرنج تأتي إلى مينة الإسكندرية شيئا بعد شيء إلى
 ٥ أن تكمل إلى يوم الأحد الثاني والعشرين من ربيع الأول سنة سبعين
 و سبعمائة^٤ / الزيادة على ثلاثين قرقورة و عدة غربان أيضا . فصار^٥
 المسلمون في قلق بسببهم ، يزيدون و ينقصون و يقولون : إن القبرسى يأتي
 في الأربعين غربا التي عنده يطلب الصلح بما يشترطه على اختياره ، فان
 وقع الصلح على مراده ، و إلا أوقع الحرب ، فتهيأ^٦ المسلمون للقتال ،
 ١٠ و صاروا يبيتون^٧ كل ليلة بقلاع السور و أبراجه ، و الفوانيس موقودة
 بشراريفه و الزفة دائرة في كل ليلة بأعلى السور ، تضيء فوانيسها بالنور ،
 و الأمير صلاح الدين بن عرام حاجب الحجاب طائف من داخل السور بجنده
 و مشاعله و فوانيسه . و قد تهيأت قبائل العرب للحرب و القتال . فبينما هم
 كذلك و إذا بقازان الجنوى و رفيقه البندقى أتيا من القاهرة إلى الإسكندرية ،

١٢/ب

(١) أى بقبرس .

(٢) فى الأصل : القادمين .

(٣) فى الأصل : الست .

(٤) يقابل هذا التاريخ ٨ نوفمبر سنة ١٣٦٨ م .

(٥) فى الأصل : فصارت .

(٦) فى الأصل : فتهيأت .

(٧) فى الأصل : يبيتوا .

معها خدمتهما، بما وقع الاتفاق عليه بسفرهما إلى قبرس، يأتیان ببقية
الأسارى الإسكندرانيين، بعد أن ضمنها تجار الفرنج الذين^١ بالقاهرة
مسجونون^٢. فسافرا من الإسكندرية. فحينئذ أنزلت^٣ تجار الفرنج
بضائعهم^٤ من القراقر، باعوها بالإسكندرية، و تعوضوا عنها بضائع
الكارم^٥، و سافروا شيئاً بعد شيء، فاطمان^٦ المسلمون بسفرهم، بخلاف
ما كانوا يظنون بهم - و سيأتى فيما يرد من هذا الكتاب خبر رجوع
قازان الجنوى إلى مينة الإسكندرية بالأسارى، و منعه من نزولهم من
مراكبه و رجوعه بهم حيارى إلى أرض النصارى، إن شاء الله تعالى.
و فى العشر الأول من المحرم سنة سبعين و سبعمائة^٧، قدم مركب
من طرابلس الغرب إلى مينة الإسكندرية، أخبر من فيها من المسلمين
أن مركبا للفرنج قدم إلى بلد العناب بأرض المغرب موسوقا قمحا،
و فيه من الإفرنج ثلاثون علجا، سألوا أهل بلد العناب أن يفتدوا منهم
أربعة من أعيان أسارى المسلمين، و طلبوا فيهم أربعمائة دينار، فقال
نائب البلد: نعطيكم فيهم مائتى دينار، فامتنعوا من ذلك. فاتفقت

(١) فى الأصل: التى.

(٢) فى الأصل: مسجونين.

(٣) فى الأصل: نزلت.

(٤) فى الأصل: بضائعها.

(٥) لعل المقصود تجار الكارمية - راجع صبحى لبيب وانظر المراجع والفهارس.

(٦) فى الأصل: فاطمات.

(٧) أى فى أغسطس سنة ١٣٦٨ م.

خمسة من المسلمين من أهل البلد وقالوا للنائب : نريد / جهاد هؤلاء
 الفرنج ، لنبذل نفوسنا في سبيل الله ، لتكون كلمة الله هي العليا ، فان
 انتصرنا عليهم ، نأخذ مركبهم لنا من غير أن يتعرض لنا ، ونوفر
 عليك الذهب الذي تفتدى به الأربعة أسارى ، قال : اذك لكم ، أسأل الله
 ٥ تعالى أن ينصركم ، افعلوا ما بدا لكم . فتقدمت الخمسة إلى المركب بعد
 أن أخفوا معهم خناجرهم ، وقالوا للفرنج : هل معكم سيوف نشترها
 منكم ؟ قالوا : نعم ، اصعدوا إلى المركب فاشترتوا منها ما تختارون ، فان
 معنا سيوفا عدة مصقولة حادة ^١ . و كانت الفرنج اطمأنوا ^٢ لهم لخلوهم
 من السلاح ، فعدوا إليهم في قارب ، و صعدوا و صاروا معهم في
 ١٠ مركبهم . فأخرج رانس المركب لهم ^٣ سيفا صقيلا ^٤ ، حسن الضرب
 و الصنعة ، و قال : عندنا مثله عدة أسياف . فأخذ أحدهم السيف من
 الرانس يقلبه ، فانتدبه ليختبره ، فضرب به سريعا رقبة الرانس ، و هاج
 في البقية به ، يقتل هذا و يجرح هذا ، و هجمت الأربعة الباقية بخناجرهم
 يضربونهم بها ^٥ ، فصاحوا : الأمان الأمان ! فقالوا لهم : كتفوا بعضكم
 ١٥ بعضا و إلا ذقم بهذه الخناجر نار الغضا ، فالذى هلك منهم رمى في

(١) في الأصل : حدة .

(٢) في الأصل : اطمانت .

(٣-٣) في الأصل : سيف صقيل .

(٤) في الأصل : بهم .

البحر، و الذي نجما^١ صار كل واحد منهم يكاتف صاحبه، و هم قد صاروا تحت الذلة و القهر، و تخلص^٢ المسلمون الأربعة من الأسر، فأرسلوهم في القارب للساحل، و سارت الخمسة بالمركب، يبيعون قمحها بالسواحل. فصاروا كلما أرسوا بمينة من سواحل المسلمين يخبرون^٣ أهلها بخبرهم، فيقولون: ما نشترى إلا و معه اللحم، فيعلقون لهم علجا^٥ من الأسارى في بكرة بخشبة ممتدة خارج مقدم المركب. فتختطفه سيوف المسلمين بسرعة، و حينئذ يشترون منهم ما يحتاجون إلى أن أتوا مينة طرابلس الغرب، و قد بقي معهم أربعة من العلوج الأسارى، فاشترى منهم شيخها أبو العباس أحمد بن مكي المركب بما بقي فيه من القمح بألف و خمسمائة دينار، و أطعموا أهل طرابلس / لحم الأربعة ١٠ / ١٢٩ ب / علوج الباقية، فاختطفتهم سيوفهم و أحرقوهم بالنار. ثم إن الخمسة اقتسموا ما حصل لهم من المال بالسوية، و وجدوا مركبا موسوقا من طرابلس طالبا الإسكندرية، فاجتمع رأيهم على أن يصرفوا ذلك المال الحلال في الحج إلى بيت الله الحرام، و زيارة قبر النبي صلى الله عليه و سلم، فيكونوا قد جاهدوا في سبيل الله تعالى، و حجوا إلى بيت الله ١٥ و زاروا قبر رسول الله صلى الله عليه و سلم في سنة واحدة بعون الله. فأهل الإيمان تحصل لهم السعادة في الدنيا و الآخرة، و أهل الكفر

(١) في الأصل: نجوا.

(٢) في الأصل: و تخلصت.

(٣) في الأصل: يخبروا.

يعذبون في الآخرة بنار الساهرة - قال بعضهم هذه الآيات :
 ولن يجمع الله أهل الجحود ومن قد أقر بإيمانه
 فهذا ينجيه إيمانه وهذا يبوء بخسرانه
 وهذا ينعم في جنته وذلك في قعر نيرانه

[تاريخ دخول السلطان الأشرف

شعبان الإسكندرية - ١]

ذكر تاريخ دخول السلطان الملك الأشرف شعبان ١

الإسكندرية و صفة دخوله فيها، وغير ذلك

من الواردات المستطردات بالترتيب

و في يوم الجمعة الرابع من جمادى الأولى سنة سبعين و سبعمائة ٢ دخل

١٠ السلطان الملك الأشرف شعبان بن الحسين بن الملك الناصر محمد بن الملك

المنصور قلاوون ثغر الإسكندرية المحروس . و كان دخوله من باب رشيد

في ضحى نهار اليوم المذكور ، بعد أن تقدمته البيازرة ٣ بالبزاة و الصقور

و الشواهين و العقبان ، يقدمها باز أشهب يساوى بدرة ذهب ، يعقبها

كلاب الصيد ، عليها أجلة الحرير المطرزة بطرز الذهب ، يتبعها الفهود

١٥ التي أعينها كنار الوقود - و الفهود جمع فهد ، و يقال للفهد سبع الأيل ،

(١) العنوان مشتق من مطلع الفصل بالنص .

(٢) من الممالك البحرية و حكه ٧٦٤ - ٧٧٨ / ١٣٦٣ - ١٣٧٦ م ؟

انظر الفهارس .

(٣) يقابل هذا التاريخ ١٥ ديسمبر سنة ١٣٦٨ م .

(٤) أى حاملو البازى ، و فى الأصل : البزاوره .

وهو فوق الغلظ من الكلب، مروّق بسواد وبياض وحمرة، وذنبه كذلك، ووجهه مستدير كاستدارة وجه الأسد، والفهد كثير النوم، تضرب به العرب المثل في النوم، تقول «أنوم من فهد» أو كما قال شاعرهم:

ليس بنوام كنوم الفهد ولا بأكال كإكل العبد ٥

١ / وقيل: إن الفهد إذا غلبه صيده ولم يقدر على اصطیاده، يفتاظ غيظا شديدا، فينشد له هذا البيت، فيسكن غيظه، وهو هذا:

ما قصر الفهد فيما عدا إن لم يصد اليوم صاد غدا

مطلب

١٠ [في حكم البهائم والوحوش - ١]

وقيل: إن الفهد إذا سمن وثقل عن الجرى، دخل جحره، أقام

به أياما، لا يأكل ولا يشرب. فإذا علم من نفسه الخفة في بدنه، وهزل

عما كان، خرج إذا واصطاد لنفسه ما يسد به جوعه عن تلك الأيام

التي لم يأكل فيها شيئا. وقد أشار إلى ذلك القدسي في كتابه «كشف

الأسرار»، عن حكم الوحوش والطيور والأزهار. ثم تبع الفهود أيضا ١٥

النمور، قيل: إن النمر إذا جرح إنسانا، إن لم يعلق ذلك الإنسان بين

السما والارض إلى أن يبرأ جرحه^٢ هلك، وسبب هلاكه أن

الفأر يأتي إليه يشم جرحه، فإذا شمّه بال عليه، وبيوله ذلك يهلك

(١) بهامش المخطوط «مطلب» وبقية العنوان مقتبس من النص.

(٢) زيد في الأصل: «وإلا».

سريعا . واسم النمر السبنتا^١ ، و الأثى سبنتاة .

و أعلم أنه لا أحد^٢ من الخلق إلا وفيه خلق من البهائم . و لهذا تجد أخلاق الخلائق مختلفة . قال الله تعالى^٣ : ” و ما من دابة في الارض ولا ظئر يطير بجناحيه الا امم امثالكم “ ، فأثبت الله تعالى المماثلة بيننا و بين سائر البهائم . فاذا رأيت الإنسان خارجا عن الاعتدال ، فأبصر ما يماثل ذلك الخلق من خلق سائر الحيوانات ، فألحقه به و عامله بما كنت تعامله ، فحينئذ تستريح من منازعتهم ، و يستريحون منك ، و تدوم الصحة . فاذا رأيت الرجل الجاهل و خلائقه الغليظة في طباعه ، القوي في بدنه ، الذي لا يؤمن طغيانه و إفراطه ، فألحقه بعالم النمورة . و العرب تقول : أجهل من نمر . و أنت إذا رأيت النمر ، بعدت عنه فلم تخصمه و لا تشامه ، فاسلك بالرجل كذلك . و إذا رأيت الرجل الغالب على أخلاقه السرقة خفية ، و النقب ليلا على وجه الاستمرار ، فألحقه بعالم الفأر إذا أفسد رحلك ثم اختار ذلك بما يصلح له . و إذا رأيت / الرجل هجاما على أعراض الناس و سبهم ، فقد مائل عالم الكلاب ، فان

١٥ دأب الكلاب الأذية لمن لا يؤذيها ، فعامله بما كنت تعامل الكلاب إذا نبح عليك أحدها . ألسنت تذهب في شأنك و تتركه و لا تخصمه

(١) كذا في الأصل ، و لفظة « السبنتى » معروف انه يعنى بها النمر و جمعها سباند و سباندة . و العبارة بهامش المخطوط .

(٢) في الأصل : احدا .

(٣) قرآن كريم سورة ٦ آية ٣٨ .

(٤) في الأصل : احدهم .

ولا تسبه ا و افعال بمن يهتضم عرضك بمثل ذلك . و إذا رأيت إنسانا
 قد جبل على الخلاف ، إن قلت : لا ، قال : نعم ، و إن قلت : نعم ،
 قال : لا ، فألحقه بعالم الحمير ، فإن الحمار إذا أدنيتَه بعد ، و إذا أبعده
 قرب ، و أنت تستمتع بركوب الحمار و لا تسبه و لا تفارقه ، و استمتع
 أيضا بهذا الإنسان و لا تسبه و لا تفارقه . و إذا رأيت رجلا يطلب
 عثرات الناس و سقطاتهم ، فمثل كمثل الذباب ، فإن الذباب يقع على
 الجسد فيتحامى صحيجه ، و يطلب الموضع المتعكر منه و ذوات القبيح
 و الدم و النجاسة . و إذا رأيت السلطان يهجم على الأموال و الأرواح
 فألحقه بعالم الأسود ، و خذ حذرَكَ منه ، كما تأخذ حذرَكَ من الأسد ،
 و ليس إلا الهرب منه ، كما قال النابغة حيث قال :

١٠

ولا قرار على زار من الأسد

و إذا بليت بانسان خبيث كثير الروغان و المفاجرة ، فألحقه بعالم
 الثعالب . و إذا بليت بمن يمشى بالنمام ، و يفرق بين الأحبة و الجماعة ،
 فشا بينهم الضربان فتفرقوا ، و خاصة هذه الدويبة التي تسمى الضربان ،
 إذا جعلت بين جماعة ، لم يلبثوا أن يتفرقوا ، و كما أن الجماعة إذا أقبلت
 نحوهم طردوها و منعوها الدخول بينهم ، كذلك ينبغي إخراج النمام من
 الجماعة ، فإن لم يفعلوا يوشك أن يفرق بينهم ، و يفسد قلوب بعضهم
 على بعض .

(١) ورد في دوزي (Porc-epic) بمعنى « القنفذ » ذي الشوك الذي يمتنع على
 الحاضرين القبض عليه فيرحلوا عنه .

و إذا رأيت إنسانا لا يستمع العلم و الحكمة ، و ينفر من مجالس العلماء
و الحكماء ، و يألف أخبار الدنيا و سائر الخرافات ، و ما يجرى بمجالس
العوام ، فألحقه بعالم الخنافس ، فإنه يعجبه أكل العذرات^٢ . و يألف
روائح النجاسات ، فلا تراه إلا ملابس الأخلية و المراحيض و الكنف ،
٥ و ينفر من روائح المسك و الورد ، و إذا طرح عليه المسك و الورد مات .

و إذا رأيت إنسانا / عليه الديانة و السكينة ، فقد نصب أشراكه
لاقتناص الدنيا ، و لا كل أموال اليتامى ، و الودائع و الأمانات ، فألحقه
بعالم الذئاب ، كما قال فيه القائل حيث قال :

ذئب تراه مصليا فاذا خلوت به ركع

يدعو و جل دعائه ما للفريسة لا تقع ١٠

عجل بها يا ذا العلي ء إن الفؤاد قد انصدع

فاحترز منه كما تحترز من الذئب . و إذا بليت بصحبة كذاب ، فاعلم أن
الكذاب كالميت في الحكيم ، لأنه لا يقبل له خبر ، كما لا خبر للميت ،
و كما لا تصحب الموتى^٣ لا تصحب الكذاب . قال الشاعر :

١٥ لي حيلة فيمن يسئم و ليس في الكذاب حيلة

من كان يخلق ما يقول فخيلى في قلبه

(١) في الأصل : بمجالس .

(٢) الفائض من اردأ الطعام أو الغائط .

(٣) زيد في الأصل : كما .

(٤) في الأصل : طويلة .

و يجوز أن يلحق الكذاب بعالم النعام ، فإنه يدفن جميع بيضه تحت الرمل ، ويدع بيضة واحدة على وجه الأرض ، فإذا رآها الغرّ يأخذ تلك البيضة و ينصرف ، و لا يكشف عن وجه الأرض ، فيظن أنه ليس ثم شيء آخر ، و الخبير بحيلة النعام إذا رأى البيضة ، لا يزال يحفر حتى يجد البيض جميعه ، فيأخذه و لا يعتر بتلك البيضة . كذلك ٥ الكذاب إذا سمعت منه خيرا فلا تصدقه حتى تبلغ الغاية في الكشف عنه .

و إذا رأيت الرجل إنما دأبه أن يصنع نفسه كما تصنع العروس لبعلاها ، يبيض ثيابه ، و يعدل عمامته ، و يتقى أن يمسه شيء غيره ، فينظر في عطفه ، و يطرح القذى عن ثوبه ، ليس له همّة بين الجلساء إلا نظره ١٠ إلى نفسه ، و إصلاح ما انتضى من ثيابه ، فألحقه بعالم الطواويس الذي هو صفتها ، كأنه يتبختر في مشيته ، و ينظر الى نفسه ، و يفرش ذنبه ، فيتخذ الملوك استحسانا .

و إذا بليت بانسان حقوق لا ينسى الهفوات ، و يؤذى ^٢ بعد ^١ بعد المدة على السقطات فألحقه بعالم الجمال . و العرب تقول « أحقد من ١٥ جمل ، فتجنب قرب الجمل الحقوق و اجتنب صحبة هذا الرجل . و إذا بليت بانسان منافق ، ينطق بخلاف ما يبطنه ^٣ ، فألحقه بعالم

(١) في الأصل : صفتهم .

(٢) في النص : و ياذى . - و صحته بالهامش .

(٣) في الأصل : يظهره .

اليرابيع ، لأن اليربوع يكون في البرية يتخذ حجرا تحت الأرض ، يقال له النافقاء^١ ، وله / فوهتان ، فاذا حفر خلفه لا يظفر بشيء . كذلك المنافق لا يصح منه شيء ، فعلى هذا النمط تؤثر صحة الناس و تبعد عنهم و تريحهم منك - انتهى .

[كلاب الصيد و الجوارح المعلمة - ٢]

فلنذكر الآن ما قيل في كلاب الصيد و الجوارح المعلمة إن شاء الله تعالى - اعلم أن الكلاب المعلمة كل شيء صادته كانت حلالا إذا ذكر اسم الله تعالى عليه عند إطلاقها على الصيد . قال الله تعالى^٢ : ” فكلوا مما أمسكن عليكم و اذكروا اسم الله عليه “ .

١٠ قال بعض الصالحين : رأيت في المنام كأنى في الملكوت الأعلى تحت العرش ، و فيه خلق كثير ، فأرسل كلب في أرض على صيد هناك ، فأخذ الصيد ، و تقدم رجل فأخذ الصيد من الكلب و قال : أجمع علماء الأمة على إباحتها هذا الصيد و أنه حلال ، و إنما ذلك لإمساكه على سيده . و كلاب الصيد المعلمة هي التي إذا زجرت انزجرت ، و إذا أرسلت على الصيد أطاعت .

و كذلك الطيور الجوارح المعلمة ، فإنها على الاصطياد مصممة ،

(١) في الأصل : النافقان .

(٢) العنوان مشتق من النص و لا وجود له بالهامش .

(٣) قرآن كريم سورة ه آية ه .

(٤) في الأصل : طيور ، بسقوط أداة التعريف .

فاذا أرسلها من يحل ذكاته ، فقتلت الصيد ، حل أكله . و ذكاة الصيد الممتنع بالرمي حيث أصاب من بدنه فعقره ، و قد صح عن النبي صلى الله عليه و سلم من حديث عدى بن حاتم قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : إذا أرسلت كلبك ، فاذا ذكر اسم الله ، قال : فان أمسك عليك فأدر كته حيا فاذبحه ، و إن أدر كته قد قتل و لم يأكل منه فكله ، و إن وجدت مع كلبك غيره و قد قتل فلا تأكل ، فانك لا تدري أيهما قتله ، فان رميت بسهمك فاذا ذكر اسم الله ، فان غاب عنك يوما و لم تجد إلا أثر سهمك ، فكل إن شئت ، و إن وجدته غريقا في الماء فلا تأكل .

و اعلم أن كلب الصيد يسعى في نفع غيره بعد تعبته . كذلك حال أرباب الدنيا ، يسعى أحدهم في طلبها من حلال و حرام ، يشقى بها و يجتهد لمن يسعد بها . قال الشاعر :

اياك أن تجتهد في مطلب يحظى به الغير و تشقى به

كالكلب اذ يبذل مجهوده في الجرى و الصيد لأصحابه

/ و كذلك القصار يجتهد في تسويد وجهه بلفح الشمس فيه ، ليبيض أثواب

غيره . قال الشاعر :

أحمل نفسي كل يوم و ليلة

هموما على من لا أفوز بخيره

كما سود القصار في الشمس وجهه

ليجهد في تبيض أثواب غيره

[حباله صيد الوحش - ١]

فلنذكر الآن ما قيل في صفة حباله صيد الوحش إن شاء الله تعالى -
 صفة الحباله أن تعمد لحبل من شعر ييسر من صوف ، فذلك أقوى له ،
 فيعقد في طرفه حلقة يجرى عليها الحبل ، ويربط في الطرف الآخر خشبة ،
 وربما حددوا أطرافها ، ثم يأتون إلى الطريق الذي يدخل منه الصيد
 إلى الماء يتغنى الشرب ، فيحفر^{ون} به حفيرة^٢ و شبهها^١ و يغطون طرفها ،
 و يفتحون عليها عين الحبل و هي الحلقة ، ثم يغطونها بالتراب و الزبل
 حتى تصير في طبع الأرض . فإذا أقبل الصيد من الوحش للماء ، فوضع
 يده أو رجله على الحفرة سقط به ، و انضم على يده الحبل ، فيثب فازعا
 ١٠ و يفر ، فتبعه تلك الخشبة ، فكلما انتفض أقبلت عليه الخشبة ، فضربته في
 يديه و رجليه و ظهره و بطنه ، فتوهى أضلاعه ، وربما كسرت يديه و رجليه ،
 فلا يسير بها قدر ميل حتى يقف قبالة الصائد فيأخذه . و أنواع الحباله كثير
 كالفض للصفور و الشرك لغيره .

و أما الكلب العقور ، فاختلف فيه على قولين . فالمشهور أنه كل عاد
 ١٥ من السباع كالأسد و النمر و الفهد و الضبع و غيرها ، كما في الحديث أن
 النبي صلى الله عليه وسلم قال في عتبة بن أبي لهب : اللهم ! سلط عليه كلبا
 من كلابك . فعدا عليه الأسد ، قتله . الشاذ أنه الكلب الإنسي .

فلنذكر الآن سبب قتل الأسد لعتبة بن أبي لهب ، و كيفية قتله له
 إن شاء الله تعالى - و ذلك أن عتبة قال : كفرت برب النجم ، فقال النبي

(١) العنوان مشتق من النص و ليس بالهامش .

(٢-٢) آخرها في الأصل عن « طرفها » .

صلى الله عليه وسلم : أما تخاف أن يأكلك كلب الله ! فخرج عتبة في
تجارة إلى اليمن في رفقة . فبينما هم قد عرسوا إذ سمعوا صوت الأسد ،
فقال لأصحابه : إني ما أكل ! فأحدقوا به ، فضرب على آذانهم فناموا ، / ج ١٣٤
الأسد حتى أخذه ، فما سمعوا إلا صوته . وفي خبر آخر : إن عتبة بن أبي
لهب قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : كفرت بالذي دنا فتدلى - ثم تفل ٥
في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
اللهم ! سلط عليه كلبا من كلابك . وكان أبو طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم
حاضرا فوجم لها وقال : ما كان أغناك عن دعوة ابن أخي ! فرجع إلى
أبيه أبي لهب فأخبره بذلك . وخرج إلى الشام ، فنزلوا منزلا أشرف عليهم
راهب من الدير وقال لهم : إن هذه أرض مسبعة ! فقال أبو لهب : ١٠
يا معشر قريش ! أغثونا هذه الليلة ، إني أخاف على ولدي عتبة من
دعوة محمد . فجمعوا أحماهم ، وفرشوا لعتبة في أعلاها ، وناموا حوله .
فجاء الأسد فتشم وجوههم ثم ثنى ذنبه فوثب و ضرب عتبة بيده ضربة
واحدة ، فقال عتبة : قتلتني ! ومات مكانه .

وقيل : إن الأسد يقول في صياحه : يا من خضعت له الصخور ! ١٥
سلطني على من عصاك في الظلمات والنور . واحتج [به] على أن المراد
بالكلب العقور هو الأسد وما في معناه .

[الضباع - ١]

والضباع جمع ضبع ، وهو نوع من سباع الأرض ، عظيم

(١) العنوان مشتق من النص و ليس بالهامش .

البطن، ويضرب بحمقه المثل، فيقال «أحق من ضبع»، و«أحق من أم عامر»، وهي كنية الضبعة. ومن حقاها أن صائد الضبعة يدخل وجارها فيقول: «خامري أم عامر»، ومعناه: الجأى أقصى مغارك واسترى، فتنقبض. فيقول لها: أم عامر! أبشري بكر الرجال! ٥
 أبشري أم عامر بشاة هزلي وجراد عضلي! فتمد يديها^٢ ورجليها، فيوثقها ويشد عراقيبها بالحبال فلا تتحرك، ولو شاءت تقتله لأمكنها ذلك، ولا يدخل عليها إلا عريانا، وإن دخل بثوب قتله. ثم يخرج لأصحابه بأطراف الأحبال وهم على الوجار بأسلحتهم - والوجار: الغار - / فيخرجونها بالجر من قعر الوجار فيقتلونها. ومن حق الضبعة أنها ١٠
 تترك وجارها إذا خرجت تلمس ما تأكل، فتجد جراء ضبعة أخرى قد خرجت أيضا كذلك وتركت جراءها، فترضع أولاد غيرها وتترك أولادها، فربما ضاعت فأكل الذئب أولادها. فقال الشاعر فيها حيث قال:

كمرضة أولاد أخرى وضيعت بنى بطنها هذا الضلال عن القصد
 ١٥ و قال أبو زيد: الضباع لا تفرس شيئا، إنما تأكل الجيف، وتنبش القبور على الموتى، وربما اجتمعت الجماعة منها على الحمار فأكلته، وليس لها بالنهار كبير عمل. قال الهذلي حيث قال:

(١) في الأصل: الجئي.

(٢) في الأصل: أيديها.

تبيت الليل لا يخفى عليها حمار حيث جر ولا قتيل
 و يضرب المثل لتلاعب الزمان بالناس بالأسود و بالضباع ، فيقال :
 إن الضباع المحترقة عند الأسود تتناول الأسود بالضرر ، وكذلك الزمان
 يرفع الحقير و الهجين ، و يكثر رزقه ، و يضع الرفيع ، و يغير عليه ، ٥
 و يملك العبيد و الأراذل ، قال الشاعر الملسان حيث قال :
 هانت الدنيا على الله فأعطاهما اللثاما
 فهم فيها يعيشون و يلحون الكراما

و قيل : إن قوما تبعوا ضبعة ليقتلوها ، فدخلت بيت شعر لبعض
 الأعراب ، فقال للقوم : يا وجوه العرب ! إن هذه الضبعة قد استجارت
 بي ، فتركوها لأجلي . و كان بالبيت ولد له صغير ، فتركوها لأجله
 و انصرفوا . فلما دخل الأعرابي البيت وجدها قد افترست ولده و قتلته ،
 فأنشأ يقول حيث قال :

فعلنا جميلا قابلتنا بضده و هذا فعال الخائئات العواهر
 ١٥ و من يفعل المعروف مع غير أهله يلاقى كما لاقى مجير أم عامر

[الضب - ١]

فلنذكر ما قيل في الضب إن شاء الله تعالى - الضب / شبه الحرذون^٢ ب/١٣٣

(١) ليس بالهامش ، و العنوان من النص ، و الضب حيوان من نوع الزحافات ،
 ذنبه كثير العقد .

(٢) في الأصل : الحرذون - كذا .

و هو حرذون^١ الصحراء . وإذا فارق جحره لم يهتد إليه ، فيجعل حجرا واقفا عند جحره ليهتدى به . فإذا أزاله الصائد تحير ، فجاء فأخذه ، وربما قتله بذلك الحجر . قال الشاعر هذه الآيات :

وإن الضب ذو دهي ومكر كما اليربوع والذئب اللعين

يرى مرداته من رأس ميل ويأمن سيل بارقة هتون

ويدخل عقربا^٢ تحت الرمال^٣ رواغ الفهد من أسد كمين

جعل الذئب لعينا لأن من رآه صاح عليه ، و مرداته : جحره ، و العقرب يعده الضب للصائد إن أدخل يده في جحره ، فأخذ يده لسعة العقرب ، وربما أكل الضب العقارب ، وترك واحدا منها في باب جحره للصائد
١٠ كما قال الشاعر :

و أخدع من ضب إذا جاء حارس أعدله عند الذبابة عقربا

و الضب لا يتزود في المفازة . و يقال « أخدع من ضب ، و ذلك أنه

يطمع الصائد في نفسه ، فإذا أتاه الصائد ، دخل جحره ، و يقال « أعق

من ضب ، و ذلك أنه يأكل أولاده . و تزعم العرب أنه لا يشرب الماء

١٥ و إذا أخذه العطش ، صعد ربوة و استقبل الريح . و إنه طويل العمر ،

و يقولون « أحبي من ضب ، يريدون أن حياته لا تكاد تنقضي ، و إنه

لا يسقط له سن ، و إنه أطول الدواب دما ، و إذا ذبح يبقى زمانا و حينئذ

(١) في الأصل : جردون - كذا .

(٢) في الأصل : عقربا . و صحته من السياق فيما بعد .

(٣) في الأصل : الرمانا .

يموت . وإن له ذكرين ، ولأثنا عشر فرجين ، وقد شهد الضب و الظبي
والجذع و الذئب برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم . قال السراج
عبد اللطيف التكريتي في جمع ذلك في بيت واحد من قصيدة له :
والضب و الظبي إيماناً به شهدا و الجذع خن و نطق الذئب معقول

[عود للضواري الجوارح - ١]

نعود إلى ما قيل في الضواري و الجوارح / إن شاء الله تعالى - قيل
إن أول من لعب بالعقبان أهل المغرب . فلما نظرت الروم إلى شدة
إشرافها ، و إفراط سلاحها قال حكاؤهم : هدم التي لا يقوم خيرها
بشرها . و ذكر أن قيصر أهدى إلى كسرى عقابا ، و كتب إليه يعلمه
أنها تعمل أكثر من عمل الصقر الذي أعجبه صيده ، فأمر بها كسرى ،
فأرسلت على غزال عرض له فدفقته ، فأعجبه ما رأى منها ، و انصرف
مسرورا . و جوعها ليصيد بها ، فوثبت على صبي له فقتلته ، فقال كسرى :
و قرنا قيصر في أولادنا بغير جيش . ثم إن كسرى أهدى إلى قيصر
نمرا ، و كتب إليه أنه يقتل الغزلان و أمثالها من الوحش ، فأعجب قيصر
حسن النمر ، و وافق صفته ما وصف من الفهد ، و غفل عنه فافترس ١٥
بعض فتياته ، فقال : صادنا كسرى ، فان كنا صدناه فلا بأس .

و قد قال الجمهور من أهل المعرفة بالضواري و أنواع الجوارح من

(١) العنوان من سياق النص ، و ليس بالهامش - انظر ما قبل .

الفرس و الترك و الروم و الهند و العرب : إن الباز إذا كان إلى البياض في اللون أنه أسرع البزاة و أحسنها و أنبلها أجساما ، و أجرؤها قلوبا ، و أشهلها^١ رياضة ، و إنها أقوى جميع البزاة على العلو في الجو ، و أبعدها غاية في الهواء ، لما فيها من حرق^٢ الحرارة ، و خيرها الغالب فيها مما ليس في غيرها من أنواع البزاة ، و إن اختلاف ألوانها لاختلاف مواضعها .
 و من أجل ذلك خلصت البيض لكثرة الثلج في بلاد أرمينية و أرض الخزرج و جرجان و ما والاها من بلاد الترك .

و حدث هاشم بن جريج قال : خرج قسطنطين ملك عمورية يتصيد بالبزاة حتى انتهى إلى خليج بنطس^٣ الجاري إلى بحر الروم ، فعبر إلى مرج الخليج و البحر فسيح ، فنظر إلى شاهين يتكفأ على طير الماء ، فأعجبه ذلك مما رأى / من سرعته و ضراوته و حيلته على صيده ، فأمر باصطياده و ضراه^٤ . و كان قسطنطين أول من لعب بالشواهين ، و نظر إلى ذلك المرج طويل البساط مفروشاً بألوان الزهر ، فقال : هذا موضع حصين بين نهر و بحر و له سعة و امتداد يصلح أن يكون فيه مدينة ، فبنى فيه القسطنطينية - و قد تقدم في هذا الكتاب خبر قسطنطين و أمه هيلاني

(١) كذا في الأصل ، و لعله : أسهلها .

(٢) في الأصل « حرق » .

(٣) في الأصل كذلك ، و أغلب الظن صحته Pontus .

(٤) ضراه تضرية أي علمه و دربه .

و بيانها الكيناس بمصر و الشام و غير ذلك .

[مطلب في العنقاء - ١]

فلنذكر الآن ما قيل في العنقاء إن شاء الله تعالى - العنقاء التي يضرب

بها المثل يقال : عنقاء مغرب ، و تزعم العوام أنها كانت طائراً عظيماً

اختطفت جارية أو صبية ، فدعا عليها حنظلة بن صفوان ، وهو نبي أهل ٥

الرس ، فغابت إلى اليوم - و سيأتي فيما يرد من هذا الكتاب خبر أهل

الرس إن شاء الله تعالى .

روى عكرمة عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه

قال : إن الله خلق طائراً في الزمن الأول من أحسن الطير ، و جعل فيه

من كل جنس قسطاً ، و خلق وجهه على مثال الناس ، و كان في ١٠

أجنحته كل لون جنس من الريش ، و خلق له أربعة أجنحة من كل جانب

منه ، و خلق الله له [يدين فيهما^٢ مخالب^١] ، و له منقار على صفة منقار

العقاب ، غليظ الأصل ، و خلق الله له - ٢] أنثى على مثاله و سماها

العنقاء ، و أوحى إلى موسى بن عمران أني خلقت طائراً عجيباً ، خلقت

ذكراً و أنثى ، و جعلت رزقه في وحوش بيت المقدس ، و أنستك ١٥

(١) العنوان وارد بالهامش .

(٢) في الأصل : فيها .

(٣) الجملة المحجوزة ساقطة من الأصل ووردت في الهامش بقلم المراجع .

بها ليكونا 'أما فضلت' به بنى إسرائيل ، فلم يزالا يتناسلان حتى
 كثير نسلهما ، وأدخل الله موسى و بنى إسرائيل في التيه ، فكثروا فيه
 أربعين سنة حتى مات موسى و هارون في التيه مع من كان مع موسى
 من بنى إسرائيل ، و كانوا ستمائة ألف ، و خلفهم نسلهم في التيه .

ثم أخرجهم الله من التيه مع يوشع بن نون تلميذ موسى و وصيه .
 فانتقل ذلك الطائر ، فوق بنجد و الحجاز في بلاد قيس عيلان^٢ ، فلم يزل
 هناك يأكل من الوحوش ، و يأكل الصبيان و غير ذلك من البهائم إلى
 أن ظهر من بنى عبس بين عيسى و محمد صلى الله عليها و سلم نبى يقال له
 خالد^٣ بن سنان ، فشكا إليه الناس ما كان العنقاء تفعل بالصبيان ، فدعا الله
 ١٠ تعالى عليها أن يقطع نسلها ، فقطع الله نسلها ، فبقيت صورتها تحكى في
 البسط و على أبواب الحمامات . و قد ذهب جماعة من ذوى الدراية أن
 قول الناس : عنقاء مغرب ، فى أمثالهم إنما هو الأمر المعجب النادر^٤ و وقوعه ،
 و قولهم : جاء فلان بعنقاء مغرب ، يزرون به أنه جاء بأمر عجيب ،
 و قال الشاعر :

و صحبهم الجيش عنقاء مغرب

١٥

و قال ابن الهبارية^٥ فى كتابه الصادح و الباغم ، و الناسك و الفاتك ،

(١-١) زيد هنا : ممن فضلت .
 (٢) فى الأصل : غيلان .
 (٣) فى الأصل : حنظلة ، و التصحيح من كتاب حياة الحيوان الكبرى ج ٢ ص ٢٨٢ .
 (٤) زيد فى الأصل « و » .
 (٥) فى الأصل : ابن الهبارية ، و التصحيح من كسفت الظنون .

و الحازم و الغارم ، على لسان حال العنقاء حيث قال :

فارتفع العنقاء فوق دُلْبِهِ وهو أمير الطير يعنى الخطبه

فقال حمد الله خير نطق و شكره فرض و كيد الحق

الحمد لله على ما خصنى به من الخلق البديع الحسن

أفردنى من لطفه و حكمته بصورة شاهدة بقدرته ٥

حتى لقد كذب بنى الطغام و شك فى وجودى الإمام

[مطلب فى فن الأدب - ١]

فلنذكر الآن ما قاله فى الأدب على لسان الطائر و الغزال

إن شاء الله تعالى ، حيث قال :

| | | |
|----|-----------------|-----------------|
| ١٠ | بـزهر أنيق | فاجتزت فى طريقى |
| | طويلة عريضه | وروضة أريضه |
| | ظباؤها سوانح | طيورها صواح |
| | ليس يمس الثمره | وطائر فى شجره |
| | أو واله محير | كأنه مفكر |
| ١٥ | أو أبله أو غافل | أو عاشق أو ثاكل |
| | و عقله معقول | لأنه مشغول |
| | تلفت المشتاق | ينظر فى الآفاق |

(١) العنوان من هامش الصفحة . و نص العبارات الأدبية فى المخطوط مرسل ، ونشرها هنا على نمط الزجل الشعرى ، لا سيما و أن الوزن فيها حفوظ عليه و يمكن اعتبار ذلك من أمثلة أدب ذلك العصر .

فأقبلت غزاله / فأقبلت غزاله
 / فربضت قريبا / فربضت قريبا
 تقول ليس الماجد / تقول ليس الماجد
 فما أعزّ من قنع / فما أعزّ من قنع
 ما للورى فى غفله / ما للورى فى غفله
 تزودوا للرحله / تزودوا للرحله
 ألا لبيب يعقل / ألا لبيب يعقل
 أنتم فى ريبه / أنتم فى ريبه
 دنياكم حيبه / دنياكم حيبه
 لكنها غداره / لكنها غداره
 ليس لها حبيب / ليس لها حبيب
 كالموس البغى / كالموس البغى
 ملوالة خوانه / ملوالة خوانه
 تحوّل الأحوالا / تحوّل الأحوالا
 تفرق الأحبابا / تفرق الأحبابا
 تسترجع المواهبأ / تسترجع المواهبأ
 حرب لمن سالمها / حرب لمن سالمها
 عزيزها ذليل / عزيزها ذليل
 صحيحها عليل / صحيحها عليل
 لقاءها فراق / لقاءها فراق

ب/١

٥

١٠

١٥

٢٠

ووصلها

٣٩٨

| | | |
|----|-------------------|-----------------------------|
| | ووصلها صدود | ووعدها وعيد |
| | ملوكها عبيد | رغيبها زهيد |
| | وصالها عناء | صدودها بلاء |
| | سليمها سليم | شيطانها رجيم |
| ٥ | شرابها سراب | نعيمها عذاب |
| | إن أقبلت ففتنه | أو أدبرت فحنه |
| | أخلاقها مذمومه | لذاتها مسمومه |
| | يحظى بها الجهال | وينعم الأندال |
| | يشقى بها اللبيب | ويتعب الأديب |
| ١٠ | ما التوقى البارد | الموت ^١ شيء واحد |
| | اتفقت شعابه | واختلفت أسبابه |
| | لا موت إلا بأجل | ليس يرد بالحيل |
| | فانهض إلى المعالي | واجسر ولا تبالي |
| | وخذ من الزمان | حظا فانت فاني |
| ١٥ | لا بد من موت فلم | ترض ^٢ بجور مهتضم |
| | من عشق المعاليا | لم يخف اللياليا |
| | الهمم العليه | والمهيج الأبيه |

(١) في الأصل : الموات .

(٢) في الأصل : فلم ترضى .

| | |
|-------------------|-------------------|
| تقرب المنيه | منك والامنيه |
| وربما نال الفتى | أضعاف ما كان رجاء |
| أحرك فان الحركة | كما يقال بركة |
| وليس كل سمكة | تصبح رهن الشبكة |
| فباشر الختوفا | وصافح السيوفا |
| واخرق الصفوفا | تكن به معروففا |
| لولا خطار عنتر | بنفسه لم يذكر |
| المجد بالمخاطره | النصر بالمصابره |
| من خشى العواقبا | وشاور التجاربا |
| لم يبلغ المراتبا | ويحز المناصبا |
| لا خير في التجارب | وذكر في العواقب |
| فليس بالقياس | تجرى أمور الناس |
| / ينعم زيد بالذي | بمثله عمرو أذى |
| لو كان كل تاجر | يربح في المتاجر |
| لا تاجر الناس معا | وخاب كل من سعى |
| ما ضاع قط أحد | ولم يكن يجتهد |
| أو كان كل من ركب | وسار في البحر عطب |

٥

١٠

الف/١

١٥

(١) كذا في الأصل ، و النون في « كان » تقرأ بالسكون بحكم وزن الشعر .

(٢) في الأصل : يحوز .

| | | |
|----|-------------------|------------------------------|
| | لم يركب البحر أحد | ولا له يوما قصـد |
| | أو سلموا جميعا | ولم يروا فظيعا |
| | لا زدحموا عليه | وبادروا إليه |
| | قل لي فأى تجربته | تصح مع ذى الغلبه |
| ٥ | لا خير في الأولاد | والأهل والسفاد |
| | همم وغمم وأذى | وحسرات كالجزا ^١ |
| | وليس فيهم فائده | إلا ظنون فاسده |
| | وترهبات بارده | وحسرات زائده |
| | مجبنة ومبخله | مخذلة ومقتله |
| ١٠ | لولا هم ما ذلا | ذو أدب وقلا |
| | الشكل عندي أحلى | منهم نخل ^٢ العذلا |
| | إن النساء غلّ | بالجهد لا يحل |
| | فأهرب من النساء | فالقبح في الحسناء |
| | إن الجماع مضعف | للجسم لا بل متلف |
| ١٥ | هل من لبيب منصف | أبثته ما أعرف |
| | المرء دنيا نفسه | في يومه وأمه |
| | يسعى لبعل عرسه | وفرجه وضرسه |
| | لا تخضبن الشيبا | كفى بذلك عيبا |
| | هني لشيبى أخفى | فكيف أخفى ضعفى |

(١) في الأصل: كالجدا، و الجذى جمع جذوة: الجمرة المتلهبة .

(٢) في الأصل: نخلى .

| | |
|----------------------|------------------|
| لا عيشاً للفقير | مع عليه الغزير |
| فانه حقير | وقدره صغير |
| من أخبث الأعمال | عداوة الرجال |
| من سفه الأحلام | مودة اللئام |
| من نكد الأيام | شقاوة الكرام |
| من محن الليالي | تقدم الجهال |
| كم من عدو نفعاً | كم من صديق لسعاً |
| في الناس من لا يصلحه | إلا عقاب يجرحه |
| و فيهم لبيب | يصلحه التأنيب |
| و منهم يرضيه | معيشة تكفيه |
| كالكلب حين ينبح | بكسرة ينصاح |
| و منهم من يبطره | إكرامه ويسكره |
| كرامة اللئيم | إهانة الكريم |
| مفسدة عظيمه | ما مثلها جريمه |
| ما كاهم ينادم | ما كلهم يسالم |
| ما كلهم يهان | ما كلهم يهان |
| فلا تقس أحوالهم | قط ولا أفعالهم |
| فانهم أطوار | ليس لهم عيار |
| لكل صيد شبكه | ما كل صيد سمكه |
| كم درة من صدفة | كم تمرة من سعفة |
| كم ساهر لراقده | كم راغب في زاهد |

(١) في الأصل : لا عيس . (٢) في الأصل : راهب .

١٣٦

| | | |
|----|-------------------|------------------|
| | ضراوة قتاله | / فكثر البطاله |
| | فالقتل طبع القاسى | احقن دماء الناس |
| | ما مثله من جرم | وهو عظيم الإثم |
| | يقتل كل قاتل | ومن كلام العاقل |
| ٥ | ولا أراه حقا | وليس هذا صدقا |
| | له عليها الأمر | كان بمصر بدر |
| | من أهلها جماعه | يقتل كل ساعه |
| | حتى تخال ماء | ويشرب الدماء |
| | و جوره و حيفه | أصلحها بسيفه |
| ١٠ | لديه سوء القتل | جزاء كل فعل |
| | وبان منه نكده | لما عصاه ولده |
| | ثم رمى بجسده | خنقه بيده |
| | وقال هذا منكر | فغضب المستنصر |
| | قلبي في جثماني | فقال لو عصاني |
| ١٥ | ولم يكن بنكر | نزعته من صدرى |
| | إذ ظنهم حماته | ثم غزا لواته |
| | قال اقتلوهم صبوا | فحين قيد الأسرى |
| | حتى جرى الميدان | عشرون ألفا كانوا |

(١) في الأصل : صدر .

(٢) في الأصل : ينكر .

في النيل من دمائهم
 وهو على ظهر الفرس
 ومات حتف أنفه
 والتاج تاج الملك
 حرا كريم النفس
 مهذب الشائل
 موطأ الأكناف
 ما سل قط سيفا
 مهذب السريره
 لا يعرف القساوه
 يفرق في المنام
 برفقه^١ يدين
 وأما قتل قتل
 ليعلم اللبيب
 وأن للقصاص
 وأمر هادي الدار
 أليس له جزاء
 من تاجر الله ربح
 و لج في أفنائهم
 كضيقم إذا اقترس
 لم يعتسف بعسفه
 كان قليل الفتك
 كملك في القدس
 مقدس الخصائل
 ليس بذى اعتساف
 ولا استجاز حيفا
 أعدل • وال سيره
 ليست له عداوه
 من شرطة الحجام
 و قتل المسكين
 فصل منه ما وصل
 أن القضا عجيب
 يوما^٢ يسوء العاصي
 الاعتبار جارى
 لكنها ابتلاء
 من فضح الناس فضح

٥

١٠

١٥

(١) في الأصل: برفقة .

(٢) في الأصل: يوم .

من باشر الحرب جرح
لا درع أوقى من أجل
خير الحياة ما صفا
الصبر في الشدائد
من حرم السعاده
لم يُجده طول الدأب
شوائل العقارب
فدارهم باللاطف
/ إياك أن تطمعهم
إنك إن بسطتهم
تبسطوا عليك
و ذكروا الأرحاما
إن الفقير ممتحن
جميعه عيوب
و وجهه ممقوت
إحسانه إسائه
سماحه تبذير
عفته فسوق
صوابه خطاء

من اشترى المدح مدح
لا شيء أبقى من مثل
خير الطعام ما كفى
من شيم الأماجد
في ساعة الولاده
إلا عناء و تعب
خير من الأقارب
و خذهم بالعنف
فيك و أن تشبعهم
في المال أو سلطتهم
و أصفروا يديكا
و أكثروا الملاما
مستقبح منه الحسن
و كله ذنوب
و جده مكبوت
علاؤه دناءه
تدييره تدمير
و بره عقوق
صلاته رياء

٥

١ / ١٣٧

١٠

١٥

(١) في الأصل : اوقا - كذا .

| | |
|--------------------|--------------------|
| عطاسه ضراط | رففته انحطاط |
| إن قال لم يصدق | إن رام لم يوفق |
| إن زار رُدَّ وحبب | إن لم يزر قيل غضب |
| رامحه كالأعزل | ورمحه كالمغزل |
| أعراسه مآتم | [إحسانه جرائم - ١] |
| إن السخاء فطنه | إن النساء فتنه |
| خير النساء الحافظه | لبعلمها الملاحظه |
| لبنتها المريبه | لطفلها المقربه |
| الحره العفيفه | الجزلة الخفيفه |
| البره الودود | الطفلة الودود |
| وشرهن العاهرة | القحبة المجاهره |
| إن وصلت تدلت | أو تركت تظلمت |
| تقاتل الأحماء | تخاصم النساء |
| لسانها طويل | وخيرها قليل |
| دائمة البكاء | كالحيه الرقطاء |
| بذية اللسان | للبلع والجيران |
| ريبها مضاع | وشرها مشاع |
| تغضب من غير غضب | تضحك من غير عجب |
| ليس لها أبوه | طلاقها مروه |
| | وتركها قود |

(١) العبارة المحجوزة ساقطة من الأصل: ووردت في هامشه بخط المراجع.

فلنقتصر

فلنقتصر على هذا القدر من باب الأدب من الكتاب المذكور .

[الفيل و الأسد و غير ذلك - ١]

و لنذكر الآن ما قيل في الفيل و الأسد ان شاء الله تعالى - قيل :

إن الفيل يعمر كثيرا . ذكر أن محمودا^٢ صاحب غزوة^٣ و ما والاها من

البلاد أصاب في تصيده فيلا أبيض ، و ذلك بعد الأربعمائة من الهجرة^٤ ،

فوجد عليه و سما لبعض ملوك الفرس الذي كان قبل الإسلام ، فوسمه

محمود هذا و أرسله . و قيل : إن الفيل يعمر بأرض الزنج أربعمائة سنة

و أقل من ذلك و أكثر . و حمل إناث الفيلة سبع سنين ، و من عجائب

الفيل على عظم جثته أنه يهرب من القطط . / و قد احتال بذلك هارون

ابن موسى في حربه ، و كان قد حضر به^٥ على عظم جثته بعض ملوك الهند ،

و قد قدمت الهند أمامها الفيلة ، فبرز هارون بن موسى أمام الصف ، و قصد

العظيم من الفيلة ، و قد خبا تحت ثوبه هرا ، فلما دنا منه في حملته من الفيل ،

خلى^٦ الهر عليه ، فولى الفيل منهزما لما بصر به . فكان في ذلك هزيمة الجيش ،

(١) العنوا ان مشتق من النص و ليس بالهامش .

(٢) في الأصل : محمود .

(٣) هو يمين الدولة محمود الغزنوي و حكمه ٣٨٨ - ٤٢١ هـ / ٩٩٨ - ١٠٣٠ م .

(٤) يقابلها القرن الحادي عشر الميلادي على وجه التقريب .

(٥) في الأصل : له .

(٦) في الأصل : الملوك .

(٧) في الأصل : خلا .

و قتل الملك ، و غلبة^١ المسلمين عليه . فقال هارون في ذلك قصيدة يصف ذلك ، وهي هذه :

أليس عجيبا بأن تلقه له فطن الأنس في حزم فيل

و أطرف من قشبة زوله بحلم يحل عن الخنثليل^٢

و أوقص مختلف خلفه طويل النيوب قصير الصقيل

و يلقي العدو بناب عظيم وجوف رحيب و صوت ضئيل

و أشبهه شيء إذا قستته بخنزير بر و جاموس غيل

و شخص يرى أنفه يده فان وصفوه ف سيف صقيل

و أقبل كالطود هادي الحسيس بهول شديد أمام الرعيل

فان سمته زاد في هوله فسعة أذنين في رأس غول

و قد كنت أعددت^٣ هرا له قليل التهب للزندبيل

فلم أحس به في العجاج أتانا^٤ الإله بفتح جليل

و طار برغم فيا ليته^٥ بقلب نجيب و جسم نبيل

فسبحان خالقه وحده إله الأنام و رب الفيول

١٥ و الزندبيل هو العظيم من الفيلة و المقدم فيها ، قال بعض الشعراء في صفة فيل :

(١) في الأصل : و غلبت .

(٢) في الأصل : الخنثبيل .

(٣) في الأصل : أعدت .

(٤) نقلنا الكلمة من الشطر الأول للثاني .

(٥) في الأصل : و طاروا رغم فياله .

ذاك الذي مشفره طويل وهو من الأفيال زنديل
 و أما الأسد فمخضوعها للملوك بسبب تعليمها ، ولا يظفر بصيدها
 إلا ذووا الجرأة والقوة والشدة ، وقد لا يقدر على اصطيادها لقوتها
 وشجاعتها وافتراسها . ذكروا أن حرملة بن المنذر الطائي ، و كان رجلا
 زوّارا لملوك العرب و العجم ، عارفا بسيرهم و أيامهم ، و كان أمير المؤمنين ه
 عثمان بن عفان^٢ رضى الله عنه يدينه على ذلك و يقربه ، / فحضر عند
 عثمان ذات يوم و عنده جماعة من الناس ، فتذاكروا مآثر العرب و أشعارها
 و أيامها ، فالتفت عثمان إلى حرملة بن المنذر فقال : أنشدنا بعض شعرك ،
 فقد أنبت أنك تجيد الشعر ، فأنشد قصيدة يقول فيها هذه الأبيات :
 من مبلغ قومي النائين إذ شحطوا أن الفؤاد إليهم شيق ولع ١٠
 إلى أن ذكر الأسد فيها فقال :
 ضرغامة أشدق الشدقين في لبد كأنه برنس^٣ في الغار مسدّرع
 شاسي الهبوط دنى الجانبين متى ينسع بواردة يحدث لها فزع
 فقال له عثمان : تالله تفتأ تذكر الأسد ما حميت ! ما أحسبك إلا جباناً ،
 قال : كلا يا أمير المؤمنين ! ولكنى رأيت منه منظرا ، و شهدت منه ١٥
 مشهدا ، لا يبرح ذكره يتجدد في صدرى ، و معذور أنا ، غير ملوم .
 قال : و كيف ذلك ؟ قال : خرجت في صباية أشراف من أفناء قبائل

(١) في الأصل : ذوى .

(٢) انظر حاشية سابقة و راجع الفهارس .

(٣) في الأصل : برنسا .

العرب ذوى هيئة وشارة حسنة ، و معنا عتاق الخيل يوم الحارث بن شمر
 ملك الشام ، فجد بنا السير فى حمارة القيظ حتى إذا عصبت الأفواه ،
 و ذبلت الشفاه ، و صرّ الجندب ، و ذاب الصيخد ، قال قائل : أيها
 الراكب ! غوروا بنا فى ضوج هذا الوادى ، و إذا واد كثير الدغل ،
 دائم الغلال ، شجراؤه مغنّة ، و أطياره مرنة ، فخططنا رحالنا بأصول دوحات
 أفنانها ، متهدلات أغصانها ، فأصبنا من فضلات الزاد ، و أتبعناها بالماء
 البراد ، فانا لتذاكر حر يومنا و مطاولته و بماطلته إذ صر الفرس منا أذنيه ،
 و فخص الأرض بيديه ، ثم إنه ما لبث أن جال ثم حمحم ، ثم فعل فعله
 الذى يليه من الخيل واحدا فواحدا ، فتضعضت الخيل و تقهقرت ،
 ١٠ و تكعكعت الإبل ، فمن نافر بشكاله ، و من ناهض بعقاله ، فعلينا أن
 قد أتينا و أنه الأسد ، فعمد كل امرئ منا إلى سيفه / فاستله من قرابه ،
 ثم وقفنا رزدقا ، فأقبل يتطالع ، و لبلاغيمه غطيظ ، و لطفه وميض^١ ،
 كأنما يخبط هشيما ، و إنما يظأ صريما ، و إذا هامة كاللجن ، و خد
 كالسن ، و عينان سجرأوان ، كسراجين^٢ يقدان ، بساعد مجدول ، و عضد
 ١٥ مفتول ، و كف شنته البرائن ، إلى مخالب كالمحاجن ، فضرب يده الأرض ،
 فأرهب و كشر ، فأفرج عن أنياب كالمعاول مصقولة^٣ غير مفلولة ، و فم
 أشدق ، كالغار الأحوق ، ثم تمطى فأشرع يديه ، حتى صار ظله مثليه ،

(١) فى الأصل : رميض .

(٢) فى الأصل : كسراجان .

(٣) فى الأصل : مقصولة .

ثم ألقى فاقشعر ، ثم مثل فاكفهر ، ثم تجهم فازبأر^١ ، فلا والله !
 ما اتقيناها بأول من أخ من فزارة ، كان ضخم الجزارة ، فأخذه الأسد ،
 فقضقهض منته ، وبقر بطنه ، وأقبل يواغ في دمه ، فدمرت أصحابي ،
 فهجهجنا به ، ففكر مقشعرا ، واختطف من دوني رجلا ، فنفضه نفضة
 تزايلت مفاصله ، ثم نههم فقرقر ، ثم زفر فبربر ، ثم زأر فجرجر ،
 ثم لحظ فوالله لحلت البرق يتطير من تحت جفونه ، من شماله و عن يمينه ،
 فأرعشت الأيدي ، واصطكت الأرجل ، وأطت الأضلاع ، وأحجمت
 العيون ، وانخذلت المتون ، وانسهلت البطون ، ثم أنشأ يقول
 هذه الآيات :

عبوس شمس مصلحند مكابر جرى على الإقدام للقرن قاهر ١٠
 برائنه مهق و عيناه في الدجى كجمر الغضا في وجهه الشر ظاهر
 يذل بأنياب حداد كأنها إذا قلص الأنياب عنها الخناجر
 فقال له أمير المؤمنين عثمان : اسكت ، قطع الله لسانك ! فقد رعبت قلوب
 المسلمين . و لبعضهم في الأسد :

معبس الوجه أظس المنخر مهذل الشدق غائر الحجر ١٥
 أنيابه مثل القضا فهي إذا كشر عنها بانت^٢ كالخنجر
 يسترق البرق من لواظظه و الرعد من صوته إذا زجر

/ و اعلم أن الأسد له أسماء ، منها الأسد و السبع و الغضنفر و الضيغم

١٣٩ / الف

(١) في الأصل : فازتار .

(٢) في الأصل : تبان ، و لا يستقيم به الوزن .

و القسورة و الليث و أبو الحارث و الهزبر و الهبضم و الريبال و الهرماس
و الفرافصة و أسامة و ساعدة ، و هما اسمان معرفتان . و الشبل : ولد
الأسد ، و هو الشيع و الحفص ، و يقال : به سمي الرجل حفصا . و اللبوءة :
الأنثى من الأسد . و الغيل : موضع الأسد ، و جمعه أغيال ، و هو العرين
٥ و العزبن و العريشة و الخيس ، و جمعه أخياس . و الشرى : موضع ينسب
إليه الأسد .

و أما البقر الوحشية فيقال لها : البرب و الغيطة : البقرة الوحشية .
و الجؤذر : ولد البقر الوحشية . و الوعول : تيوس الجبال ، واحدها
وعل . و جماعة الحمير الوحشية يقال لها : عانة ، و جمعها عون - انتهى .
١٥ نعود - و مع ما في الأسد من القوة و الشجاعة إذا رأى الفأر تحول
إلى خلفه ، و صر أذنيه ، و حرك ذنبه ، و بال في مكانه ، و صار متعلقاً
العينين ، لا يدرى أى شيء قد ورد عليه و يهمهم . و قيل : إن الأسد
إذا رأى الديك الأفرق الشديد البياض ، الشديد حمرة الرأس ، و ما أضيف
إليه ، خضع له حتى يقال : إنه يعبده ، و إذا كان الديك في قافلة
١٥ لم يقربها الأسد بوجه و لا بسبب ، و كلما صغر حجم الديك كان أعظم
في نفس الأسد .

و قيل : إن الخنزير إذا حمل على ظهر حمار و شد حتى لا يضطرب ،
فبال الحمار من تحت الخنزير ، مات الخنزير فوق الحمار . و أما الغول
فقيل : إنه جن ، مسكنه الصحارى ، يترامى للانسان كأنه إنسان فلا يزال
(١) في الأصل : مباحق .

يتبعه حتى يضل الطريق فيهلك . و السعالى : إناث الغيلان ، و ذكر الغيلان
يسمى كعنكما .^٢ و أنشدوا :

غولا تراعى شرسا كعنكما^٢

/ و الصحارى تشتمل على الجبال و الأماكن المرتفعة و الأحجار ،
فالطود : الجبل العظيم ، و كذلك الطور ، و الشعب : الطريق فى الجبل ،
و الأخشب : الجبل الخشن . و الباذخ : الطويل المرتفع ، و كذلك
الشامخ [و الشاهق . و النيق : أعلى الجبل . و الشعاف : رؤس الجبال ،
الواحدة شعفة ، و كذلك الشماريخ -^٣] و الشناخيب . و الهضاب :
جبال تنبسط على الأرض ، الواحدة هضبة ، و الآكام نحو منها ، الواحدة
أكمة . و الثنية : العقبة ، و جمعها ثنايا . و الربوة و الراية : ما ارتفع
من الأرض ، و الصوان : حجارة صلبة تقترح منها النار ، الواحدة
صوانة . و الصلب : حجر المسن . و المرو^٤ : حجارة بيض براقه تكون
فيها النار . و النشفة : الحجارة التى تدلك بها الأقدام . و الصفاة :
الصخرة . و الجلاميد : الصخور ، واحدها جلمود .

و قيل : إن بأقصى سواحل الهند شجرا^٥ يقال له : السلسفور ، إذا

(١) فى الأصل : اناثى .

(٢ - ٢) الجملة أضافها المصحح و المراجع بقلم آخر فى هامشه .

(٣) العبارة المحجوزة ساقطة من الأصل و وردت فى هامشه بقلم المراجع .

(٤) المرو حجر صلب براق ، و يعرف أحيانا بالصوان .

(٥) فى الأصل : شجر .

قطع قضبان تلك الشجرة و أقيت على الأرض صارت حيات تسعى ،
فاذا أخذت باليد كانت قضبان خشب .

وقيل : إن النعام يلتقط الجمر و يأكله ، و يزدرد الحديد و الحصى ،
فاذا صار في حوصته ، ذاب و صار له غذاء ، و لا يضره لهب النار ،
٥ و لا صلابة الحديد . و قيل : إن الحديد لا يذوب في النار إلا أن طرح
عليه الزرنبيخ . و الظليم : ذكر النعام . و الرئال : فراخ النعام .
وقيل : إن المرأة إذا اختضبت بالحناء و باتت عليه ثم بالت ،
كان بولها مثل بول المحمومين الغالب عليهم الصفراء ، و يكون للبول
صبغ شديد الحمرة .

١٠ وقيل : إن الحنظلة الواحدة النابتة في أصل واحد ، و ليس معها
في ذلك الأصل غيرها ، ثم أمسكها الإنسان بيده ، حصل له الإسهال
ما دامت في يده إلى أن يموت حتى يلقبها من يده . و قيل : إن نشفت
و أخذ من شحمها شيء و طلى به رجلا حمار^٢ و يداه^٢ ثم ركبه
راكب ، أسهل الراكب إسهالا عظيما ما دام راكبا^٢ على ذلك الحمار ،
١٥ و لا يسهل الحمار .

وقيل : إن حجر المغناطيس يجذب الحديد لطاعته له ، فاذا ذلك

بالثوم بطل جذبته للحديد ، و إذا غمس الحجر / في دم تيس عاد جذبته

(١) في الأصل : مسكها .

(٢) في الأصل : او يديه .

(٣) في الأصل : راكب .

إليه ، و بطل فعل الثوم - و قد تقدم ما قيل في حجر المغناطيس و مواضعه فأغنى عن إعادته .

فلنذكر الآن ما قيل في الزرافة و صفتها و نتاجها إن شاء الله تعالى -
 أكثر ما تكون الدابة المعروفة بالزرافة في أرض النوبة ، و قد يتوزع في نتاج هذا النوع من الدواب المعروفة بالزرافة ، فمنهم من رأى أن بدء ٥
 نتاجها من الإبل ، و منهم من رأى أن ذلك يجمع بين الإبل و البقر و الزرافة . و أن النمر ظهر من ذلك ، و منهم من زعم أنه نوع من الحيوان قائم بخلقه كقيام الخيل و الحمير و البقر ، و أن ليس سبيلها سبيل البغال المولدة النتاج من الخيل و الحمير . و قد كانت تهدي إلى الملوك ، و هي دابة طويلة اليدين و الرقبة ، قصيرة الرجلين ، لا ركبتيان ١٠ لرجليها ، و إنما الركبتان ليديها . و قد ذكر الجاحظ في « كتاب الحيوان » عند ذكر الزرافة كلاما كثيرا في نتاجها ، و أن في أعالي بلاد النوبة تجتمع سباع و وحوش و دواب كثيرة في حمارة القيظ إلى شرائع المياه ، فتسافد هناك ، فيلقح منها ما يلقح ، و يمتنع ما يمتنع ، فيجىء من ذلك خلق كثير مختلفو الصور و الأشكال منها الزرافة ، و الزرافة ذات أظلاف ، ١٥ و هي دابة منحنية إلى خلفها متضورة ٢ ، و ذلك لقصر رجليها ، و للناس في الزرافة كلام كثير ، و أن النمر بأرض النوبة عظيمة ، و الزرافة عجيبه الفعل في تألفها و تردها إلى أهلها ، و هي كالفيلة ، منها وحشية و منها مستأنسة .

فلنذكر الآن خبر الباز الذي سل الملك عنقه بعد صيده ، و جعل ٢٠

(١) في الأصل : لا ركبتيين . (٢) في الأصل : مصورة .

ذلك عبرة لخواصه و أمرائه . و ذلك أن أحد ملوك الروم أهدي
لسلطان إفريقية بأرض المغرب هدية فيها باز يصطاد العقاب . فعجب
السلطان من باز يصيد سيد الطير و هو العقاب . ثم إنه خرج يتصيد
و ذلك الباز على يده ، و خواصه و أمراؤه حوله ، فرأى السلطان
عقابا طائرا ، فأطلقه عليه ، فما كان إلا لحظة طرف و إذا بالباز ركب
ظهر العقاب و صار يرفرف بأجنحته على عينيه بدهوشه بهما حتى
نزل به ، فلما قبض العقاب منه ، طار الباز و وقف على يد السلطان ،
فتعجب السلطان و خواصه و أمراؤه من فعله ذلك و استحسوه منه ،
فعمد السلطان إلى عنق الباز فقتله ، و استله من موضعه و ألقاه من يده
١٠ إلى الأرض ، فشرع يتخبط إلى أن مات ، فاندملت عقول الأمراء من
فعل السلطان بالباز ما فعل ، و تعجبوا من ذلك ، و سألوه : كيف قتل
من غير إساءة ظهرت منه ؟ فقال السلطان : هذا جزاء من يتعدى على
سيده ، و يعمل على هلاكه . ففهموا منه تلك الإشارة التي هي عبارة ،
تفتتت منها المرارة .

١٥ و اعلم أن الصيد لما يجوز صيده ثلاثة أوصاف : كونه وحشيا ،
و الثاني لا يقدر عليه إلا بآلة . و الثالث أن يكون الصيد مباحا جائزا
أكله - انتهى .

فلنذكر الآن أصناف الطير و ما قال اللغويون فيها - المضحى :
النسر العظيم ، و كذلك القشعم . و الأجدل : الصقر . و القطامي :

(١) في الأصل : قالت .

العقاب، والهيثم : فرخ العقاب . وقيل : فرخ النسر ، والهوذة :
القطاة ، والصلصلة : الفاخنة ، والعكرمة : الحمامة ، والجوازل : فراخ
الحمام ، الواحد جوزل ، والحمام عند العرب هي البرية ذوات الأطواق
كالفواخت والقمارى ونحوها .

فأما الدواجن فى البيوت فهى وما أشبهها من طير الصحراء البهام ،
والحاتم : الغراب ، ويقال له ابن دأية ، ويقال : نغق الغراب ينغق -
بغين معجمة - إذا صاح ، وكذلك نعب نعب . والواق : الصرد ،
وجمه صردان^١ . واليعاقب : ذكور الحجل ، واحدها يعقوب . والسلك
الذكر [من] فراخ الحجل ، والآنثى سلكة^٢ . والفياد : ذكر البوم .

والحيقطان : ذكر الدراج ، وساق حر : ذكر القهارى . والخرب : ١٠
ذكر الحبارى ، وجمعه خربان . والنهار : فرخ الحبارى ، والليل : فرخ

الكروان . والغرفان : الديك . والوطواط : الخطاف . والكفيت : البلبل .
والغرائيق : طير الماء ، الواحد غرنيق . والمكاه : طائر يصوت فى الرياض ،
سمى مكاه لأنه يمشى أى يصفر . والوضع : طائر صغير ، ومنه الحديث

« إن إسرافيل ليتواضع لله حتى يصير كالوضع » . والنغر : العصفور ، وجمعه ١٥
نغران ، والنهس : طائر صغير الجسم . والسيد : طائر لين الريش ، إذا قطرت
عليه قطرة من ماء جرت من لينة ، وجمعه سيدان . والشنوط - بفتح الشاء

(٣) فى الأصل : صرادن .

(٢) فى الأصل : مسلكة .

و ضم الواو: طائر يدلى خيوطا من شجرة، ثم يفرخ فيها . و البرقش :
 طائر صغير ملمع ، و هو الذى يسميه أهل الحجاز الشرشور . و بغاث
 الطير : خساسها التى لا تصيد منها . و السقطان من الطائر : جناحاه ، و هما
 يداه ، و فى الجناح عشرون ريشة : أربع منها قوادم و هى أعلاها ، ثم أربع
 مذاكب ، ثم أربع كلى ، ثم أربع خواف ، ثم أربع أباهر ، و هى التى تلى
 الجنب . و العرفية : عرف الديك . و الفيض : قشر البيضة الأعلى ، و يقال :
 أفضت الدجاجة - إذا انقطع بيضها ، و كذلك الحمامة ، و مثله أفضت السماء
 إفضاء - إذا انقطع مطرها - انتهى .

• • • • •

خاتمة الطبع

الحمد لله العزيز العلام ، و الصلاة و السلام على سيد الأنام ، محمد المصطفى
 و آله النجباء البررة الكرام . و أصحابه الأعلام ، أئمة الهدى و مصايح الظلام ؛
 و بعد فقد وقع الفراغ من الجزء الخامس من كتاب الإمام بالإعلام فيما جرت به
 الأحكام ، للشيخ الإمام الهمام ، محمد بن قاسم بن محمد النويرى الإسكندرانى -
 رحمه الله - يوم الجمعة الثامن عشر من شهر ذى القعدة الحرام سنة ١٣٩٣ هـ =
 ١٤ ديسمبر سنة ١٩٧٣ م ؛ تحت مراقبة مدير الدائرة و عميدها أحد أعلام الهند
 من أولى الألباب ، و أفضل العلماء ، السيد بروفيسور عبد الوهاب ، البخارى حين
 الانتساب ، إلى آباءه الكرام ذوى الأحساب و الأنساب ، و فى الله أجره
 بغير حساب انعم العبد انه اواب ا

اعتنى بتصحيح الكتاب وتحقيقه والتعليق عليه ميزة الأماثل، الأستاذ
الفاضل المستشرق الدكتور عزيز سوريال عطية، أعانه الله في خدمته
العلمية العلية! و غنى بتنقيحه خادم العلم والعلماء راقم هذه الخاتمة - غفر الله له
ولوالديه - بعد إعادة المعارضة والمقابلة بالأفلام الصغيرة لمخطوطة القاهرة،
والمراجعة في المراجع والمصادر المتعلقة .

ويليه الجزء السادس وأوله « عود إلى ذكر دخول السلطان الأشرف
شعبان ثغر الإسكندرية » يسر الله إتمامه في خير !
وفي الختام ندعو الله تعالى أن ينفعنا به و يوفقنا لما يحبه ويرضاه،
و هو المسؤول لحسن الخاتمة، ونصلي ونسلم على من علم فوآتح الخير و خواتمه،
سيدنا ومولانا محمد و آله و صحبه أجمعين، و آخر دعوانا أن الحمد لله
رب العالمين .

الفقير إلى رحمة الله الغنى الحميد

السيد محمد حبيب الله القادري الرشيد

(كامل الجامعة النظامية)

رئيس قسم التصحيح من دائرة المعارف العثمانية